في فقه الإصلاح والتجديد

عند الإمام حسن البنا

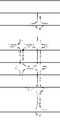
«٩»



تحليل وشرح أعده

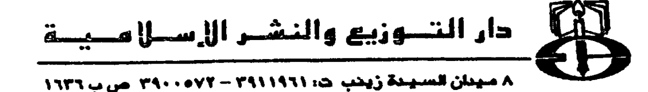
دكتور علي عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر



١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع ٥٥٥٣ / ٩٩
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977 - 265 - 253 - 6



بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات،

وإلى الذين هداهم الله إلى الحق ،وإلى الطريق المستقيم

وإلى الذين يرون أن الأخوة فى الله جزء من هذا الدين، ورافد لدعـوته وحركته وتمكينه فى الأرض وتحكيم منهجه ونظامه.

إليـهم أقدم هذا الركن الركين من الدين وهو الأخـوة فى الله وهو الحلقـة التاسعـة من سلسلة: « فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله» حلقة «ركن الأخوة من أركان البيعة العشرة.

سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفع بها من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

على عبد الحليم محمود

القاهرة: غرة رجب الفرد من عام ١٤١٨هـ

الموافق أمس ديسمبر من عام ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يَدَيْ هذه السلسلة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعـــد:

فإن هذه السلسلة من الكتب وهى: «فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله» تستهدف أهدافا عديدة، أودُّ الإشارة إليها فى هذه المقدمة للحلقة التاسعة من حلقات هذه السلسلة وهى «حلقة الأخوة» وكنت أشرت إلى بعضها فى حلقات سابقة.

وهذه الأهداف هى:

أولا:

إلقاء ضوء على المفهوم الصحيح لكل كلمة من الكلمات التى هى عنوان لهذه السلسلة وهى: الفقه، والإصلاح، والتجديد ليكون الناس على علم بها فلا تضطرب لديهم الرؤية، ولا يضل بهم الطريق إلى الإصلاح والتجديد.

ثانيًا:

توضيح أن الإصلاح والتجديد لابد أن يقوما على أساس راسخ من الفقه الصحيح لهذا الدين الخاتم -والفقه فهم عميق وعمل صالح- وذلك من أجل أن يتجنب الناس التقليد والتبعية والجمود، ومن أجل أن يراعوا فيما يمارسون من إصلاح وتجديد ظروف الحياة الإنسانية وما يطرأ عليها من متغيرات، يجب أن يأخذها المصلحون والمجددون فى اعتبارهم، حتى يكون إصلاحهم وتجديدهم ملائما لمقتضيات المنهج الإسلامى فى الحياة.

ثالثا:

بيان أن منهج الإسلام فى الحياة تقتصر أصوله ومرجعياته على أصلين كبيرين هما: الكتاب والسنة، هذا المنهج له جانبان هما:

- **الجانب الثابت من المنهج:**

وهو كل ما يتصل بالعقيدة والعبادة والخُلُق، وهذا الجانب لا يدخله إصلاح ولا تجديد، لأنه ثابت غير قابل للتغيير ولا للتبديل.

- والجانب المتغير من هذا المنهج:

وهو كل ما يتصل بحياة الناس المختلفة باختلاف الزمان والمكان والظروف من نظم اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، وهذا الجانب هو الذى يحتاج ما بين آن وآخر إلى الإصلاح والتجديد، وهو الجانب الذى ورد فيه حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»؛ أى لابد من الإصلاح والتجديد لأمر هذه الأمة فى هذا الجانب من المنهج.

رابعا:

تأكيد أن هذا الإصلاح والتجديد للجانب المتغير من المنهج هو من صميم ما يجب على المسلمين من اجتهاد يؤدى بهم إليه، مستعينين فى ذلك بالقياس والمصالح المرسلة وسد الذرائع، حتى يصلوا إلى هذا الإصلاح والتجديد، وذلك يؤكد أن باب الاجتهاد فى أمور الدين مفتوح دائما لمواكبة متغيرات الزمان والمكان.

خامسا:

تأكيد أن المسلمين بغير إصلاح وتجديد لأمور دينهم ودنياهم سيجدون أنفسهم فى جمود وتبعية وقعود عن موكب الحضارة والتقدم، ثم يجدون أنفسهم متراجعين حضاريا[1]، وذلك ما يعانى منه المسلمون اليوم فى معظم أقطارهم، ويدفعون له أبهظ الأثمان.

تلك أهم أهداف هذه السلسلة أردت أن أشير إليها باختصار بين يدى هذا الكتاب.

ولنلق ضوءا على مفهوم كلمات الفقه والإصلاح والتجديد فنقول:

* الفقه - فى هذا العنوان - مصطلح يعنى التعمق فى الفهم، كما يعنى إخراج الفهم من حيز النظرية إلى مجال التطبيق، وكذلك كان يفقه الإمام البنا - رحمه الله - الإصلاح والتجديد، ويحاول - ما وسعه الجهد والجهاد - أن يخرج كلا منهما من مجال الكلام والتنظير إلى ميدان العمل والجهاد.

---

(١) انظر للمؤلف: التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى اليوم، وطرق التغلب عليه. نشر دار الوفاء - القاهرة: ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

* والإصلاح: يكون للأمر أو للشيء الذى فيه فساد - أى خروج عن الاعتدال - بعد وجوده صالحا، وقد كان للإمام البنا فقه فى إصلاح ما فسد من حال المسلمين وظروفهم، بل فهمهم للإسلام نفسه، كما كان له فقه فى إصلاح مَنْ فسد من المسلمين ليعود به إلى حال الصلاح الذى فطره الله عليه أو الذى يجب أن يكون عليه، وكثيرا ما كان يقول: إن شُعب الإخوان ودُورهم، وإن الدعوة إلى الله تشبه المشفى يدخلها المريض فيصح وينصلح حاله.

* والتجديد هو الترميم والإصلاح والتغيير لما عليه الحال، وبخاصة إذا كان هذا الحال ليس صالحا، وهذا التجديد من سنة الله فى المصلحين المجددين من المسلمين، كما جاء ذلك على لسان النبى الخاتم محمد ﷺ: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[1].

* ومن التجديد مواكبة المتغيرات وإحسان التعامل معها، إما بهضمها فكريا وثقافيا بحيث تتلاءم مع العناصر الأساسية للأمة، ولا تتعارض مع شىء من أصول الدين وأحكامه، وآدابه، ولا تؤدى إلى تشويه الشخصية المسلمة؛ وذلك أن العجز عن مواكبة هذه المتغيرات، وبخاصة ما كان منها ملائما أو غير معارض للقيم الإسلامية، هذا العجز يعتبر لونا من ألوان الجمود الفكرى والتخلف العلمى والتراجع الحضارى، وكل ذلك غير محمود، بل غير جائز من الأمة المسلمة التى أراد الله تعالى لها أن تكون الأمة الوسط التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

* وكان للإمام البنا فى ذلك التجديد فقه مواكب لهذه المتغيرات موجه لها بما يتفق وقيم الإسلام وأحكامه، وضح ذلك فى كثير من الرسائل التى كتبها للإخوان خاصة، وفى مقالاته التى كتبها للمسلمين عامة.

* وليست رسالة «التعاليم» التى نتصدى منذ فترة لشرح أركان البيعة العشرة فيها، ليست تلك الرسالة إلا فقها للإصلاح والتجديد على نحو ما بينا فى تحليل هذه الأركان فى كتبنا السالفة:

١ - ركن فهم أصول الإسلام.

٢ - وركن الإخلاص فى مجالات العمل الإسلامى.

---

(١) رواه أبو داود والحاكم بسنديهما عن أبى هريرة.

٣ - وركن العمل، أو منهج الإصلاح الإسلامى للفرد والمجتمع.

٤ - وركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به .

٥ - وركن التضحية.

٦ - وركن الطاعة.

- وذلك هو التجديد الذى أشار إليه الحديث النبوى الشريف الذى ذكرنا آنفا: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

* ولقد كانت قضية التجديد فى أمور الدين، وما تزال، من أكثر القضايا احتمالا لاختلاف وجهات النظر بين المفكرين والمصلحين من المسلمين.

* ونستطيع أن نرصد فى فاتحة هذا الكتاب مذاهب ثلاثة فى هذا التجديد، نعرضها هنا ليستبين القارئ أيها أولى بالاتباع، وأيها أقرب إلى فقه الإصلاح والتجديد:

المذهب الأول :

وهو مذهب يقوم على رفض التجديد مطلقا، والوقوف بقوة فى مواجهته، واعتباره بكل معطياته خروجا على الشريعة الكاملة التامة، لأنه يتضمن دلالة على أن الشريعة الإسلامية فى احتياج لهذه المتغيرات، والأصل ألا يكون هناك احتياج.

- إن أنصار هذا المذهب يغفلون عن طبائع الأشياء، وطبيعة الحياة الإنسانية المستمرة فى التغيير والتلاؤم مع المستجدات، إنهم لم يقبلوا هذه المستجدات بحجة لو تأملوا فيها وتدبروا لأراحوا واستراحوا، إذ كيف يتخذون هذا الموقف الرافض لكل تجديد دون التدبر فى الحديث النبوى الشريف الذى يخبر بأن الله تعالى يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها؟!

* إن من شأن المسلمين أن يحاولوا التجديد فى أمور الدين لا فى أمور الدنيا وحدها، وبخاصة فى الأمور المتغيرة وغير الثابتة.

* إن بعض هؤلاء الرافضين للتجديد ينادون بأن المسلمين اليوم يجب أن يعيشوا فى القرن الخامس عشر الهجرى على نحو ما كان يعيش عليه أو به المسلمون الأوائل من وسائل العيش وآلياته، بل أنماطه فى الملبس والمسكن والمطعم والمشرب وما إلى ذلك!!!

* وبعض هؤلاء ينادون بأن التجـديد فى أى أمر من أمور الحياة يُعـد من المحرمات التى لا يجوز للمسلمين أن يقترفوها!!!

ولا أحب أن أسمى هؤلاء ولا أولئك وإن كانت أسماؤهم وانتماءاتهم لا تخفى على أى مثقف مسلم؛ لأنى لا أرغب فى إدانة من اجتهـدوا فأخطأوا، فالله تعالى يتولاهم ويتولانا جميعا بما يصلح لنا أمور ديننا ودنيانا.

* وعلى وجه القطع والتأكيـد، لم يكن الإمام حسن البنا من أنصار هذا المذهب، ولا ممن يقبلون ما ينادى به، لا أقـول هذا من عند نفسى، ولا استئناسـا بما كنت عليه من قرب ومعرفة بالإمام البنا رحمـه الله، ولكنى أقول ذلك من خلال دراستى لما كتب الإمام البنا من رسائل ومقـالات وكتيبات ومذكـرات تعرضت لشرحها وتحليلهـا فى كتابى: «منهج التربية عند الإخوان المسلمين»[1].

* ويستطيع كل قارئ لوثائق الجماعة وأوراقها التاريخية وكلمات الإمام البنا وخطبه أن يتأكد من ذلك بنفسه.

* وليست دراستنا لهذه السلسلة: فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا إلا أدلة موثقة على صدق ما نقوله من أن الإمام البنا لم يكن يرفض التجديد رفضا مطلقًا، وإنما كان ممن يأخذون بهذا التغيير والتجديد فى ظل القواعد الشرعية المعروفة.

* وبغض النظر عما جَرَّ إليه هذا المذهب من تهجم أعداء الإسلام على الإسلام نفسه - لا على المسلمين أصحاب هذا المذهب - لأن هؤلاء الأعداء يخلطون غافلين أو عامدين بين الإسـلام والمسلمـين. وبغض النظر عن هذا - وهو خطيـر - فـإن أنصـار هذا المذهب يسيئون إلى فقـههم للإسلام، وإلى كل من اتبعهم فسار على مذهبهم بصـفة عامة، فإذا نظرنا إلى هذا المذهب من خلال فقه الدعوة والحركة من أجل الإسلام، فإن أعدادا كبيرة من المسلمين المثقفين سوف تنصرف عن الإسلام نفسه نفورا من هذا المذهب، وخوفا من نتائج الأخذ به.

---

(1) كتاب موسع من جـزءين كبيرين حللت فيه وثائق الجـماعة وأوراقها التاريخيـة وأنا بصدد الوقوف على منهج الجماعة فى التربية نشرته دار الوفاء بالمنصورة بمصر فى طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

* وأنصار هذا المذهب ليسوا قليلى العدد، وإنما لهم وجود بل حضور فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وإن كانوا بمذهبهم هذا يساندون فكرا لا يستطيع أن يواجه الحياة فضلا عن أن يبقى ويستمر.

* وحسبنا أن نذكر من سلبيات هذا المذهب ما يلى:

- أن التجديد ليس شرًا كله - كما يزعمون - وأن بعض هذا التجديد يجب الأخذ به إذا لم يتعارض مع الثوابت فى حياة المسلمين.

- وأن التجديد ليس معناه قبول كل جديد دون فحص - كما يتوهمون - لما يوافق الإسلام وما يعارضه، ومعنى ذلك أن رفضه كله دون تمييز، تفويت لمصالح قد تعود على المسلمين فى حاضرهم، أو تفويت لأمور قد تدفع عن المسلمين بعض الشر والضرر.

- وأن هذا الموقف منهم معناه رفض الاستفادة من تراث الحضارة الإنسانية برمته،مع أن هذا التراث ملك للبشرية كلها، وأن للناس جميعا أن ينتفعوا بما فيه، بل عليهم ذلك وبخاصة إذا لم يكن هذا التجديد مخالفا لقيم دينهم.

والمذهب الثانى:

وهو مذهب يدعو إلى إعادة النظر فى تراث المسلمين برمته، ثم تطويعه وتغييره ليلائم التجديد الذى جاء به هذا القرن العشرون، ويرون فى هذا العمل مرونة ومواكبة للمتغيرات، بل يرونه تجديدا!!!

* وهؤلاء وإن قالوا بتقديس كل ما جاء فى القرآن الكريم من أحكام وقيم، إلا أنهم يعترضون على أمرين هامين - يعد الاعتراض عليهما فى غاية الخطورة، لأنه فى الحقيقة اعتراض على بعض ما شرع الله -.

هذان الأمران هما :

الأول: مكان المرأة فى النظام الاجتماعى فى الإسلام، حيث يتصورون - مخطئين - أن الإسلام حرمها من بعض حقوقها التى تمارسها المرأة فى الغرب.

والآخر: الحدود التى شرعها الإسلام بقطع يد السارق ورجم الزانى المحصن، وجلد الزانى غير المحصن، وجلد شارب الخمر والقاذف فى الأعراض، حيث يتصورون -مخطئين

أيضا - أن إقامة هذه الحدود قسوة بل وحشية يغنى عنها عقاب بالسجن أو التغريم!!!

* ولست بحاجة هنا إلى أن أرد هذا المذهب والقائلين به إلى منابعهم ومصادرهم ومرجعياتهم، فهى أوضح من أن أنبه إليها أو أفصل القول فيها، بل حسبى أن أشير إشارة عابرة إلى ذلك فأقول:

- إن أصحاب هذا المذهب تأثروا فيه بتقاليد الثقافة الغربية، حيث نجدهم جميعا ممن ربُّوا تربية غربية أو ثقفوا ثقافة غربية فى جامعات الغرب ومعاهده ومدارسه، أو واصلوا دراساتهم العليا هناك، سواء أكانت هذه الجامعات والمعاهد فى بلاد الغرب أم كانت فى بلدان العالم الإسلامى الذى كان -وما يزال- يعج بالجامعات والمعاهد التى تفرض ثقافتها وتوجهها المناقض للتوجه الإسلامى على أبناء المسلمين!!!

ولو شئت أن أسمى هؤلاء بأسمائهم لفعلت، ولكن ما جدوى هذا وما تأثيره؟.

وهؤلاء جميعا - إلا من رحم ربى - أحدثت فيهم الثقافة الغربية ما لابد لها أن تحدثه، وقد اتضح هذا فى أمرين خطيرين:

أحدهما :

زعزعة ثقتهم فى الإسلام؛ منهجه ونظامه وما جاء به من أحكام وأخلاق وآداب.

والآخر:

إقناعهم بشكل مباشر أو غير مباشر، واقتناعهم بأن الدين الإسلامى دين متجمد غير صالح لهذا الزمان، لأنه جاء فى زمان مضى ومضى أهله معه!

- وهذه وتلك مقولتان لعدد من أعداء الإسلام من المستشرقين من شرق وغرب ممن يدينون باليهودية أو الصليبية.

- وأصحاب هذا المذهب يرددون هذه المقولات دون وعى لأبعادها وآثارها فى نفوسهم وذويهم وأوطانهم، فرحين بأنهم أصبحوا غربيين أو يساريين أو علمانيين أو تقدميين أو ثوريين!!!

- وهؤلاء وإن وقف بعضهم فى مواجهة الاستعمار تجاوبا مع متطلبات سياسية - ربما

رسمت لهم - فطالبوا بالتحرر من الاستعمار إلا أنهم سقطوا فى حماة الأفكار الاستعمارية الغربية المعادية للإسلام، وتبنّوها بإخلاص الدعوة إليها والترويج لها، وسموا ما قاموا به فى ذلك تغييرا أو تجديدا أو تطويرا أو تنويرا!!!

- وهؤلاء الذين يدعون إلى هذا المذهب وقعوا بهذا فى أخطاء كثيرة بعضها فكرى ثقافى، وبعضها وطنى سياسى، وبعضها إسلامى، ونحب أن نذكر من هذه الأخطاء ما يلى:

الأول:

سوء فهمهم للإسلام، وضحالة ثقافتهم فيه؛ حتى إن بعضهم يجهل أولياته كما يبدو ذلك فى كتابتهم، ومع هذا الجهل يكتبون عن الإسلام كأنهم يعرفونه!!!

والثانى:

انبهارهم بكل ما هو غربى وتقبله تقبلا مطلقا بكل ما فيه من عيوب -كما قال قائلهم- دون فحص أو تمييز لغثه وسمينه، مع أن الغث فيه مما يخالف الدين ليس بالقليل، ولست أدرى كيف تقبلوا ذلك دون أن يخضعوه لمنهج الشك الذى أخضعوا له الدين؟ أو لمنهج العلم والمنهجية الغربية فى البحث التى تعلموها هناك؟.

والثالث:

أنهم فقدوا الثقة فى قدرة الإسلام ومنهجه على حل مشكلات الناس، وعلى مواجهة المتغيرات بأسلوب علمى يأخذ ويترك وفق معايير معينة، حتى إن بعض غافليهم - وما أكثر الغافلين منهم - يتندر بمقولة: «إن الإسلام هو الحل» كأنها مقولة غير صحيحة!!!

والرابع:

أنهم تحولوا نتيجة لكل هذا إلى أن أصبحوا دعاة أو أذنابًا للفكر الغربى المناوئ للإسلام فى ماضيه وحاضره - والمعادى للمسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض، حتى ولو كانوا مسلمين أوربيين كمسلمى البوسنة والهرسك وكرواتيا وكوسوفا - ومن أجل هذا فإنهم يستعينون دائما بخبراء الغرب فى حل المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، ولأن هؤلاء الخبراء أعداء فى الحقيقة فإن المشكلات فى تزايد وتراكم، والدليل على هذا؛ ذلك الكم الهائل من الديون والتبعية والتخلف الحضارى المشاهد على رقعة العالم الإسلامى كله!؟!

والخامس:

أنهم رفضوا كل منهج إسلامى للإصلاح مقدما، وأدانوه قبل أن يعرفوه فضلا عن أن يجربوه، وجرموا المنادين به وزجوا بدعاته فى السجون والمعتقلات، بل قتلوا بعضهم فى رائعة النهار، ومن نجا من القتل شرد، وتوبع فى مهربه بما يشق على أحد احتماله، كل هذا مع تبجحهم بأنهم من دعاة الحرية ومن أنصار حقوق الإنسان!!!

والسادس:

أنهم صنفوا من كان معهم فى موالاة الغرب أو الشرق ومعاداة الإسلام بأنهم الشعب وأنهم حماة المكاسب الشعبية ودعاة التنوير، وصنفوا المتمسكين بمنهج الإسلام بأعداء الشعب وأعداء مكاسبه ودعاة الرجعية والغيبيات والظلاميات - كما يقولون!! - يفعلون هذا موالاة للغرب وللعلمانية وللشيوعية المنهارة فى عقر دارها، ويتلقون كل يوم صفعات بأحذية الغرب والشرق على أقفيتهم، وبركلاته الموجعة فى نظامهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بحيث قد أصبحت استفاقتهم من أثر ذلك مستحيلة أو تكاد!!!

والسابع:

أنهم - وبتأثير أعداء الإسلام فيهم - حرموا الإسلاميين من التعبير عن أنفسهم وبرامجهم السياسية والإصلاحية بوصفهم مواطنين، وأدانوا كل صوت ينادى بالإسلام وكل إصلاح يقوم على منهج الإسلام، وحظروا بقوانينهم الجائرة المصطنعة - التى تناقض ما يزعمون من ديموقراطية - إنشاء أى حزب إسلامى، مع أن العالم الغربى الذى اتخذوه قبلة لهم ملىء بالأحزاب اليهودية والمسيحية. بل إن هناك دولة بكامل كيانها تقوم على المسيحية هى «الفاتيكان»!!!

لقد صرّح أكثر من واحد من رؤسائهم بأنه لن يسمح بقيام حزب إسلامى طالما هو حى!!!

إن الغرب وإن كان يرضيه التضييق على الإسلام والمسلمين، إلا أن العقلاء منهم يسخرون من هذا التصريح من رئيس يقول إن نظام الحكم فى بلاده ديموقراطى!!!

والثامن:

أنهم -وقد أعماهم الحقد على الإسلام ومنهجه فى الإصلاح- حرموا المسلمين من حقوقهم السياسية يوم جاءت بهم صناديق الانتخابات أو لعبة الديموقراطية التى يهذون بها،

كما حدث مع جبهة الإنقاذ الإسلامى فى الجـزائر، وما هو إلا أن تحركت فرنسا التى كانت تقول: إن أرض الجزائر امتداد لفرنسا، فتـحرك الجيش الجزائرى بانقلاب فعزل الشاذلى بن جديد وألغى الانتـخابات، وقتَّل وسجن وطارد المسلـمين فى الجزائر فى قصـة، لن ينساها التاريخ ولو بعـد ألوف السنين، ولا تزال أحداث القـصة تجـرى حتى الآن، ولكن الله من ورائهم محيط.

والتاسع:

أن كثـيرا من حكام تلك الأنظـمة الموالية للـغرب فى نظامه الـقديم أو نظامه «الـبوشى الجديد» أخذت تستـعدى الغرب على الإسلاميين فيهـا، وتطلب منه الخبراء والوسائل التى تقمع بها كل حـركة إسلامية، مع أن ذلك فى محصلتـه على حساب حريتها واسـتقلالها، وهو مما يتطلب كفـاح عشرات السنـين من أجل التخلص من هذه التبـعية وأولئك الخـبراء وتلك الآليات فى التنصت والرصد والتسـجيل، ولهولاء وأوليائهم نقول: ﴿ ...لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٩].

والعاشر:

وهو الأخير فى جمعنا لهذه الأخطاء، هو مـناصبة العداء لأى حكم إسلامى أو حكومة إسلامـية، فى أى مكان من الـعالم كراهيـة للإسلام، وخـوفا على ثقـافة الغـرب وقيـمه ومصالحـه، كما حدث فى الوقـوف ضد الثورة الإسلامـية فى إيران وقوفا غـربيا أولا، ثم عربيـا بإغراء مـشئوم العـراق بالدخول فى حـرب استـمرت تسع سنوات أكلت الأخـضر واليابس مـن البلدين المسلمين، وكـما يحدث الآن من التـضيـيق على السودان وحـصاره سياسيا واقتصاديا.

تلك مجـمل أخطائهم، وهذه غاية جهـدهم، غير أن المد الإســلامى آخذ فى الازدياد، وحركة التجديد والإصلاح ماضية فى طريقها، لا تبالى بما يضعه العدو فى هذا الطريق من عقبات ولا بما تقدمه من ضحايا وشهداء، ولابد أن يأتى يوم تتحقق فيه سنة الله فى دعوته ودعاته، فيكتسح ذلك ما أمامه من بـاطل وزيف وخداع وفساد، وسنة الله كونية لا تعرف توقفـا فى أى زمان أو مكان، وهى سنة أكـدتها آيات القرآن الكـريم وكثيـر من الأحاديث النبوية الشريفـة التى نشير إلى بعضها فـيما يلى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ

﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] .

وقال عز وجل: ﴿... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧] .

- وروى الإمام أحمد بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس».

- وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا - فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير، تكرمة من الله لهذه الأمة».

* ولقد تقدم الإمام البنا رحمه الله بأكثر من برنامج للإصلاح إلى الحكام فى مصر.. فى مختلف أقطار العالم الإسلامى وكان برنامجا نابعا من الإسلام؛ من الكتاب والسنة، وطالبهم بتطبيقه ولكن هؤلاء الحكام - الذين كان أكثرهم إن لم أقل جميعهم يعيشون تبعية للغرب - رفضوا هذا البرنامج فساقوا البلاد برفضهم هذا إلى المهاوى فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم والإعلام، ومكنوا بهذا الرفض لأعداء الإسلام من البلدان الإسلامية، حتى أصبح هذا العدو اليوم يسيطر على رغيف الخبز والثقافة والتعليم والإعلام.. على حرية التعبير، فضلا عن السيطرة السياسية والاقتصادية والدفاعية!!!

والمذهب الثالث:

وهو مذهب يقوم على استبعاد الرفض المطلق للتجديد، واستبعاد القبول المطلق لكل ما هو جديد. فهو مذهب وسطى يقبل ما لا يتعارض مع ثوابت الإسلام، ويرفض ما يتعارض معه فى عقلانية وحيادية وإيمان بأهمية التجديد.

* وهذا المذهب هو الذى أخذ به الإمام البنا وأخذت به جماعة الإخوان المسلمين منذ وضع قانونها الأساسى، كما سنوضح ذلك بنصوص من القانون - وهو أهم وثيقة من وثائق الجماعة -.

* إنه مذهب الإصلاح والتجديد مع المحافظة على الأصالة والحرص على القيم الثابتة التى جاء بها الإسلام.

ولهذا المذهب أسس يعتمد عليها يمكن أن نوجزها فيما يلى:

أولا:

الإصلاح لكل ما فسد من أمور المسلمين فى الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية والتربوية عموما، والحضارية بوجه أعم.

ثانيا:

التجديد لكل ما بلى أو تقادم أو تآكل فى نفوس الناس من عقائدهم وعباداتهم، وقيمهم الخلقية، بحيث تتفق مع الإسلام.

* وهذان الأساسان يستهدفان أن يستعيد الإسلام حقيقته فى نفوس المسلمين، ويعيد بناء تركيبه الوظيفى فى الحياة ليستقيم به الناس على الحق، وينجحوا به فى تحقيق مصالح دنياهم وأخراهم.

ثالثا:

الاهتمام بالخبرة التاريخية للمسلمين، ووضعها فى الاعتبار عند ممارسة أى إصلاح أو تجديد، إذ من الخطأ الفادح إهمال هذه التجارب التاريخية مع غنائها وقدرتها على إعطاء العظة وتعميق الرؤية، ولقد علمنا القرآن هذا النظر والتأمل فى الماضى، قريبه وبعيده، لأخذ العبرة، وشق طريق صحيح فى الحياة، وما أكثر الآيات القرآنية التى طالبت بذلك.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد تكرر طلب السير فى الأرض فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة[1].

رابعا:

وضع الوظيفة الحضارية للإسلام فى الاعتبار، وذلك أن الإسلام ليس مجرد عقائد وعبادات وقيم، وإنما هو حضارة كاملة بكل ما تعطيه الحضارة من معنويات وماديات، وبكل ما تنادى به الحضارة الإسلامية من تقدير وتكريم للإنسان، وبكل ما تطالب به من

(١) وذلك في سور الحج: ٤٦، والروم: ٩، وفاطر: ٤٤، وغافر: ٢١، وغافر: ٨٢، ومحمد: ١٠، وآل عمران: ١٣٧، والأنعام: ١١، والنحل: ٣٦، والنمل: ٦٩، والعنكبوت: ٢٠، والروم: ٤٢، وسبأ: ١٨.

إحسان التعامل مع الحيوان والنبات والجماد، ومفردات الكون كله.

إنها حضارة تقوم على الاعتراف بالروح والعقل والبدن، بوصفها طاقات إنسانية من حق الإنسان أن يعبر عنها فى إطار من الشرعية التى تحفظ حقوقه وحقوق غيره.

إنها حضارة النظم الدقيقة للمجتمع فى سياسته واقتصاده، وفكره، وثقافته، ولذلك كانت حضارة تنشئ الإيمان والإسلام وتلزم بالعدل والإحسان، وتوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتدعو للجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

خامسا:

إن على الأمة الإسلامية كلها -وعلى الأخص دعاتها- أن تدعو إلى الله، وأن تبذل فى سبيل الدعوة إليه ما تستطيع من جهد ووقت ومال وجهاد، فلا دعوة بغير جهاد، وإن الدعوة إذا عطلت أو حصرت فى المتخصصين فى علوم الإسلام ضاق ميدانها، وخسرت كثيرا من الرجال القادرين عليها، وهى لا تحتاج إلى أكثر من أن يكون الداعى على بصيرة بما يدعو إليه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

سادسا:

وعلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يتمسكوا بجذور حضارتهم الإسلامية وألا يصرفهم عنها صارف، ويجعلوا ولاءهم لها لا لسواها من حضارات الغرب والشرق، فإن تلك الحضارات الأخرى تخلو من الإيمان بالله الواحد الأحد، وتهمل التكاليف الشرعية، وتطلق العنان للحيوان الكامن فى الإنسان، فتبيح الصلة الجنسية بغير زواج شرعى بل تبيح اللواط والسحاق «الشذوذ الجنسى»، وتعلى قدر المادة على حساب الروح!

سابعًا:

رفض المفهوم المغلوط الشائع القائل بعلمانية الدولة والحكم.

* وإنما كان هذا المفهوم شائعا لأن كل من هب ودب واستطاع أن يمسك قلما ويسوّد قرطاسا، وتوظفه حكومة علمانية كاتبًا وتعطيه فى صحافتها حيزا، أصبح يتبنى فكرة علمانية الدولة؛ بمعنى طرد الدين من الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية فضلا عن الإعلامية!

وكل من جهر بهذا وأساء للإسلام كافأته الدولة، بحجة أن هذه هى حرية الرأى، لكن

عندما يعبر الإسلاميون عن آرائهم فتلك جرائم تستوجب الاعتقال والتعقب والمراقبة ورصد حركة السفر والتوقيف فى المطارات ذهابا وعودة!!!

إن الدولة فى معظم بلدان العالم الإسلامى بل والغربى تكافئ وتكرم كل من تهجم على الإسلام وافترى عليه المفتريات، بل إن بعضهم يقابله رؤساء الدول، ويُمنح المال والمنصب والجاه والحراسة المشددة كأنه رئيس دولة!!!

إن بعض هذه الدول المسلمة تكافئ المتهجم على الإسلام بمكانة ومكان فى إحدى وسائل الإعلام، وتمد له فى الأسباب حتى يتخم وتفيض جوانبه إفرازات مضادة للدين عموما، وللإسلام على وجه الخصوص، يحدث هذا فى الوقت الذى يحرمون فيه على الإسلاميين أن يحلموا - مجرد حلم - بحكومة إسلامية!!![1].

* واما أن هذا المفهوم مغلوط ينادى به الغافلون عن الفروق الدقيقة بين ما نادت به أوربا من علمانية وما ينادون هم به من علمانية.

فنستطيع أن نذكر من هذه الفروق ما يلى:

- العلمانية التى نادت بها أوربا، هى أقصى درجات عداء أوربا للكاثوليكية، وما كان فيها من سلبيات مارستها الكنيسة ورجالها، ومع ذلك لم تصل هذه العداوة إلى رفض الدين جملة وتنحيته عن حياة الناس، واستبعاد الظاهرة الدينية فى عمومها، وإنما كانت رفضا للمنظمات الكنسية التى عانت منها أوربا مئات السنين، ورفض اشتراك هذه المنظمات الكنسية فى المشاركة فى صنع القرار السياسى فحسب.
- والعلمانية التى ينادى بها معظم المسيطرين على الحكم فى البلدان الإسلامية، علمانية ابتدعوها، وزادوا فيها -على علمانية أوربا- رفضهم للدين كله مبادئه وقيمه ودعاته، وتحديهم لكل حركة إسلامية، بل لكل حزب إسلامى، مطلقين أسوأ الصفات وأخسها لكل ما هو إسلامى، بخلطهم بين الإسلام وبين أخطاء بعض المسلمين، والعداء الشديد الذى يصل إلى السجن والقتل لكل من ينادى بالإسلام نظام حكم ومنهج حياة.

كل ذلك فعلوه باسم العلمانية، والعلمانية من كل ذلك براء، إذ لم تقتل أوربا من يعرفون عندهم برجال الدين ولم تسجنهم ولم تشردهم ولم تشوههم، وإنما قصارى ما

(١) انظر جريدة الأهرام المصرية اليومية يوم ١/٨/ ٩٤ مقال فى مكان ثابت للأستاذ سيد ياسين.

دعت إليه علمانية أوربا هو رفض التنظيمات الكنسية وليس رفض الدين المسيحى!!!

إن علمانيتهم مزيج من العلمانية واليسارية والشيوعية والاشتراكية واللادينية!!!

- وثالث الفروق بين علمانية أوربا وعلمانيتهم أنهم جهلوا أن الإسلام لا يوجد فيه منظمات تضم رجال دين لهم سلطة على الناس، وسلطة على الجنة والنار، وقدرة على مغفرة الذنوب وبيع قراريط فى الجنة، ولهم كراسى اعتراف يجلس عليها العصاة الراغبون فى التوبة.

* تجاهلوا ذلك كله، وأخذوا يحاربون فى غير ميدان، ويزورون المعارك ويختلقون أسبابها، وتناسوا أن الإسلام يعرف وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة القبلة ووحدة النظام القيمى، ولا يعطى سلطة دينية لأحد على أحد.

* وتجاهلوا أن الإسلام منهج حياة كاملة ونظام متكامل للحياة الإنسانية، تأتى فيه السياسة والاقتصاد جزءا صغيرا من كلٍّ كبير، وذلك أن الإسلام ومنهجه هو الإطار الكبير لكل مرافق الحياة الإنسانية.

* والفرق شاسع بين الإسلام بسماحته ومرونته وقدرته على مواكبة كل المتغيرات، وبين الحكومة الدينية «الثيوقراطية» كما يعرفها الغرب، وكما غالط فيها دعاة العلمانية المبتدعة، ودعاة نبذ الإسلام بزعم أنه حكومة دينية، يجب أن يحمل أوزار «الثيوقراطية والكاثوليكية» والمنظمات الكنسية فى العصور التى كانت تتحكم فيها الكنيسة فى البلاد والعباد!!!

* وهؤلاء العلمانيون المغالطون يصرون على ما يقولون، ويؤيدهم فى ذلك كل حاكم ظالم مستبد؛ يحكم بالحديد والنار والقهر والعبث بحقوق الإنسان، ليقين هذا الحاكم بأنه قد يشترى العلمانيين بعرض من أعراض الدنيا فيسكتون عن ظلمه بل يبررون استبداده ويشيدون به وبعدالته.. ماذا يمنع هؤلاء أن يفعلوا وهم يعلمون أن صاحب السلطة يخلعهم ويجردهم إن هم امتنعوا. بينما هو على يقين بأن الإسلاميين لا يشترون بشىء، ولا يرضون عن استبداد الحاكم بحال!!!

* إن الحاكم المستبد يقول للناس بلسان حاله - كما قال سلفه -: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول بلسان مقاله ما قاله سلفه أيضًا: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وما كان ذلك ليرضى الإسلام ولا المسلمين بحال من الأحوال.

مذهب الإمام البنا فى الإصلاح والتجديد:

يقوم هذا المذهب على الأسس التى أشـرنا إليها آنفا حيث وعـدنا بأن نستدل على ذلك بالقانون الأساسى لجماعة الإخوان المسلمين.

وجماعة الإخوان المسلمين هى جزء من تاريخ الإصلاح السـياسى والاجتماعى والثقافى فى تاريخ مصر منذ عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٥٤م، يوم صدر قرار حكومى بحلها، لأنها فى هذه الفترة التى تقارب ربع قـرن من الزمان استطاعت أن تحقق إنجازات سياسية واجـتماعية واقتصادية وثقافية ورياضية وكشفية لم تحققها جماعة مثلها فى هذه المدة أو مثلها.

فلقد استطاعت الجـماعة فى هذه المدة الوجيزة نسـبيا أن تنشئ أكثر من ألفى شـعبة من شعبها، تعج كل واحدة منها بأنواع الأنشطة التى أشرنا إليها، بحيث أصبحت هذه الشعب أندية اجتماعية ثقافية دينية سياسية أقبل عليها الشباب والشيوخ من كل حدب وصوب.

واستطاعت أن تقيم مؤسـسـات اقتصادية وشركات تجـارية سدّت فراغًا ليس بالقليل فى اقتصاد مصر آنذاك.

واستطاعت أن تنشئ عـددا من المدارس النهارية والليلية تعلم فيـها الصغار وتمحـو أمية الكبار، وتقدم لهم هذه الخدمة التعليمية بالمجان تقريبا.

واستطاعت أن تنشئ فـريقا للجوالة قـوامه أكثر من عـشرة آلاف جوال، طبقـوا قانون الكشافـة بعد أن أدخلوا عليه من التعـديلات ما يجعله غـير متعارض مـع أخلاق الإسلام ومبادئه.

واستطاعت الجماعـة أن تشترك بكتيبة فى حرب فلسطين عـام ١٩٤٨م أبلوا ضد اليهود بلاءً حسنا، وفكوا حصار القوات المصرية فى الفالوجا.

وكل تلك أعـمـال من أجل الوطن العـربى والإسلامى لا ينكـرها منصف له عين ترى وقلب يعى.

والقانون الأسـاسى للجماعـة وكثيـر من الوثائق والأوراق التاريخيـة لجماعـة الإخوان المسلمين تنطق بهذا وتؤكده، مما نستشهد به فيما يلى:

ومن ذلك ما نشير إليه فى القانون الأساسى للجماعة على النحو التالى:

١ - الفقرة «أ» من المادة الثانية، ونصها هو:

«شرح دعوة القرآن شرحا دقيقا يوضحها ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات».

٢ - والفقرة «ب» من المادة الثانية أيضا، ونصها هو:

«جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة».

٣ - والفقرة «جـ» من نفس المادة الثانية، ونصها هو «تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة».

٤ - والفقرة «د» من نفس المادة الثانية، ونصها هو:

«تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن، والمساهمة فى الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير».

٥ - والفقرة «هـ» من نفس المادة الثانية، ونصها هو:

«تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا، والسير إلى الجامعة الإسلامية».

٦ - والفقرة «و» من نفس المادة الثانية، ونصها هو:

«قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج».

٧ - والفقرة «ز» من نفس المادة الثانية، ونصها هو:

«مناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة، التى تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة»، فهذه كلها أهداف إصلاحية تجديدية تضمنها القانون الأساسى للجماعة.

ومن رسالة «عقيدتنا» -وهى من أقدم رسائل الجماعة حيث كتبت كالقانون الأساسى سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م- جاء فيها مما يدل على مذهب الجماعة فى الإصلاح والتجديد ما يلى:

«أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه، وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام.

وأتعهد: بأن أجاهد فى سبيل أداء هذه الرسالة ما حييت، وأضحى فى سبيلها بكل ما أملك».

«أعتقد أن المسلمين جميعا أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعا.

وأتعهد: بأن أبذل جهدى فى توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم».

«أعتقد أن السر فى تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون، وأن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية.

وأتعهد: بالثبات على مبادئها والإخلاص لكل من عمل لها، وأن أظل جنديا فى خدمتها أو أموت فى سبيلها».

كما سوف نستدل على ذلك بما جاء فى كثير من رسائل الإمام البنا، على نحو ما سنتناوله فى ثنايا هذا الكتاب إذا شاء الله ويسَّر وأعان.

إن فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا هو الوسط، وهو الاعتدال، وهو المحافظة على الأصالة مع الإصلاح والتجديد، وهو مواكبة المتغيرات بعقل مفتوح وقلب سليم وروح وثابة ذات طموح.

وكل ذلك لا يستطيع أن يرى النور ولا أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ إلا بالجهاد، والعمل المستمر، والثبات على مبادئ الإسلام والتمسك بها فى كل موقف والتجرد لله ولدينه ودعوته، وليس يعين على ذلك إلا الأخوة فى الله وفى هذا الدين العظيم .

وعلى الرغم من أن الجماعة قد حظر نشاطها منذ ذلك التاريخ الذى أشرنا إليه إلا أنها استطاعت أن تمد وجودها خارج مصر فى البلدان العربية والإسلامية، ثم بلدان أوربا وأمريكا.

والذى أراه أن أعمال الجماعة فى مجال الدعوة إلى الله، ومجالات الاقتصاد والثقافة والأنشطة الاجتماعية لا يمكن أن تُنسى - فضلا عن أن تُتجاهل أو يطويها تطاول الأيام، فقد أصبحت جزءا من تاريخ مصر فى العصر الحديث.

ولا يستطيع أحد من الأصدقاء أو الأعداء أن ينكر ما قامت به الجماعة من أنشطة متعددة، ولا ما أحدثته فى المجتمع من تغيير، ولا ما أسهمت به فى حركة الإحياء والتجديد.

وعلى الرغم من أنَّ عددا من الحكومات المصرية تصدى لهذه الجماعة بالحل أو الحظر، فإن ذلك شمل نشاطها ومنعه بعد قرار الحل أو الحظر، أما ما سجلته الجماعة من أعمال وأنشطة ومشاركة فى تطوير المجتمع وتنويره وتشجيعه على الإسهام فى عديد من مناحى الإصلاح، فإن ذلك حدث بالفعل ولا يمكن أن يمحى من ذاكرة من يرقب حركة الإحياء والتجديد لأمر هذا الدين.

وهذه السلسلة تتتبع هذه الحقبة التى شاركت فيها الجماعة فى حركة الإحياء والتجديد، لتوضح ما كان لمؤسس هذه الجماعة من فقه للإصلاح والتجديد.

بين يدى هذا الكتاب

هذا الكتاب الخاص بركن «الأخوة» وهو ركن من أركان البيعة التى كان يبايع عليها أعضاء الجماعة لتكون ممارستهم للأنشطة النظرية والعملية الموصلة إلى الإصلاح والتجديد لأمر هذا الدين مبنية على علم وفقه، وإخلاص ووعى وإدراك.

هذا الركن «الأخوّة» هو موضوع هذا الكتاب، وهو الحلقة التاسعة من هذه السلسلة - الحلقة التى هى قبل الحلقة الأخيرة - نرجو أن نضع به لبنة فى هذا البناء الشامخ فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله.

ومن خلال الشرح والتحليل للكلمات الوجيزة التى كتبها الإمام البنا عن «الأخوة» أرجو أن أحقق عددًا من الأهداف التى أشرت إلى بعضها فى حلقات سابقة، وأذكر منها - فى هذه الحلقة - بما يلى:

* توضيح مفهوم الأخوة فى الإسلام، وتأكيد أنها ليست مجرد كلمة تقال أو صفة تُدَّعىَ، وإنما هى عمل والتزام وحقوق وواجبات، بل هى مكان فى الصف له أعباؤه فى كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله.

* وتوثيق معنى الأخوة وتأصيله بتتبع تلك الكلمة فى نصوص الإسلام - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - وإلقاء ضوء على فقه الأخوة فى تاريخ المسلمين علمًا وعملاً، مع ذكر نماذج لهذه الأخوة تدل على مدى ما لها من أهمية فى بناء المجتمع المسلم المتراحم المتكافل، القادر بها على خوض معارك العمل الإسلامى كله، من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن إلى الجهاد فى سبيل الله لتمكين دينه فى الأرض كلها.

وبهذا التوثيق وهذا التأصيل نضيف إلى ثقافتنا الإسلامية مفهوما نابعًا من الكتاب والسنة، فيكون جزءًا من قيمنا وأخلاقنا، ونوعًا من عملنا ومنهجنا فى الوصول بهذا الدين إلى مكانه الحقيقى، الذى أراده الله له مصدقًا لما بين يديه من الأديان السليمة من التحريف والتبديل، ومهيمنا على كل نظام سواه.

* ومن أهداف هذا الكتاب أن يضع أعين المسلمين وأيديهم على الأخوة، وهى فى أوجها حين كان يمارسها رسول الله ﷺ مع أصحابه، وحين كان الصحابة رضوان الله عليهم

يعرفونها حقوقًا وواجبات وأعمالاً وسلوكًا، تغلبوا بها على ما واجههم من تكالب الأعداء وتكاثرهم وحرصهم على القضاء على هذا الدين.

إنهم بالأخوة كانوا صفًا واحدًا، وكانوا قوة متماسكة لا يستطيع العدو أن ينفذ من خلال صفوفهم إلى هدفه بحال، فقد كانت الأخوة عندهم نسيجًا محكمًا قويًا، تربطه العقيدة التى تقوم على التوحيد.

* ومن أهداف هذه الحلقة أن تؤكد للمسلمين أن الأخوة الحقة فى الإسلام بما لها من حقوق وما عليها من واجبات هى عنصر مفقود اليوم لدى معظم المسلمين، ولفقد هذا العنصر مع غيره من العناصر الأساسية لنمو الأمة الإسلامية وتقدمها وأخذها مكانها اللائق بها، وذلك أن الأخوة فى الإسلام قيمة رفيعة وفى الوقت نفسه عمل على جانب كبير من الأهمية فى بناء المجتمع المسلم فالدولة المسلمة، ومهما أنكر ذلك الماديون، أو الملحدون، أو العلمانيون فإن تلك حقيقة فيما يخص العالم الإسلامى.

* ومن أهداف هذا الكتاب أن يؤكد للمسلمين أن الأخوة فى الله هى أخت الإيمان، وملازمته، وأنها أصل وحدة المسلمين وعنوان اتحادهم وقوتهم، وأن فقدها يزعزع الإيمان ويؤدى إلى الاختلاف والفرقة والضعف.

* وأن أؤكد للمسلمين أن غذاء الأخوة هو الحب فى الله ولله، وحب ما يحب الله ورسوله من ناس وأشياء وأمور، وأن الحب فى الله مراتب أدناها العلاقة وأعلاها المخالَّة وهما كمال الحب ولا يكون ذلك إلا لله.

وأن الأخوة فى الله بغير حب وإيثار تذوى وتضيع وتصبح لفظًا بغير معنى، ودعوى بغير دليل أو برهان.

* ومن أهداف هذا الكتاب أن يعالج بالأخوة مشكلات العمل من أجل الإسلام وهى مشكلات كثيرة أدناها إعجاب العامل بعمله، وتظل تتصاعد حتى تصل إلى تقليل شأن عمل الآخرين، ثم إلى التحكم فى المتعاونين من العاملين وفرض الرأى عليهم، وإيهامهم بأن الصواب هو ما يراه المسئول دون شورى، ودون بحث وتدقيق فى الأسباب والنتائج.

إن هذه المشكلات وغيرها كثير، مما يعرفه ويحس به الدعاة إلى الله والعاملون من أجل الإسلام، وكل تلك المشكلات إنما يساعد على القضاء عليها، فإن بقى منها شىء ضاع تأثيره، إنما يساعد على ذلك فقه الأخوة فى الإسلام على النحو الصحيح الذى كان عليه

رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم.

* ومن أهداف هذا الكتاب التنبيه على أن الأخوة فى الله -عندما تكون على وجهها الصحيح- هى التى ساعدت المسلمين على تحقيق الانتصارات التى حققوها على أعدائهم، مع أن المسلمين كانوا قلة وأعداءهم كانوا كثرة كاثرة، ولكن بالأخوة والتضحية والإيثار حققوا هذه الانتصارات.

والتأكيد - لمسلمى اليوم - على أنهم لن يستطيعوا أن يتصدوا لأعدائهم - على كثرة هؤلاء الأعداء - إلا إن جمعتهم أخوة فى الله يعرف فيها كل مسلم ما لأخيه المسلم عليه من حقوق عامة، وما له عليه من حقوق فى مجالات العمل من أجل الإسلام، دعوة وحركة وتربية وجهادا فى سبيل الله، لأن من يفقه الأخوة فى الله لا يترك أخاه فى أى مجال من مجالات العمل من غير مساندة، وعون.

* ومن أهداف هذا الكتاب أن يؤكد للمسلمين المتشككين فى مستقبل العمل الإسلامى - نظرًا لما هو واقع بالمسلمين اليوم من هزيمة أمام الأعداء بعد هزيمة فى داخل أنفسهم - يريد أن يؤكد لهم أن الأخوة فى الله على وجهها الصحيح هى التى تعالج سلبيات المسلمين اليوم وتراخيهم وقعودهم وذعرهم من عدو شرس ذى قدرة على البطش والتنكيل...

إن الأمور كلها بيد الله والموازين العادلة عدلا مطلقًا لا نجدها إلا عنده سبحانه وتعالى، وما على المؤمنين إلا أن يخلصوا لله ويتآخوا فيه حتى يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا، فقد وعد بذلك سبحانه وتعالى، وحاشا لله أن يخلف ما وعد.

وقد أقمت هذا الكتاب على مقدمة وبابين أولهما فى مفهوم الأخوة، والثانى فى شرح كلمة الإمام البنا فى الأخوة، وجاء وتحت كل باب من هذين البابين فصلان.

راجيًا أن أصل من خلال ذلك إلى ما قصدت تحقيقه من أهداف.

والله تعالى أسأل أن يمنح القوة والعون والتوفيق، إنه نعم المولى ونعم النصير.



الباب الأول
فى مفهوم الأخوّة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم الأخوة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. ويشمل:

أولاً: مفهوم الأخوة فى القرآن الكريم.

ثانيًا: مفهوم الأخوة فى السنة النبوية المطهرة.

والفصل الثانى: مفهوم الأخوة فى تاريخ المسلمين. ويشمل:

أولاً: الأخوة عند رسول الله ﷺ.

ثانيًا: الأخوة عند الصحابة رضى الله عنهم.

ثالثًا: نماذج من الأخوة

١ ـ عند الصحابة رضى الله عنهم.

٢ ـ عند التابعين والمصلحين المجددين.



فى مفهوم الأخوّة عمومًا

كدأبنا فى الحلقات السابقة، نلقى ضوءا على مفهوم الكلمة أولاً ليزول عن القارئ أى لبس وأى تداخل فى معناها.

وأكثر ما يعيننا على ذلك معاجم اللغة العربية لتوضح لنا معناها أو معانيها اللغوية، الحقيقية والمجازية، ثم نورد للكلمة أى معنى اصطلاحى بعد ذلك.

وبعد ذلك نتجه إلى الكلمة وورودها فى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

ثم نختم الحديث عن مفهومها بالبحث عنها فى تراث المسلمين فنقول وبالله التوفيق:

مفهوم الأخوة فى اللغة

الأخوة: مصدر للفعل آخى. وآخى فلان فلانًا أخوة أى اتخذه أخًا، وكذلك آخاه مؤاخاة.

والأخ: هو من جمعك وإياه صلب - أى كان أخًا شقيقًا أو أخًا لأب - أو هو من جمعك وإياه بطن - أى كان أخًا لأم - أو من جمعك وإياه رضاعة من امرأة واحدة فهو أخ من الرضاعة.

والأخ: الشريك.

والأخ: الصديق.

والأخ: المواسى.

والأخ: المثيل.

والأخ: الصاحب الملازم.

والأخ: من يتوخى مذهب أخيه أى يقصده.

وكلمة الأخ تطلق عمومًا على كل مشارك لغيره فى النسَّبَ أو فى المودة. أو فى الصنعة أو فى الدين.

والأخوّة تقتضى شفقة الأخ على أخيه، ولذلك عَبَّر القرآن الكريم عن النبى - أى نبى -

بأنه أخ لقومه ومن يدعوهم إلى الله قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[1]، وقال عز شأنه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[2]، وقال جل جلاله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[3] فهؤلاء الأنبياء الثلاثة عَبر عنهم القرآن الكريم بأنهم إخوة لأقوامهم.

وهذا المفهوم العام للأخوة التى تحدثت عنه معاجم لغتنا أوسع فى مدلوله عما يدل عليه هذا المفهوم عند الغَرْب:

فالأخوة عند الغربيين تعنى الصلة القرابية التى توجد بين أخوين منحدرين من والِدين:

ويقال عندهم: أخويّة أو منظمة نقابيـة تضم ـ عادة ـ أبناء المهنة الواحدة بهدف تعاونهم للدفاع عن مصالحهم المشتركة والنهوض بأحوالهم.

والأخويّة أو الجمعية الأخوية عندهم تعنى جمعيـة دينية يلتزم أعضاؤها بالتقشف والعفة والطاعة، ويعيشون عيشة مشتركة تحت نظام تصدق عليه الكنيسة التى ينتمون إليها.

وهناك نظم أخويّة عندهم تعنى أشكالاً مختلفة من الجمـعيات تقوم على أساس السـرية، والروح الاجتماعية مع التعاون المالى لمواجهة بعض مخاطر الحياة.

ويدخل فى هذا المفهوم عندهم: الجمعيات السرية وغير السرية، والاجتماعية، والخيرية، وهى تبدأ من جمـعيات المعونة المتـبادلة، وتضم الجمعيـات السرية القوميـة والدولية مثل: «الماسونية» وأشباهها «كالروتارى» وغيرها.

مفهوم الأخوة فى الإسلام:

فى تراثنا الإسلامى، وفى تاريخ المسلمين الأوائل من سلفنا الصـالح ومَنْ بعدهم، كان للأخوة فى الإسـلام معـان عديدة نذكرها بادئين بما جـاء فى الكتاب الكريم والسـنة النبوية المطهرة.

* قال الله تعالـى فى معرض امتنانه على المسلمين بنـعمه: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[4] أى صرتم بنعمـة الإسلام إخوانًا فى الدين.

---

(1) سورة الأعراف: ٦٥.
(2) سورة الأعراف: ٧٣.
(3) سورة الأعراف: ٨٥.
(4) سورة آل عمران: ١٠٣.

وقد جاء فى بداية هذه الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾ وجاءت الآية التى تليها تأمر المسلمين بالاستعانة بالإيمان والأخوة فى الإسلام على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] ففى هاتين الآيتين الكريمتين المتعاقبتين مطالب أساسية من المسلمين المتآخين فى الإسلام المتعاونين بهذه الأخوة على تنفيذ هذه المطالب وهى:

- الاعتصام بحبل الله وهو القرآن والسنة أى المنهج.
- والابتعاد عن الفرقة والخصام بترك كل أسباب التفرق.
- وأن تجتمع قلوبهم على المحبة فى الله فيصبحوا بهذه النعمة إخوانًا.
- والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وكل هذه المطالب لا يستعان عليها بشىء بعد الله إلا بالأخوة فى الإسلام.

* وقد أكد القرآن هذه الأخوة وقررها وأعلى من شأنها فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] قال الإمام القرطبى: «أى فى الدين والحرمة لا فى النسب» وقال الإمام ابن كثير: «أى الجميع إخوة فى الدين كما قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخُ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه».

فالأخوة فى هذه الآيات القرآنية الكريمة تعنى الأخوة فى الدين وهى من نعم الله على المسلمين، وتجعل الإيمان والأخوة متلازمين وتطالب الإخوة المؤمنين بما يعزز هذه الأخوة ويقوى ذلك الإيمان من اعتصام بمنهج الله ونبذ للفرقة والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[3].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤. (٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) الإمام مسلم صحيحه: باب تحريم ظلم المسلم وخذله.

* والأحاديث النبوية فى ذلك كثيرة سوف نذكرها فى هذا المدخل ونحن نتحدث عن مكانة الأخوة فى الإسلام فى النصوص الإسلامية.

ومن خلال هذا الحديث النبوى وأمثاله ندرك أن للأخوة معنى عندنا يتميز عما عند سوانا من الناس، وسوف نشير إلى معانى الأخوة فيما يلى:

- الحب فى الله وصفاء قلب المؤمن نحو أخيه المؤمن.

- واحترام المسلم لأخيه المسلم، فى حضوره وفى غيبته.

- وتحريم الافتيات على أى حق من حقوقه.

- وتحريم النظر إليه من علٍ - أى احتقاره -.

- وتحريم حسده والمزايدة عليه وبغضه وقطيعته والبيع على بيعه أو الخطبة على خطبته، وتحريم ظلمه وخذله واحتقاره.

- وتحريم دمه وماله وعرضه.

- ووجوب مؤاخاته فى الإسلام.

- والتعاون معه على البر والتقوى، والدعوة إلى الخير.

- والاتحاد معه وتدرك كل أسباب الفرقة.

- والمحافظة على حقوقه كلها الدم والمال والعرض.

- والالتزام بالواجبات نحوه دون أن يسأل.

- وإيثار الأخ أخاه على نفسه.

كل هذه من معانى الأخوة فى الإسلام وغيرها كثير مما سوف يتناوله هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وكل هذه المعانى كانت دستوراً تعامل به أسلافنا من المسلمين الذين حرصوا على الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة، فحققوا بتلك الأخوة نماذج لحياة إنسانية رفيعة المستوى.

مراتب الأخوة فى الإسلام

للأخوة فى الإسلام طريق واضحة المعالم مرسومة الحدود معروفة البدايات والنهايات.

ولأن الأخوة فى الإسلام هى الأخوة فى الله تبارك وتعالى، فإن الطريق إلى الله واحدة لا تعدد فيها ولا اختلاف عليها؛ لأنها الصراط المستقيم، وهى طريق يجب اتباعها وحدها دون سائر الطرق.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ..﴾[1].

وروى الدارمى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: **خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمينه، وخطوطًا عن يساره ثم قال: «هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾**.

وطريق الله الواحدة التى يسعى الناس فيها مستهدفين مرضاة الله سبحانه وتعالى لها وسائل عديدة تختلف باختلاف الزمان والأشخاص والأحوال، لأنه تبارك وتعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها وما جعل فى دينه على الناس من حرج.

إن طريق الأخوة فى الإسلام متعددة الدرجات والمراحل، إذ لا يصل المسلم إلى مؤاخاة أخيه فى الإسلام إلا إذا مر فى طريق ذلك بدرجات ومراحل من:

التعارف والتآلف والتفاهم والرعاية والتعاون والتناصر، ثم يفضى ذلك إلى الأخوة الوثيقة فى الإسلام، ولكل واحدة من هذه الدرجات أو المراحل معالم وآداب نرجو الله أن يوفقنا لتوضيحها والتعريف بها على النحو التالى:

* التعارف:

هو أن يعرف الناس بعضهم بعضًا، يقال: تعرفتُ إلى فلان أى جعلتُه يعرفنى.

وليس من معانى التعارف الاعتزاز بالنسب أو العرق أو الجاه أو المال، لأن تلك الأمور ليست هى الموازين الصحيحة للإنسان حتى يعرفه بها الناس، إذ الموازين الصحيحة هى العمل الصالح وتقوى الله عز وجل، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن درة بنت أبى لهب -

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

رضى الله عنها ـ زوج عبد الله بن عمر رضى الله عنه قالت: قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال ﷺ: **«خير الناس أقرؤهم ـ أى للقرآن ـ وأتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم»**.

والتعارف بين المسلمين استجابة لأمر الله تبارك وتعالى فى هذه الآية الكريمة: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[1]، وذلك يتطلب أن يعرف المسلم أخاه المسلم، اسمه ونسبه وظروفه الاجتماعية. بل يعرف ما يحب وما يكره، حتى يعينه إذا أحسن، ويستغفر له إذا أذنب ويدعو له بالخير إذا أدبر، ويحبه إذا تاب، وتلك من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما ورد ذلك فى السنة النبوية المطهرة. روى الديلمى بسنده ـ فى الفردوس ـ عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من حق المسلمين عليك، أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم»**.

إن التعارف بين المسلمين خطوة أولى بل ضرورية فى طريق الأخوة فى الله، وإنه لمفتاح للقلوب وإيناس واستئناس يؤدى إلى الخُطوة التالية فى طريق الأخوة فى الإسلام وهى التآلف.

*** والتآلف:**

هو أن يألف المسلم أخاه المسلم، أو يألف الناس بعضهم بعضًا، والتآلف من الإلف وهو الاجتماع والالتئام، وائتلف الناس: اجتمعوا وتوافقوا، والألفة كالإلف وهى: الأنس والمحبة، وقد امتن الله على المؤمنين بأن ألف بين قلوبهم فقال عز وجل: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾**[2]، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾**[3].

والأصل فى الألفة والحب أن يكون لله وفى الله، وإذا كان المسلم سليم الصدر نقى القلب مطيعًا لله ورسوله ـ وهذا هو الأصل فيه ـ فإنه يألف أخاه المسلم ويحبه وينجذب إليه. لتشابههما فى تلك الصفات، كما أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ، فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.
(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

فالتحاب والتجاذب نتيجة للتناسب بين الطرفين، كما أن التباين والتباغض نتيجة لفقد هذا التناسب. وفي كلتا الحالتين يجب أن يكون الحب في الله والبغض في الله.

روى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن مألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»(١).

إن واجب الأخوة في الله أن يألف المسلم أخاه المسلم؛ وأن يأتي معه من الأعمال ما من شأنه أن يؤلف به عند أخيه.

وإن دواعي التآلف معروفة لا تحتاج مني إلى بيان، وحسبي أن أجملها في كلمة جامعة لكل أبعادها وشروطها، وآدابها وهذه الكلمة هي: «أن يكون المسلم ملتزمًا بكل ما أمر الله به، منتهيًا عن كل ما نهى الله عنه» إن ذلك أكبر رصيد لأن يألفه الناس ويحبوه فيكون بينه وبينهم التفاهم.

*** والتفاهم:**

هو أن يتفاهم المسلم مع أخيه المسلم على الأصول الكبرى في الإسلام أولاً، ثم على بعض ما يتفرع عن هذه الأصول من مسائل وقضايا يحتاج فيها إلى التفاهم، وتلك الأصول التي يجب أن يتفاهم عليها المسلمون هي:

- الاعتصام بالله سبحانه وتعالى، أي جعل الله سبحانه وتعالى ملجأ وملاذًا بالامتثال لكل ما أمر به والاجتناب لكل ما نهى عنه، حتى يدخل الناس بذلك الاعتصام في رحمة الله وفضله وهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (٢). وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣). ذاك هو الأصل الذي يجب أن يتفاهم عليه ويعمل به من تربطهم أخوة في الإسلام.

- والاعتصام بحبل الله - وحبل الله هو القرآن الكريم - أي أن على المتآخين في الإسلام أن يتخلقوا بأخلاق القرآن الكريم، كما كان كذلك القدوة المعصوم ﷺ، وخلق القرآن كما أوضحته أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها هو مجموعة الصفات الواردة في بداية سورة «المؤمنون» وهي:

---

(١) الإمام أحمد: مسنده: ٣/ ٤٠٠ - ط الحلبي - مصر ١٣١٣ هـ.

(٢) سورة النساء: ١٧٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٠١.

* الإيمان.

* والخشوع فى الصلاة.

* والإعراض عن اللغو.

* وفعل الزكاة أى أداؤها.

* والعفة بحفظ الفرج، وحفظ البصر بغضه عن المحارم وحفظ الجوارح كلها عن دواعى الزنا ومقدماته.

* ورعاية الأمانة.

* ورعاية العهد.

* والمحافظة على الصلوات بحيث تؤدى على وجهها وفى أوقاتها [1].

إلى غير ذلك من الأخلاق التى دعا إليها القرآن، والأخلاق التى نهى عنها وهى كثيرة واضحة فى آيات القرآن الكريم.

- والتعاون على طاعة الله ورسوله بين المتآخين فى الإسلام، فليس كالطاعة شىء يجمع بين المسلمين على الحق والبر والخير، ويقوى بينهم روابط الأخوة والتآلف والتفاهم، وليس كالطاعة لله سبحانه وتعالى شىء يمكّن الإنسان من الحصول على الفوز العظيم عند الله سبحانه والوصول إلى جنته والتنعم بما فيها إلى أبد الآبدين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [2] وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [3].

والتعاون على طاعة الله ورسوله توثيقًا للأخوة فى الإسلام.

- والتعاهد على نصرة الله ونصرة الحق مهما تكن الأعباء والتكاليف، لأن ذلك أوجبه الله على المسلمين، وجعله شرطًا ليحصلوا هم على نصر الله سبحانه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [4] ونصر الله هو نصر دينه ونبيه، وتثبيت الأقدام يعنى الثبات على الإسلام أو على الصراط أو على الأمن والطمأنينة،

---

(١) اقرأ سورة المؤمنون: من ١ : ٩.
(٢) سورة الأحزاب: ٧١.
(٣) سورة النساء: ١٣.
(٤) سورة محمد: ٧.

ونظير هذه الآية الكريمة في المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، بل يمتد نصر الله للمتعاهدين على نصر دينه من الدنيا إلى الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[2].

قال السُّدِّي: «ما قتل قوم قط نبيًا أو قومًا من دعاة الحق من المؤمنين إلا بعث الله عز وجل من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وإن قتلوا»[3] وينصرهم يوم يقوم الأشهاد أى يوم القيامة، «والأشهاد أربعة: الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد»[4].

- والعمل على إزالة أسباب الجفوة والخصام والفرقة، وذلك عمل أساسى يطالب به كل مسلم ناحية إخوانه المسلمين؛ لأن درجة التفاهم التى نتحدث عنها هنا لا تتضرر بشىء مثل ما تتضرر بأسباب الجفوة والخصام والفرقة، بل إنها إذا قضت على التفاهم تقضى على التآلف والتحاب والمودة المفروضة بين المسلمين.

وأسباب الفرقة والخصام والتنازع من نزغات الشياطين وهى مدعاة للفشل والضياع، ولقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك كله، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾[5] وقال عز من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[6].

- والرعاية والتفقد:

وهى أن يرعى الأخ أخاه ويتابعه ويتفقد ظروفه ليبادر بتقديم العون له دون أن يسأله أخوه العون، لأن ذلك من حق أخيه عليه.

والأصل الإسلامى فى وجوب الرعاية والتفقد هو ما رواه البخارى ومسلم بسند يهما عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

* ومن مفردات الرعاية والتفقد أن يستر المسلم عورة أخيه المسلم، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»**.

---

(١) سورة الحج: ٤٠. (٢) سورة غافر: ٥١.

(٣) القرطبى: تفسيره: ٧/٥٧٦٦ - ط دار الشعب - القاهرة مصر - بدون تاريخ.

(٤) السابق: ٧ / ٥٧٦٦. (٥) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٦) سورة الأنفال: ٤٦.

* ومن رعاية المسلم لأخيه المسلم أن يعمل ما وسعه على أن يفرج همه إذا أصابه هَمّ، وأن ييسر له ما عَسُر عليه من الأمر، وأن يستره وأن يعينه فى قضاء حوائجه، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«من نَفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على مُعْسِر، يَسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»**.

* ومن رعاية المسلم لأخيه، أن يؤدى نحوه الحقوق التى أوجبها الإسلام، روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«حق المسلم على المسلم ستٌ، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسَلِّم عليه وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»** إن هذه الرعاية هى التى تؤكد الأخوة فى الإسلام وتوثق الروابط. بين المسلمين.

*** والتعاون:**

وهو المؤازرة والتظاهر، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى ـ وقيل البر: يتناول الواجب والمندوب ـ والتقوى رعاية الواجب، ونهاهم سبحانه عن التعاون على الباطل والمآثم والمحارم، وقيل إن الإثم هو ترك ما أمر الله به، والعدوان مجازاة ما حَدَّ الله سبحانه فى الدين.

وقال الماوردى: ندب الله سبحانه إلى التعاون والبر وقرنه بالتقوى له، لأن فى التقوى رضا الله تعالى، وفى البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعظمت نعمته.

والتعاون ثمرة للتفقد والرعاية، وهو يشد من أزر الروابط بين الإخوة فى الإسلام، ويدعم أسسها وقواعدها.

ومظاهر التعاون بين المتآخين فى الإسلام كثيرة نذكر منها:

ـ التعاون على الأمر بالمعروف وفعل الخيرات، وممارسة الطاعات أخذًا من الهَدْى الإسلامى الأصيل الذى فحواه: «خير الأصحاب مَنْ ذكرك إذا نسيت وأعانك إذا ذكرت» وطاعة الله والتقرب إليه بفعل الخير من الأعمال المحببة إلى النفس عند وجود الأنيس والمعاون.

ـ والتعاون على ترك المنكرات واجتناب المحرمات بل والمكروهات، لأن التناهى عن المنكر والتعاون على تركه من الأعمال المحببة إلى النفس عندما يجد الإنسان له معاونًا ونصيرًا.

ـ والتعاون على تقريب الناس من الله وتشجيعهم على أن يكونوا مع الحق. ووصلهم بطريق الهدى، والعمل باستمرار على نقلهم من حال إلى حال هى أكثر إرضاء لله تبارك وتعالى، وهذا العمل كثيرًا ما يحتاج إلى جهد أكثر من واحد من الناس، فكان لابد من التعاون عليه بين أكثر من واحد.

وهذا العمل وهو التعاون على هداية المسلم ووصله بطريق القافلة المتجهة إلى إرضاء الله بالعمل الصالح هو الذى فضله الإسلام على «حُمُر النعم» أى أكبر نعم الدنيا وأهمها، روى أبو داود بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «والله لإن اللهُ يهدى بهداك رجلاً خير لك من حُمُر النعم».

*** والتناصر:**

وهو نوع من التعاون ولكنه أعمق منه وأشمل، وأكثر دلالة على الموالاة والمحبة. والتناصر بين الأخوين فى الإسلام يعنى أمورًا كثيرة نذكر منها:

ـ أن الأخ لا يُسلم أخاه لشر أو مكروه، ولا يخذله فى موقف له فيه حق أو مصلحة لا يضر الحصول عليها بآخرين.

ـ وأن يأخذ الأخ بيد أخيه فينصره على شيطانه الذى يوسوس له بالشر، وينصره على نفسه وما تهجس به، من هواجس وأوهام تدعوه إلى التقاعس عن فعل الخير.

ـ وأن ينصره على كل من يقف عقبة فى طريق الحق والهدى والدعوة إلى الله.

ـ وأن ينصره ظالما أو مظلومًا، ينصره ظالما بأن يمنعه من الظلم وممارسته، وينصره مظلومًا بأن يعمل على أن يرفع الظلم عنه.

وبكل هذه الأنواع من التناصر وردت أحاديث نبوية شريفة سوف نذكرها فى حينها فى فصول هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

ولا تناصر بين الإخوة فى الإسلام إلا بتضحية يقدمها كل واحد من الإخوة نحو أخيه، تضحية بالوقت والجهد والمال.

إن التناصر بهذه المعانى التى ذكرنا تعميق للتعاون، وترجمة حقيقية للأخوة فى الإسلام، والإخوة المتناصرون فى الحق وعلى الحق أجدر أن يحظوا برضا الله سبحانه وتعالى وتأييده ونصره، لأن تناصرهم على الحق نصر لله عز وجل، ونصر لدينه وللحق الذى جاء به، والله سبحانه أكَّد أنه ينصر من ينصره إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وكيف تتصور الأخوة فى الإسلام بغير تناصر؟.

وبعد: فنستطيع أن نؤكد أن الأخوة فى الإسلام تبدأ عادة بالتعارف الذى يؤدى إلى التآلف فالتفاهم، وإن ذلك يوجب على الأخ نحو أخيه الرعاية والتفقد والتعاون، وكل ذلك يفضى إلى التناصر، وإن الأخوة فى الإسلام لا يمكن أن تأخذ طريقها فى المجرى الصحيح الذى رسمه لها منهج الإسلام إلا سبقتها هذه المفردات التى ذكرنا من تعارف وتآلف وتفاهم وحسن رعاية وتعاون وتناصر.

* * *

---

(١) سورة الحج: ٤٠.

أولاً: مفهوم الأخوة فى القرآن الكريم

للأخوة فى الإسلام مكانة سامية لا تدانيها مكانة، إذ هى اللبنة التى يقوم عليها بناء العمل من أجل الإسلام، فلا نستطيع أن نتصور عملاً من أجل الإسلام يقوم به واحد بمفرده فيجدى تلك الجدوى المرْضية القادرة على تحقيق الهدف الأكبر من هذا العمل، وهو التمكين لدين الله فى الأرض، وكذلك لا يمكن أن ينجح هذا العمل الذى يقوم به عدد من المسلمين أو جماعة أو جماعات إلا أن يكون بين هذه الأعداد أخوة فى الإسلام تعين على التفاهم والتعاون والتناصر فى هذا المجال.

ومن أجل هذا وذلك جعل الإسلام الأخوة فى الإسلام أساسًا للعمل من أجل تمكين دين الله فى الأرض.

وسوف نحاول فى الصفحات التالية من الكتاب أن نوضح مكانة هذه الأخوة فى الإسلام من خلال النصوص الإسلامية الصحيحة: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن خلال هذه النصوص الكريمة سوف يتضح لنا كثير من أهمية الأخوة فى الإسلام وتقدمها على كثير من الصفات التى يجب أن يتحلى بها المسلمون وهم يشقون الطريق نحو التمكين لدين الله وتحكيم شرعه فى الناس.

نصوص من القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

والآية الكريمة تطالب بأمور هامة لا يقوم المجتمع المسلم إلا بها، بل لا يمكن للمسلمين أن يمكنوا لدين الله فى الأرض إلا بها وهى:

- الاعتصام بحبل الله وهو الدين أو القرآن الكريم، فهو عصمة لمن تمسك به من كل شر.

- والاعتصام بالجماعة من الفُرقة والخلاف، لأن الفُرقة هلكة والجماعة نجاة، قال العالم الجليل ابن المبارك عليه رحمة الله يصور ذلك فى بيت من الشعر:

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا   منه بعـــروته الوثقى لمن دانا

ـ ونبذ الخلاف ونبـذ اتباع الهوى وأن يكونوا فى دين الله إخـوانًا فيكون ذلك منعًا لهم عن التقاطع والتدابر»[١].

ـ وتذكُّر نعمة الله عـليهم والمقصود بهـا أعظم نعم الإسلام وهى الإسلام واتباع محمد ﷺ، فإنَّ به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة.

ـ وأن بالإسلام صار المسلمون إخوانًا فى الدين، وتلك نعمة كبرى كذلك.

* وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢] قال ابن أبى ليلى رحـمه الله فى تفـسير هذه الآيـة: الناس على ثلاثة منازل: المهـاجـرون، والذين تبـوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألاَّ تخرج من هذه المنازل»[٣].

ولقد كان من نعمة الله على المسلمين الأوائل بالإسلام أن كانوا ثلاثة أنواع يتسابقون فى الفضل:

* المهاجرون: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٤].

* والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥] وقـد ضـرب هؤلاء الأنصار فـى الأخوة فى الإسـلام أمـثلة نادرة لم تعـرف الإنسانية لها فى تاريخها نظيرًا.

* والتـابعون ومَنْ بَعـدهم إلى يوم القـيامـة من صالحى المـؤمنين المتآخين فى الإسـلام الذين: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

إن الأخوة فى الإسلام توجب على المسلم أن يذكر إخوانه الذين سبقـوه بالإيمان بالخير وأن يدعو لـهم بالمغفـرة، وإذا كان ذلك الشـأن فيمن مـضوا، فكيف يـكون الشأن فـيمن

---

(١) القرطبى: تفسيره: ٢ / ١٤٠١ ـ ط سابقة.
(٢) سورة الحشر: ١٠.
(٣) القرطبى: تفسيره: ٨ / ٦٥١٠.
(٤) سورة الحشر: ٨.
(٥) سورة الحشر: ٩.
(٦) سورة الحشر: ١٠.

يعايشونه ويتآخون معه فى الإسلام؟.

* وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

والأخوة فى هذه الآية تعنى الأخوة فى الإسلام وفى الدين، وهى أثبت وأقوى من أخوة النسب ـ كما أوضحنا ذلك آنفًا ـ وهذه الأخوة هى المعوَّل عليها بين المسلمين ليمارسوا من خلالها كل أنواع العمل المطلوبة من أجل الإسلام:

الدعوة بوسائلها المعروفة.

والحركة بشروطها وآدابها.

والتربية بأنواعها ومراحلها.

والتنظيم بمفرداته كلها.

والتمكين بعد تأمين كل احتياجاته.

والمحافظة على هذا التمكين حتى يقوم الناس لرب العالمين.

---

* قال عز شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال القرطبى: «قيل إنها نزلت فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما. فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئًا، فجاءا فلم يجدا طعامًا وإدامًا، فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعامًا وإدامًا، فذهب فقال له النبى ﷺ: «**اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له: هل عندك من فضل طعام فليعطك**» ـ وكان أسامة خازن النبى ﷺ، فذهب إليه، فقال له أسامة: ما عندى شىء، فرجع إليهما فأخبرهما فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل، ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئًا، فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شىء، فرآهما النبى ﷺ فقال: «**ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما**»، فقالا: يا نبى الله، والله ما أكلنا فى يومنا هذا لحمًا ولا غيره، فقال: «**ولكنكما ظلتما تأكلان لحم**

---

(1) سورة الحجرات: ١٠.

(2) سورة الحجرات: ١٢.

سلمان وأسامة» فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ذكره الثعلبى»[1].

إن مجرد ظن السوء بالأخ المسلم حرام حذر منه القرآن الكريم، وطالب بالتخلى عن كثير من الظن لأن قليلاً من الظن يوقع فى الإثم.

حقائق عامة فى مفهوم الأخوة فى القرآن الكريم

وبعد: فإن هذه النصوص القرآنية فى الأخوة تقرر عددًا من الحقائق الهامة فى حياة المسلمين بعامة وفى حياة الدعاة إلى الله على وجه الخصوص.

ومن هذه الحقائق ما نذكره فيما يلى:

أولاً:

إنَّ الأخوة فى الإسلام نعمة أنعم الله بها على من دخل فى الإسلام من الناس، يستنقذهم بها من الخلاف واتباع الهوى والتقاطع والتدابر، إذ لو ترك الناس دون أخوَّة فى الإسلام فتشابكت مصالحهم ـ ولابد هى متشابكة ـ ثم اختلفت مصالحهم ـ ولابد هى مختلفة ـ لكان بينهم ما يكون بين الأعداء من تخاصم وشر، وحرب وقتال.

لكن الله تعالى أنعم عليهم بتلك الأخوة فأصبحوا بها إخوانًا يتسامحون ويغفرون بل يحب بعضهم بعضًا، ويؤثر بعضهم إخوانه على نفسه، وفى ذلك الهدى كل الهدى[2].

ثانيًا:

إن الأخوة فى الإسلام تعطف قلب المسلم على أخيه المسلم حتى لو لم يكن رآه. وتلك أخلاق المؤمنين يذكرون إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان فيدعون لهم بالمغفرة، وإذا كان ذلك هو الأصل، فكيف يكون تعايش المؤمنين مع إخوانهم الذين يشاركونهم فى العمل؟[3]

ثالثًا:

إنّ هذه الأخوة فى الإسلام مقصورة على المؤمنين، فلا يجوز لمؤمن أن يؤاخى غير

---

(١) القرطبى: تفسيره: ٧ / ٦١٥١. مرجع سابق.

(٢) وذلك فى الآية: ١٠٣ ـ آل عمران: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا... فأصبحتم بنعمته إخوانا...﴾ الآية.

(٣) وذلك فى الآية: ١٠ ـ الحشر: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية.

المؤمن ولا أن يواليه كما هو معروف فى الإسلام ـ فى قضية الولاء والبراء ـ [١].

وهذه الأخوة المقصورة على المؤمنين تستلزم أمرين:

- الإصلاح بين الإخوة بمعنى إصلاح أمرهم وتحسينه وجعله أرضى لله تعالى، وبمعنى إزالة ما بين بعضهم من خلاف أو نزاع، وقد جاء ذلك بصيغة الأمر ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

- والأمر الآخر تقوى الله عمومًا وتقواه فى هذا الإصلاح بين المؤمنين على وجه الخصوص، وهذه التقوى إنما تصدر من الذين يرغبون فى رحمة الله تعالى [٢].

رابعًا:

وإنّ هذه الأخوة فى الإسلام توجب على المؤمن نحو أخيه المؤمن عددًا من الواجبات هى:

- أن يظن بأخيه المؤمن خيرًا، وذلك أن الظن فى عمومه من الإثم، فكيف لو كان الظن من المسلم فى أخيه المسلم.

- وأن يحافظ على أحواله وأسراره، فلا يجوز له أن يتجسس عليه ولا أن يعرف من أحواله ما لا يحب هو أن يطلع عليه أحدًا.

- وأن يذكره دائما بالخير، فلا يجوز له أن يغتابه ـ أى يذكره بما يكره أن يذكر به.

تلك حقوق المسلم على أخيه المسلم، وهى فى نفس الوقت واجبات المسلم نحو أخيه المسلم، فمن قصر فيها أو خالف ما أمر الله به أو نهى عنه فيها فقد أثم وهذا جزاؤه عند الله، أما فى الدنيا فإنه كما لو كان يأكل بذلك لحم أخيه ميتًا، وهذا أبشع ما يكون من العمل، وأكثر تنفيرًا للنفس وإيحاشًا لها ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٣].

---

(١) لتفصيل ذلك أنظر ركن التجرد ـ الحلقة الثامنة من هذه السلسلة خصائص الفكرة الإسلامية.

(٢) وذلك فى الآية ١٠ ـ الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(٣) وذلك فى الآية: ١٢ ـ الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثانيًا: مفهوم الأخوة فى السنة النبوية المطهرة

نصوص من السنة النبوية المطهرة

من الأحاديث النبوية المطهرة التى توضح مكانة الأخوة فى الإسلام ما نذكره فيما يلى:

١ ـ روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**.

وزاد الإمام مسلم على ذلك فى روايته قوله: **«كما أمركم الله»**.

عن أبى هريرة أيضًا، وعن أنس رضى الله عنه.

وهذا الحديث الشريف فيه أمر بأن يتآخى المسلمون فى الإسلام وقال شراح الحديث: إن هذا الحديث يوجب على المسلمين أن يتركوا تلك المنهيات عنها ليكونوا إذا تركوها إخوانًا كما أمرهم الله سبحانه أن يكونوا.

ومعنى أمر الله للمسلمين أن يكونوا إخوانًا أى يلتزموا بما أمر الله وينتهوا عما نهى ويحرزوا من الصفات الفاضلة التى أشرنا إليها آنفًا ما يصيرون به إخوانًا فى الإسلام.

وكل ما تضمنه هذا الحديث الشريف من أوامر ونواهٍ هو جامع لمعانى الأخوة، وإسناد الأمر بالأخوة لله سبحانه **«كما أمركم الله»** مع أن رسول الله ﷺ هو القائل ليس فيه أدنى خلل ـ إلا عند الذين فى قلوبهم مرض ـ لأن الرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه، أو يكون إسناد الأمر إلى الله سبحانه إشارة وتذكيرًا بقوله جل شأنه: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.

٢ ـ روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»**.

فالأخوة فى الإسلام مطلب شرعى دلت عليه النصوص الإسلامية فى هذين الحديثين الشريفين وغيرهما مما سنذكر فى قوله ﷺ: **«كونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم ربكم»** وفى قوله: **«المسلم أخو المسلم...»**.

ودلت على ذلك الأحاديث النبوية التالية:

٣ - روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من آخى أخًا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله»** أى إلا بهذه المؤاخاة.

* وقال ابن قتيبة الدينورى: فى الحديث المرفوع: «المرء كثير بأخيه»[1].

٤ - وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»**.

٥ - وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»**.

٦ - وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا تهجروا ولا تدابروا ولا تحسسوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا»**.

٧ - وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**.

والأخوة فى الإسلام تقوى الأواصر بين المسلمين وتصوغ منهم كيانًا واحدًا متماسكًا..

٨ - روى الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**.

٩ - وروى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير أيضًا رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**.

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار: ٣ / ١ - ط دار الكتب المصرية.

١٠ - وروى مسلم عن النعمان بن بشير أيضًا رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»**.

١١ - وروى الإمام أحمد بسنده عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس»**.

١٢ - وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**.

والأخوة فى الإسلام تنبنى على الحب فى الله والبغض فيه، لأن ذلك هو المعيار الدقيق لهذه الأخوة الراشدة، والأحاديث النبوية الدالةعلى ذلك كثيرة نذكر منها:

١٣ - روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»**.

١٤ - وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: **«أن رجلاً زار أخًا له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله عز وجل قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**.

١٥ - وروى الترمذى بسنده عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«للمسلم على المسلم ست بالمعروف: يسلم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه»**. ورواه ابن ماجة.

١٦ - وروى الحاكم بسنده أن أبا إدريس الخولانى رضى الله عنه قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: إنى أحبك فى الله، فقال له: أبشر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل: من هم يا رسول الله؟ فقال: «هم المتحابون فى الله»**.

١٧ - وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء، فقالوا: يا رسول الله ﷺ صفهم لنا! فقال: **«هم المتحابون فى الله**

والمتجالسون فى الله، والمتزاورون فى الله».

١٨ ـ وروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبى ﷺ فقال: **«أى عرى الإسلام أوسط ـ وفى رواية أوثق ـ قالوا: الصلاة، قال: حسنة وما هى بها، قالوا: الزكاة، قال حسنة، وما هى بها، قالوا: صيام رمضان، قال: حسن وما هو به، قالوا: الحج، قال: حسن وما هو به، قالوا: الجهاد، قال: حسن وما هو به، قال: إن أوسط عرى الإيمان أن تحب فى الله وأن تبغض فى الله»**.

١٩ ـ وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: **«أتدرون أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال قائل: الصلاة والزكاة، وقال قائل: الجهاد، قال: إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب فى الله والبغض فى الله»**.

٢٠ ـ وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«من أحب ـ وفى رواية من سره ـ أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل»**.

٢١ ـ وروى أحمد بسنده عن عمرو بن الجموح رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله تبارك وتعالى، وأبغض لله تبارك وتعالى، فقد استحق الولاء من الله تعالى، وإن أوليائى من عبادى وأحبابى من خلقى الذين يذكرون بذكرى، وأذكر بذكرهم»**.

٢٢ ـ وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى والغربى، فيقال: مَنْ هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل»**.

٢٣ ـ وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أَحَبَّ عبد عبداً لله عز وجل إلا أكرم ربه عز وجل»**.

٢٤ ـ وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى مسلم الخولانى التابعى رحمه الله قال: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبى ﷺ، فإذا فيهم شاب أكحل العيْنَيْن براق الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم فى شىء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليسى من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، فوقع له فى نفسى حب، فكنت معهم حتى تفرقوا، ثم هجرْتُ إلى المسجد فإذا معاذ بن جبل قائم يصلى إلى سارية، فسكت لا يكلمنى، فصليت،

ثم جلست فاحتبيت برداء لى، ثم جلس فسكتَ لا يكلمنى، وسكتُ لا أكلمه، ثم قلتُ له: والله إنى لأحبك، قال: فيم تحبنى؟ قلت: فى الله تبارك وتعالى، فأخذنى بحبوتى فجرّنى إليه هنية ثم قال: أبشر إن كنتَ صادقًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«المتحابون فى الله فى جلالى، له منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء - وفى رواية - فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله - وفى رواية أخرى - يوضع لهم كراسى من نور يغبطهم بمجلسهم من الرب النبيون والصديقون والشهداء»**.

قال أبو مسلم الخولانى: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فقلت: يا أبا الوليد ألا أحدثك بما حدثنى معاذ بن جبل فى المتحابين؟ قال: فأنا أحدثك عن النبى ﷺ يرفعه إلى الرب عز وجل. قال: **«حقت محبتى للمتحابين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ، وحقت محبتى للمتواصلين فىَّ»**.

٢٥ - وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله». فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبى الله ﷺ فقال: يا رسول الله ناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟ انعتهم لنا - يعنى صفهم لنا - فَسُرّ وجه رسول الله لسؤال الأعرابى، فقال رسول الله ﷺ: «هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا فى الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيُجلسهُم عليها، فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله تعالى، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»**.

والأخوة فى الإسلام تهتز بالهجر والقطيعة، ولذلك حرص الإسلام على النهى عن القطيعة بين المسلمين، وخوف من عواقبها أمام الله تبارك وتعالى وحذر من الشحناء بين المتآخين فى الله.

٢٦ - روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا»**.

٢٧ - وروى الإمام مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: اقتتل غلامان، غلام من

المهاجرين وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر أو المهاجرون: يا للمهاجرين، ونادى الأنصارى: يا للأنصار؛ فخرج رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا؟» دعوى أهل الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، قال: «فلا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا نصره».

ولأن للأخوة فى الإسلام تلك المكانة فى النصوص الإسلامية فإن النبى ﷺ وضع للمسلمين المعايير التى يختار على أساسها الأخ المسلم من يؤاخيه من المسلمين.

٢٨ ـ روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

٢٩ ـ وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقى».

٣٠ ـ وروى الترمذى بسنده أن يزيد بن نُعامة الضبى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو؟ فإنه أوصل للمودة».

وبعد فلعل مكانة الأخوة فى الإسلام قد اتضحت من خلال ما سقت من آيات قرآنية كريمة ومن أحاديث نبوية شريفة، وليست العبرة فى معرفة هذه المكانة بكثرة ما ورد فيها من نصوص إسلامية -مع أننا ما أوردنا منها إلا القليل-، ولكن العبرة فى هذه الأخوة بمدى التزام المسلمين بشروط هذه الأخوة فى الإسلام وبحقوقها وواجباتها، لأن الالتزام هو الذى يساعد على بناء المجتمع المسلم القادر على التمكين لدين الله فى الأرض ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله سبحانه وتعالى.

حقائق عامة فى مفهوم الأخوة فى الله فى السنة النبوية المطهرة

وبعد: فإن هذه الأحاديث النبوية الشريفة تقرر فى مجال الأخوة الإسلامية عددًا من الحقائق البالغة الأهمية فى حياة المسلمين عمومًا، وفى عمل الدعاة إلى الله بوجه خاص ومن هذه الحقائق ما نذكره فيما يلى:

أولاً:

إنَّ الأخوة فى الإسلام توجب على المسلم نحو أخيه المسلم أن ينتهى بالنسبة له عن:

التحسس[1]، والتجسس[2]، والتحاسد، والتباغض، والتدابر، ومن لم يلتزم فقد الأخوة الإيمانية.

وأنّ الأخوة فى الإسلام أمر بها رسول الله ﷺ أمرًا صريحًا فى رواية البخارى، ونقلاً عن أمر الله تعالى فى رواية مسلم.

والأمر من الرسول ﷺ كالأمر من الله تعالى سواء بسواء -على الرغم ممن فى قلوبهم مرض ممن يجلسون على الأرائك- ويقولون فى الدين بغير علم ولا هدى.

وهذا الحديث الشريف يؤمن الإخوة فى الله من عيوب اجتماعية يكثر حدوثها فى المجتمع[3].

ثانيًا:

وأن الأخوة فى الإسلام تطالب المسلم بأمرين يلتزم بهما نحو أخيه المسلم:

أولهما: ألا يتخلى عنه، وألا يظلمه.

والآخر: أن يكون فى حاجته وأن يحاول تفريج كربه وستره[4].

ثالثًا:

وأن الأخوة فى الإسلام تحرم على المسلم المساس بدم أخيه المسلم أو عرضه أو ماله، كما تحرم عليه احتقاره أو احتقار أى شىء من أمره[5].

رابعًا:

إن الأخوة فى الإسلام تحرم على المسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال، وأن خير المتهاجرين من يبدأ بالسلام والمودة[6].

خامسًا:

إن الأخوة فى الإسلام توجب على المسلم نحو أخيه المسلم حقوقًا كثيرة تضمنتها هذه

(١) هو طلب معرفة الأخبار عمومًا.

(٢) هو طلب معرفة ما لا يحب صاحبه أن يطلع عليه غيره.

(٣) وذلك فى الحديث الشريف الأول من الأحاديث التى ذكرناها آنفا.

(٤) وذلك فى الحديث الشريف رقم: ٢ من الأحاديث التى ذكرنا.

(٥) وذلك فى الحديث الشريف رقم: ٧ من الأحاديث التى ذكرنا.

(٦) وذلك فى الحديث الشريف: رقم: ٤ من الأحاديث التى ذكرنا.

الأحاديث الثلاثون التى ذكرنا، وقد جمع منها حديث واحد ستة حقوق هى: يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه»[1].

سادسًا:

إن الأخوة فى الإسلام من أرفع الدرجات التى يتقرب بها المسلم لله تعالى، فينال عليها أعظم الجزاء عنده سبحانه وتعالى[2].

سابعًا:

إن الأخوة فى الإسلام مع القيام بحقوقها وواجباتها، تتسبب فى حب الله تعالى للمتآخين فيه[3].

ثامنًا:

إن الأخوة فى الإسلام تستوجب أن يكون حب المسلم لأخيه المسلم فى الله، فإن أخل بأمر الله أو نهيه فإن هذا الحب يجب أن يتحول إلى بغض فى الله، وما ذلك إلا لتشجيع من التزم، وحصار من خالف وعصى والتضييق عليه حتى يتوب[4].

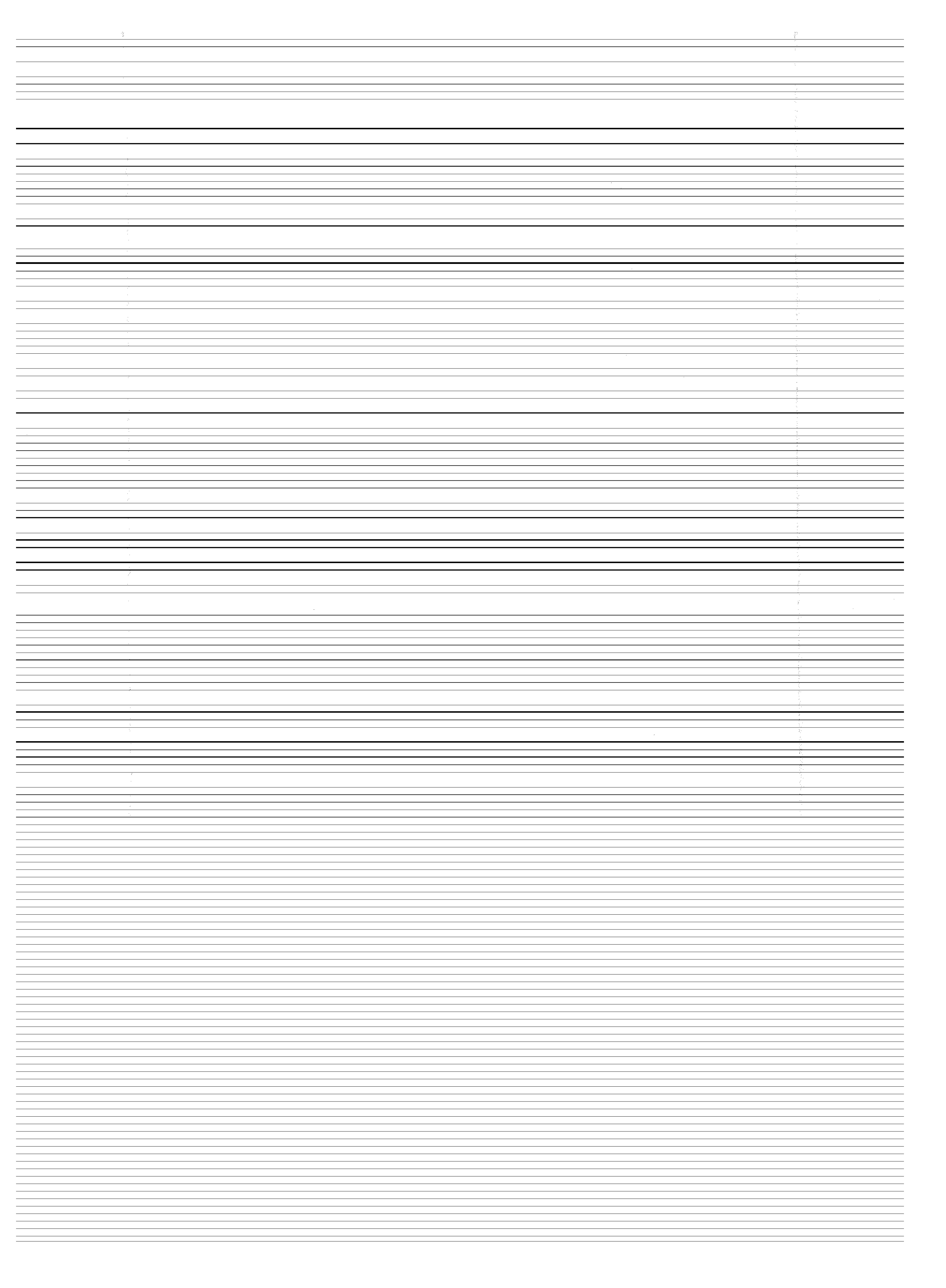
---

(١) وذلك فى الحديث الشريف: رقم: ١٥ من الأحاديث التى ذكرنا.

(٢) وذلك فى الحديث الشريف: رقم ٣، والحديث رقم: ٢٤.

(٣) وذلك فى الأحاديث الشريفة: أرقام: ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٥ من الأحاديث النبوية التى ذكرنا.

(٤) وذلك فى الأحاديث الشريفة: أرقام: ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١.



الفصل الثانى

مفهوم الأخوة فى تاريخ المسلمين

ويشمل :

أولاً: الأخوة عند الرسول ﷺ

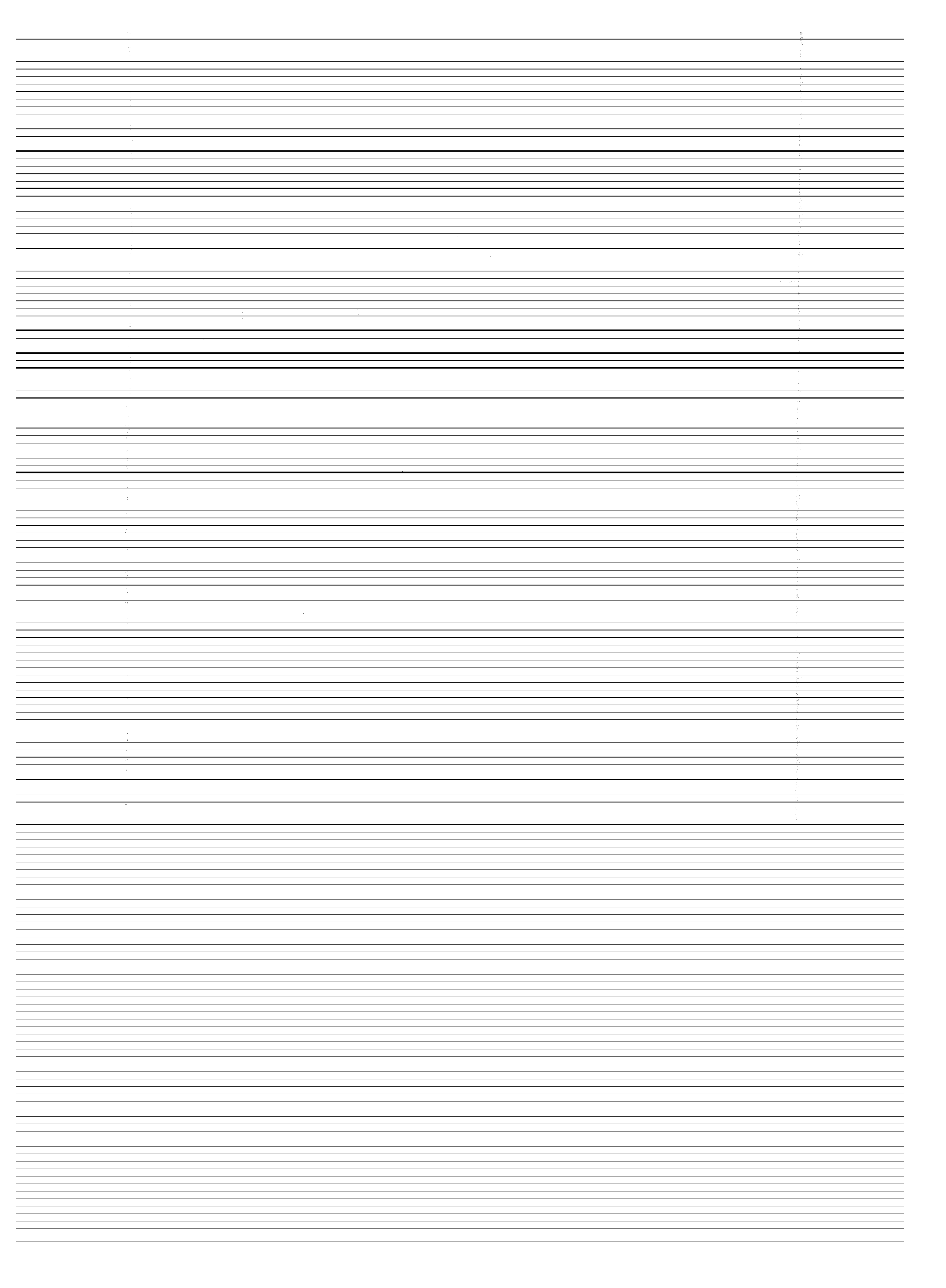
ثانيًا: الأخوة عند الصحابة والتابعين

وفيها :

١ ـ نماذج من الأخوة عند الصحابة رضى الله عنهم.

٢ ـ نماذج من الأخوة عند التابعين رحمهم الله .

٣ - نماذج من الأخوة عند المصلحين المجددين فى تاريخ المسلمين.



مفهوم الأخوة فى تاريخ المسلمين

تاريخ المسلمين حافل بكل القيم السامية التى جاء بها للناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليعلمهم أن التمسك به هو الذى يجعل منهم مجتمعًا إنسانيًا يستطيع أن يمارس الحياة فى أكرم صورها وأنبلها.

ومن هذه القيم التى جاء بها الإسلام، بل من أعلاها وأفضلها فى مجال الإيمان: الأخوة فى الله، والحب فيه، والبغض من أجله سبحانه وتعالى.

وتاريخ المسلمين على مدى الأربعة عشر قرنًا ليس على مستوى واحد من التوافق والتطابق مع ما جاء به الإسلام من قيم ومبادئ ـ وهذا شأن الإنسان ـ وإنما جاء هذا التاريخ وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أحقابًا وأجيالاً متفاوتة فى التمسك بهذه القيم والالتزام بها، وسنة المسلمين فى ذلك كسنة من قبلهم من الأمم ممن أمرهم الله تعالى ونهاهم عن طريق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، تمسك بقيم الدين حينا، وتفلت منها أحيانًا، والتزام بها فى مكان بعينه وبزمان بخصوصه، وإهمال لها فى مكان آخر وزمان آخر.

* وتاريخ المسلمين فى أحسن ما كان عليه المسلمون من تمسك بقيم الدين وأحكامه وآدابه هو زمن القرون الثلاثة الأولى من هذا التاريخ كما هو ثابت فى السنة النبوية المطهرة التى أكدت ذلك فيما رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى بأسانيدهم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أخير الناس قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**.

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«خير أمتى القرن الذى بعثت فيه. ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يخلف قوم يحبون السَّمانة[1] يشهدون قبل أن يُستشهدوا»**.

* فأهل هذه القرون الثلاثة أصدق تعبيرا عن الإسلام وتمسكًا بقيمه وأحكامه وآدابه ممن جاءوا بعدهم.

---

(١) السَّمنة: السِّمَن، وهو كناية عمن يتكثرون بمالس فيهم من الخير ويدعون ما ليس فيهم من الشرف، أو كناية عمن يحبون التوسع فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن.

غير أن القرون التى تلت تلك القرون الثلاثة لم يعدم أهلها الخير، ولم يكونوا جميعًا بعيدين عن الإسلام وقيمه، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ، فقد روى ابن ماجة بسنده عن عباس بن أبى ربيعة المخزومى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال هذه الأمة بخير ما عظَّموا هذه الحرمة حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا»** أى حرمة المكان الذى حرمه الله وحرمة الزمان الذى حرم فيه أشياء بعينها.

وروى أحمد بسنده عن أبى عنبة الخولانى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة»** أى لن يخلو زمان من مؤمنين صالحين وإن قل عددهم، وأنه ذلك مستمر إلى يوم القيامة.

*** والأمة الإسلامية فى مجموعها ـ مهما تكاثر عليها أعداؤها كما هو شأنها اليوم ومهما** كادوا لها وتغلبوا عليها وانتقصوا من أطرافها ـ فإن بيدها مفاتيح النصر على هؤلاء الأعداء مهما كثروا، ومن هذه المفاتيح الأخوة فى الإسلام ففى الأخوة وحدة وتجمع، وفى الوحدة قوة، وهى بهذه القوة تواجه أعداءها كائنين من يكونون، وبخاصة إذا جمعت إلى ذلك من مفاتيح النصر الإيمان والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والتجرد والثبات، ومن جمع هذه المفاتيح لم يهزم لأنه قد استوفى ركنى النصر وهما: عدم التعلق الزائد بأعراض الدنيا وحب الموت فى سبيل الله.

فقد روى أحمد بسنده عن ثوبان[1] رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعَى الأكلة على قصعتها» قال: قلنا يا رسول الله أمِنْ قلَّة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل فى قلوبكم الوَهَن» قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكراهية الموت»**.

* إن هذه الأخوة فى الدين من أسباب قوة المسلمين فبها يصير المسلمون فى القتال صفا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص، لا يستطيع عدو أن ينفذ إليهم ما داموا إخوة متحابين. ولقد أثنى الله على من يقاتلون فى سبيله صفا فى قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾** [الصف: ٤].

---

(١) هو ثوبان بن يُحْدَد أبو عبد الله أو أبو عبد الرحمن (ت سنة ٥٤ هـ) مولى رسول الله ﷺ أصله من أهل السراة ـ بين مكة واليمن ـ اشتراه النبى ﷺ ثم أعتقه فلم يزل يخدم النبى ﷺ إلى ان لحق بربه، فخرج ثوبان إلى الشام ونزل الرملة بفلسطين ثم انتقل إلى حمص وتوفى بها، له ١٢٨ حديثًا.

* هكذا كانت الأخـوة فى الله فى تاريخ المسلمين تجمعهم وتوحـدهم فى صف واحد، وتعطف بعضهم على بعض، وتجعلهم أهـلا لأن يكونوا المؤمنين الموعودين بنصر الله تعالى فى قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠] وقوله: ﴿. . . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وهذه الأخـوة فى الدين هى التى تضـمن لهم بشـارة رسـول الله ﷺ بالنصـر والرفعـة والتمكين لدينهم فى بلاد الله، فقد روى أحمد بسنده عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسناء والتمكين فى البلاد، والنصر والرفعة فى الدين، من عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له فى الآخرة نصيب**».

ومهما ضعف المسلمون أو تفككوا فإن رسول الله ﷺ بشرهم أيضًا بأن يكونوا أو يكون بعضهم ـ على الأقلّ ـ ظاهرين على الحق مستقيما أمرهم عليه إلى يوم الدين.

روى البخارى بسنده عن المغيرة بـن شعبة رضى الله عنه النبى ﷺ قال: «**لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**».

وفى رواية للبخارى عن معـاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة**».

ومن ميزات هذه الأمة التى ميزها بهـا الله تعالى وأخبر عنها رسوله ﷺ: «**أنها لا تجتمع على ضلالة...**».

فهى أمة يرد عليها الاختلاف والتفـرق، ولكنها لا تجتمع على ضلالة أبدًا، فإن اختلفت فإن سبيل النجاة من هذه الخـلافات أن يكون المسلم مع السواد الأعظم من الناس فهؤلاء لا يجمعون على ضلالة.

روى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أمتى لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم**».

* وكل معركة خاضها المسلمون وهم أخوة فى الله تجمعهم هذه الأخوة وتوحد صفوفهم انتصروا فيها على أعدائهم والتاريخ على ذلك من الشاهدين:

ـ تلك المعارك التى بدأت بمعـركة بدر الكبرى حيـث انتصرت القلة المؤمنة المتآخـية على الكثرة الكافرة بالله ورسوله.

- والمعارك التى أدتْ إلى فتح بلاد فارس.

- والمعارك التى أدَّتْ إلى فتح الشام وبلاد الروم.

- والمعارك التى أدَّت إلى فتح مصر والشمال الإفريقى.

- والمعارك التى أدَّت إلى فتح بلاد الأندلس.

- والمعارك التى واجهوا بها التتار، وصدوا هجومهم على الإنسانية كلها مسلمين وغير مسلمين.

- والمعارك التى واجهوا بها الصليبيين، وانتزعوا من أيديهم بيت المقدس بعد أن بقى فى أيديهم ما يقرب من تسعين عامًا.

- والمعارك التى خاضوها ضد فلول الصليبيين الذين استمروا فى قتال المسلمين بعد عودة بيت المقدس ما يقرب من مائة عام أخرى.

- والمعارك التى خاضتها دولة بنى عثمان وتوغلت فى أوربا حتى بلغت «جنيف».

* بهذه الأخوة فى الدين كانت الوحدة فكانت القوة وإذا اجتمع ذلك مع الإيمان كان الانتصار.

ولذلك كان من أهداف أعداء الأمة الإسلامية أن يمزقوا وحدتها وأن يفرقوا جمعها وما ذلك إلا بضرب القيم التى توحدهم وعلى رأسها الأخوة فى الدين؛ اليهودية والصهيونية والصليبية القديمة والصليبية الحديثة، والنظام العالمى الجديد والعولمة والولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك سواء.

* وحاجة المسلمين فى مواجهة هؤلاء الأعداء تبدأ بالإيمان القوى الذى يفرز وحدة تصنعها أخوة فى الدين، مع الأخذ بكل أسباب العلم والإعداد والاستعداد، يعزز ذلك حب للموت فى سبيل الله وكراهية للتعلق الزائد بأعراض الحياة الدنيا، حتى لا يكون فى قلوبهم الوهن.

وهذا ما نحاول أن نستدل عليه ونقدم له الشواهد فى الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

أولاً:

الأخوة فى الله عند الرسول ﷺ

أول تاريخ المسلمين هو سيرة النبى محمد ﷺ، ثم يستمر تاريخهم بإذن الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن أجل ذلك كان من المنطقى ـ ونحن بصدد التعريف بمفهوم الأخوة فى تاريخ المسلمين ـ أن نرى هذه الأخوة فى الله فى أول المؤمنين وأول المسلمين محمد ﷺ، فهو الذى عرفنا منه الدين بكل مفرداته، والإيمان بكل مكوناته، والإسلام بكل أركانه.

وعرفنا فيه ﷺ القواعد التى يبنى عليها هذا الصرح العظيم الذى أكمله الله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دنيا، وعرفنا منه ما هى اللبنات التى يبنى بها هذا الصرح العظيم، وهى لبنات كثيرة لابد منها إذ هى هيكل هذا الدين وشكله وموضوعه، ومن هذه اللبنات:

ـ تطهير المجتمع من الظلم والبغى والعدوان.

ـ وتطهيره من الإثم والفواحش وكل ما يغضب الله تعالى من قول أو عمل أو تَرْك.

ـ وتطهيره من الشرك والكفر والإلحاد.

فإذا طهر المجتمع من هذه الآفات ونظفت الأرض التى يقوم عليها بناء المجتمع الإنسانى الكريم، علمنا الرسول ﷺ ما هى اللبنات التى يقوم عليها هذا البناء.

وهى:

ـ الإيمان والإسلام والعدل والإحسان والشورى.

ـ وحب الخير والتعاون على البر والتقوى.

ـ والتعاطف والتراحم والتَّوادّ والحب فى الله أو البغض فيه.

ـ والأخوة فى الله إذ هى من أسباب الوحدة والقوة والتعاون على البر والتقوى، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ولكى يمكَّن لدين الله فى الأرض.

* وهذه الأخوة فى الله مطلب شرعى بين المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠] والمعنى: «ليس المؤمنون إلا إخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد

انزاحت عنهم شبهات الأجنبية، وأبى لطف حالهم فى التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع، فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه»[1].

ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «...وكونوا عباد الله إخوانًا».

* وقد كان رسول الله ﷺ أنموذجًا حيًا لما كان يدعو إليه من قيم، وما يأمر به الناس من الفضائل، وما كان له ﷺ إلا أن يكون كذلك؛ لأنه القدوة لكل مسلم، ولأن الله تعالى عصمه، ووصفه بأنه على خلق عظيم.

* وإنما كانت الأخوة فى رسول الله ﷺ كذلك، لما أمره الله تعالى به، ولما وجد عليه الناس الذين بعث فيهم - وقد بعث للعالم كله - من تخاصم وتعاد وتنافس على متع الحياة الدنيا يؤدى إلى الفرقة والشر والحروب، ولا يعالج ذلك إلا أن يحل بين الناس الوئام والتراحم والتعاون والمواساة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتمسك بالقيم التى جاء بها الإسلام وفى مقدمتها الأخوة فى الدين، ولذا كان رسول الله ﷺ نموذجًا فى كل ما تقتضيه الأخوة فى الله من مودة ورحمة ولين مع المسلمين جميعًا.

ولما جمعت الأخوة فى الله بين المسلمين فى مكة استطاعوا الصبر على ما كانوا يلقون من أذى المشركين على الرغم من قلة عددهم وضعف كثير منهم، وبالأخوة استطاعوا أن يجتمعوا فى الهجرة إلى الحبشة مرتين، ولو لم تكن الأخوة رابطة وثيقة بينهم فكيف كانت تستساغ هجرة الأوطان وترك الأموال فرارا بالدين؟.

* لقد غرس فيهم رسول الله ﷺ الأخوة فى الدين عمليًا، إذ تحمل ما تحملوا من كيد وتعذيب فى مكة، ومن حصار وحبس فى شِعب بنى هاشم ما يقرب من ثلاث سنوات، لقد علمهم ﷺ أن يكونوا - وهو معهم - صفًا كأنهم بنيان مرصوص.

* ولقد كان رسول الله ﷺ مثلاً فى تطبيق الأخوة فى الله تطبيقًا عمليًا بُعَيْدَ أن هاجر إلى المدينة المنورة، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار.

قال السهيلى:[2] آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة لتذهب عنهم وحشة

---

(١) الزمخشرى: (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ط الحلبى - القاهرة: ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م.

(٢) السهيلى: الروض الأنف: ٢/ ١٨.

الغربة وليؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، وليشد بعضهم أزر بعض. فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] أى فى الميراث: ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة أى فى التوادّ وشمول الدعوة.

* وعند التحقيق والتدقيق نجد الرسول ﷺ قد آخى بين المسلمين مرتين:

المرة الأولى:

وكانت فى مكة قبل الهجرة وفيها آخى بين المسلمين، على الحق والمواساة، وعرف لنا أنه ﷺ قد آخى بين كل من:

- أبى بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.
- وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة رضى الله عنهما.
- وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما.
- والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما.
- وسعد بن أبى وقّاص ومصعب بن عمير رضى الله عنهما
- وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وبلال بن أبى رباح رضى الله عنهما.
- وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وطلحة بن عبد الله رضى الله عنهما.
- وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ونفسه ﷺ.

ولابد أنه آخى بين سائر المسلمين فى مكة لكنا لم نستطع معرفة أشخاص من آخى بينهم، إذ سكتت كتب السيرة عن ذلك.

والمرة الثانية:

كانت بين المهاجرين والأنصار فى المدينة المنورة، آخى بينهم على الحق والمواساة والتوارث عند الممات دون ذوى الأرحام.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: فآخى رسول الله ﷺ بين:

ـ حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة[1] رضى الله عنهما.

ـ وأبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن الحارث رضى الله عنهما.

ـ وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك رضى الله عنهما.

ـ والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وَقْش رضى الله عنهما، وقيل بينه وبين عبد الله بن مسعود[2] رضى الله عنهما.

ـ وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك رضى الله عنهما.

ـ وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضى الله عنهما.

وقال لسائر أصحابه: تواخوا، وهذا أخى «يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه».

وروى مسلم والنسائى بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: ولقد رأيْتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم.

وروى الخرائطى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير، لقد كفونا المئونة وأشركونا فى المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله.

قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم».

وقال ابن سعد فى الطبقات الكبرى: كانوا تسعين رجلاً:

خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار.

وقيل: كانوا مائة؛ خمسون وخمسون[3].

ثم يواصل ابن سعد قائلاً: وقد قام المسلمون بذلك، وكان مما شد الله به عَقْد نبيه قوله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

---

(١) وفى رواية: بين حمزة بن عبد المطلب وأسيد بن حضير، ولا تعارض بين الروايتين إذ يحتمل أنه آخى بينه وبين زيد فى مكة، فلما هاجر حمزة إلى المدينة آخى بينه وبين أسيْد بن حضير.

(٢) ويحتمل أنه آخى بين الزبير وعبد الله بن مسعود فى مكة ثم بين الزبير وسلمة بن سلامة فى المدينة المنورة.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٢ / ٣ ط لجنة نشر الثقافة الإسلامية ـ القاهرة: ١٣٥٨ هـ.

﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآيات من: ٧٢ ـ ٧٤]. فأحكم الله بهذه الآيات العقد الذى عقد رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار يتوارث الذين تآخوا دون من كان مقيما فى مكة من ذوى الأرحام والقرابات[١]، فمكث الناس على ذلك العقد ما شاء الله، فلما كان بعد بدر أنزل الله تعالى الآية الأخرى فَنَسَخَتْ ما كان قبلها، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

* واختلف العلماء حول بدء هذه المؤاخاة فى المدينة المنورة على أقوال عديدة:

ـ فمنهم من قال: بدأت المؤاخاة قبل بناء مسجد الرسول ﷺ.

ـ ومنهم من قال: بدأت وهو يبنى المسجد.

ـ ومنهم من قال: بدأت بعد الهجرة بثلاثة أشهر.

ـ ومنهم من قال: بدأت بعد الهجرة بخمسة أشهر.

ـ ومن قال: بدأت بعد الهجرة بتسعة أشهر.

ـ ومن قال: بدأت المؤاخاة بعد الهجرة بسنة.

* والمؤاخاة: عَقْد أو حلف

روى مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى بأسانيدهم عن شعبة بن التوأم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف فى الإسلام» زاد شعبة بن التوأم: «ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية» اهـ. «وكل حلف فى الجاهلية لم يزده الإسلام إلا حدةً وشدّة، وما يَسُرُّنى أن لى حمر النعم وأنى نقضت الحلف الذى كان فى دار الندوة».

وروى البخارى فى كتابى: الكفالة، والاعتصام، ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة، وأبو داود فى كتاب الفرائض، بأسانيدهم عن عاصم بن سليمان الأحول قال: قلت لأنس بن مالك: أبلغك أن النبى ﷺ قال: «لا حلف فى الإسلام»؟ قال: «قد حالف النبى ﷺ بين قريش والأنصار فى دارى» وفى رواية: فى دارنا مرتين أو ثلاثًا.

---

(١) لمعرفة أسماء من آخى رسول الله ﷺ بينهم. انظر محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد: ٣ / ٥٣٠ ـ ٥٣٣.

قال الطبرانى: ما استدل به أنس على إثبات الحلف لا ينافى الأحاديث السابقة فى نفيه، فإن الإخاء المذكور كان فى أول الهجـرة، وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ هذا الميراث وبقى ما لم يبطله القرآن وهو التعاون على الحق والنصر والأخذ على يد الظالم، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما إلا النصر والنصيحة، ويوصى به، فقد ذهب الميراث.

وقال ابن عبد البرّ: إن المؤاخاة كانت مرتين:

الأولى: قبل الهـجرة بمكة بين المهاجـرين خاصة، فقـد روى الحاكم النيسـابورى حديثًا قال: آخى النبى ﷺ بين أبى بكر وعمـر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وعـبد الرحمن بن عوف.

وفى رواية بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة، فقال على: يا رسول الله: آخيْت بين أصحابك فمن أخى؟ قال: أنا أخوك. وفى رواية: أنت أخى فى الدنيا والآخرة.

وهؤلاء كلهم من المهاجرين.

والثانيـة: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصـار، وكانت قبل وقعـة بدر. وبعد بدر أنزل الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فَنَسَخَت هذه الآية مـا كـان قـبلهـا، وانقطعت المؤاخاة فى الميراث، ورجع كل إنسان إلى نسبه، وورثه ذوو رحمه[1].

* والأخوّة عـند الرسول ﷺ تقـوم على: النُّصْرة والمواساة، ولا شىء يتطلب النـصرة والمواساة مثل أن يكون الناس على دين الحق الذى يغـاير ما عليه الناس من أديان، ولذلك آخى النبى ﷺ بين المسلمين فى مكة، فقد كانوا فيها أحوج ما يكونون إلى النصرة والمواساة من بعضهم لبعض، وقـد واسى بعضهم بعضا ونصر بعضهم بعـضا كما حدث من أبى بكر رضى الله عنه مع بلال رضى الله عنه.

* وما كـان رسول الله ﷺ ليفـعل شيئًا إلا بوحـى من الله تعالى، فهـو ﷺ الذى فسَّر الوحى وفصله، وكل مـا يقوله رسول الله ﷺ أو مـا يفعله فهـو جزء من الدين، وهو فى ذلك مثل كلام الله تعالـى وأوامره ونواهيه، فقد روى ابن ماجة بسنـده عن المقدام بن معد يكرب ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته يحدَّث بحديث من حديثى فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله مثل ما حرم الله»**.

---

(1) الديار بكرى: الخميس فى أحوال أنفس نفيس ـ المطبعة الأهلية القاهرة: ١٢٨٣ هـ.

ورواه أبو داود فى باب الإمارة، ورواه الترمذى فى باب العلم، وأحمد فى مسند المقدام بن معد يكرب[1].

والذين يرون الأخذ بما فى القرآن وحده، والذين يقولون بضرورة عرض الحديث النبوى على القرآن الكريم، فما وافقه أخذ به، وما خالفه تركوه.

هؤلاء وأولئك هم الروافض والخوارج، إذ لا حاجة للحديث النبوى الصحيح أن يعرض على القرآن لأن حديث النبى ﷺ وحى، وهو فى قوة القرآن الكريم.

وما يزعمه بعضهم من ورود حديث بهذا المعنى هو من وضع الزنادقة، وهو باطل لا أصل له.

* فالأخوّة فى الدين التى دعا إليها الرسول ﷺ بين المسلمين، والتزم هو نفسه بها، هذه الأخوة هى جزء من الدين، وأمر من الله ورسوله.

ومن أحْرَصُ من الرسول ﷺ على إكمال الدين وإتمامه؟ ومن أحرص منه على الأمانة فى تبليغ الوحى؟.

---

(١) مسند احمد: ٣ / ٣٦٧، ٤ / ١٣١، ٦ / ٥. ط مؤسسة قرطبة: دون تاريخ. تحقيق محمد ناصر الألبانى.

ثانيًا:

الأخوّة فى الله عند الصحابة والتابعين

كان الصحابة رضى الله عنهم نماذج رفيعة فى الأخوة فى الله تعالى، فى وقت مبكر من تاريخ الإسلام - وهم لا يزالون فى مكة حيث قلة العدد وشراسة العدو وتجبر المشركين - ولا عجب فى ذلك، فإن الله تعالى هو الذى اختارهم ليصحبوا رسوله الخاتم فى موكب الدعوة، وليعينوه ويعزروه وينصروه، ويقدموا أموالهم وأنفسهم فداءً لدينهم ونبيهم ﷺ.

وهو سبحانه - لما يعلمه فيهم من خير - قد اختارهم ليحملوا عبء نشر دعوة الخير فى الناس بعد الرسول ﷺ، حتى بلَّغوا هذا الدين إلى كل من استطاعوا أن يصلوا إليه من الناس، ونشروه وهيئوا للناس أن ينتفوا به وبقيمه وأحكامه وآدابه فى أكبر دولتين آنذاك؛ الفرس والروم. إن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين استجابوا لله ورسوله فملأ الإيمان قلوبهم وعصم الإسلام سلوكهم من الضلال والهوى فكانوا بحق من أولى الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وما كان أسرع استجابتهم لنداء الحق والهدى قائلين: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]. لقد تمثل فيهم الإيمان والإسلام والإحسان والعدل كأحسن ما يكون إيمان وإسلام وعدل وإحسان!!!

* ولقد كانت الأخوة فى الله عندهم متمثلة فى نوعين من العمل الصالح:

النُّصْرة، والمواساة، وهما ركنا الأخوة فى الله اللذان آخى الرسول ﷺ بينهم عليهما.

وإذا كان ركنا الأخوة فى الله هما: نصرة الأخ لأخيه، ومواساته له فى كل ما يحتاج إلى مواساة، فإنهم رضوان الله عليهم قد نصروا رسول الله ﷺ وإخوانهم المسلمين، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، كما واسوا كل مسلم يحتاج إلى مواساة، فعلوا ذلك فى السلم والحرب، فكانوا فى ذلك مضرب الأمثال، حتى إن قُصارى أقوى المؤمنين إيمانًا وأحسنهم إسلامًا وأكثرهم بذلا وتضحية فى أى عصر من العصور أن يبلغ فى الفضل والمكانة قدرًا يقترب مما لهم من فضل ومكانة، وما هو ببالغ ذلك حتى لو أنفق مثل أحد ذهبًا فى سبيل الله تعالى!!!

وما ذلك إلا لمكانتهم السامية عند الله وعند رسوله ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابى، لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**[1].

* هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم هم الذين حملوا الإسلام إلى الدنيا كلها، وإلينا نحن، وإلى مَنْ بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك كان حبهم واحترامهم وتقديرهم من صميم الدين، لأن الرسول ﷺ أمر بذلك، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الله الله فى أصحابى، الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه[2] قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجابية - من قرى دمشق - فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا مثل مقامى فيكم، فقال: **«احفظونى فى أصحابى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يشهد الرجل وما يستشهد، ويحلف وما يستحلف»**.

* هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم تمثلت فيهم الأخوة فى الله، فى النصرة والمواساة، ونحاول فى هذه الصفحات أن نذكر على ذلك الشواهد والأمثلة، والله ولى التوفيق.

---

(١) المدّ: مكيال قديم قدّره العلماء بنصف قدح، والنصيف هو: نصف أى شىء. وهنا نصف هذا المدّ.

(٢) هو جابر بن سمرة بن جُنادة السُّوائى أبو عبد الله، وأمه خالدة أخت سعد بن أبى وقاص، له صحبة ولأبيه رضى الله عنهما، روى له البخارى ومسلم وعلماء السنة ١٤٦ حديثًا، توفى عام ٧٤ هـ.

١ ـ نماذج من الأخوة فى الله عند الصحابة رضى الله عنهم

نقصد بهذه النماذج المواقف العملية التى تمثلت فيها الأخوة فى الله عندهم رضى الله عنهم، تلك المواقف التى جاءت تعبيراً عن إيمانهم القوى بهذا الدين، واستجابتهم لكل ما يطلب منهم التحلى به من صفات تعزز انتماءهم لهذا الدين.

* وفى مقدمة هذه الصفحات أن يكونوا إخوة فى الله، إخوة فى هذا الدين، ينصر بعضهم بعضا ويواسى بعضهم بعضا، فى مواجهة أعدائهم الذين يتربصون بهم، ويوجهون إليهم من الكيد والحرب والتضييق والتعذيب والتنكيل ما من شأنه أن يصدر من المشركين والكفار فى كل زمان ومكان.

إن مشركى قريش وهم يعذبون بلالاً وعماراً وياسرا وسمية وغيرهم يعيدون إلى الأذهان قصة أصحاب الأخدود حين حفر الظالمون الأخاديد فى أفواه السكك وأوقدوا فيها النيران فمن لم يرجع عن إيمانه ألقوه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى: يا أماه اصبرى فإنك على الحق.

هذا ما فعلوه مع بلال رضى الله عنه وهو يقول: أحد أحد. صدق الله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

فكان لابد أن يتآخى المؤمنون وأن يتناصروا بهذه الأخوة فى الدين، وأن يواسى بعضهم بعضا.

وتلك سنة الظالمين فى كل عصر ينقمون على المؤمنين إيمانهم، ويعملون جاهدين على أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، وما يأمرهم به من قيم على رأسها الأخوة فى هذا الدين.

وسنة المؤمنين فى كل عصر أن يتآخوا فى الله تعالى، وأن ينصر بعضهم بعضا وأن يواسى بعضهم بعضا حتى يفرج الله كرب المكروبين منهم، ويفك أسر المأسورين وسجن المسجونين، وهذا النصر والمواساة جزء من الدين.

والصحابة رضى الله عنهم كانوا إخوة فى الله نصروا ضعيفهم وواسوا فقيرهم، حتى كانوا فى ذلك مضرب الأمثال.

وكيف لا يكونون كذلك وقد نصروا دين الله ونصروا رسوله ﷺ، وواسوه، وكان أمل أحدهم أن يقدم ماله وولده ونفسه نصرة للحق ومواساة له؟.

إننا فى هذه الصفحات نذكر نماذج وشواهد فقط نرجو أن ينفع الله بها المؤمنين فى كل زمان ومكان.

نبدأ بالمهاجرين ثم بالأنصار رضى الله عنهم أجمعين.

أولاً: المهاجرون:

أ ـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه

أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول الصحابة استجابة لدعوة الحق وأعلاهم مكانة عند رسول الله ﷺ، وأكثرهم نصرة ومواساة.

وحياته كلها حافلة بنصرة الله ورسوله، وبمواساة الحق وأهله، ما أبقى شيئًا من ماله أو جهده إلا ضحى به فى سبيل الله، وفى سبيل النصرة والمواساة.

أولاً: النصرة:

* أخرج البزار فى مسنده بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ، وأخذته قريش؛ فهذا يُحادُّه، وهذا يتلتله[1] ويقولون: أنت جعلتَ الآلهة إلها واحدًا.

فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟.

ثم رفع علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم بالله، أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم. فقال على رضى الله عنه: فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

* وأخرج أصحاب السِّيَر، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألَحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يُلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته.

وقام أبو بكر فى الناس خطيبا دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ.

وثار المشركون على أبى بكر، وعلى المسلمين، فضُربوا فى نواحى المسجد ضربًا شديدًا، ووطىء أبو بكر وضرب ضربا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين

---

(١) أى يحركه بعنف ويزعجه ويقلقه ويعامله بشدة وقسوة.

مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبى بكر، حتى لا يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر، وحملت بنوتيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون فى موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة.

فرجعوا إلى أبى بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه...».

ففى هذا الموقف تجلت نصرته لله ولرسوله ﷺ غير مبال بما أصابه من أذى المشركين، حتى أشفى على الموت، فلما أفاق ما شغله شىء سوى سؤاله عن سلامة رسول الله ﷺ.

* أخرج البيهقى بسنده عن ابن سيرين قال: ذكر رجال على عهد عمر رضى الله عنه، فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر رضى الله عنهما، فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر، وليوم من أبى بكر خير من آل عمر؛ لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله فقال: يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدىّ؟

فقال: يا رسول الله: أذكر الطلب فأمشى خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك، فقال يا أبا بكر: لو كان شىء لأحببتَ أن يكون بك دونى؟ قال: نعم والذى بعثك بالحق.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه حتى إذا كان... ذكر أنه لم يستبرئ الجِحَرة - جمع جُحر - فقال: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ، فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله فنزل، ثم قال عمر: والله لتلك الليلة خير من آل عمر.

* وأخرج البزار فى مسنده بسنده عن محمد بن عقيل عن علىّ رضى الله عنه أنه خطبهم فقال: أيها الناس: من أشجع الناس؟.

فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر - رضى الله عنه - إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد المشركين؟.

فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر - رضى الله عنه - شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوى إليه أحد، إلاَّ أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

ثـانيـــًا:

المــواســـاة

وهى العنصر الثانى من عناصر الأخوة فى الله.

* أخرج أبو نعيم فى الحلية عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذَّب، وهو يقول: أحَد أحَد، فيقول ورقة: أحَدٌ أحد الله يا بلال، ثم يقبل ورقة على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول: أحلف بالله عز وجل لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانًا[1].

حتى مَرَّ أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك، فقال لأمية: ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟ حتى متى؟.

قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: أفعل، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فأعتقه.

وفى رواية: أن أبا بكر اشترى بلالاً واستبدله بما يساوى خمسة أواق ذهبًا، فقيل له: لو أبَيْتَ إلا أوقية لبعناك، فقال: ولو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

ولقد أعتق أبو بكر رضى الله عنه مع بلال ست رقاب بلال سابعهم، فقد مضى أبو بكر يواسى إخوانه المعذبين فى سبيل الله، فكان يشترى العبيد والإماء بما يطلبه سادتهم من ثمن يغالون فيه ليعجزوه ويدخلوا الندم على نفسه، ولكنه لا يبالى بما يبذل من مال وجهد لإنقاذ هؤلاء المساكين ومواساتهم ثم كان يعتقهم لله تعالى.

* وذكر علماء السيرة النبوية أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ وهاجر أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم أو ستة، فدخل علينا جدّى أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ وقال: إنى لأراه قد فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه!!! قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا ـ وأخذت أحجارًا فوضعتها فى كوة البيت الذى كان أبى يضع فيها ماله ثم وضعت عليه ثوبًا، ثم أخذت بيده وقلت:

---

(١) أى يذكر برقة قلبه وإيمانه القوى.

يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه وقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكنى أردت أن أُسكّن الشيخ.

* وأخرج الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندى، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه، إن سبقته يومًا.

فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: أبقيت لهم، قال: ما أبقيت لهم؟ قلت: مثله.

وأتى أبو بكر - رضى الله عنه - بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

قلتُ: لا أسبقه إلى شيء أبدًا».

وكان هذا فى تجهيز جيش العسرة، وكان مال أبى بكر رضى الله عنه أربعة آلاف درهم.

ب - عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهو الرجل الذى أعز الله به الإسلام حينما أسلم، استجابة لدعوة الرسول ﷺ حين قال: «اللهم أعزِ الإسلام بأحد العمرين».

وهو الرجل الذى تفرد بين الصحابة بقول الرسول ﷺ، فيما رواه أحمد بسنده عن عقبة ابن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان من بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب» رضى الله عنه، وحسب عمر شرفًا ومكانة أن يقول عنه الرسول ﷺ ما قال، وأنه سماه «الفاروق».

وعمر رضى الله عنه هو الذى كان يتنزل القرآن أحيانًا مؤيدًا لرأيه حين تختلف الآراء فيما يجتهد فيه المسلمون من أمور.

وذلك فى أسارى بدر وفى تحريم الخمر، وغيرهما.

ونحاول هنا أن نذكر من سيرته ما يؤكد فقهه للأخوة فى الله، كما تعلمها من الرسول ﷺ.

وما يؤكد هذه الأخوة مثل عنصريها الأساسيين: النصرة للدين ولأهله، والمواساة للناس.

أولاً:

النُصْــــرة

وهى من علامات الأخوة فى الله ودلائلها القوية، لأن رسول الله ﷺ آخى بينهم على النصرة والمواساة.

* ذكر علماء السِّير، ومنهم أبو نعيم الأصبهانى[1] الذى قال: «لما أسلم عمر رضى الله عنه قال: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ قال رسول الله ﷺ: **«بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم»** قال: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن، فخرج رسول الله ﷺ فى صفين: عمر فى أحدهما وحمزة فى الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط، وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

فهذا الموقف نصرة للدين نفسه ولرسوله ﷺ وللمسلمين الذين كانوا مُسْتَخْفين بدينهم فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، حتى خرج بهم عمر على ملأ من الناس بل اقتحم بهم المسجد والمشركون يرون وتصيبهم الكآبة!!!.

* ومن نصرته للدين وإيثاره ما عند الله وتحمله فى سبيله مثل ما يتحمل إخوانه من كيد المشركين وعنتهم وتحديهم للإسلام والمسلمين أن رَدَّ جوار خاله هشام بن المغيرة حينما أجاره ليرد عنه عدوان المشركين، لكن عمر رضى الله عنه أبى إلا أن يصارع الشرك وأهله يضربهم ويضربونه، حتى أعز الله الإسلام، ففى هذا الموقف منه نصرة للدين وتعزيز للانتماء إليه على الرغم مما يصيب المسلمين من أعدائهم من عنت وتعذيب.

روى علماء السيرة قصة ردّ عمر لجوار خاله بروايات عديدة نختار منها ما ذكره الزرقانى فى شرحه للمواهب[2] قال: قال عمر رضى الله عنه: كنت لا أشاء أن أرى رجلاً من

---

(١) انظر: أبو نعيم الأصبهانى أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ٤٣٠ هـ حلية الأولياء: ١ / ٤.

(٢) الزرقانى هو محمد بن عبد الباقى بن يوسف (١٠٥٥ - ١١٢٢ هـ): شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الذى ألفه القسطلانى المصرى أحمد بن محمد (٨٥١ - ٩٢٣ هـ) وقد شرحه الزرقانى شرحا وافيا حتى أصبح أجمع وأوسع ما كتب فى سيرة النبى ﷺ.

المسلمين يُضرب إلا رأيته[1]، فقلت: لا أحب إلا أن يصيبني ما أصاب المسلمين.

فذهبت إلى خالى أبى جهل ـ عمرو بن هشام بن المغيرة، وهو ابن عم أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ـ وكان شريفًا فيهم فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، فخرج إلىّ فقلتُ: أعلمت أنى قد صبوت؟ قال: أفَعلتَ؟ قلت: نعم، قال: لا تفعل، قلتُ: بلى، قال: لا تفعل، ثم دخل وأجاف الباب دونى، وتركنى، قلتُ: ما هذا بشىء.

فذهبت إلى رجل من أشراف قريش، فقرعت عليه بابه، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، فخرج إلىّ، فقلتُ: أشَعَرْتَ أنى قد صبوت؟ قال: أفعلتَ؟ قلت: نعم، قال: لا تفعل، ودخل وأجاف دونى الباب، فقلت: هذا ليس بشىء.

قال لى رجل: أتحب أن يُعْلم إسلامك؟ قلت: نعم. قال: إذا جلس الناس فى الحجر، جِئْتَ إلى ذلك الرجل (جميل بن معمر الجمحى) فجلست إلى جنبه وقلت: أعلمت أنى صبوت؟.

فلما جلس الناس فى الحجر، فعلتُ ذلك، فقام فنادى بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ.

وثار إلى الناس يضربوننى وأضربهم، فقام خالى ـ هشام بن المغيرة ـ فقال: ما هذ الجماعة؟ قالوا: ابن الخطاب قد صبأ، فقام على الحجر فقال: ألا إنى قد أجرتُ ابن أختى، فانكشف الناس عنى.

فكنت لا أزال أرى إنسانا يضرب ولا يضربنى أحد. فقلت: ألا يصيبنى ما يصيب المسلمين؟ فأمهلتُ حتى جلس الناس فى الحجر، فجئت إلى خالى، وقلت: اسمع، قال: ما أسمع؟ قلت: جوارك رد عليك، قال: لا تفعل يا ابن أختى، قلت: بلى هو ردٌّ عليك، فقال: ما شئت فافعل، فمازلتُ أُضرِب ويضربوننى حتى أعز الله الإسلام.

وأخرج ابن إسحاق بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما أسلم عمر رضى الله عنه قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحى، فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ـ حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمتُ ودخلت فى دين محمد ﷺ؟ قال: فوالله ما راجعه حتى

(١) هذا التعبير كناية عن كثرة من كان يضرب من المسلمين قويهم وضعيفهم.

قام يجـر رداءه، واتَّبعه عمر واتـبعته أنا حـتى قام على باب المسجد صـرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم فى أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، قال: يقول عمر من خلفـه: كذب ولكنى قد أسلـمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن مـحمـدًا رسول الله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم.

قال: وطلح - أى أعيا وتعـب - فقعد وقاموا على رأسه وهو يقـول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص مُوَشًّى، حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم، فقالوا: صبأ عمـر. قال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى يسملون إليكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه.

قال عبد الله: فقلت لأبى بعـد أن هاجر إلى المدينة، يا أبت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذلك - أى بُنَىّ - العاص بن وائل السهمى[١].

ورواه ابن كثير القرشى[٢].

وهو إسناد جيد عن ابن إسحاق رحمه الله.

* ومن الشواهد على نصـرة عمر رضى الله عنه للإسلام والمسلمين تلك الكلمات التى قالها عنه بعض الصحابة رضى الله عنه.

- روى البخـارى بسنده عن عبـد الله بن مسـعود رضى الله عنه قال: «مـا زلنا أعِزَّةً منذ أسلم عمر».

- وقال ابن مسعود - أيضًا - رضى الله عنه: «كان إسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة».

- وقال ابن مسعود أيضًا: «لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا».

---

(١) هو العاص بن وائل بن هاشم السـهمى القرشى أحد الحكام فى الجـاهلية وقد ظل على شركـه حتى مات وهو والد عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٢) ابن كثير القرشى: البداية والنهاية: ٣ / ٨٢.

- وقال صهيب - رضى الله عنه -: لما أسلم عمر - رضى الله - عنه جلسنا حول البيت حلقا، وطفنا، وانتصفنا ممن غلظ عمليا.

- وقال ابن مسعود رضى الله عنه: لما أسلم عمر - وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره - امتنع أصحاب النبى ﷺ به وبحمزة - رضى الله عنه -.

ثانيا:

المواساة

لم يكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثروة تشبه ثروة أبى بكر الصديق أو عثمان بن عفان أو عبد الرحمن بن عوف، ولذلك لم يستطع أن يواسى المسلمين بالمال فيشترى العبيد والإماء ويعتقهم كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ولكنه واساهم بأكثر مما واساهم سواه، حين كان أميراً للمؤمنين وفى يده بيت مال المسلمين، وقد تجلت هذه المواساة فى عام الرمادة.

عام الرمادة هو العام الذى أجدبت فيه شبه الجزيرة العربية كلها بسبب إمساك المطر، لمدة تسعة أشهر متوالية فى أخريات السنة السابعة عشرة، ومعظم السنة التى تليها، فهلك الزرع والضرع، وصارت الأرض سوداء مجدبة كثيرة التراب، فإذا تحركت الريح سفت رماداً، لذا سمى هذا العام عام الرمادة. وترتب على ذلك أن جاع الناس وهلكت الأنعام والماشية، وبالتالى أقفرت الأسواق فلم يعد فيها ما يباع ويشترى، فأصبحت الأموال فى أيدى أصحابها لا قيمة لها.

وطال الجهد واشتد البلاء، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها.

وهرع معظم سكان الجزيرة العربية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المدينة المنورة يجأرون بالشكوى.

وكانت المجاعة أو المشكلة أكبر مما يتصور الناس، وهنا تجلت مواساة عمر للمسلمين، فكتب إلى الولاة والعمال فى عواصم العالم الإسلامى آنذاك الشام والعراق ومصر يطلب منهم الأمداد.

وحفظ لنا التاريخ ما كتب إلى الولاة والعمال وكله لا يخرج فى معناه عما كتبه إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه والى بفلسطين آنذاك وهو: «سلام عليك! أما بعد أفترانى

هالكا ومَنْ قِبلَى، وتعيش أنت ومن قبلك! فياغوثاه، ياغوثاه. يا غوثاه».

وكلهم أجابه إلى مـا طلب، فكان مما أجاب به عمـرو بن العاص رضى الله عنه: «بسم الله الرحمن الرحيم... سلام عليك...

أما بعد: أتاك الغوث، فلبث لبث، لأبعثن إليك بعيرٍ أولها عندك وآخرها عندى..»

وقد واسى عمر رضى الله عنه بين المسلمين بما بعث به إليه الـولاة والعمال، فدعا الزبير ابن العوام رضى الله عنه وقال له: اخرج فى أول هذه العير فاسـتقبل بها نجداً، فاحمل إلىَّ أهل كل بيت قـدرتَ أن تحملهم إلىّ، ومن لم تستـطع حمله فمـر لأهل كل بيت ببعـير بما عليه.

فوالله لعلك ألا تكون أصبت بعـد صحبتك رسوله الله ﷺ شيئًا أفـضل منه... فاعتذر الزبير، فقال له عمر رضى الله عنه: أما والله لا تجد مثلها حتى تخرج من الدنيا...

ثم قام بهذا العمل وتلك المواساة أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه.

* قال أبـو هريرة رضى الله عنه: يرحم الله ابن حنتمـة، لقد رأيتـه عام الرمـادة، وإنه ليحمل على ظهره جِرَابَيْن وعكَّة[(١)] زيت فى يده وإنه ليعتقب[(٢)] هو وأسلم[(٣)]، فلما رآنى قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريبًا.

قال أبو هريرة: فأخذت أعقبه، فـحملناه حتى انتهينا إلى صرار فإذا صِرْم[(٤)] نحو عشرين بيتًا من محارب -وهى قبيلة- فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد.

قال أبو هريرة: فرأيت عـمر طرح رداءه، ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شـبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعـرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم، ثم لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهـم حتى رفع الله ذلك»[(٥)].

* وقال مالك بن أوس - من بنى نصر - لما كان عام الرمـادة، قدم على عمر قومى: مائة بيت فنزلوا بالجـبانة، فكان عـمر يطعم الناس من جـاءه، ومن لم يأت أرسل إليه بالـدقيق والتمـر والأدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومى بما يصلحـهم شهرًا بشـهر، وكان يتـعاهد

(١) العكة: وعاء يوضع فيه السمن أصغر من القربة.
(٢) يعتقب البعير أو غيره يتناوب الركوب عليه مع غيره.
(٣) أسلم هو خادم عمر رضى الله عنهما.
(٤) صِرْم: أى جماعة وصرار: موضع به بئر.
(٥) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٤٦.

مرضاهم وأكفان من مات منهم[1] . فهل تكون المواساة للناس أكثر من ذلك؟.

* وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى قال: أُتِيَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخبز مفتوت بسمن -عام الرمادة- فدعا رجلاً بدويا فجعل يأكل معه، فجعل البدوى يتبع باللقمة الودك[2] فى جانب الصحفة، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك؟ فقال: أجل، ما أكلت سمنًا ولا زيتا ولا رأيت آكلا له منذ كذا وكذا إلى اليوم.

فحلف عمر رضى الله عنه؛ لا يذوق لحما ولا سمنًا حتى يحيا الناس، فكان بذلك حتى أحيا الناسُ من أول الحيا «والحيا: الخصب والمطر».

* وعن أنس رضى الله عنه قال: تقرقر بطن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- عام الرمادة وكان يأكل الزيت وقد حرم على نفسه السمن، فنقر بطنه بأصبعيه وقال: تَقَرْقَرْ، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس»[4].

* ولم تكن مواساة عمر للمسلمين مقصورة على عام الرمادة، وإنما كانت فى جميع الأعوام، وفى سيرته كثير من المواقف التى واسى فيها المسلمين، ومن ذلك ما رواه مؤرخو سيرته فيما يلى:

ـ أخرج البخارى والبيهقى بسنديهما عن أسلم قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابّة فقالت: يا أمير المؤمنين: هلك زوجى وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعا[5] ، ولالهم زرع ولا ضرع وخشيت أن يأكلهم الضبع ـ أى السَّنة المجدبة ـ وأنا بنت خفاف بن أيماء الغفارى ـ رضى الله عنه ـ وقد شهد أبى الحديبية مع النبى ﷺ.

فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب ـ ثم انصرف إلى بعير ظهير ـ أى قوى الظهر ـ كان مربوطًا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وجعل بينهما نفقة وثيابًا ثم ناولها خطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، فقال: ثكلتك أمك، شهد أبوها الحديبية مع النبى ﷺ، والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها وقد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحاه، ثم أصبحنا

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: القسم الثالث: ١ / ٢٩١.

(٢) الودك: الدسم. (٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١: ٢٢.

(٤) أبو نعيم الأصبهانى حلية الأولياء: ١: ٤٨ مرجع سابق.

(٥) الكراع: ذراع الشاة ـ والتعبير كناية عن أنهم لا يستطيعون أبسط الأشياء لصغرهم.

نستفىء سهماننا فيه»[١].

* وقال الطبرى فى تاريخه: قال أسلم: خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى حرّة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث، قال: يا أسلم إنما أرى ها هنا ركبانًا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان، وقِدْر منصوبة على نار، وصبيان يتضاغون[٢]، فقال عمر: السلام عليكم أهل الضوء ـ وكره أن يقول يا أصحاب النار ـ فقالت: وعليكم السلام، فقال: أأدنو؟ فقالت: ادن بخير أو دع، فدنا منها فقال: ما بالكم؟ قالت: قصرً بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأى شىء فى القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر.

فقال: أى رحمك الله وما يدرى عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟.

فأقبل علىّ، فقال: انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدْلا [٣] من دقيق وكبة من شحم، وقال: أحمله علىّ، قلت: أنا أحمله عنك. قال: أنت تحمل وزرى يوم القيامة لا أمًّ لك!!!

فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها: ذُرّى علىّ وأنا أحُرّ لك[٤] وجعل ينفخ تحت القدر -وكانت لحيته عظيمة- فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم، ثم أنزلها، وقال: ابغنى شيئًا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها، فجعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم[٥]. فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك وقام وقمت معه.

فجعلت تقول: جزاك الله خيرًا، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين، فيقول: قولى خيرًا، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله...»[٦].

* وذكر ابن سعد بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: قدمت رفقة من

---

(١) أبو عبيدة: الأموال. ونستفى وأى نطلب فيئنا اى نصيبنا من الفىء.

(٢) يتضاغون: يتصايحون من الجوع.

(٣) العدل: الغرارة وهى وعاء من الخيش يوضع فيه القمح والدقيق ونحوهما.

(٤) أحرّ لك: أى أحرك لك الدقيق ليصيره حريرة.

(٥) أى أبسط لهم الطعام ليبرد.

(٦) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٠.

التجار فنزلوا المصلى، فقال لى عمر: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبى، فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتقى الله وأحسنى إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه فقال: اتقى الله وأحسنى إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه، فأتى أمه فقال: ويحك إنى لأراك أم سوء، مالى أرى ابنك لا يَقَرّ منذ الليلة؟ قالت: يا عبد الله قد أبرمتنى[1] منذ الليلة، إنى أُريغه[2] عن الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرًا، قال: ويحك لا تعجليه.

فصلى الفجر، وما يستبين الناس قراءته من غلبه البكاء، فلما سلم قال: يا بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديا فنادى: أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق»[3].

وهذه هى الأخوة فى الإسلام عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه تجلت فى النصرة والمواساة اللتين آخى الرسول ﷺ بينهم عليها.

جـ- عثمان بن عفان رضى الله عنه

لُقب بذى النورين لتزوجه من بنتى النبى ﷺ رقية ثم أم كلثوم رضى الله عنهما.

وهو رضى الله عنه ذو الهجرتين، والذى صلى إلى القبلتين، وهو أكثر المسلمين حياء وسماحة وبذلا، ومن أكثرهم تعبدًا وتهجدًا، وحسبه أن قال فيه رسول الله ﷺ: «**أشد أمتى حياء عثمان بن عفان**»[4].

وقال عنه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

وقرأ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]. قال: هو عثمان بن عفان رضى الله عنه.

---

(١) أى أضجرتنى.

(٢) أُريغه: أى أرواغه وألهيه عنه.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١ / ٢١٧.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما وهو حديث صحيح.

* وقد تمثلت الأخوة فى الإسلام فى عثمان رضى الله عنه فى النصرة والمواساة ـ كما علمهم إياها رسول الله ﷺ ـ.

* ولم تكن نصرته للمسلمين تأخذ الشكل الفردى بقدر ما كانت تأخذ الصورة الجماعية، فقد نصر الإسلام نفسه فى عديد من المواقف، وحسبه فى ذلك ما تحمله من عناء حين دخل فى الإسلام وهو من أسرة ظل كبارها على الشرك والمعاداة الضارية لرسول الله ﷺ حتى ماتوا على كفرهم وعنادهم من أمثال: عقبة بن أبى معيط والحكم بن العاص ـ عم عثمان ـ وهو طريد رسول الله ﷺ حيث أبى أن يساكنه بالمدينة.

* كما لم تكن مواساته للمسلمين مواساة رجل غنى لرجل فقير فحسب، وإنما كانت مواساة للمسلمين جميعًا فى مواقف عديدة.

ولنذكر بعض هذه النماذج فى النصرة والمواساة الدالتين على فقهه العميق للأخوة فى الإسلام.

أولاً: النصرة

من أوضح ما كان نصره للإسلام ولرسوله ﷺ أن لزم النبى ﷺ منذ أسلم، لم يفارقه إلا فى هجرة أذن له فيها، أو فى مهمة من المهام لا يصلح لها أحد كما يصلح عثمان رضى الله عنه ـ، مثل يوم بعثه إلى مشركى مكة فى الحديبية، وعندها أشيع أن المشركين قتلوه، فعقد الرسول ﷺ مع المسلمين بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة، وفى هذه البيعة على الموت فى سبيل الله وضع رسول الله يده اليمنى على يده اليسرى وقال: هذه بيعة عثمان!!.

* ومن نصرته للإسلام والمسلمين أن رسول الله ﷺ لما ندب المسلمين لغزوة تبوك لم يكن عندهم من المال ما يقوم بنفقاتها، لبعد شقتها واشتداد الغيظ فى وقت الخروج إليها، فتكفل عثمان بن عفان رضى الله عنه بثلث نفقاتها نصرة للإسلام فى معاركه ضد الكفر، وتبرع للمجاهدين بالمطايا والأطعمة نصرة لهم على خوض تلك المعركة.

* ومن نصرته للإسلام والمسلمين ما نجمله فى كلمات يحتاج تفصيلها إلى شرح وإسهاب، وتلك الكلمات بعد تصفح تاريخ عثمان رضى الله عنه فى نصرة الإسلام والمسلمين هى ـ أنه رضى الله عنه منذ أسلم يوم كان الإسلام لا يدين به إلا عدد قليل من المؤمنين حتى اضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين، ومنذ صاحب الإسلام فى جهاده لأعدائه وما حققه الله على أيدى المسلمين من فتوح وانتصارات حتى عم الجزيرة العربية

كلها قبيل وفاة النبى ﷺ، واستمر فى هذه المصاحبة للجهاد والتأييد والبذل فى معارك المسلمين فى عهدى الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وبخاصة فى حروب الردة وفتوح بلاد فارس وبلاد الروم.

كان رضى الله عنه فى هذه المسيرة الإسلامية يناصر الإسلام والمسلمين بسيفه وماله ومشورته، وتضحيته التى قل أن تجد له نظيرًا، حتى لقد قال له رسول الله ﷺ حين أعان فى تجهيز الجيش لغزوة تبوك، وتبرعات عثمان رضى الله عنه تنهال وتتنوع، قال له: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا» وفى رواية عن عبد الرحمن بن سمرة قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يقلب الدنانير التى نشرها عثمان بين يدى: «ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم».

ثانيا: المواساة

أما مواساته للمسلمين فكانت أوسع وأشمل من مواساة غيره من الصحابة، لا لكثرة ماله ولكن لحيائه وسماحته، وحسبه فى هذا المجال أن ترك تجارته الواسعة لمن يتولاها من قومه وذوى قرباه مؤثرا أن يتفرغ هو لصحبة النبى ﷺ ليكون فى كل موضع يندب فيه النبى ﷺ للبذل والعطاء.

قال كتاب السير: إن عثمان رضى الله عنه جعل بيته بيتًا لمال المسلمين أيام أن لم يكن للمسلمين بيت مال، وماذا يقدم بيت المال للمسلمين غير المواساة والعطاء فى السلم والحرب فكان عثمان رضى الله عنه ينهض وحده بما يجب أن ينهض به بيت مال المسلمين، وعند التدقيق؛ نجده أول ناهض بهذا العبء من الصحابة.

فهل هناك مواساة أعظم من هذه المواساة؟.

* وإذا كان لابد من ضرب الأمثلة على مواساة عثمان رضى الله عنه لإخوانه فى الإسلام، فتلك هى الأمثلة:

- بئر رومة:

عندما شكا المهاجرون تغير الماء فى المدينة المنورة، لم يجدوا إلا بئر رومة وحدها من آبار المدينة، التى تعطى ماء عذبًا مستساغًا، لكنها ملك لواحد من اليهود، وكان يبيع ماءها لمن أراد أن يستقى منها.

وهنا يظهر سخاء عثمان لإخوته فى الإسلام فيعزم على أن يشترى بئر رومة، ولكن

صاحبها اليهودى يأبى إلا أن يبيع نصفها فقط، ويغالى فى ثمنه فيشترى عثمان رضى الله عنه نصف البئر، ويبيح لمن أراد السقيا أن يستقى بغير ثمن، وكان قد قسم البئر بينه وبين اليهودى يومًا ويومًا.

فوجد اليهودى نفسه لا يبيع فى يومه لأن الناس أخذوا بالأمس بغير ثمن، فيضطر إلى أن يبيع نصفه إلى عثمان بثمن قليل فيشتريه عثمان، ويهب ماء البئر لكل مستق جميع الأيام!!!

* ومن مواساته للمسلمين جميعًا أن رسول الله ﷺ قال: من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة، فاشترى عثمان رضى الله عنه أرضًا ليزيدها فى بناء المسجد بذل فيها عشرين ألف درهم.

* وقال الأصبهانى فى الحلية: حدثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بسنده عن شرحبيل بن مسلم[1] قال: كان عثمان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت» .

ـ وهذا الرجل الثرى الواسع الثراء، أين كان يذهب بثروته وهو يأكل فى بيته الخل والزيت، ويلبس فى خطبة الجمعة وهو يخطب المسلمين إزارًا عدنيًا غليظًا ثمنه أربعة دراهم أو خمسة؟.

أين يذهب بهذا إن لم يكن يواسى به إخوانه فى الإسلام المجاهدين الذين لا يجدون مئونة الجهاد من زاد وراحلة وسلاح، وغير المجاهدين ممن يشترون ماء الشرب؟.

* وسياسة عثمان رضى الله عنه فى مواساة المسلمين تتضح بأجلى صورة فى كتابه إلى عماله ـ وهو أمير المؤمنين ـ:

* أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة.

وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء.

ألا وإن عَدْل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فتعطوهم الذى لهم، وتأخذوا بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة ـ أى أهل الذمة ـ فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم، ثم العَدُوّ الذى تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء».

(١) هو تابعى أدرك خمسة من الصحابة أصله من اليمن وسكن الشام..

هذه مواساة لأصحاب الحقوق إذ يوجب على ولاته أن يعطوا الحقوق لأصحابها مسلمين وذميين وأعداء، ومن أعطى حقه قام بواجبه، وما يهضم الحقوق بيسر وسهوله إلا ظلمة الولاة والحكام، ولا يعرف للناس حقوقهم إلا من يريدون أن يعدلوا فى الناس ويواسونهم.

د ـ على بن أبى طالب رضى الله عنه

روى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علىّ لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة: أنت أول المؤمنين بالله إيمانا، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية يوم القيامة».

* وسيرة علىّ رضى الله عنه لا تشبهها سيرة فى حب الناس له حتى يخرجوا بهذا الحب عن الشريعة والعقل، وفى بغض بعضهم إياه حتى يدخلوا بهذا البغض فيما حرمت الشريعة ومنع العقل، ولقد أدرك الإمام على رضى الله عنه هذه المغالاة فى حبه أو بغضه فقال: «ليحبنى أقوام حتى يدخلوا النار فى حُبىّ، ويبغضنى أقوام حتى يدخلوا النار فى بغضى».

* وحسب علىّ رضى الله عنه شرفًا وفخارًا أن رسول الله ﷺ آخى بين على ونفسه ﷺ، وأنه قال له: «يا علىّ أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس بعدى نبى» رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة بأسانيدهم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

* ونحاول هنا أن نذكر لعلى رضى الله مواقف فى نصرة دين الله ورسوله ﷺ، ونصرة المسلمين، ومواقف فى مواساته للمسلمين.

والنصرة والمواساة كما قلنا غير مرة هما لب الأخوة فى الإسلام ودعامتاها اللتان تقوم عليهما، واللتان لا أخوة فى الله إلا بهما، كما علمهم رسول الله وهو يؤاخى بينهم فى الإسلام.

أولاً: النصرة

نصرة الله ورسوله ودينه لابد أن تكون أوضح ما تكون فى على بن أبى طالب الذى درج منذ طفولته فى بيت النبوة.

* وكان علىّ بن أبى طالب دون الخامسة عشرة من عمره يوم نام فى مكان رسول الله

ﷺ ليلة الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

* أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: «... ثم إن مشركي مكة أجمعوا أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن رسول الله ﷺ خارج... فأجمعوا أمرهم على أن يأخذوا رسول الله فإما أن يقتلوه وإما أن يسجنوه وإما أن يخرجوه، وإما أن يوثقوه. فأخبره الله عز وجل بمكرهم فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وبلغه - ﷺ - ذلك اليوم الذي أتى فيه دار أبي بكر رضي الله عنه أنهم مبيتوه إذا أمسى على فراشه.

وخرج من تحت الليل هو وأبو بكر قبل الغار بثور وعمد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرقد على فراشه يواري عنه العيون.

وبات المشركون من قريش يختلفون ويأتمرون؛ إن نجثم على صاحب الفراش فنوثقه، فكان ذلك حديثهم حتى أصبحوا فإذا علي رضي الله عنه يقوم عن الفراش فسألوه عن النبي ﷺ، فأخبرهم أنه لا علم له به...».

فهل هناك نصرة أكبر من التعرض لهذا الموت المحقق؟.

* أخرج البيهقي عن ابن إسحاق قال: خرج عمرو بن وَدّ - العامري القرشي - وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا لها يا نبي الله، فقال: إنه عمرو، اجلس، ثم نادى عمرو الثانية والثالثة وعلي رضي الله عنه يقول: أنا يا نبي الله، ثم أذن له رسول الله ﷺ، فقام ومشى إليه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ، قال: ابن عبد مناف (هو من أسماء أبي طالب) قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسنّ منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي رضي الله عنه: ولكني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبًا واستقبله عليّ بدرقته فضربه عمرو في درقته فقدها، وأنبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أن عليًا رضي الله عنه قد قتله... ثم أقبل عليّ رضي الله عنه نحو رسول الله ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هَلاّ استلبته درعه؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها، فقال: ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه» فهذه نصرة لله ولرسوله وللمسلمين بقتل أعدائهم.

* وذكر البيهقي بسنده عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فذكر حديثًا طويلاً...

وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ يدعوه وهو أرمد، وقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله. قال: فجئتُ به أقوده فبصق رسول الله ﷺ فى عينه فبرأ، فأعطاه الراية...

فبرز له مرحب - وهو من شجعان يهود - فبرز له على رضى الله عنه فضربه ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح.

وأخرجه الإمام أحمد بسنده عن عليّ رضى الله عنه.

* وأى نصر لله ولرسوله وللمسلمين من فتح خيبر أعتى حصون اليهود، فقد أخرج ابن إسحاق بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه - مولى رسول الله ﷺ - قال: خرجنا مع عليّ رضى الله عنه إلى خيبر، فبعثه رسول الله ﷺ برايته.

فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول على رضى الله عنه باب الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه.

ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه.

ثانيا: المواساة

وهى الدعامة الثانية للأخوة فى الدين التى آخى الرسول ﷺ فيها بين أصحابه، فى مكة أولاً، ثم فى المدينة بعد الهجرة إليها.

وسوف نذكر من هذه المواساة التى قدمها عليّ رضى الله عنه بعض النماذج سائلين الله التوفيق.

* لقد واسى رسول الله ﷺ، ومن واسى رسول الله فقد واسى المسلمين جميعًا.

أخرج ابن عساكر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أصابت نبيَّ الله ﷺ خصاصة - أى فقروحاجة - فبلغ ذلك عليًا رضى الله عنه، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئًا ليغيثَ رسول الله ﷺ، فأتى بستانا لرجل من اليهود، فاستسقى له سبعة عشر دَلْوًا على كل دلو تمرة، فخيّره، اليهودى على تمره، فأخذ سبع عشرة عجوة، فجاء بها إلى النبى ﷺ، فقال: «من أين لك هذا يا أبا الحسن؟» قال: بلغنى ما بك من الخصاصة يا نبى الله، فخرجت ألتمس لك عملاً لأصيب لك طعامًا.

قال: «حملك على هذا حب الله ورسوله؟ قال: نعم يا نبى الله...».

* ولقد واسى علىّ رضى الله عنه أبا بكر غداة اختاره المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ، برفضه مقالة أبى سفيان فى أبى بكر وبنى تيم، فواسى بذلك المسلمين جميعًا.

أخرج ابن عساكر بسنده عن سويد بن غفلة رضى الله عنه قال: دخل أبو سفيان على علىّ والعباس رضى الله عنهم فقال: يا علىّ، وأنت يا عباس، ما بال هذا الأمر فى أذَل قبيلة من قريش وأقلها - يقصد بنى تيم وهم قوم أبى بكر رضى الله عنه - والله، لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً، فقال له علىّ: لا والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً، ولولا أنا رأينا أبا بكر أهلاً ما خليناه وإياها.

يا أبا سفيان: إن المؤمنين قوم نصحة بعضهم لبعض، متوادون وإن بعدت ديارهم وأبدانهم، وإن المنافقين قوم غششة بعضهم لبعض».

لقد واسى علىّ بهذه الكلمات المؤمنة المخلصة لله ولرسوله ولدينه، واسى المسلمين جميعًا إذ جنبهم فتنة لو لم يجمعوا على بيع أبى بكر رضى الله عنه.

وعذر أبى سفيان فيما قال أنه رجل حديث عهد بدخوله الإسلام، ولا تزال العصبية القبلية تسيطر على تفكيره، لولا أن عليا رضى الله عنه رده إلى الصواب فعاد إليه.

* ومن مواساته للصديق رضى الله عنه، ما رواه كُتاب السِّيَر، عن عائشة رضى الله عنه قالت: خرج أبى شاهرًا سيفه راكبًا راحلته إلى ذى القَصَّة، فجاء علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأخذ بزمام راحلته وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله يوم أُحد: شِمْ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدًا.

فرجع أبو بكر رضى الله عنه وأمضى الجيش.

وكان عزم أبى بكر أن يسير مع الجيش جهادًا فى سبيل الله تعالى.

* ومن مواساته أنه ما كان يُسأل إلا أعطى وأجمل.

أخرج البيهقى بسنده عن عيسى بن عبد الله الهاشمى عن أبيه عن جده قال: أتَتْ عليًا رضى الله عنه امرأتان تسألانه عربية ومولاة لها، فأمر لكل منهما بِكُرٍّ من طعام وأربعين درهما أربعين درهما، فأخذت المولاة الذى أعطيت وذهبت، وقالت العربية: يا أمير المؤمنين؛ تعطينى مثل الذى أعطيت هذه وأنا عربية وهى مولاة؟ فقال لها علىّ رضى الله عنه: إنى نظرت فى كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق

عليهما السلام.

وهذه التسوية فى المواساة بين العربية وغير العربية مواساة أعمق وأدل على العدل والسماحة، وهكذا كان شأن الإمام على رضى الله عنه.

* وإذا كانت المواساة عنده قد شملت العربية وغير العربية على السواء، فإنها لكذلك مساواة بين المسلم وغير المسلم فى الحقوق، حتى لو كان غير المسلم يقف بين يدى القضاء فى خصومة مع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب!!!

ذكر المؤرخون وعلماء السِّيَرَ أن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وجد دِرْعَه عند رجل نصرانى، فأنكر الرجل أن الدرع لأمير المؤمنين، فأقبل به إلى شريح - قاضيه - يخاصمه مخاصمة رجل من عامَّة رعاياه، وقال: إنها درعى ولم أبع ولم أهب، فسأل شريح النصرانىَّ: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟.

قال النَّصْرانى: ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب!!!

فالتفت شريح إلى علىّ يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بيِّنة؟

فضحك علىّ وقال: أصاب شريح. مالى بينة.

فقضى شريح بالدرع للنصرانى فأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه...

غير أن النصرانى لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أمَّا أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء؛ أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه يقضى عليه!!! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. والدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، ابتعت الحسين وأنت منطلق إلى صفِّين فخرجت الدرع من بعيرك الأورق، فقال على رضى الله عنه: أما إذا أسلمتَ فهى لك.

وشهد الناس هذا الرجل بعد ذلك وهو من أصدق الجند بلاءً فى قتال الخوارج يوم النهروان.

ثانيا: الأنصار

الأنصار أهل المدينة رضى الله عنهم

ضرب الأنصار رضى الله عنهم فى نصرة الدين ونصرة الرسول ﷺ أروع الأمثال.

ولقد كان الصحابة جميعًا أنصارًا لله ولرسوله ولكن هذا اللقب اختص به أهل المدينة المنورة لما أبلوا فى سبيل النصرة من بلاء حسن، ملأ سمع الدنيا، وجعلهم موضع حب

رسول الله ﷺ، ولكأنما جبل الله الأنصار على الكرم وحسن الإيواء وكريم الاستقبال.

روى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار، أو نزلت بين أبويها**».

وأخرج أبو هلال العسكرى فى: «الأمثال» عن أنس رضى الله عنه قال: قُدِمَ على رسول الله ﷺ بمال من البحرين، فتسامعت به المهاجرون والأنصار، فغدوا إلى رسول الله ﷺ، وذكر حديثًا طويلاً فيه: وقال رسول الله ﷺ للأنصار: «**إنكم ما علمت: تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع**».

* ولقب الأنصار سماهم به الله تعالى، ولم يكونوا يعرفون به قبل الإسلام، قال الله تعالى: ﴿. . . وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وعن غيلان بن جرير قال: قلت لأنس رضى الله عنه: أرأيت اسم الأنصار، كنتم تسمَّون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله عز وجل» رواه البخارى فى باب مناقب الأنصار.

وروى أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق**».

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس فى واد أو شعب وسلكت الأنصار واديا أو شعبًا لسلكت وادى الأنصار وشعبهم**».

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: مرَّ أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكر مجلس النبى ﷺ منَّا، فدخل أبو بكر على النبى ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشى وعيبتى، وقد قضوا الذى عليهم، وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**» ورواه مسلم والنسائى وأبو داود.

وكان دخول الأنصار فى الإسلام فى بيعة العقبة الأولى حيث عرض عليهم رسول الله ﷺ دعوته فقبلوها وواعدوه الموسم من العام المقبل.

وكان هؤلاء أصحاب بيعة العقبة الأولى ـ ستة نفر هم:

ـ أسعد بن زرارة من بنى النجار.

- وعوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - من بنى النجار.

- ورافع بن مالك بن العجلان، وهو أول من أسلم من الأنصار.

- وقُطبة بن عامر من بنى سلمة.

- وعقبة بن عامر من بنى حرام.

- وجابر بن عبد الله من بنى عبيد رضى الله عنهم.

* وفى العام الذى يليه حضر إلى رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً هم أصحاب بيعة العقبة الثانية، فبايعوا رسول الله ﷺ وهم:

- أسعد بن زرارة.

- وعبادة بن الصامت.

- والعباس بن عبادة بن نضلة.

- وقطبة بن عامر.

- وعقبة بن عامر.

- وعوف بن الحارث.

- وعويم بن ساعدة.

- ومالك بن التَّيهان.

- ومعوِّذ بن الحارث.

- ويزيد بن ثعلبة.

- وذكوان بن عبد قيس الزرقى.

- ورفاعة بن عبد المنذر.

* وفى بيعة العقبة الثالثة كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً، وامرأتين.[1] وهى العقبة الأخيرة وهى بيعة الحرب. ثم كانت هجرة الرسول ﷺ إليهم فى المدينة المنورة.

* ونحن نرصد هنا فى الأنصار رضى الله عنهم دعامتى الأخوة فى الإسلام وهما النصرة والمواساة.

---

(١) انظر أسماء الثلاث والسبعين فى: ابن هشام: السيرة النبوية: ١ / ١٥٤ ط الحلبى القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.

أولاً: النصرة

وكانت نصرتهم لله ولرسوله ولدينه أوضح ما تكون في بيعتهم لرسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة بعد أن طلب الرسول ﷺ منهم أن يختاروا اثنى عشر نقيبًا ليبايعوه عن الثلاثة والسبعين.

ونص هذه البيعة كما قال ابن إسحاق:

لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة -أخو بنى سالم بن عوف-: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم.

قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إن أنهكتْ أموالكم مصيبةٌ وأشرافكم قتلاً أسلمتوه، فمن الآن، فهو والله -إن فعلتم- خزى الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو - والله - خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.

فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا؟

قال: «الجنة».

قالوا: ابسط يدك فبسط يده فبايعوه.

* وكانت بيعة النبى ﷺ على السمع والطاعة وعلى النصرة والمواساة، وعلى الجهاد في سبيل الله وعلى الموت.

* وكان من نصرتهم لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين موقفهم وجهادهم في معركة بدر الكبرى.

فقد ذكر أصحاب السِّيَر أن الرسول ﷺ استشار الناس وأخبرهم عن قريش وما أعدت للمعركة، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر رضى الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى

برك الغماد ـ موضع باليمن ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا علىّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار... فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.

قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُرٌ فى الحرب، صُدُق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسُرَّ رسول الله بقول سعد ونشطه ذلك، وقال: سيروا، وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم.

فأى نصرة أعظم من ذلك.

وكذلك كانت نصرتهم فى معركة أحد، وفى الخندق، وفى خيبر، وفى الفتح، وفى حنين، وفى تبوك، وفى كل معركة خاضها رسول الله ﷺ.

* وقد استشهد من الأنصار فى معركة بدر أربعة وعشرون رجلاً، وفى أحد كان منهم أكثر الشهداء، وكذلك فى كل معركة خاضوها مع رسول الله ﷺ.

وإن مواقفهم فى نصرة الإسلام والمسلمين لأكثر من أن أحصيها فى هذه الصفحات، ولكنها تلتمس فى كتب السيرة النبوية وكتب التاريخ الإسلامى.

* وأكبر النصرة للإسلام والمسلمين ما قام به الأنصار من قطع حبالهم مع اليهود، ومشاركتهم فى حربهم وإجلائهم عن المدينة كما حدث أن أُجْلى بنو النضير بعد غدرهم سنة أربع، وبنو قريظة وحصارهم ونزولهم على حكم سعد بن معاذ، وكان الرسول ﷺ قد حاصر بنى قينقاع حلفاء الخزرج، كما كانت بنو قريظة حلفاء الأوس.

فقطع الأنصار كل هذه الحبال مع اليهود نصرة لله ولرسوله وللمسلمين، بل إن منهم من قتل كعب بن الأشرف وغيره من أعداء الإسلام من يهود.

ثانيًا: المواساة

مواساة الأنصار للمهاجرين سوف تظل درة متلألئة فى سماء الأخوة فى الإسلام إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ـ روى الإمام أحمد والبخارى وأبو داود الطيالسى والطبرانى بأسانيدهم عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: **لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمواساة...».**

ـ وروى الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال: قال المهاجرون: **«يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم، أحسن مواساة فى قليل، ولا أحسن بذلا من كثير، لقد كفونا المئونة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله.**

قال: **«لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم».**

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قالت الأنصار للنبى ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: **«لا».**

فقال المهاجرون: أفتكفوننا المئونة ونشرككم فى الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ للأنصار: **«إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم».**

فقالوا: أموالنا بيننا قطائع ـ أى نتقاسمها ـ فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل[1] فتكفونهم وتقاسمونهم التمر» قالوا: نعم.

ـ وأخرج البزار بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: كانت الأنصار إذا جزوا نخلهم قسم الرجل تمره قسمين أحدهما أقل من الآخر، ثم يجعلون السعف مع أقلهما، ثم يخيرون المسلمين (أى المهاجرين) فيأخذون أكثرهما ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السعف، حتى فتحت خيبر.

فقال رسول الله ﷺ: **«قد وفيتم لنا بالذى كان عليكم، فإن شئتم أن تطيب أنفسكم**

---

(١) أى العمل فى الزراعة.

بنصيبكم من خير وطيب ثماركم، فعلتم».

قالوا: إنه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة، قد فعلنا الذى سألتنا بأن[1] لنا شرطنا. قال: «فذلكم لكم».

ـ وأخرج البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: دعا النبى ﷺ الأنصار أن يُقْطع لهم البحرين، قالوا: لا إلاَّ أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «أمَّا لا فاصبروا حتى تلقونى[2] فإنه سيصيبكم أَثَرةٌ».

ومن هؤلاء الأنصار رضى الله عنهم من نذكر طرفًا من أخوتهم فى الله التى تمثلت فى النصرة والمواساة فيما يلى:

نماذج من الأخوة فى الله عند الأنصار رضى الله عنهم

أ ـ سعد بن معاذ رضى الله عنه.

أسلم على يد مصعب بن عمير رضى الله عنهما، فأسلم بإسلامه قومه بنو عبد الأشهل، وهى أول دار أسلمت من الأنصار.

ـ ومن نصرته أنه أبلى بلاءً حسنًا فى بدر[3] وأحد، وثبت مع النبى ﷺ فى أحد، وحضر الخندق، ورأى غدر بنى قريظة، وفى معركة الخندق رماه رجل من المشركين بسهم فأصاب أكحله، وعلّ عليه جرحه، وبعث الله الريح على المشركين، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صياصيهم.

ورجع رسول الله ﷺ المدينة وأمر بقية من أدم فضربت على سعد بن معاذ فى المسجد.

وجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال له: اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم، فلبس رسول الله ﷺ، لامة الحرب وأذن فى الناس بالرحيل.

وحاصر رسول الله ﷺ بنى قريظة خمسًا وعشرين ليلة، فلما اشتد عليهم البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ... فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ ـ وكانوا حلفاءه ـ فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فحمل إليه، وحف به قومه فجعلوا

---

(١) وفى رواية: على أن لنا شرطنا.

(٢) أى على الحوض يوم القيامة.

(٣) حيث أجاب رسول الله ﷺ حينما قال: أشيروا على أيها الناس فقال كلمته الذى ذكرنا آنفا ـ ومنها: لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك.

يقـولون: يا أبا عمـرو، حلفـاؤك ومواليك ومن قـد علمتَ... حـتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم.

فقال له رسول الله ﷺ: احكم فيهم. قال: فإنى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله وبحكم رسوله».

ومات سعد رضى الله عنه من أثر هذا الجرح، وروى البخارى بسنده عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ».

ب ـ أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه

شهد العقبة مع السبعين، ونزل عليه رسول الله ﷺ حين انتقل من قُباء إلى المدينة، فنزل رسول الله ﷺ فى سفل الدار وأبو أيوب فى العلـو فرفض أبو أيوب أن يعلو سقيفة تحـتها النبى ﷺ، فتحول رسول الله ﷺ إلى العلو وتحول أبو أيوب إلى السفل.

ـ من نصرته: أن شـهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلهـا وأبلى فيها أحـسن بلاء، وأنه حرس رسول الله ﷺ عندما كانت معه صفية، حيث لم يأمنها على رسول الله ﷺ، فلما أحس به رسول الله ﷺ؛ دعا له بالرحمة مرتين.

ـ ومن مواساته؛ نزوله عن بيته لرسول الله ﷺ.

جـ ـ سعد بن عبادة رضى الله عنه

هو أحد النقباء شهد العقبة مع السبعين، وأمه عمرة بنت مسعود إحدى المبايعات.

ـ ومن نصرته لله ولرسوله وللمـسلمين أن شهد المشاهد كلهـا ما عدا بدرًا فإنه تهيأ فـيها للخروج فلدغ فأقام ـ وأبلى فى هذه المواقع بلاء حسنًا.

ـ ومن مواساته رضى الله عنه للمسلـمين أنه كانت له جفنة تدور مع رسول الله ﷺ فى بيوت أزواجه .

وعن محمد بن سـيرين (٣٣ ـ ١١٠ هـ) من التابعين، قال: كان أهل الصـفة إذا أمسوا انطلق الرجل ـ من الصـحابة ـ بالرجل من أهل الصـفة ليطعمـه، وانطلق الرجل بالرجلين

والرجل بالخمسة، فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة.

وعن عروة بن الزبير عن أبيه رضى الله عنهما أن سعد بن عبادة رضى الله عنه كان يدعو: اللهم هب لى حمدًا وهب لى مجدًا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحنى القليل ولا أصلح له.

وهو أحد النقباء الاثنى عشر، وهو سيد الخزرج.

وتوفى بحوران من أرض الشام فى خلافة عمر رضى الله عنه.

د ـ أبو عقيل عبد الرحمن بن ثعلبة رضى الله عنه

شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأبلى فيها أحسن البلاء، وشارك يوم اليمامة، وجرح فى هذه المعركة جراحة بالغة، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة النصرة والجهاد حينما سمع المنادى يقول: يا للأنصار.

ـ ومن نصرته رضى الله عنه للإسلام والمسلمين أن حارب مسليمة الكذاب باليمامة.

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جُرح أبو عقيل، رمى بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فى غير مقتل، فأخرج السهم وَوَهَن بسببه شقه الأيسر فى أول النهار، وجر إلى الرجل.

فلما حمى القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدىّ يصيح: يا للأنصار، الله الله، والكرة على عدوكم.

فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقيل له: ما تريد؟ ما فيك قتال: قال: قد نوه المنادى باسمى، فقيل له: إنما يقول يا للأنصار، ولا يعنى الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبوا.

فتحزّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادى يا للأنصار، كرة كيوم حنين فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال عبد الله بن عمر: فنظرت إلى أبى عقيل، وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا، كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتِل عدوُّ الله مسليمة.

قال ابن عمر رضى الله عنه: فوقفت على أبى عـقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقـيل، قال: لبيك بلسـان ملتاث، لمن الدَّبرَة[1]؟ قلت: ابشـر، قتل عـدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله.

قال ابن عـمر: فأخـبرت عمر ـ رضى الله عنهـما ـ بعد أن قـدمت، خبره كله، فـقال: رحمه الله ما زال يسعـى للشهادة ويطلبها، وإن كان ـ ما علمت ـ من خيـار ـ أصحاب نبينا ﷺ، وقديم إسلامهم رضى الله عنه.

هـ ـ عمير بن الحُمام رضى الله عنه

هو عمـير بن الحُمام بن الجمـوح الأنصارى الخزرجى من بنى سلمة، شـهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسنا، ونال الشهادة فى سبيل الله فى هذه المعركة.

وهو أول شهيد من الأنصار.

وفى قصة استشهاده أقوى دليل على نصرته لله ولرسوله ولدينه.

ـ ومن نصرته لدين الحق ما رواه ابن إسحاق بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين فى بدر.

فدنا المشركون، فقال النبى ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

فقال عمـير بن الحمام رضى الله عنه: جنة عرضها السـموات والأرض؟ قال رسول الله ﷺ: نعم.

قال عمير: بَخٍ بَخٍ، قال رسول الله ﷺ: «ما حملك على قولك: بَخٍ بَخٍ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

قال: فإنك من أهلها.

قال أنس رضى الله عنه: فأخرج ثمرات من قرنه[2] فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حيـيت حتى آكل ثمراتى هذه، إنهـا لحياة طويلة، قـال: فرمى ما كـان معه من التـمر، ثم قاتلهم حتى قتل رضى الله عنه.

---

(١) الدَّبرة: الدولة والظفر والنصرة.

(٢) القَرَن: جعبة من الجلد.

و ـ أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود رضى الله عنه

شهد العقبة مع السبعين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وكان من الرماة المعدودين، وزوجته أم سليم بنت ملحان رضى الله عنها ـ وهى أم أنس ابن مالك من زوج سابق على أبى طلحة .

روى البخارى بسنده: قال أنس بن مالك ـ وهو الذى زوّج أمه لأبى طلحة ـ: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بَيْرَحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس رضى الله عنه: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة: يا رسول الله إن الله يقول: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» اللهم إن أحب أموالى إلىّ بيرحاء، وإنها صدقة، أرجو برها وذخرها عند الله. فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبى ﷺ: «**بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح وقد سمعتُ، وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين**».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، قال أنس: فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه» أخرجه البخارى.

ـ ومن نصرته لله ولرسوله ما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كان طلحة رضى الله عنه بين يدى الرسول ﷺ ـ فى أحد ـ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله، فيتطاول أبو طلحة بصدره يقى به رسول الله ﷺ، ويقول: يا رسول الله، نحرى دون نحرك».

ـ روى أحمد عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة**».

ـ وروى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «**من قتل قتيلاً فله سَلَبه**» فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم.

ز ـ عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى، يعد فى الأمراء والشعراء والرجّازين.

أحد النقباء الاثنى عشر، وشهد العقبة مع السبعين، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة فى غزوة بدر الموعد، وبعثه رسول الله ﷺ فى ثلاثين رجلاً إلى أسَيْر بن رزام اليهودى بخيبر فقتله.

وأرسله رسول الله ﷺ إلى خيبر خارصًا[1]، فلم يخرص عليهم إلى أن استشهد فى مؤتة.

*** ومن نصرته:**

ـ قال عروة بن الزبير رضى الله عنهما: . . . ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام ـ يقصد جنود المسلمين ـ فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبَلِىٍّ[2] فى مائة ألف. فأقاموا ـ أى المسلمون ـ ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا.

قال عروة: فشجع عبد الله بن رواحة الناس ثم قال: والله يا قوم إن الذى تكرهون للذى خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا لهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة.

فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، فمضى الناس[3].

ـ وقال عبد السلام بن النعمان بن بشير الأنصارى: إن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حين قُتل، دعا الناسُ: يا عبد الله ابن رواحة، يا عبد الله بن رواحة، وهو فى جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهسه، ولم يكن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع، ثم قال ـ أى للضلع ـ وأنت مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيبت إصبعه فارتجز فجعل يقول:

هل أنت إلا إصبع دميت   وفى سبيل الله ما لقيت

---

(١) أى مقدرًا بالظن، ويقال خرص النخل والعنب أى قدر ما عليه.

(٢) أسماء قبائل من العرب المستعربة.

(٣) أى مضوا إلى المعركة.

يـا نفس إلا تُقتلى تمـوتى   هذا صياصى الموت قد صليت

ومـا تمنيت فقـد لقـيت   إن تفـعلى فعلهـما[1] هـديت

وإن تأخـرت فقـد شقيت

ثم قـال: يا نفس إلى أى شىء تتـوقين؟ إلى فـلانة؟ هى طالق ثلاثًا، وإلى فـلان وإلى فلان؟ غلمان له، وإلى معجف - بستان له - فهو لله ورسوله. ثم قال من شعره:

يـا نفس مالك تكرهين الجنة   أقسمـت بـالله لتنزلنَّه

طـائعة أو لا لتكـرهنه   فطال مـا قد كـنت مطمئنه

هل أنـت إلا نطفة فى شنه   قد أجلب الناس وشدوا الرنه

ح - أبو الدحداح ثابت بن الدحداح رضى الله عنه

روى الواقدى عن عبد الله بن عامر قـال: قال ثابت بن الدحداح يوم أحـد والمسلمون أوزاع.

يا معشر الأنصار إلىّ إلىّ، إن كان محمد قد قتل، فـإن الله حى لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فنهض إليه نفر من الأنصار فـجعل يحمل بمن معه، وقد وقفت له كتيبة خشناء[2] فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمـة، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنفذه فوقع ميتًا، وقتل من كان معه.

فهذا الموقف من نصرته لله ولرسوله ولدينه.

- ومن مواساته للإسلام والمسلمين:

ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: **لما نزلت هذه الآية:** ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...﴾[3] **قال أبو الدحداح الأنصارى: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال رسول الله ﷺ:** نعم يا أبا الدحداح، قـال: **أرنى يدك يا رسول الله، فناوله رسول الله ﷺ يده، قال: فإنى قد أقرضت ربى حائطى - بستانى - وحائطه له فيه ستمائة**

---

(١) أى فعل أسامة بن زيد وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما وكانا قد استشهدا فى المعركة.

(٢) أى كثيرة السلاح.

(٣) البقرة: ٢٤٥، والحديد: ١٠.

نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها.

قال ابن مسعود: فجاء أبو الدحـداح فنادى: يا أم الدحداح قالت: لبيك، قال: اخرجى من الحائط فقد أقرضته ربى عز وجل.

وفى رواية أخرى أن أم الدحداح لما سمعت زوجها يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما فى أفواههم، وتنفض ما فى أكمامهم، فقال النبى ﷺ: «كم من عِذْق رَداح[1] فى الجنة لأبى الدحداح».

وأخرجه مسلم والطبرانى وأبو داود والترمذى.

ـ وعن أنس رضى الله عنه أن رجـلاً أتى النبـى ﷺ فقـال: يا رسـول الله، إن لفـلان نخلة، وإن قوام[2] حائطى بها، فأْمُرْه أن يعطينى إياها[3] حتى أقيم بها حائطى، فقال النبى ﷺ: «أعطها إياه بنخلة فى الجنة، فأبى الرجل».

فأتى أبو الدحداح الرجل فقال له: بعنى نخلتك بحائطى ففعل.

فأتى أبو الدحداح النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى ابتعت النخلة بحائطى، فاجعلها له ـ أى لصاحب الحائط ـ فقد أعطيتكها.

فقال النبى ﷺ: «كم من عذق رداح لأبى الدحداح فى الجنة» قالها مراراً.

فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخـرجى من الحائط فقد بعته بنخلة فى الجنة.

فقالت: ربـحَ البيع، ربح البيع، أو كلمة تشـبهها يا لعظمـة المواساة، ويا عظم العطاء، نخلة بستمائة نخلة!!!

وأعجب من ذلك أن توافقه زوجه على ذلك، وتعلن: ربح البيع، ربح البيع!!!

أين هؤلاء منا اليوم ومن نسائنا، ومما نقدمه فى سبيل الله مواساة لإخواننا المسلمين؟.

---

(١) العذق من النخل كالعنقود من العنب، ورداح أى ثقيل ممتلىء.

(٢) قوام الأمر: نظامه وعماده وما يقوم به.

(٣) أى بثمنها.

ط ـ أنس بن النَّضر رضى الله عنه

هو أنس بن النضـر بن ضمضم بن زيد مـن بنى النجار، وهم عم أنس بن مـالك خادم رسول الله ﷺ.

لم يشهد بدراً، وشهد أحدًا وأبلى فيها البلاء الحسن واستشهد فيها.

ـ ومن نصرته، مـا رواه أنس ابن أخيه رضى الله عنه قـال: غاب عمى عن قـتال بدر، فقـال: يا رسول الله غبتُ عن أول لقـاء قاتلتَ فيه المشـركين، والله لئن أشهدنى الله قـتال المشركين لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع.

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعـنى المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعـد بن معاذ رضى الله عنه، فقال أنس: أى سعد، هذه الجنة ورب أنس أجد ريحها دون أحد.

قال سعد بن معاذ رضى الله عنه، فما استطعت ما صنع، فقاتل.

قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعًا وثمـانين ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل ومُثِّل به المشركون. فما عرفته أخته الرُّبَيِّع بنت النضر إلا ببنانه.

قال أنس رضى الله عنه : كنـا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشـباهه : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

- وقال الواقدى : لما جال المسلمون يوم أحد تلـك الجولة، ونادى إبليس : قتل محمد ، مرَّ أنس بن النضر يقاتل فرأى عمر ومعه رهط رضى الله عنهم فقال: ما يقعدكم ؟.

قالوا : قتل رسول الله ﷺ .

قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه .

ثم جالد بسيفه حتى قتل .

ى – حارثة بن النعمان رضى الله عنه

هو حارثة بن النعمـان بن نقع بن زيد الأنصارى الخزرجى من بنى النجـار ، وكنيته أبو عبد الله .

شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

*** ومن نصرته لله ولرسوله وللمسلمين أنه ثبت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فى ثمانين** رجلاً ، حين انهزم الناس عن النبى ﷺ .

*** ومن مواساته :**

ما رواه ابن سعـد عن الواقدى قال : كان لحـارثة منازل قرب منازل النبى ﷺ بالمدينة ، فكان كلما أحـدث النبى ﷺ أهلاً ـ أو زوجة ـ تحـوَّل له حارثة عن منزل بعـد منزل، حتى قال رسـول الله ﷺ: **«لقد استحييت من حارثة مما يتحـول لنا عن منازله» رواه أحمـد فى** مسنده والطبرانى فى الأوسط .

وذكر ابن الجـوزى بسنده عن محمد بن عثمـان عن أبيه رضى الله عنه أن حـارثة بن النعمان كان قـد كُفَّ بصره، فجعل خيطًا من مصلاه إلـى باب حجرته، ووضع عنده مِكْتلاً فيه تمر، فكان إذا جاء المسكين فسلّم، أخذ حارثه من هذا التمر، ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله .

فكان أهله يقـولون: نحن نكفيك فـيقول: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: **«إن مناولة المسكين تقى ميتة السوء»**.

وروى ذلك الحديث الإمام التـرمذى بسنده بلفظ آخر هو: **«إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع عن ميتة السـوء»**.

ك ـ سعد بن الربيع رضى الله عنه

هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك، الخزرجى الأنصارى.

شهـد العقبـة وكان نقيـبًا لبنى الحارث، **هو وعبـد الله به رواحة، وشهـد بدرًا وأحدًا، واستشهد فى هذه المعركة.**

* ومن نصرته لله ولرسوله وللمسلمين موقفه فى بدر، وموقفه فى أحد.

- قال مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ يومئذ: من يأتينى بخبر سعد بن الربيع؟

فقال رجل: أنا، فذهب يطوف فى القتلى، فقال سعد: ما شأنك؟ قال: بعثنى رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك.

قال: فاذهب إليه فأقرئه منى السلام، وأخبره أنى قد طعنت اثنتى عشرة طعنة، وأنى قد أُنفذَتْ مقاتلى: وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حَىّ.

وقيل إن الرجل الذى ذهب إليه هو أُبَىّ بن كعب، قال ذلك أبو سعيد الخدرى، وقال سعد لأبى: قل لقومك: يقول لكم سعد بن الربيع: الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة، فوالله ما لكم عند الله عذر إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرف.

قال أبى بن كعب رضى الله عنه: فلم أبرح حتى مات.

فرجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته فقال: رحمه الله، نَصَح لله ولرسوله حيًا وميتًا.

- ومن مواساته رضى الله عنه حين آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، فيما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن سعدًا رضى الله عنه قال لأخيه عبد الرحمن رضى الله عنه: أى أخى، أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالى فخذه.

وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها.

فقال عبد الرحمن رضى الله عنه: بارك الله لك فى أهلك ومالك؛ دلونى على السوق، فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشىء من أقط وسمن...

قال عبد الرحمن رضى الله عنه: فلقد رأيتنى ولو رفعت حجر لرجوت أن أصيب ذهبًا وفضة.

وأخرجه البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه.

وبعد:

فتلك نماذج من الأخوة فى الإسلام عند الصحابة رضى الله عنهم من المهاجرين والأنصار، ذكرنا منها ما يتسع له موضوع الكتاب وما يقبله المنهج الذى اخترناه له، وإن كنا نؤكد أن الصحابة من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم الذين تمثلت فيهم الأخوة فى الله فى مجالى النصرة والمواساة، أكثر ممن ذكرنا بكثير، بل لا نبالغ إن قلنا: إنهم جميعًا كانوا أهل نصرة ومواساة لدينهم ولإخوانهم فى الإسلام.

ولنذكر فيما يلى بعض النماذج من التابعين، ومن جاء بعدهم من المصلحين المجددين فى القرون التالية لهم، والله تعالى يوفق ويعين.

٢ ـ نماذج من الأخوة فى الله عند التابعين

ومن جاءوا بعدهم من المصلحين المجددين.

الأخوة فى الإسلام التى أوجبها الإسلام على المسلمين، وجعلها من شروط الإيمان حين أعلن فى أسلوب قاطع قصر فيه الأخوة على المؤمنين، بما يؤكد أن غير المتآخين من المسلمين ليسوا بمؤمنين إيمانًا صحيحًا كاملاً.

وهذه الأخوة التى أوجبها الإسلام لها حقوق من الأخ نحو أخيه، وعليها واجبات ـ كما سنوضح ذلك فيما يأتى من هذا الكتاب ـ ولارتباطها بالحقوق والواجبات كانت مطلبًا شرعيًا، من قصر فيه ـ فضلاً عن أن يتخلى عنه ـ تعرض لعقاب الله تعالى.

* وإذن فالأخوة فى الإسلام جزء من الدين، وهى بهذا المعنى يجب أن تبقى بين المسلمين ما بقى الدين، والدين باق بحكم أن الله تعالى قد تكفل بحفظه إلى يوم القيامة، فالأخوة فى الإسلام باقية خالدة ما بقى على الأرض مسلمون.

* وهذه الأخوة فى الإسلام التى عاقد عليها رسول الله ﷺ المسلمين، جعل لها ركنين.

الأول: النصرة:

بمعنى أن ينصر الأخ أخاه فى كل موقف يحتاج إلى نصرة ودعم وتأييد، كما ثبت ذلك بما رواه البخارى والترمذى بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قيل: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: تحجزه من الظلم فإن ذلك نصره»** ورواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أيضًا.

والذى أفهمه من هذا الحديث الشريف أن الأخ المسلم يجب أن يكون دائمًا فى نصرة أخيه المسلم، فى جميع أحواله. إن اعتدى عليه نصره ضد ذلك المعتدى فكفه عنه، وإن كان معتديا منعه من الاعتداء على غيره.

ويدخل فى نصر المسلم لأخيه المسلم ما لا حصر له من صور النصرة والتأييد، ابتداء من نصره على الشيطان وما يوسوس به، وعلى نفسه التى قد تأمره بالسوء أو تزينه له، وعلى رفقاء السوء الذين قد يحيطون به، وعلى أى عدو ينتقص شيئًا من حقوقه، وما لا نهاية له من صور التأييد الأدبى والمادى، فى الحاضر أو فى المستقبل... هذا هو ركن الأخوة الأول.

والثاني: المواساة:

وهى التسوية بين الأخ وأخيه المسلم فى كل ما من شأنه أن يواسيه به، أو هى عطاء الأخ أخاه ما يحتاج إليه، وفى المثل: «إن أخاك من واساك - أو آساك».

ومن معانيها العزاء والتسلية عن المصيبة ونحوها.

وهذا المواساة هى التى شرعها رسول الله ﷺ بين المسلمين، وقد مارسها رسول الله ﷺ مع أصحابه فقد كان يتعهد أهل الصفة ويخرج كل ما فى بيته مواسيًا لهم وداعيًا المسلمين إلى مواساتهم.

ومن مواساته ﷺ ما رواه أحمد بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا ويواسينا بالقليل والكثير...».

* وكان الصحابة رضى الله عنهم يواسى بعضهم بعضًا، وكانوا جميعًا يواسون إخوانهم أهل الصفة.

وقد ضرب الأنصار رضى الله عنهم فى ذلك أروع الأمثال، فقيرهم فى مواساة إخوانه كغنيهم، وأكثر الأنصار مالاً يواسى إخوانه حتى ليشاطر أخاه ما يملك - كما ذكرنا ذلك عن سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما - غير أن الفقراء من الأنصار ما تخلفوا عن مواساة إخوانهم المسلمين عمومًا ومن آخى الرسول ﷺ بينه وبين واحد من المهاجرين.

- وفى قصة جابر بن عبد الله رضى الله عنه دليل ناصع على أن المواساة كانت جزءًا من أخلاقهم ودينهم، فقد روى أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: أراد رسول الله ﷺ الغزو فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار: إن من إخوانكم قومًا ليس لهم مال ولا عشيرة، فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة، فما لأحدنا من ظهر جمله إلا عقبة كعقبة أحدهم»[1]، قال جابر: فضممت اثنين أو ثلاثة إلىّ، وما لى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملى.

وإلى الحديث عن نماذج من الأخوة فى الله عند التابعين ومن جاءوا بعدهم من المصلحين والمجددين.

---

(١) المعنى: أن الرجلين أو الثلاثة يتعاقبون ركوب الجمل، كل واحد منهم يركب مرحلة ويمشى الآخران أو الآخرون، ثم يركب الثانى وهكذا، فلكل منهم بمن فيهم صاحب الجمل عقبة على الجمل مثل الآخر.

أولاً:

التابعون رحمهم الله وتابعوهم

واحدهم تابع وهو التالى، ومن يتبع غيره، وعند النَّسَب إليه يقال: تابِعِىّ وهو مَنْ لقى الصحابة رضى الله عنهم مؤمنا بالله ورسوله الخاتم ﷺ، ومات على الإسلام.

والتابعون طبقات أعلاهم من روى عن العشرة المبشرين بالجنة، ومن أشهر هؤلاء التابعين فقهاء المدينة السبعة. والتابعون يلون الصحابة رضى الله عنهم فى المكانة عند المسلمين، فقد عايشوا الصحابة وتلقوا عنهم، ورأوا فيهم النماذج الإسلامية التى ربَّاهم عليها رسول الله ﷺ.

وإذا شئنا أن نمد مظلة التابعين ليدخل تحتها تابعوهم، وتابعو تابعيهم إلى نهاية القرون الهجرية الثلاثة الأولى، فما عدونا الصواب ولا تجاوزنا الحق.

وسوف أذكر من سيرة هؤلاء التابعين مواقف قليلة، لأن الاستيعاب لمواقفهم من النصرة والمواساة ركنى الأخوة فى الله يحتاج إلى مؤلَّف بل مؤلفات.

١ ـ أُويْس بن عامر القَرَنى

من بنى قَرَن بن رومان بن مراد من سادات التابعين، أصله من اليمن، أدرك حياة النبى ﷺ ولم يلقه، توفى سنة ٣٧ هـ فى وقعة صفين وكان فى صفوف على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ـ ومن كلماته الدالة على نصرته ومواساته ما ذكره الشعبى، قال: مرَّ رجل من مراد على أويس القرنى فقال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله، قال: كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أن لا يمسى، وإن أمسى ظن أن لا يصبح، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار، يا أخا مراد: إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فى ماله فضة ولا ذهبًا، وإن قيامه بالحق لم يترك له صديقًا.

ـ ومن نصرته أنه حارب فى صفوف على بن أبى طالب رضى الله عنه وشهد معه موقعة صفين، والأرجح عند المؤرخين أن استشهد فيها.

- ومن مواساته: ما رواه عنه كتاب سيرته من أنه كان إذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم مَنْ مات جوعًا فلا تؤاخذنى به، ومَنْ مات عريانًا فلا تؤاخذنى به.

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن مغيرة قال: وكان أويس القرنى ليتصدق بثيابه حتى يجلس عريانا لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة.

* وقد لقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين أويسًا وكان مع عمر علىّ رضى الله عنهما، ودار حوار بين عمر وأويس، بدا فيه من زهد أويس فى النفقة والكسوة التى وعده بها عمر رضى الله عنه، ما جعل عمر يضرب بدرته الأرض ثم ينادى بأعلى صوته: ألا ليت أم عمر لم تلده يا ليتها كانت عاقرًا... ألا من يأخذها - يقصد الخلافة - بما فيها ولها...».

٢ - عامر بن عبد قيس العنبرى

هو تابعى من بنى العنبر، من أهل البصرة قيل هو أول مَن عُرف بالنسك من عُبَّاد التابعين بالبصرة، تعلم القرآن الكريم على يد أبى موسى الأشعرى، وعلّم أهل البصرة القرآن الكريم.

وتوفى نحو سنة ٥٥ من الهجرة فى خلافة معاوية رضى الله عنه.

- ومن كلماته قوله: أحببت الله عز وجل حبًا سَهَّل علىّ كل مصيبة، ورضانى فى كل قضية، فما أبالى مع حبى إيّاه ما أصبحتُ عليه، وما أمسيت.

- ومن نصرته للحق ما ذكره عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده قال: مرَّ عامر برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذميًا، والذمى يستغيث به، فأقبل على الذمى فقال له: أديتَ جزيتك؟ قال: نعم.

فأقبل على رجل السلطان فقال له: ما تريد منه؟ قال: أذهب به يكسح دار الأمير، فأقبل عامر على الذمى فقال: تطيب نفسك له بهذا؟ قال: يشغلنى عن ضيعتى.

قال لرجل السلطان: دَعْه، قال: لا أدعه، قال: دعه، قال: لا أدعه، فوضع عامر كساءه - أى على الأرض - ثم قال: لا تخفر ذمة محمد ﷺ وأنا حَىّ، ثم خلصه منه.

فلما علم السلطان بذلك أمر بتسييره إليه، فلما سيّر إليه شيعه إخوانه ـ وكان بظهر المربد ـ فقال لهم: إنى داع فأمنوا، قالوا: هات فقد كنا نشتهى ذلك منك.

قال: اللهم من وَشَى بى وكذب علىّ وأخرجنى من مصرى، وفرّق بينى وبنى إخوانى، اللهم أكثر ماله وولده، وأصِحَّ جسمه، وأطل عمره.

ـ ومن مواساته:

ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده قال: بعث معاوية رضى الله عنه إلى عبد الله بن عامر، أن انظر عامر بن عبد قيس فأحسن إذنه وأكرمه، ومره أن يخطب إلى من شاء وأمهر عنه من بيت المال، فأرسل إليه: إن أمير المؤمنين قد كتب إلى أن أحسن إذنك وأكرمك، فقال له عامر بن عبد قيس: فلان أحوج إلى ذلك منى ـ يقصد رجلاً كان أطال الاختلاف إليهم لا يؤذن له.

وأمرنى أن آمرك أن تخطب إلىَّ من شئتَ وأمهر عنك من بيت المال، فقال عامر: أنا فى الخطبة دائب، قال: إلى مَنْ؟ قال: إلى من يقبل منى الفلقة والتمرة...».

ـ ومن نصرته ومواساته معًا، ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن مالك بن دينار قال: مَرَّ عامر بن عبد قيس، فإذا قافلة قدا احتبست، فقال لهم: مالكم لا تمرون؟ فقالوا: الأسد حال بيننا وبين الطريق، قال: هذا كلب من الكلاب فمرّ به حتى أصاب ثوبه فم الأسد.

٣ ـ أبو مسلم الخولانى

وهو عبد الله بن ثُوَب الخولانى، الفقيه العابد الزاهد، نعته الذهبى بريحانة الشام، وأصله من اليمن، أسلم قبل وفاة النبى ﷺ ـ ولكنه لم يره ـ هاجر إلى الشام وتوفى بدمشق سنة ٦٢هـ.

ويلقب بأنه حكيم هذه الأمة.

* وكانت له نظرات تربوية فاحصة لنفسه وللناس، ولعل ذلك هو الذى جعلهم يقولون عنه حكيم هذه الأمة.

ـ ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن الحسن قال: قال أبو مسلم الخولانى لمن

حوله: أرأيتم نفسًا إن أنا أكرمتـها ونعمتها وودعتها؛ ذمَّتنـى غدا عند الله؟ وإن أنا أسخطتها وأنصبتـهـا وأعملتـها، رضـيتْ عنى غدا؟ قـالوا: من تيكم يا أبا مسلم؟ قـال: تيكم والله نفسى.

ـ وروى عن علقمة بن مـرثد قال: دخل أبو مسلم الخولانى المسـجد ذات يوم فنظر إلى نفر قد اجـتمعوا، فرجا أين يكونوا على ذكـر خير فجلس إليهم، فإذا بعـضهم يقول: قَدِمَ غلامى فأصاب كذا وكـذا، وقال آخر: جهزت غلامى... فنظر إليهم فـقال: سبحان الله، أتدرون مـا مَثَلى ومـثلكم؟ كـرجل أصـابه مطر غزيـر وابل، فالتـفت فـإذا هو بمصـراعين عظيمين، فقال: لو دخلتُ هذا البيت حـتى يذهب عنى هذا المطر؛ فإذا البيت لاسقف له؛ جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب الدنيا.

ـ ومن كلماته فى الـناس عمومًا وتعـجبه من أحـوالهم قوله: كان الناس ورقـا لا شوك فيه، وهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن ساببـتهم سابُّوك، وإن ناقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لم يتركـوك، وإن نفرت منهم يدكوك، قـال سامعه: فـما أصنع؟ قال: هبْ عـرضك ليوم فقرك وخذ بشىء من لا شىء.

ـ ومن نصرته للحق دون هيبة السلطان، أنه كـان يطوف ينعى الإسلام ـ لسوء ما يرى ـ فأتى الشام فأرسل له معاوية فذهب إليه فدعاه وقال له: ما اسمك؟ قال: معاوية، قال: بل أنت أحدوثة قبر عن قليل؛ إن عملت خيرًا أجزيت به، وإن عملت شرًا أجزيت به.

يا معاوية: إن عدلت على أهل الأرض جمـيعًا، ثم جُرت على رجل واحد، مال جورُك بعدلك.

ـ ومن نصرته للحق والعدل ما رواه عبـد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن يونس الهرم أن أبا مسلم الخولانى نادى على معاوية بن أبى سفـيان وهو جالس على منبر دمشق فقال: يا معاوية إنما أنت قـبر من القبور، إن جئت بشـىء كان لك شىء، وإن لم تجىء بشىء فلا شىء لك، يا معـاوية لا تحسبن الخلافة جـمع المال وتفريقه، ولكن الخلافـة العمل بالحق، والقول بالمعدلة، وأخذ الناس فى ذات الله عز وجل، يا مـعاوية إنا لا نبالى بكدر الأنهار ما صفتْ عنـا رأس عيننا وإنك رأس عـيننا، يا معـاوية؛ إياك أن تحيف على قـبيلة من قـبائل العرب فيذهب حيفك بعدلك.

فلما قضى أبو مسلم مقالته، أقبل عليه معاوية فقال: يرحمك الله.

ـ ومن نصرته للحق أن يعد نفسه لملاقاة العدو وأن يأخذ نفسه بالشدة والصبر والتحمل حتى يستطيع أن يواجه عدوا وهو قوى.

حدث عطية بن قيس أن ناسًا من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولانى فى منزله ـ وكان غازيًا بأرض الروم ـ فوجدوه قد احتفر فى فسطاطه ـ أى البيت الذى اتخذه من الشعر ـ[1] حفرة ووضع فى الحفرة نطعًا[2] وأفرغ ماءً فهو يتصلق[3] فيه وهم صائم. فقال له هؤلاء النفر: ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رخص الله تعالى لك الفطر فى السفر والغزو؟ فقال: لو حضر قتال لأفطرت وتقويت للقتال؛ إن الخيل لا تجرى وهى بَدْنَى[4] إنما تجرى وهى ضمرات، بين أيدينا أيامًا لها نعمل.

* ومن كلماته الحكيمة المعلمة المواسية لمن كان له قلب:

ـ قال لامرأته: يا أم مسلم سوّى رحلك فإنه ليس على جهنم معبرة.

ـ وقال: أربع لا يتقبلن فى أربع: فى جهاد ولا حج ولا عمرة ولا صدقة، الغلول، ومال اليتيم والخيانة والسرقة.

ـ ومن مواساته للمسلمين جميعًا، أن معاوية خطب الناس وقد حبس عنهم العطاء شهرين ـ أو ثلاثة ـ فقال له أبو مسلم: يا معاوية، إن هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك ولا مال أمك. فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا، ونزل فاغتسل ثم رجع فقال: أيها الناس؛ إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمالى ولا بمال أبى ولا أمى، وصدق أبو مسلم، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الغضب من الشيطان والشيطان من النار، والماء يطفىء النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل**» اغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل.

وذلك الموقف يشهد لمعاوية برجوعه إلى الحق ويشهد لأبى مسلم بالصدع بكلمة الحق دون أن يخاف فى الله تعالى لومة لائم.

---

(١) بيت يشبه الخيمة.

(٢) النطع: بساط من الجلد كثيرًا ما كان يقتل عليه المحكوم عليه بالقتل.

(٣) تصلق: تقلب وتلوى على جنبيه.

(٤) واحدها بدين أو سمين من لحم وشحم.

٤ ـ أبو يزيد الربيع بن خُثَيم.

وهو الربيع بن خثيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إياس بن مضر.

تابعى ثقة قال عنه يحيى بن معين: مثله لا يُسْأل عنه.

وقد أخذ عن الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ولازمه، وقد قال له ابن مسعود: والله لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك. وما رأيتك إلا ذكرتُ المخبتين.

وقد كان رحمه الله من عبَّاد المدينة الثمانية الذين اشتهروا بالعبادة والصلاح والتقوى[1].

* وقد بلغ من نقاء قلبه وإشفاقه على الناس أن كان له فرس أعطى به عشرين ألف درهم فلم يبعه ـ فقد كان مجاهداً ـ وعندما سرق منه الفرس، اجتمع إليه محبوه من أهل الحى فقالوا له: ادع على السارق، فقال: اللهم إن كان غنيًا فاغفر له، وإن كان فقيراً فأغنه.

ـ ومن نصرته للحق: ما رواه الشعبى، قال: ما جلس الربيع فى مجلس منذ تأزَّر[2]، وقال: أخاف أن يظلم رجل فلا أنصره، أو يعتدى رجل على رجل فأكلف عليه الشهادة، ولا أغض البصر، ولا أهدى السبيل، أو يقع الحامل فلا أحمل عليه.

ـ ومن نصرته أن جاهد فى سبيل الله ما استطاع إلى الجهاد سبيلاً وأنه شهد وقعة صفين فى جيش على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ـ ومن مواساته:

ما روى حفص بن عمر قال: كان الربيع بن خثيم لا يعطى السائل أقل من رغيف، ويقول: إنى لأستحى من ربى عز وجل أن أرى غدا فى ميزانى نصف رغيف.

---

(١) وهم الذين انتهى إليهم الزهد والورع وهم:

(١) عامر بن عبد الله بن عبد قيس.	(٢) وأويس القرنى.
(٣) وهرم بن حيّان.	(٤) والربيع بن خُثيم.
(٥) ومسروق بن الأجدع	(٦) والأسود بن يزيد.
(٧) وأبو مسلم الخولانى.	(٨) والحسن بن أبى الحسن.

(٢) تأزر واتزر: لبس الإزار أى كبر: وهو كناية عن بلوغه حدَّ التكليف الشرعى.

وما روى منذر الثورى قال: قال الربيع بن خثيم لأهله: اصنعوا لنا خبيصاً[1]، فصنعوا له فدعا رجلا به خبَل، فجعل يلقمه ولعاب الرجل يسيل، فلما ذهب الرجل قال أهل الربيع للربيع: تكلفنا وصنعنا، وما يدرى هذا ما أكل، فقال لهم: الربيع: لكنّ الله - أى يرى ما أفعل -.

* من كلماته أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء وما الدواء وما الشفاء؟ قالوا: لا.

قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب ثم لا تعود.

وروى منذر الثورى أنه أوصى عند موته، فجاء فى وصيته: هذا ما أوصى به الربيع على نفسه، وأشهد الله عليه وكفى به شهيدًا، وجازيًا لعباده الصالحين ومثيبا؛ إنى رضيت بالله ربا وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينا، ورضيت لنفسى ومن أطاعنى بأن أعبد الله فى العابدين، وأحمده فى الحامدين، وأنصح لجماعة المسلمين.

٥ - بكر بن عبد الله المزنى

هو أبو بكر بن عبد الله بن عمرو المزنى البصرى من فرسان مزنية، وقال: أدركت ثلاثين من فرسان مزينة منهم عبد الله بن المغَفَّل، ومعقل بن يسار رضى الله عنه.

وهو فقيه ثقة ثبت مأمون حجة[2] توفى سنة ١٠٦ هـ. من أجلاء التابعين رحمه الله تعالى.

* وله رحمه الله فى فقه الأخوة فى الله كلمات عميقة الدلالة منها قوله:

- «إن رأيت مِنْ إخوانك المسلمين مَنْ يكرمونك ويعظمونك ويصلونك فقل: هذا فضل أخذوا به».

وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضا، فقل: هذا ذنب أحدثته».

- «تذلل المرء لإخوانه تعظيم له فى أنفسهم».

- «إن عرض لك إبليس بأن أظهر لك فضلاً على أحد من أهل الإسلام فانظر؛ فإن كان

---

(١) نوع من الحلوى يصنع من التمر المطبوخ فى السمن.

(٢) هذه الألفاظ ألقاب لعلماء الحديث النبوى الشريف - انظر لنا: التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية ط دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م

أكبر منك فقل: قد سبقنى بالإيمان والعمل الصالح فهو خير منى، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته بالمعاصى والذنوب واستوجبت العقوبة فهو خير منى، فإنك لا ترى أحدًا من أهل الإسلام إلاَّ أكبر منك أو أصغر منك».

ـ «عليكم بأمر إن أصبتم فيه أُجِرتُم، وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم فيه لم تؤجروا، وإن أخطأتم أثِمتم، قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس، فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم».

ـ وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن أبى حَرَّةَ قال: دخلنا على بكر بن عبد الله نعوده، فوافقنا، وقد خرج لحاجته، قال: فجلسنا فى البيت فأقبل إلينا يُهادَى بين رجلين، فسلَّم ثم نظر فى وجوهنا فقال: رحم الله عبدًا أُعطى قوة فعمل بها فى طاعة الله عز وجل، أو قعد به ضعف فكفَّ عن محارم الله».

ـ «من مِثْلك يا ابن آدم: خُلِّىَ بينك وبين المحراب تدخل منه إذا شئت على ربك، وليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان، وإنما طِيبُ المؤمنين هذا الماء المالح»[1].

٦ ـ أيوب السختيانى

هو أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى، سيد فقهاء عصره، ناسك زاهد من أجلاء التابعين، كان من حفاظ الحديث ثبتا ثقة رُوِىَ عنه نحو ثمانمائة حديث.

* وقد تمثلت فيه أخلاق الأخوة الإسلامية، فكان من أعرف الناس بحقوقها وواجباتها، وكان أنموذجًا للرجل المسلم فى كل أمره، فقد قال فيه عبد الله بن بشر: إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختيانى فيكون لما يرى منه أشد اتباعًا منه لو سمع حديثه، أى أنه قدوة فى تمسكه بأخلاق الإسلام وآدابه، وأنموذج حىّ لما يدعو الناس إليه.

ـ وأما صفات الأخوة فى الإسلام فقد شهد له بها من عرفوه وعايشوه، فقد قال حماد ابن زيد: «ما رأيت رجلاً قط أشد تبسما فى وجوه الرجال من أيوب».

وتبسم الأخ فى وجه أخيه صدقة، كما جاء فى الحديث الشريف، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك لك

(١) يقصد بالماء المالح الدموع بكاء من خشية الله على ما فرط من الذنوب والمعاصى.

صدقة...».

وقال عنه حماد بن زيد: «قال لى أيوب: الـزم سوقك فإنك لا تزال كريمًا على إخوانك مالم تحتج إليهم».

والمعنى أن من حق الأخ على أخيه ألا يرزأه شيئًا من ماله، وإنما يعمل ويتجه إلى السوق يبتغى الرزق ولا يسأل أخاه عطاء.

ـ ومن فقهه للأخوة فى الإسلام أنه كان يخـالط الناس ويغشى مجالس العلماء، ويدعو الناس إلى ذلك، قال حمَّاد بن زيد: قال لنا أيوب: إنك لا تبـصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره. جالس الناس».

وذلك استجابة لما رواه البخارى بسنده أن من يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل ممن لم يخالطهم.

ـ ومن مواساته لإخوانه فى الإسلام مـا رواه حمّاد بن زيد قال: كان أيوب إذا قَدِم مكة أمر بجرادق[1] فخبـزت وطبخ لنا سكباجا[2] فكان كل من جـاء يسلم عليـه وضع بين يديه -أى من الخبـز والطعام- السكبـاج - قال حمـاد: فوضع بين أيدينا فقـال: كلوا ـ لم يأكل معهم قائلاً: ـ لقد أكلت اليوم بضع عشرة مرة ـ أى أن كل من جاء قعد فأكل معه.

٧ ـ يونس بن عبيد

هو يونس بن عبيـد بن دينار العبدى بالولاء، البصـرى، توفى: سنة ١٣٩ هـ من حفاظ الحديث الثقات، ومن أصحاب الحسن البصرى، وكان يبيع الخز، وضرب بأمانته فى التجارة المثل. وقال عنه الذهبى: أحد أعلام الهدى.

* ومن مواقفه التـربوية التى تدل على تواضعه، ما رواه جعفـر بن برقان، قال: بلغنى عن يونس بن عبيد فضل وصلاح فكتبت إليه: يا أخى؛ اكتب إلىّ بما أنت عليه.

فكتب إليه: أتانى كتـابك تسألنى أن أكتب إليك بما أنا عليه، وأخبـرك أنى عرضت على نفسى أنْ تُحبَّ للناس ما تُحِبُّ لها، وتكره لهم ما تكره لها، فإذا هى عن ذاك بعيد.

---

(١) أى خبز كبير أو غليظ.

(٢) السكباج: طعام يطبخ من اللحم والخل والتوابل ـ كلمة معَّربة.

ثم عرضت عليها مرة أخرى؛ ترك ذكرهم إلا من خير، فوجدت الصوم فى اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم.

هذا أمرى يا أخى والسلام.

* وروى سعيد بن عامر، قال: بلغنى أن يونس بن عبيد، قال: إنى لأعد مائة خصلة من خصال البر ما فىّ منها خصلة واحدة.

* ومن فقهه للأخوة فى الإسلام ما نذكر طرفًا منه فيما يلى:

- حدث مبارك بن فضالة قال: قال يونس بن عبيد: «لا تجد شيئًا من البر يتبعه البر كله غير اللسان، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام، ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار - وذكر أشياء نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيخالف ذلك عمله أبدًا».

- وعن سعيد بن عامر قال: قال يونس بن عبيد: «ما لى ما لى!!! تضيع لى الدجاجة فأجد لها - أى أحزن - وتفوتنى الصلاة فلا أجد لها».

- وقال سليمان بن المغيرة: سمعت يونس بن عبيد يقول: «ما أعلم شيئًا أقل من درهم طيب ينفقه صاحبه فى حق، أو أخ يسكن إليه فى الإسلام، وما يزدادان إلا قلة - أى على مرور الوقت - أى أن الأخوة في الإسلام وفق حقوقها وواجباتها نادرة عزيزة.

* ومن مواقفه فى النصرة للحق وللمسلمين:

- ما ذكره سلام بن مطيع قال: ما كان يونس بأكثرهم صلاة ولا صومًا، ولكن لا والله ما حضر حق من حقوق الله إلا وهو متهيئ له.

- وذكر عبد العزيز الرقاشى قال: سمعت يونس يقول: فتنة المعتزلة على هذه الأمة أشد من فتنة الأزارقة[1].

لأنهم قالوا: إن أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم ضلوا، وأنهم لا تجوز شهادتهم لما أحدثوا من البدع، ويكذبون بالشفاعة والحوض، وينكرون عذاب القبر، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، ويجب على الإمام أن يستتيبهم، فإن تابوا وإلا نفاهم من ديار المسلمين.

(١) فرقة ضالة من الخوارج تنسب إلى نافع بن الأزرق بن قيس (ت ٦٥هـ) الحرورى، خرج على علىّ رضى الله عنه بعد التحكيم، وقال الأزارقة بكفره رضى الله عنه، وكفروا الصحابة رضى الله عنهم، وقالوا بتخليدهم فى النار، وقالوا بأن ملجم - قاتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه - على حق فى قتله!!!

٨ ـ زين العابدين على بن الحسين

حفيد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وكنيته أبو الحسن، كان يضرب به المثل فى الحلم والورع والكرم، ولد بالمدينة المنورة سنة ٣٨ هـ وتوفى بها سنة ٩٤ هـ، ويسمى عليًا الأصغر تمييزًا له عن أخيه علىّ الأكبر الذى قتل مع أبيه الحسين رضى الله عنه فى كربلاء. وكان فيه من أخلاق النبوة ما ورثه عن أبيه وما ورثه أبوه عن جده على بن أبى طالب رضى الله عنه ربيب بيت النبوة.

* ولقد تمثلت فيه أخوة الإسلام فى مواساة المسلمين بما يشبه الأساطير؛ فقد قال أبو حمزة الثمالى: كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفىء غضب الرب.

ـ وذكر شيبة فيما رواه عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كان على بن الحسين يقوت مائة أهل بيت بالمدينة.

ـ وذكر ابن إسحاق أن ناسًا من أهل المدينة كانوا يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علىّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به فى الليل.

ـ وقال ابن عائشة: قال أبى: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علىّ بن الحسين.

* ومن مواساته وتواضعه ما ذكره نافع بن جبير من أنه قال لعلى بن الحسين: غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ـ يقصد زيد بن أسلم ـ فقال له علىّ: إنه ينبغى للعلم أن يُتبع حيثما كان.

ـ وذكر أبو حمزة الثمالى عن علىّ قوله: «... ثم ينادى منادٍ؛ ليقم جيران الله فى داره، فيقوم ناس من الناس وهم قليل، فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك. قالوا: وبِمَ جاورتم الله فى داره؟ قالوا: كنا نتزاور فى الله عز وجل، ونتجالس فى الله، ونتباذل فى الله، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

٩ ـ محمد بن المنكدر

هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَيْر بن عـبد العُزَّى القرشى التيمى ـ من بنى تيم بن مرة ـ من أهل المدينة.

حـافظ للحديث الشـريف أدرك بعض الصـحابة رضـى الله عنهم وروى عنهم، وله فى كتب الحديث نحو مـائتى حديث شريف، وهو ثقة، قال عنه سفـيان بن عُيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق.

* وكان ابن المنكدر ذا ثروة ومـال، وكان يقول: نعم العون على تقـوى الله عز وجل؛ الغِنَى.

* وكان كثير المواساة لإخوانـه المسلمين، بل كان يرى هذه المواساة هدفًا له، فقد سئل؛ ما بقى من لذتك؟ قال: لقاء الإخوان وإدخال السرور عليهم.

ـ وسئل ابن المنكدر؛ أى الأعمال أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، قالوا: فما بقى منك ما تستلذه؟ قال: الإفضال على الإخوان.

* ومن كلماته المأثورة الدالة على ورعه وفقهه:

ـ روى سفيان بن عيينة أن محمـد بن المنكدر قال: الفقيه يدخل بين الله وعباده، فلينظر كيف يدخل؟.

ـ وذكر سـفيـان بن عيينة أن ابن المـنكدر قال فيـما ينصح به، ومـا يدل على فقـهه فى التربية، لا تمازح الصبيان، فتهون عليهم ويستخفون بحقك.

١٠ ـ جعفر بن محمد الصادق

هو جعفـر الصادق بن محمـد الباقر بن على زين العابدين بن الحـسين السبط رضى الله عنه، ولد فى المدينة سنة ٨٠ هـ وتوفى فى المدينة سنة ١٤٨ هـ.

وكان من تابعى التابعين وله منزلة رفيعة فى العلم والجهر بالحق، وكان له مواقف جريئة مع حكام بنى العباس.

* وله كلمات جوامع تتضمن حكمة بالغة، وتـدل على مكانته من فقه الدين وفقه الدنيا

وفقه الناس.

ومن هذه الكلمات:

ـ قال محمد بن بشر، قال جعفر بن محمد: أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخدمى من خدمنى، وأتعبى من خدمك.

ـ وسئل جعفر: لم حرّم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف.

ـ وقال: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم.

ـ وذكر الأصمعى أن جعفر بن محمد قال: الصلاة قربان كل تقى، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه فقد عقهما، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته فقد حبط أجره، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذى حسب ودين، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبة، ومنزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدّر معيشته رزقه الله تعالى، ومن بذّر معيشته حرمه الله تعالى.

* ومن فقهه العميق لأخوة الإسلام أن كانت المواساة خلقًا راسخًا فيه، حتى إنه ليدعو الله تعالى أن يرزقه مواساة الناس، فقد كان من دعائه: اللهم أعزنى بطاعتك، ولا تخزنى بمعصيتك، اللهم ارزقنى مواساة من قتّرتَ عليه رزقه، بما وسعت من فضلك.

ـ ومن مواساته أنه كان يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء.

ـ وأنه كان يقول: لا يتم المعروف إلا بثلاثة؛ بتعجيله، وتصغيره، وستره.

* وله فقهه الخاص فى التعامل بين الإخوان:

ـ قال جعفر الصادق: إذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقال، كانت عقوبة عجلت، وإن كان على غير ما يقال، كانت حسنة لم يعملها.

* ومن كلماته الجامعة:

ـ قوله: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب.

ـ وقال لسفيان الثورى: يا سفيان، إذا جاءك ما تحب فأكثر من الحمد لله، وإذا جاءك ما

تكره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار.

١١ - سلمة بن دينار

هو سلمة بن دينار المخزومى أبو حازم، ويقال له الأعرج، من أهل المدينة - وهو فارسى الأصل - كان من علماء المدينة وزهادها وعبادها، توفى بالمدينة سنة ١٤٠ هـ. وكان قاضى المدينة.

روى عنه مروان بن محمد قال: قال أبو حازم الأعرج يخاطب نفسه: يا أعرج ينادى يوم القيامة، يا أهل خطيئة كذا، وكذا فتقوم معهم، ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فتقوم معهم، فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة.

* وقد بلغ من التقوى والورع مبلغا عظيما، فقد قال رجل لأبى حازم: إنك متشدد، فقال أبو حازم: ومالى لا أتشدد وقد ترصدنى أربعة عشر عدواً:

أما أربعة؛ فشيطان يفتننى، ومؤمن يحسدنى، وكافر يقتلنى، ومنافق يبغضنى.

وأما العشرة فهى: الجوع والعطش والحر والبرد والعرى، والهرم والمرض والفقر والموت والنار. ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحًا أفضل من التقوى.

* وقد كان سلمة بن دينار مثلا فى نصرة الحق وإعلانه فى وجه كل أحد، حتى لو كان الخليفة نفسه.

وسوف أذكر حواراً دار بينه وبين سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين فى الفترة ما بين سنتى ٩٦ هـ و ٩٩ هـ وذلك عندما ذهب سليمان إلى المدينة...

ولندع يحيى بن أبى كثير يروى عن أبيه ما يلى:

* «حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق ثنا محمد بن إسحاق النقلى[(١)] ثنا أبو يونس محمد بن أحمد المدينى ثنا أبو الحارث عثمان بن إبراهيم بن غسان ثنا عبد الله بن يحيى بن أبى كثير عن أبيه. قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجا. فقال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة؟ قالوا: نعم. أبو حازم. فأرسل إليه فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتونى ولم

---

(١) فى مغ: الثقفى.

تأتني. قال: والله ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك فأى جفاء رأيت منى؟ فالتفت سليمان إلى الزهرى فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا. فقال: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب. قال: صدقت. فقال: يا أبا حازم ليت شعرى ما لنا عند الله تعالى غدًا؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله عز وجل. قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[الانفطار:١٣، ١٤] قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم: قريب من المحسنين. قال سليمان: ليت شعرى كيف العرض على الله غدًا؟ قال أبو حازم: أما المحسن كالغائب يقدم على أهله، وأما المسىء كالآبق يقدم به على مولاه. فبكى سليمان حتى علا نحيبه واشتد بكاؤه. فقال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟ قال تدعون عنكم الصلف وتمسكوا بالمروءة وتقسموا بالسوية وتعدلوا فى القضية. قال: يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك؟ قال: تأخذه بحقه وتضعه بحقه فى أهله. قال: يا أبا حازم من أفضل الخلائق؟ قال: أولو المروءة والنهى قال: فما أعدل العدل؟ قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه. قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين. قال: فما أفضل الصدقة؟ قال: جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها من ولا أذى. قال: يا أبا حازم من أكيس الناس؟ قال: رجل ظفر بطاعة الله تعالى فعمل بها ثم دل الناس عليها. قال: فمن أحمق الخلق؟ قال: رجل اغتاظ فى هوى أخيه وهو ظالم له فباع آخرته بدنياه. قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك؟ قال: كلا! قال: ولم؟ قال: إنى أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً، فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا يكون لى منه نصير. قال: يا أبا حازم ارفع إلىَّ حاجتك قال: نعم! تدخلنى الجنة وتخرجنى من النار. قال: ليس ذاك إلىَّ. قال: فما لى حاجة سواها. قال: يا أبا حازم فادع الله لى، قال: نعم! اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى. قال سليمان: قط. قال أبو حازم: قد أكثرت وأطنبت إن كنت أهله، وإن لم تكن أهله فما حاجتك أن ترمى عن قوس ليس لها وتر. قال سليمان: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفينى يا أمير المؤمنين. قال: بل نصيحة تلقيها إلىَّ. قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا، فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم؟ فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت. قال أبو حازم: كذبت إن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧] قال: يا أبا حازم

أوصني. قال: نعم! سوف أوصيك وأوجز، نزه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمـرك. ثم قام فلما ولى. قال: يا أبا حازم هذه مائة دينار أنـفقها ولك عندى أمثالها كثير. فرمى بها وقال: والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسى؟ إنى أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياى هزلا، وردى عليك بذلا، إن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. فسأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان ولم تفطن الرعاة لما فطـنتا إليه، فأتيتا أباهما وهو شعيب عليه السلام فأخبرتاه خبره. قال شعيب: ينبغى أن يكون هذا جائعا ثم قال لاحداهما اذهبى ادعيه، فلمـا أتته أعظمته وغطت وجهـها ثم قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ فلما قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾. كره موسى عليه السـلام ذلك وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بدًا من أن يتبعها لأنه كان فى أرض مسبعة وخوف، فخرج معها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الرياح تصرف ثوبها فتصف لموسى عليه السـلام عجزها فيغض مرة ويعرض أخرى. فقال: يا أمة الله كونى خلفى فدخل موسى إلى شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ. فقال: كل. فقال موسـى عليه السلام: لا! قال شعيب: ألست جـائعا؟ قال: بلى ولكنى من أهل بيت لا يبيعون شيئًا من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبًا، أخشى أن يكون هذا أجر ما سقيت لهمـا. قال شـعيب عليه السـلام: لا يا شاب ولكن هذه عـادتى وعادة آبائى قـرى الضيف وإطعام الطعـام. قال: فجلس موسى عليه السـلام فأكل. فإن كانت هذه المائـة دينار عوضا عمـا حدثتـك فالميـتة والدم ولحم الخنزير فى حـال الاضطرار أحل منه، وإن كان مـن مال المسلمين فلى فيـها شركاء ونظراء إن وازيتهم وإلا فـلا حاجة لى فيهـا، إن بنى إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيـث كانت أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبـة فى علمهم، فلما نكسوا ونفسوا وسقطوا من عين الله تعـالى وآمنوا بالجبت والطاغوت، كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم فى دنياهم وشركوا مـعهم فى فتنتهم. قال ابن شهاب: يا أبا حازم إياى تعنى؟ أو بى تعرض؟ قال: ما إياك اعتمـدت ولكن هو ما تسمع. قال سليمان: يا ابن شهاب تعرفـه. قال: جارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمـة قط. قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيـتنى ولو أحببت الله تعالى لأحـببتنى. قال ابن شـهاب: يا أبا حازم تشتـمنى؟ قال سليمـان: ما شـتمك ولكن شتـمتك نفـسك، أما علمت أن للجار علـى الجار حقـا كحق القرابة؟ فلما ذهب أبو حازم. قال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين تحب أن يكون الناس كلهم مثل أبى حازم. قال: لا.

* حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عـبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبى ثنا يحـيى بن عبد

الرحمن ثنا زمعة بن صالح قال: كتب بعض بنى أمية إلى أبى حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه، فكتب إليه: أما بعد جاءنى كتابك تعزم على إلا رفعت إليك حوائجى، وهيهات رفعت حوائجى إلى من لا يختزن الحوائج، وهو ربى عز وجل فما أعطانى منها قبلت، وما أمسك عنى قنعت.

* حدثنا أبى رحمه الله ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ثنا سفيان بن وكيع. وحدثنا أبو محمد بن حيان ثنا أحمد بن محمد بن سعيد ثنا أحمد بن عبيدة. قالا: ثنا سفيان بن عيينة. قال: كتب أمير المؤمنين إلى أبى حازم. وقال إبراهيم: كتب سليمان إلى أبى حازم، ارفع إلىَّ حاجتك. قال: هيهات رفعت حاجتى إلى من لا يختزن الحوائج، فما أعطانى منها قنعت، وما أمسك عنى منها رضيت.

* ومن فقهه للأخوة فى الإسلام، قوله:

- إذا أحببت أخا فى الله فَأَقِلَّ مخالطته فى دنياه.

١٢ - الزُّهْرى محمد بن مسلم بن شهاب

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى، من بنى زهرة بن كلاب من قريش، ولد سنة ٥٨ هـ، وتوفى سنة ١٢٤ هـ. وهو أول من دون الحديث الشريف، وكان من أكابر الحفاظ والفقهاء وهو من أهل المدينة المنورة. نزل الشام واستقر بها وكان عمر بن عبد العزيز يجله فكتب إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أعلم بالسنة الماضية منه.

وقال سفيان: مات الزهرى يوم مات وما على الأرض أحد أعلم بالسنة منه.

* وله نظرة فى التربية عميقة إذ كان لا يستصغر أحدًا أن يعلمه حديث رسول الله ﷺ.

- حدث يوسف بن الماجشون قال: قال لنا ابن شهاب - أنا وابن أخى وابن عم لى ونحن غلمان أحداث نسأله الحديث -: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبَّان فاستشارهم يبتغى حدة عقولهم.

- حدّث عتبة بن أبى حكيم قال: جلس إسحاق بن عبد الله بالمدينة فى مجلس الزهرى، فجعل إسحاق يقول: قال رسول الله ﷺ. فقال له الزهرى: قاتلك الله يا ابن أبى فروة ما أجراك على الله! أَسْنِدْ حديثك، تحدثونا بأحاديث ليس لها خطم وأزمة[1].

(١) الخطام هو حبل أو نحوه يقاد به الجمل أو نحوه، والزمام خيط يشد به طرف المقود - ويقصد أن السند بالنسبة للحديث كالخُطم - جمع خطام - والأزمة - جمع زمام.

ـ وقال الأوزاعى: قال الزهرى: كان من مضى من علمائنا، يقولون: إن الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا، فنشر العلم ثبات الدين والدنيا، وفى ذهاب العلم ذهاب ذلك كله.

* ومن كلماته:

السَّخِىّ لا تنفعه التجارة.

ـ وقال: استكثروا من شىء لا تمسه النار، قيل: وما هو؟ قال: المعروف.

١٣ ـ طاووس بن كيسان

هو طاووس بن كيسان الخولانى الهمدانى بالولاء، من أكابر التابعين فى رواية الحديث الشريف وفى التفقه فى الدين.

وكان زاهدا متقشفا له جرأة على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من بلاد فارس، ولكنه ولد ونشأ باليمن، ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى حاجًا سنة ١٠٦ هـ.

وكان من خُلقه تجنب القرب من السلطان حتى عرف بذلك، قال سفيان بن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر رضى الله عنه وطاووس وسفيان الثورى رحمهما الله.

وقد علل طاووس هذا الابتعاد عن السلطان عندما سئل عنه بقوله: حيف الأئمة وفساد الناس.

* وكان طاووس يعد نفسه أخا لكل مسلم، وكان يعمل ما وسعه على أن يكون لإخوانه اعتزاز بالله وتوكل عليه، قال عطاء: جائنى طاووس فقال لى: يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حُجَّابًا، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه ووعدك بالإجابة.

ـ وكان يعتبر المسلمين جميعًا إخوانه، فقد ذكر ولده قال: جاء رجل من الخوارج إلى أبى فقال: أنت أخى، فقال: أخى من بين عباد الله، المسلمون كلهم إخوة ـ وكان الخارجى قد سأله عن مسألة انتهره عليها طاووس لأنها من مقولات الخوارج.

* وقد تمثل فقهه للأخوة فى الإسلام فى النصرة والمواساة كما عاهد رسول الله ﷺ أصحابه على ذلك.

* ومن نصرته للحق والناس ما نذكره فيما يلى:

ـ قال الزهرى: نظر سليمان بن عبد الملك إلى رجل يطاف به بالكعبة له جمال وتمام، فقال: يا ابن شهاب من هذا؟.

قال: يا أمير المؤمنين هذا طاووس اليمانى وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه سليمان فأتاه فقال: لو حدثتنا؟ فقال: حدثنى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهون الخلق على الله مَنْ ولى من أمر المسلمين شيئًا فلم يعدل بينهم، فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لو ما حدثتنا؟ فقال طاووس: حدثنى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ـ قال ابن شهاب ظننت أنه أراد عليًا ـ قال: دعانى رسول الله ﷺ إلى طعام فى مجلس من مجالس قريش فقال: إن لكم على قريش حقًا ولهم على الناس حق، ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا، وائتمنوا فأدوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه فقال: لو ما حدثتنى، فقال: حدثنى ابن عباس رضى الله عنهما أن آخر آية نزلت فى كتاب الله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٨١].

ـ ذكر سفيان قال: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه، قال: أردت أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما بين يديه.

١٤ ـ سعيد بن جبير

هو سعيد بن جبير الأسدى بالولاء، الكوفى، أبو عبد الله، كان أعلم التابعين على الإطلاق، وهو حبشى الأصل، أخذ العلم من عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم، وكان ابن عباس يثق فى علمه وفقهه، فكان إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونى وفيكم ابن أم دهماء؟ يقصد سعيد بن جبير، ولد سعيد سنة ٤٥ هـ ـ وتوفى ٩٥هـ.

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاجُ سعيدا، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

* وكان سعيد رحمه الله إماما فى الفقه والورع، ومثلا فى الجهر بكلمة الحق حتى وهو يقتل، ولقد كان مقتله على يد الحجاج بن يوسف معلما بن معالم انتصار الحق على الباطل، فقد لحق سعيد بربه شهيداً سعيداً، وبقى بعده الحجاج شقيا يهذى بقوله: «مالى ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلى» وظل الحجاج بعده خمسة عشر يومًا ثم مات.

* وكانت كلمات سعيد بن جبير للحجاج وهو يحاوره قبل أن يقتل نصرة للحق وأهله فى مواجهة كل حاكم ظالم، وسوف اكتفى بذكر هذا الحوار وما فيه من دروس للدعاة إلى الحق وهم يواجهون الموت ويجابهون الظالمين.

وذلك الحوار ذكره كثير من علماء السير والتاريخ والأدب، وأسندوا روايته إلى كثير من ثقات العلماء.

وخلاصة هذا الحوار:

لما أُتِىَ الحجاج بسعيد بن جبير قال له:

- أنت الشقى بن كسير؟

- قال: بل أنا سعيد بن جبير.

- قال: بل أنت الشقى بن كسير.

- قال: كانت أمى أعرف باسمى منك.

- قال الحجاج: شقيتَ أنت وشقيت أمك.

- قال: الغيب يعلمه الله.

- قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تَلَظَّى.

- قال: لو علمتُ أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا.

- قال: ويلك يا سعيد.

- قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار

- قال الحجاج: فما تقول فى محمد؟

- قال: تعنى النبى ﷺ؟

ـ قال: نعم.

ـ قال: سيد ولد آدم النبى المصطفى، خير من بقى وخير من مضى.

ـ قال: فما تقول فى أبى بكر؟

ـ قال: الصديق خليفة الله، مضى حميدًا وعاش سعيدًا لم يغير ولم يبدل.

ـ قال: فما تقول فى عمر؟

ـ قال: عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله، مضى حميدًا على منهاج صاحبيه، لم يغير ولم يبدل.

ـ قال: فما تقول فى عثمان؟

ـ قال: المقتول ظلمًا المجهز جيش العسرة، الحافر بئر رومة المشترى بيته فى الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، زوجه النبى ﷺ يوحى من السماء.

ـ قال: فما تقول فى علىّ؟

ـ قال: ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم، وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين.

ـ قال: فما تقول فى معاوية؟

ـ قال: شغلتنى نفسى عن تعريف هذه الأمة وتميز أعمالها.

ـ قال: فما تقول فِىَّ؟

ـ قال: أنت أعلم بنفسك.

ـ قال: بُثَّ علمك.

ـ قال: إذن يسوؤك ولا يسرك.

ـ قال: بُثَّ بعلمك.

ـ قال: أعفنى.

ـ قال: لا عفا الله عنى إن أنا أعفيتك.

ـ قال: إنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى، ترى من نفسك أمورًا تريد بها الهيبة وهى تقحمك الهلكة، وسترد غدا فتعلم.

- قال: أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك.

- قال: إذن تُفسد علىَّ دنياى وأُفسد عليك آخرتك.

- قال الحجاج: يا غلام، السيف والنطع، فلما ولّى الحجاج ضحك سعيد بن جبير.

- قال الحجاج: أليس قد بلغنى أنك لم تضحك؟

- قال سعيد: وقد كان ذلك.

- قال الحجاج: فما أضحكك عند القتل؟

- قال: من جراءتك على الله ومن حلم الله عنك.

- قال: يا غلام اقتله.

فاستقبل سعيد القبلة وقال: وجهتُ وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين.

فأمر الحجاج بصرف وجهه عن القبلة.

فقال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله.

- قال الحجاج لغلامه: كبه على وجهه أو اضرب به وجه الأرض.

- فقال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.

- قال الحجاج: اذبحوه.

- قال سعيد: أما إنى أشهد وأُحاجُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة.

وبعد:

فسوف يظل هذا الحوار الذى دار بين الحجاج وسعيد بن جبير معلما من معالم جرأة المؤمنين فى الحق، وندم الظالم المستبد الذى يستحل دماء أهل الحق المقهورين بسلطان الباطل، سيظل هذا الحوار دليلاً ناصعًا على أن نصرة الحق كما تكون بالقوة المادية، تكون بالثبات على الحق والجهر بكلمته أمام السلطان الجائر، مهما تطاول الزمان وتعددت وسائل قمع الحق وأهله، ومهما بدا أهل الحق فى غير حول ولا قوة إذا قورن ما لديهم بما عند أهل الباطل من قوة غاشمة وبطش ظالم.

نعم لقد أفسد الحجاج على سعيد بن جبير دنياه إذ أزهق روحه فمضى شهيدًا للحق، ولكن الحجاج أفسد على نفسه آخرته إذ مضى إلى ربه ملوثًا بدماء سعيد بن جبير وأمثاله.

١٥ ـ الليث بن سعد

هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى بالولاء، ولد فى قلقشندة بمصر سنة ٩٤ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ١٧٥ هـ. إمام أهل مصر فى عصره فى الحديث النبوى والفقه.

قال عنه الإمام الشافعى: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وهو أتبع للأثر من مالك بن أنس.

وقال ابن تغرى بردى عنه: كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها فى عصره، بحيث إن القاضى والنائب من تحت أمره ومشورته».

وأصله من أصبهان. وكنيته أبو الحارث.

* ومن فقهه للأخوة فى الإسلام ما نذكره من مواقف له فى مجال المواساة للإخوان فيما يلى:

ـ قال عبد الله بن صالح: صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى وحده إلا مع الناس.

ـ وقال عبد الرحمن بن محمد بن جعفر وأحمد بن إسحاق: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الرملى عن ابن رميح قال: كان دخل الليث بن سعد فى كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله تعالى عليه درهما بزكاة قط.

والمعنى أنه ينفق كل هذه الأموال على إخوانه دون أن يحول عليها الحول فتجب فيها الزكاة.

ـ وقال سليم بن منصور: سمعت أبى يقول: كان الليث بن سعد يستغل فى كل سنة خمسين ألف دينار، فيحول عليه الحول، وعليه دين.

ـ وقال عبد الملك بن يحيى بن كثير: سمعت أبى يقول: وَصَلَ الليث بن سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار.

* احترقت دار ابن لهيعة فبعث إليه بألف دينار.

* وحَجَّ فأهدى إليه مالك بن أنس رطبًا على طبق فردَّ إليه على الطبق ألف دينار.

* ووصل منصور بن عمار القاضى بألف دينار.

وقال الليث لمنصور لا تُسمع بهذا ابنى فتهون عليه. فبلغ ذلك ابنه شعيبًا بن الليث فوصل منصوراً بألف دينار إلا ديناراً، وقال: إنما نقصتك هذا الدينار لئلا أساوى الشيخ فى عطيته.

* ومن مواقفه فى نصرة الحق والجهر بكلمته فى حضرة السلطان، ما ذكره الرواة من موقفه مع هارون الرشيد.

ـ قال عبد الله بن صالح: سمعت الليث بن سعد يقول: لما قدمتُ على هارون الرشيد قال لى: يا ليث، ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتى الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت السواقى، فقال: صدقت يا أبا الحارث.

* ولو شئنا أن نستطرد فى ذكر التابعين وتابعيهم لتوسعنا فى القول بما لا يتحمله هذا الكتاب.

غير أننا نذكر القارئ بأسماء بعض مشاهير التابعين وتابعيهم رحمهم الله، عسى أن يولى القارئ هؤلاء الأعلام فى تاريخ المسلمين اهتماما يعرف به فقههم للأخوة فى الإسلام ومدى ما دعموا به هذه الأخوة فى الله من نصرة ومواساة كما تقتضى هذه الأخوة.

ومن هؤلاء الأعلام:

ـ إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١ هـ.

ـ وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ.

ـ والفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ.

ـ وشقيق البلخى المتوفى سنة ١٩٤ هـ.

ـ ومعروف الكرخى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ.

ـ وبشر بن الحارث الحافى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ .

ـ وحاتم الأصَمّ المتوفى سنة ٢٣٧ هـ.

- وأبو الحسين محمد بن أسلم الطوسى المتوفى سنة ٢٤٢ هـ.

- والحارث بن أسد المحاسبى المتوفى سنة ٢٤٣ هـ.

- وذو النون المصرى ثوبان بن إبراهيم المتوفى سنة ٢٤٥ هـ.

- والسَّرِىّ السَّقَطى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ.

- وإبراهيم الخواص المتوفى سنة ٢٩١ هـ.

- والجنيد بن محمد المتوفى سنة ٢٩٧ هـ.

ثانيًا :

المصلحون المجددون بعد القرون الثلاثة الأولى

لم يَخْلُ قرن من القرون من مصلحين مجددين لأمر الدين عاملين مجتهدين على إحيائه في نفوس الناس وعقولهم وأخلاقهم وأعمالهم.

ولقد أكَّدَتْ ذلك سنة الرسول ﷺ، فقد روى أبو داود والحاكم والبيهقي بأسانيدهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها»**.

* وإذا لم يخل قرن من القرون من مصلح مجدد أو أكثر يجدد للأمة الإسلامية أمر دينها، فإن صالحي المسلمين في كل قرن لابد أن يكونوا أكثر من ذلك بكثير، وهذا ما دلَّت عليه الشواهد التاريخية، والسِّيَر التي كتبت عن الإسلام والمسلمين، سواء أكان الكاتبون مسلمين أم غير مسلمين.

* وما دامت الأخوة في الإسلام مطلبًا دينيا دلَّت عليه آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، فلابد أن يكون لهذه الأخوة في الإسلام وجود، بل بروز عند المصلحين المجددين وعند صالحي المسلمين، فما دام هناك مسلمون فلابد أن تكون الأخوة في الإسلام حاضرة بارزة عند كثير منهم.

* هذه مُسَلَّمة لا تحتاج إلى أن يجادل فيها إلا كل غافل عن جوهر دين الإسلام أو جاهل به، فضلا عن مضلل أو حاقد على الإسلام وأهله.

* ولقد تمثَّلَت الأخوة في الإسلام في صالحي المسلمين في مختلف الأزمان التي عاشوا فيها - بعد القرون الثلاثة الأولى خير القرون - تمثَّلتْ في أجلى وأوضح ما تكون، وفي أجمل وأنبل ما تكون، وفي ألزم وأوجب ما تكون، ولم يكن ذلك مقصوراً على المصلحين والمجددين، وإنما كان في كثير من المسلمين، بل في معظمهم.

ونحاول في هذه الصفحات أن نوضح هذه المحاور الثلاثة التي اتضحت فيها الأخوة في الإسلام، فكانت جزءاً من الدين واستجابة لأمر الله تعالى ولأمر رسوله ﷺ، والله المستعان.

- أما إن الأخوة في الإسلام كانت عند كثير من المسلمين أجلى وأوضح ما تكون، فإن

ذلك يدل عليه ما كتب من سير صالحى المسلمين وبخاصة العلماء منهم.

فلم تعرف الإنسانية طوال تاريخها، وإلى يوم الناس هذا علماء يعلمون الناس ما عندهم من علم وحكمة حِسْبَةً لوجه الله تعالى دون انتظار جزاء أو شكور من المتعلمين صغاراً كانوا أو كباراً، كما عرفتْ من سير علماء المسلمين وسير صالحيهم.

ولم يكن هذا الخلق فى نشر العلم وتعليم الناس غريبًا أو متكلفًا من هؤلاء المسلمين، وإنما كان ذلك استجابة منهم لأخلاق الإسلام وقيمه وآدابه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران: ١٨٧].

والمسلمون دون شك ممن آتاهم الله الكتاب، بل آتاهم أكمل الكتب وأتمها وأرضاها لله، وأكثرها حفظا وبُعدًا عن التغيير والتبديل ـ كما حدث فى كتب أخرى ـ لأن الله تعالى تكفل بحفظ هذا الكتاب الخاتم بينما استحفظ الناس على الكتب الأخرى التى سبقت القرآن فى النزول من عنده سبحانه وتعالى.

ـ هذا الميثاق أخذه الله تعالى على الذين أكرمهم بأنْ علَّمهم الكتاب ـ أى ما جاء من عند الله منزلا على رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ـ أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا للناس ما فى كتاب الله من خير وهدى وبرّ لصلاح دينهم ودنياهم، وما يشتمل عليه الكتاب من حق ونور، وما يهدى إليه من نجاح وفلاح.

ـ ولقد أمر الله تعالى الذين آتاهم الكتاب بأن لا يكتموا الناس شيئًا مما علمهم الله، فكان تعليمهم الناس ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم، وما يزال، أصْلاً من الأصول التى يجب العمل بها فى الإسلام، لهذه الآية الكريمة، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه الحاكم فى مستدركه وابن حبَّان فى صحيحه بسنديهما عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كتم علمًا عن أهله أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار».

وهذا تهديد ووعيد لكل من آتاه الله علمًا فكتمه عَمَّن سأل عنه، أو كتمه عَمَّن ينبغى أن يعلمه إياه.

ـ وأهل العلم الذين يجب أن يُوَجَّه إليهم العلم هم كل مسلم قادر على فهم ما يسمع، وقادر على العمل بما علم، وهى كل من سأل عن شىء من العلم.

ـ واللجام الذى صنع من النار ـ أعاذ الله المسلمين منه ومن عذابه ـ هو أشد إيلامًا

وإيذاء من كل عذاب، وحسبك بإنسان يعذب بلجام من نار فى فمه كما يكون اللجام فى فم الحيوان!!!

* من هذا المنطلق؛ الآية الكريمة، والحديث الشريف وأمثالهما - وذاك كثير - كانت الأخوة فى الإسلام بين العلماء والمتعلمين أوضح ما تكون وأجلى ما تكون، حيث يحب العالم من المسلمين لأخيه فى الإسلام ما يحب لنفسه.

- ولا زال هذا خلق المسلمين حتى يوم الناس هذا، علماؤهم يعلمون لوجه الله، ومتعلموهم يسألون عن العلم ويقبلون عليه ودن أن يقدموا للعلماء ثمنا!!!

* وأما إن هذه الأخوة فى الإسلام كانت عند المسلمين أجمل وأنبل ما تكون، فإن ذلك يتضح من التأمل فى أهداف الأخوة فى الإسلام.

وأهداف الأخوّة فى الإسلام كثيرة من أهمها:

- مواساة المسلم لأخيه المسلم فى السراء والضراء، فى الأمن والخوف، فى الغنى والفقر، فى جلب المنفعة ودفع المضرة.

- ونُصرة الأخ لأخيه المسلم ظالما أو مظلوما، بأن يعينه على عدوه، ويكفه عن ظلم سواه.

- ونصرة الحق ذاته؛ لأن نصرة الحق دعم لـلقيم الإسلامية التى منها وعلى رأسها الأخوة فى الإسلام.

* وهكذا كان شأن صالحى المؤمنين فى كل الأزمنة، ولا يزال ذلك شأن الصالحين منهم إلى يوم الناس هذا.

* ولقد وجه الإسلام إلى المواساة بين المتآخين فى الله عندما مدح الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم مهما كانوا في حاجة إلى ما يدعمون به إخوانهم ويسدون به خلتهم، يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، ولا يكون هذا الإيثار إلا ممن فقهوا الأخوة فى الإسلام حق الفقه، وفهموها أحسن الفهم، ومارسوها فى تعاملهم مع إخوانهم فى الإسلام فى مختلف العصور، وفى كل مكان ذهب إليه المسلمون.

* وتاريخ المسلمين حافل بقصص الإيثار التى فضَّل فيها بعض المسلمين إخوانهم على

أنفسهم، وهذا الإيثار من الأخلاق الأصيلة فى الإسلام، لقوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله».

ولما رواه البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته، ومن فرج عند مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

فليس هناك صورة للأخوة فى الإسلام أجمل ولا أنبل من إيثار المسلم لأخيه المسلم، وتفضيله إياه على نفسه، وذلك خلق صالحى المسلمين فى كل زمان ومكان ليكون موضع رضا الله تعالى، الذى مدح المؤثرين على أنفسهم فى محكم كتابه.

* وأمًّا إن هذه الأخوة فى الإسلام كانت ألزم ما تكون وأوجب ما تكون، فلأن حياة المسلم لا تكون إلا مع أخيه المسلم، فليس له أن يعتزل إخوانه فضلاً عن أن يقاطعهم، وليس لإخوانه أن يعتزلوه فضلاً عن أن يقاطعوه، لأن الإسلام ينهى عن هجر المسلم لأخيه المسلم، ويحرم التدابر والتخاصم.

- ولا يمكن تصور حياة المسلم دون إخوانه فى الدين؛ لأن الله تعالى أمر المسلمين بالتعاون على البر والتقوى فى قوله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾ [المائدة: ٢]، ولا يتصور التعاون مطلقًا إلا بين أكثر من واحد، ولا يكون التعاون على أحسن وجوهه إلا بين الإخْوة فى الإسلام.

- وتكون الأخوة فى الإسلام ألزم ما تكون، لأن الله تعالى عندما ختم الأديان بهذا الدين العظيم، جعل من تمامه وكماله أن يكون المؤمنون به المسلمون أنفسهم لمنهجه ونظامه إخوة فى هذا الدين، وطالبهم من خلال هذه الأخوة وحقوقها وواجباتها أن يعملوا على التمكين لهذا الدين فى الأرض، ولا يتم هذا التمكين إلا إذا كانت قلوب العاملين من أجله مترابطة وصفوفهم متراصة، ولا يربط بين القلوب على الحق مثل الأخوة فى الله، ولا يجمع الصفوف على الحق فى معاركه مع الباطل مثل الأخوة فى الله.

والتمكين لدين الله فى الأرض له متطلبات عديدة، بعضها واجب على الإنسان فى ذات نفسه كالصلاة والصوم والزكاة والحج - بعد النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما - ومثل التطهر من الآثام والذنوب وغيرها.

وبعض هذه المتطلبات واجب على الجماعة فيما بينها وهو التعاون على أعمال الدعوة إلى الله والحركة بالإسلام فى الناس والآفاق والعمل على تربية الآخرين وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وبعضها لا يتم إلا بالترابط والتآخى فى الله كالجهاد فى سبيل الله، فلا يتصور أن يجاهد الإنسان وحده، ولا يجدى جهاد فى سبيل الله، ما لم يكن المجاهدون متآخين فى الله متعاونين فى القيام بأعباء الجهاد وهى كثيرة.

وبغير الواجبات الفردية والواجبات الجماعية من عبادة وعمل فى مجالات الدعوة والحركة والتربية، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، ولا يدعم القيام بهذه الواجبات مثل الأخوة فى الإسلام.

* وهكذا تتجلى الأخوة فى الإسلام ألزم ما تكون وأوجب ما تكون من أجل التمكين لدين الله فى الأرض.

وبعـــد :

فإن الأخوة فى الإسلام تمثلت فى صالحى المسلمين بعد القرون الثلاثة الأولى، لأنها من دواعى ترابط المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى، ولأنها مما أمر بها الإسلام وجعلها أصلا من الأصول التى لا يكمل الإيمان إلا بها، بل لا يكون الإيمان إلا بها.

وما خلا عقد من عقود أى قرن من الزمان من نماذج للأخوة فى الإسلام بين المسلمين، ولو شئنا أن نذكر من كل عقد أنموذجًا أو أكثر لتحدثنا عن مئات النماذج وتركنا مئات أخرى.

لذلك سوف نكتفى بالشاهد والمثال فى كل قرن من القرون وحسبنا هذا ليتلاءم مع طبيعة هذا الكتاب، والله المستعان.

١ ـ من القرن الرابع الهجرى

القرن الرابع الهجرى كان بحق قرن الأحداث الكبرى فى تاريخ المسلمين، الأحداث السياسية، والأحداث العلمية والحضارية بوجه عام.

* أما الأحداث السياسية فكانت أحداثًا كبرى بل خطيرة الأثر إذ تمخضت فى هذا القرن عن ضعف وحدة المسلمين سياسيًا؛ فلم تعد دولة الخلافة العباسية قادرة على توحيد أقطار المسلمين أو جمعها عمليًا فى إطار دولة ـ كما كان الشأن بُعيد قيام دولة بنى العباس.

ـ تلك حقيقة يعرفها ويقر بها مؤرخو المسلمين فى تحسر وأسى، كما يسجلها أعداء الإسلام ـ وبخاصة صَليبيُّو أوربا ـ بفرحة بل سعادة غامرة.

ـ ولم تكن أسباب هذا الانقسام بتحول الدولة الكبرى إلى دول بل دويلات خافية على من يراقب الأحداث، فلم تكن العناصر التركية المقربة من بعض الخلفاء الذين تنتمى أمهاتهم إلى الترك هى وحدها التى عملت على إضعاف هيبة الدولة والخلافة، وإنما كانت إلى جانبها عوامل كثيرة، لابد أن يكون من بينها أصابع خفية تحرك الأحداث وتسعى بها نحو هذا الانقسام، ولابد أن يكون لبعض اليهود الذين دخلوا فى الإسلام ظاهرا أثر فى ذلك، كما لابد أن يكون لدولة الروم وبعض دول أوربا وللكنيسة الأوربية أثر غير خفى.

ـ والدليل على وجود هذه الأصابع الخفية المحركة لأحداث الانقسام والتشرذم هو ما قامت به دول أوربا تحت قيادة الكنيسة من شَنّ حملات صليبية على العالم الإسلامى بعد ذلك بزمن غير بعيد ـ فى عرف من يحيكون المؤامرات ويحركون الدسائس، متجهين بجحافل جيوشهم إلى الشام لاستعادة بيت المقدس، وإلى مصر لتقطع المَدَد عن الشام، ولتستولى على بوابة إفريقيا من الشمال.

ـ وبدليل أن حروبًا كثيرة شنتها دولة الروم على بعض الدول التى استقلت عن دولة الخلافة.

ـ وبدليل استطاعة دول كثيرة من دول أوربا أن تسيطر على كثير من أقطار العالم الإسلامى بعد هذا القرن الرابع الهجرى.

ـ وبدليل أن المسلمين ـ فيما بعد ـ عندما استطاع العثمانيون أن يقيموا دولة خلافة قوية تملك زمام معظم العالم الإسلامى؛ أسرعت دول الغرب ومن ورائهم اليهود يتعاونون

لإسقاط هذه الدولة، وتفريقها مرة أخرى إلى دويلات، وكانوا فى هذه المرة أكثر صراحة وقِحَةً فى عداء الإسلام نفسه بما قاموا من حملات تنصير لبعض المسلمين فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

- وبدليل أنهم عندما عملوا على إسقاط دولة الخلافة فى تركيا، وأعانوا مصطفى كمال - وأمه من يهود الدونمة - على أن يتولى الحكم، وجاءت سلسلة الأصوات التى قام بها مصطفى كمال مؤكدة لعدائه للإسلام نفسه لا لدولة الخلافة وحدها؟ إذْ كان من أبرز أعماله المعادية للإسلام ما نسوق طرفا منه فيما يلى:

١ - فى سنة ١٩٢٢م ألغيت السلطنة العثمانية فانفرط العقد، وتقاسمت دول أوربا بلدان العالم الإسلام احتلالاً، أو انتدابًا، أو وصاية، أو حماية، ومن هذه الدول:

- بريطانيا.

- وفرنسا.

- وإيطاليا.

- وهولندا.

- وإسبانيا.

- وبلجيكا.

- واليونان.

كما أعانت على ذلك الإسقاط للسلطنة العثمانية دولة الاتحاد السوفيتى - سابقًا - واستولت على الولايات الإسلامية (أذربيجان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وتركمانيا، وقازاخستان، وقرغيزيا).

٢ - وفى عام ١٩٢٣م ألغيت الخلافة وأعلنت الجمهورية وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وأعلن علمانيته وعداءه للإسلام صراحة ودون مواربة.

٣ - وفى سنة ١٩٢٤م تم فى حرب الإسلام ما يلى:

أ - ألغى تدريس الدين وأغلقت مدارس القرآن.

ب - وألغيت وزارة الأوقاف الإسلامية والشئون الدينية[١].

(١) هذا ما فعله جمال عبد الناصر فى مصر حيث ألغى الأوقاف.

جـ ـ وألغيت المحاكم الشرعية[1].

د ـ وألغيت جميع الزوايا والتكايا ـ وهى تشبه الأوقاف ـ.

٤ ـ وفى سنة ١٩٢٥م قامت ثورة على مصطفى كمال ونظامه قادها الشيخ سعيد بيران، فأعلن مصطفى كمال الأحكام العرفية وأعدم الشيخ وخمسين من أنصاره، وأغلق عشر صحف فى «استانبول».

٥ ـ وفى سنة ١٩٢٥م ألزم الرجال بلبس القبعات، وألزمت النساء بالزى الأوربى، وألغيت الألقاب الإسلامية أو التى تعارف عليها المسلمون مثل: الخليفة، والشيخ، والمريد، وغيرها.

٦ ـ وفى سنة ١٩٢٦م صدر قانون الزواج المدنى، وترتب عليه ما يلى:

أ ـ تحريم تعدد الزوجات.

ب ـ وتحريم الطلاق.

جـ ـ وإلغاء المهر الذى يدفعه الزوج لزوجته.

د ـ وإباحة أن تتزوج المسلمة بغير مسلم.

هـ ـ وسُوِّىَ بين الذكر والأنثى فى الميراث، خلافًا لما جاء فى القرآن الكريم.

أى حل القانون المدنى الأوربى محل الشريعة الإسلامية.

٧ ـ وفى سنة ١٩٢٨م ألغيت عبارة أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام.

٨ ـ وفى نفس السنة استبعدت كلمة «الله» من أى قسم يؤديه رجال الدولة عند تسلم أعمالهم الهامة.

٩ ـ وفى نفس السنة ألغيت الحروف العربية من الكتابة لتحل محلها الحروف اللاتينية.

١٠ ـ وفى سنة ١٩٣٢م أصبحت خطب الجمعة بالمساجد تُلقَى باللغة التركية بدلاً من اللغة العربية.

ـ وفرض على المؤذنين فى المساجد أن يؤذنوا ويقيموا باللغة التركية.

١١ ـ وفى سنة ١٩٣٥م صارت العطلة الأسبوعية هى يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة.

(١) هذا ما فعله جمال عبد الناصر فى مصر بعد تدبير فضيحة لبعض القضاة الشرعيين.

١٢ ـ وفى سنة ١٩٤٠م تقرر تدريس الإلحاد رسميا فى المدارس فى القرى أولاً ثم فى جميع المدارس بعد ذلك.

* ولا يزال هذا المسلسل مستمراً فى تركيا وكانت إحدى حلقاته إسقاط وزارة نجم الدين أربكان التى رأسها بناء على أصوات الناخبين!!!

ـ أليس فى كل ذلك دليل على أن أعداء الإسلام يكيدون له ويدبرون المؤامرات؟

ـ أليس تفريق المسلمين إلى سبع وخمسين دولة ـ بين كثير منها من العداء وتنافر المصالح وخلافات الحدود ـ أليس فى ذلك الدليل على التدبير الخفى والتآمر من أعداء الإسلام؟

* ولندع جانبًا إثارة الحروب بين المسلمين، لتأريث العداء، ولبيع الأسلحة الغربية، وتبرير وجود قوات الغرب فى كثير من بلدان العالمين العربى والإسلامى، والاستيلاء على «النفط» سنوات طويلة آتية... فإن ذلك لا تعليل له إلا التآمر.

* ولندع إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين بتعاون من الغرب وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، فإن ذلك لا يعنى شيئًا مثلما يعنى التآمر على الإسلام والمسلمين.

* وأما الانقسام فى القرن الرابع الهجرى من الناحية السياسية فكان على النحو التالى:

ـ دولة بنى بُوَيْه:

وقد استقلّت عن دولة الخلافة العباسية بأقاليم: فارس، والرىّ، وأصبهان، والجبل.

ـ ودولة بنى حمدان:

وقد استقلت بأقاليم الموصل، وديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر.

ـ ودولة الإخشيد:

التى استقلت بمصر والشام.

ـ ودولة السامانيين:

التى استقلت بخراسان.

ـ ودولة البريديين:

التى استقلت بالأهواز، وواسط، والبصرة.

ـ ودولة القرامطة:

التى استقلت باليمامة والبحرين.

ـ ودولة الديلم:

التى استقلت بطبرستان وجرجان.

ـ ودولة الفاطميين:

التى استقلت بالمغرب وإفريقية (تونس) أولاً، ثم اتسع نفوذها بعد ذلك.

ـ ودويلة محمد بن إلياس:

التى استقلّت بكرمان.

* ولم يبق لبغداد أىّ دولة الخلافة العباسية إلا بغداد وأعمالها.

غير أن قد بقى للخلافة العباسية الاعتراف الرسمى لها من هؤلاء المستقلين، والدعاء للخليفة على المنابر، وانتظار الخِلَع والتكاليف بالعمل من الخلفاء العباسيين.

* وفى هذا القرن الرابع الهجرى تنامى أمر الخلافة الفاطمية واتسعت رقعتها، فاتسعت بذلك رقعة العالم الإسلامى وامتد من أقصى الشرق «الهند» إلى أقصى الغرب «المحيط الأطلسى، ومن بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللاَّن والبلغار والصقالبة والترك والصين شمالاً، إلى بحر فارس جنوبًا.

* ومن الناحية السياسية أيضًا؛ كان هذا الوطن الإسلامى المترامى الأبعاد من حيث الواقع وطنًا واحدًا، لا توجد فيه عقبة أمام من أراد أن يتجول فيه من بلد إلى بلد أيا كان دافعه إلى هذا التجول؛ تجارة، أو سياحة، أو رحلة علمية تاريخية جغرافية، أو رغبة فى تغيير مكان الإقامة، وكل ما كان يحتاج إليه فى هذا التنقل والتجوال هو أن يكون من مواطنى هذا الوطن الإسلامى الكبير[1]، حيث يأمن بانتمائه هذا على نفسه وماله وأهله وولده والعمل الذى يحب أن يقوم به فى أى وطن من الأوطان.

هذا هو الحدث الكبير فى الناحية السياسية.

---

(١) أما اليوم ـ وبعد أن قطعت دول الغرب أوصال العالم الإسلامى ـ فقد أصبح دخول المسلم إلى بلد غير بلده يحتاج إلى إجراءات بالغة التعقيد نعرفها جميعًا، فى حين يدخل الأمريكى مثلاً أى بلد إسلامى دون أى تأشيرة دخول للبلد الذى يريد!!!

الأحداث العلمية والحضارية فى هذا القرن

* وأما الأحداث العلمية والحضارية فى هذا القرن، فقد كانت أعمق وأكبر من مثيلاتها فى أى قرن من القرون اللاحقة لهذا القرن.

شهد بذلك كتاب الغرب وباحثوه ومؤرخوه[١]، وكل مؤرخى هذه الحقبة من المسلمين[٢].

* وهذه النهضة العلمية الحضارية فى هذا القرن قد كان لها شواهد عديدة منها:

١ ـ كثرة عدد العلماء وتفوق كثير منهم بل تبريزهم فى علمهم.

٢ ـ وتنوع تخصصات العلماء.

٣ ـ وانتشار التعليم والمدارس ودور العلم.

٤ ـ وكثرة المكتبات العامة والخاصة، وامتلاؤها بالكتب.

٥ ـ وتعدد مظاهر الحضارة وتنوع مراكزها.

* ومن إنصاف هذا القرن أن نذكر كلمة حول كل نقطة من هذه النقاط، والله المستعان.

مَسْرَد لمشاهير هذا القرن

أولاً: كثرة العلماء فى هذا القرن:

كثر العلماء المتفوقون المبرِّزون كثرة تلفت نظر الباحث المتأمل، بل تعجز من أراد أن يحصيهم.

ـ وفى محاولة متواضعة منى ـ بعد معاناة وصرف وقت وجهد كبيرين ـ استطعت أن أحصى من أسمائهم أكثر من أربعمائة ثم هالنى هذا العدد على قِلَّته بالنسبة لعلماء هذا القرن.

ـ غير أننى سوف أحدد أسماء عدد منهم من علماء الدين كالمفسرين والمحدثين والفقهاء

---

(١) انظر فى ذلك: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام. تأليف: آدم متز بجامعة بازل بسويسرا ترجمة: محمد عبد الهادى أبى ريدة ط بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) أ ـ المنتظم: لابن الجوزى. ب ـ مروج الذهب: للمسعودى.
جـ ـ حسن المحاضرة: للسيوطى. د ـ طبقات المفسرين: للسيوطى.
هـ ـ تجارب الأمم: لمسكويه. و ـ بستان العارفين: للسمرقندى.

والمؤرخين والرحالة الجغرافيين والأدباء، فى هذا المسرد التالى:

١ ـ أحمد بن موسى أبو بكر بن مجاهد (٢٤٥ - ٣٢٤هـ).

من علماء القراءات بل كبيرهم فى عصره.

٢ ـ محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ).

مفسر مؤرخ، بل إمام فى التفسير والتاريخ[1].

٣ ـ عبد الله بن سليمان الأشعث (٢٣٠ ـ ٣١٦هـ).

من كبار حفاظ الحديث وإمام أهل العراق.

٤ ـ أحمد بن سهل البلخى (٢٣٥ ـ ٣٢٢ هـ).

أحد أفذاذ علماء الإسلام جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب، وقد سبق علماء البلدان كافة إلى رسم الأرض فى كتابه: «صور الأقاليم الإسلامية».

٥ ـ أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ).

مؤسس مذهب الأشاعرة، وكان معتزليا ثم عاد إلى مذهب أهل السنة، واسع التأليف يقال إنه ألف ثلاثمائة كتاب منها: مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة.

٦ ـ ابن أبى حاتم عبد الرحمن بن محمد (٢٤٠ ـ ٣٢٧ هـ).

من كبار حفاظ الحديث، وهو الذى رتب ألفاظ الجرح والتعديل فجعل أعلاها مرتبة: ثقة أو متقن أو ثَبْت أو حجة، أو عدل أو حافظ، أو ضابط... إلخ.

٧ ـ محمد بن أحمد بن شنبوذ (... ـ ٣٢٨ هـ).

من كبار القراء ومتقنيهم، له كتاب: «اختلاف القراء»، و «شواذ القراءات».

٨ ـ المسعودى على بن الحسين بن على (... ـ ٣٤٦ هـ).

مؤرخ رحَّالة بحَّاثة من أهل بغداد ولكنه أقام بمصر وبها توفى، مؤلف: مروج الذهب، والتنبيه والإشراف، وغيرهما من الكتب فى الديانات والفِرَق، والسياسة والاجتماع.

---

(١) له فى التفسير جامع البيان، وفى التاريخ: أخبار الرسل والملوك وله كتاب: اختلاف الفقهاء، لم يذكر فيه أحمد ابن حنبل، فلما سئل عن ذلك قال: إنه ليس فقيها، وإنما هو محدث، مما أحنق عليه الحنابلة حتى منعوا دفنه نهارًا، فدفن ليلاً فى داره.

٩ ـ ابن يونس الصَّدَفى عبد الرحمن بن أحمد (٢٨١ ـ ٣٤٧ هـ).

محدِّث مؤرخ، ولد ومات فى القاهرة له: أخبار مصر ورجالها، وغيره من الكتب، وهو والد العالم الفلكى المعروف: على بن يونس، صاحب: الزِّيج[1] الحاكمى.

١٠ ـ محمد بن الحسن، ابن مقسِّم العطار (٢٦٥ ـ ٣٥٤ هـ).

عالم بالقراءات، والعربية، والتفسير، له: «الأنوار» فى التفسير وله: «الرد على المعتزلة»، «واللطائف فى جمع هجاء المصاحف»، وغيرها.

١١ ـ محمد بن أحمد البناء المقدسي (٣٣٦ ـ ٣٨٠ هـ).

رحَّالة جغرافى صنف فى الجغرافيا كتابه الذائع الصيت: «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم».

١٢ ـ حَمْد بن محمد الخطابى (٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ).

محدِّث، فقيه من أهل بست من أفغانستان، من نسل زيد بن الخطاب شقيق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، له: «معالم السنن» و«بيان إعجاز القرآن» و «إصلاح غلط المحدثين» وغيرها.

وهو الذى عيَّن أقسام الحديث الثلاثة: الصحيح والحسن والضعيف.

١٣ ـ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ ـ ٣٨٥ هـ).

ينسب إلى دار القطن ببغداد، وهو إمام عصره فى الحديث. وأول من دوّن فى القراءات وعقد لها أبوابًا. له كتاب: «السنن» و «العلل الواردة فى الأحاديث النبوية» و «الضعفاء» وغيرها.

١٤ ـ محمد بن إسحاق بن مَنْدَه (٣١٠ ـ ٣٩٥ هـ).

من كبار حفاظ الحديث الرحَّالين فى طلبه، له كثير من الكتب، منها: «فتح الباب فى الكنى والألقاب» و «الرد على الجهمية» و «معرفة الصحابة» وغيرها.

* هؤلاء الأعلام العلماء الذين كانوا حماة للدين وذادة عن قيمه ومبادئه، كان لهم بكل تأكيد فقه للأخوة فى الله، دعم ما بينهم وبين الناس من حب ومودة، ولقد ظهر حب

---

(١) الزيج: كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم ويستخرج منها التقويم سنة بسنة.

الناس لهم وحبهم للناس فى كثير من مواقفهم، وفى كثير من مؤلفاتهم.

وهكذا كان أهل سائر القرون، ما عدمت الأخوة فى الله فيهم يومًا من يعمل بمقتضى حقوقها وواجباتها، وإلا ما استطاعوا أن يشيدوا هذه الحضارة الشامخة، ولا استطاعوا عن أن يدفعوا عن هذا الدين أعداءه.

ثانياً: تنوع تخصصات العلماء فى هذا القرن

لا شك أن الحضارة الإسلامية فى جملتها، بل فى كثير من تفصيلاتها قامت على مبادئ هذا الدين وقيمه وأركانه، وذلك أن هذه المبادئ والقيم والأركان هى الباعث على الحضارة كلها، وهى الداعية إليها الموجبة للأخذ بأسبابها جميعًا من علم وفن وتقنية، فى مجالات الحياة كلها السياسية والاقتصادية والزراعية والاجتماعية.

وإنما كانت مبادئ الدين وقيمه وأركانه داعية إلى الأخذ بأسباب الحضارة فى كل عصر ومصر، لأن الإسلام لا يرضى للإنسان إلا أن يعيش حياة إنسانية راقية كريمة، تلائم تكريم الله تعالى له وتفضيله إياه على سائر خلقه.

* ومن أجل توضيح ذلك نقول:

- الإسلام لا يقبل من مسلم إلا يكون طاهر الجسد والثوب والمكان والقلب، والجوارح لذلك أوجب عليه التطهر فى ظاهره وباطنه.

- ولا يقبل منه الفوضى والتسيب والإسراف والتقتير فى مطعم أو مشرب أو ملبس أو مسكن، أو سلوك اجتماعى؛ ولذلك أوجب عليه النظافة والنظام والاعتدال والتوسط، وحب الخير للناس، وإيثار الحق على الباطل، ولو كان الذى عليه الحق من الوالدين أو الأقربين.

- والإسلام لا يقبل من أحد المسلمين ولا من جماعتهم ولا من دولتهم أن يظلموا أحدًا: أى نوع من الظلم المادى أو المعنوى؛ ولذلك أوجب عليهم العدل، بل حببهم فى الإحسان - وهو فوق العدل - وأوكل إليهم أن يكونوا دعاة إلى الحق وإلى الخير، وأن يأخذوا بيد الناس حتى يخرجوهم من الباطل إلى الحق، ومن الباطل إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

- والإسلام لا يقبل من مسلم أن يعيش ذليلاً أو مقهورًا أو ضعيفًا؛ ولذلك أوجب عليه الأخذ بأسباب القوة، والإعداد والاستعداد لملاقاة عدوه، وجعل الجهاد فى سبيل الله - أى

فى سبيل الحق وأهله وردع الباطل وأهله ـ ذروة سنام الإسلام.

ـ والإسلام اعتبر الجهل رذيلة ومنقصة من كرامة الإنسان؛ لذلك نادى بالعلم وجعله واجبًا على كل قادر عليه وأوجبه على الحكومة نحو من تحكمهم، ولم يجعل للعلم حدًا يقف عنده طالبه -مهما أوتى منه- ولذلك خاطب خاتم المرسلين بقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وجعل الناس عالمًا ومتعلمًا وما عداهما غارقًا فى الجهل والتقصير.

* والإسلام يدعو ـ كما تدل على ذلك نصوصه ـ إلى النظام والجمال وحسن الإدارة، وتحمل المسئولية، وإعمار الأرض بالاستفادة من البر والبحر والجو وكل مخلوقات الله التى سخرها للإنسان بل خلقها من أجله، وكل تلك هى لب الحضارة وجوهرها، ولابد منها لكل إنسان مسلم.

* ومن أجل ذلك كان من المنطقى أن تتنوع تخصصات العلماء المسلمين، لتغطى وتوفر كل هذه الاحتياجات، وهذا هو ما كان بالفعل، وصدَّقه الواقع فى القرن الرابع الهجرى بالذات قرن النهضة والحضارة، وفى غيره من القرون على قدر تمسك المسلمين بدينهم وأدائهم ما أوجب عليهم.

* ومظاهر الحضارة الإسلامية فى هذا القرن تمثلت فى الاهتمام والأخذ بل التفوق فى عديد من العلوم والفنون، وفى مقدمة هذه العلوم، علوم الشريعة الإسلامية وهى العلوم التى لها صلة وثيقة بالعقيدة والعبادة والخلق والسلوك، فتلك هى الركائز التى تقوم عليها سائر مفردات الحضارة عمومًا، والحضارة الإسلامية بوجه خاص.

* وعلوم الشريعة كثيرة، أحصى منها العلماء ما نذكره فيما يلى:

ـ علم قراءة القرآن الكريم: مخارج الحروف ومخارج الألفاظ، والوقف بين الجمل، ورسم كتابة المصحف، وآداب كتابته.

ـ وعلم الحديث النبوى: أسباب وروده وأزمنة وروده وأمكنتها، وناسخ الحديث ومنسوخه، وتأويل أقوال النبى ﷺ ورموزها وإشارتها، وغريب الحديث، ودفع المطاعن التى وجهت إليه، وأحوال الرواة، وتلفيق الأحاديث، وغير ذلك من العلوم المتصلة به.

ـ وعلم الوعظ: وتدخل فيه الأوراد والأذكار، والزهد والورع والدعاء، وصلاة الحاجة وغيرها.

ـ وعلم تفسير القرآن الكريم: ومعرفة المكى منه والمدنى، والليلى والنهارى، والحضرى

والسفرى، وأسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وأسماء سوره، وجمعه وترتيبه، وعدد سوره وكلماته وحروفه ومحكمه ومتشابهه، وفواصله وبلاغته وإعجازه وفضله، ومعرفة حفاظه ورواته، وسائر علومه، وكل ما يحتاج إليه المفسر من آداب وأدوات.

ـ وعلم الفقه: ويشمل العبادات والمعاملات والعقود والشروط والسجلات، وعلم الفرائض، والقضاء والفتاوى.

ـ وعلم أصول الفقه: ويشمل علم النظر وعلم المناظرة وعلم الجدل، وعلم الخلاف، وغير ذلك من العلوم.

ـ وعلم أصول الدين: التوحيد، إلهيات ونبوات، وسمعيات، وعلم الكلام.

* ومدار هذه العلوم الشرعية كلها هو الكتاب والسنة، ولذلك اعتبر بعضهم أن أهم العلوم وأولاها بالبحث والدرس هى ما كانت من الكتاب والسنة، فقال بعض الشعراء:

جميع العلم فى القرآن لكن ... تقاصر عنه أفهام الرجال

وقال شاعر آخر:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه فى الدين

والعلم ما كان فيه؛ قال: حدثنا ... وما سواه فوسواس الشياطين

ويدل ذلك على صولة علم الحديث وتصدره واهتمام المسلمين به اهتمامًا شديدًا.

* ولقد كان لتنوع التخصصات العلمية نتيجة حضارية باهرة جعلت المسلمين يتبوأون فى الحضارة مكانة عالية، وكان سببًا فى ابتكار علم عرفه المسلمون فى ذلك العصر هو علم: تصنيف المؤلفات العلمية فى كتب خاصة مع إشارات عابرة إلى أغراضها وموضوعاتها، ومن تلك الكتب ما نذكره فيما يلى:

ـ كتاب: إحصاء العلوم للفارابى محمد بن محمد المتوفى سنة ٣٣٩ هـ.

ـ وكتاب: مفاتيح العلوم للخوارزمى محمد بن أحمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٨٧ هـ.

ـ وكتاب: «الفهرست» أو «فهرس العلوم» لمحمد بن إسحاق بن النديم المتوفى سنة ٤٣٨ هـ، ولكنه ألف كتابه فى سنة ٣٧٧ هـ.

ـ وكتاب: رسائل إخوان الصفا لمجموعة من علماء القرن الرابع الهجرى، لم تعرف

أسماؤهم، وربما أخفوا أسماءهم عمداً خشية وتقيّة.

* وتصفح هذه الكتب الأربعة يؤكد للقارئ كثرة ما ألف فى هذا القرن من كتب، وتنوع هذه الكتب بتنوع العلوم التى اشتملت عليها.

* وقد أحصى بعض العلماء من العلوم العربية الإسلامية أكثر من أربعمائة وستين علما[1].

وقد حفلت المكتبة الإسلامية بعدد غير قليل من الكتب التى اشتملت على أسماء المؤلفات فى فروع العلم، منها على سبيل المثال:

- كتاب: مفتاح السعادة ومصباح السيادة - لطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ.

- وكتاب: مدينة العلوم للإزنيقى - المتوفى القرن العاشر الهجرى.

- وكتاب: مدينة العلم لمحمد بن أحمد المعروف بحافظ عجم المتوفى سنة ٩٥٧ هـ.

- وكتاب: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - لحاجى خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هـ.

- وكتاب: كشاف اصطلاحات الفنون - للتهانوى المتوفى سنة ١١٥٨ هـ.

- وكتاب: إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون - لإسماعيل بن محمد البغدادى المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ.

* وبعد:

فإن من مفردات الحضارة الإسلامية فى هذا القرن الرابع للهجرة الصناعات والحرف التى انتشرت انتشارا واسعا، والزراعات وما يصحبها من علوم ومعارف، والتجارة، والملاحة بنوعيها النهرى والبحرى، والمواصلات البرية والبحرية، والاتصالات البرية والجوية «الحمام الزاجل» والعناية بحراسة الطرق، وبناء المساجد والعمارات والفنادق والرُّبُط، وبناء القناطر والجسور، وبناء السفن بأنواعها العديدة - وقد كثرت هذه السفن حتى قال بعض مؤرخى الغَرْب فى ذلك: «لقد أصبح البحر الأبيض بحرًا إسلاميًا»[2] كما زاد عدد الموانىء

---

(١) كما جاء ذلك فى كتاب أبجد العلوم - لصديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ وهو من أجمع الكتب فى هذا الموضوع وقد رتبه على حروف الهجاء.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية - ترجمة أبى ريدة.

والفُرَض[1] وتبعـا لهذا التنوع فى العلوم والمعارف ازدادت الحـضارة عمـقًا واتساعًا، ودلّت دلالة واضحة على الرقى والتقدم.

ثالثًا: انتشار التعليم وتعدد أماكنه

حدث فى هذا الـقرن انفتـاح كبـير فى مـجال التعليـم، تعليم الصغـار وتثقيف الـكبار وتزويدهم بالعلوم والمعارف فى كل ما يصلح لهم دينهم ودنياهم.

أما الصـغار فكان تعليـمهم القراءة والكتـابة وبعض العلوم الأخرى كـالحساب وغـيره، يمارس فى الكتاتيب، أو بيوت الأمراء والموسـرين من الناس، أو فى المساجد لمن تجاوز منهم مرحلة الطفولة.

* وكـان التـعليم قـبل هذا القـرن يمارس فى غالـب الأحوال فى المسـاجـد للكبـار من المتعلمين، وبخاصة أولئك الذين يطلبون علم الحديث أو القرآن أو الفقه.

كما كان إلى جانب المساجد أماكن أخرى للتعلم أو إلقاء الدروس نذكر منها:

- بيوت بعض العلماء الذين يقومون بالتدريس.
- وبيوت بعض الوزراء والكبراء الذين يحبون العلم.
- ومجالس بعض الخلفاء والأمراء.
- وكثير من المدارس العامة أو ذات التوجه الخاص كما سنوضح ذلك بعد قليل.

أما المساجد:

فكانت تعقد فيـها دروس الحديث النبوى والتفسير والفقـه وعلم الكلام «التوحيد» وكل ماله صلة بذلك من العلوم.

- وكـان العالم يجلس إلى إحـدى أسطوانات المسـجد، وطلاب العلم يتـحلقون حـوله ليستمعوا منه، وربما زاد عدد الطلاب إلى الحد الذى يجعل الشيخ فى حاجة إلى دعم صوته بأصوات مبلغين عنه يجلسون فوق كراسىّ مرتفعة.
- وقد أحصى المقدسى مطهر بن طـاهر فى كتابه: البدء والتاريخ[2]، أحصى فى المسجد

(١) الفُرَض: جمع فُرضة وهى من النهر مشرب الماء منه، ومن البحر؛ محط السفن.

(٢) ألّف المقدسى كتابه هذا فى عـام ٣٥٥ هـ كما جاء فى مقدمتـه، وينسب هذا الكتاب خطأ للبلخى، لأن البلخى توفى سنة ٣٢٢ هـ اى قبل تاليف الكتاب بثلاثة وعشرين عامًا.

الجامع بالقاهرة وقت العشاء مائة وعشرة مجالس أو حلق من حلقات العلم، فى كل حلقة عالم يجتمع حوله من يحبون أن يستمعوا إليه.

- وكذلك كان شأن جامع المنصور ببغداد - وهو أقدم مسجد جامع بها - إذ كان جامع المنصور أشهر مركز للتعليم فى العالم الإسلامى، نظراً لمقر الخلافة.

- وقد جلس إبراهيم بن محمد نفطويه المتوفى سنة ٣٢٣ هـ الفقيه المحدّث النحوى الجليل، جلس إلى إحدى اسطوانات جامع المنصور خمسين سنة لم يغير محله، كما ذكر ذلك ياقوت الحموى فى كتابه: «معجم الأدباء».

- وكذلك كان شأن مسجد عبد الله بن المبارك - من قبل - فى بغداد.

- وكذلك كان شأن عدد كبير من المساجد الجامعة فى الحواضر الإسلامية.

* وكان عدد طلاب العلم كبيراً فى هذه الحلقات، ربما بلغ خمسمائة طالب، وكانت زيادة العدد دليلاً على مكانة العالم الذى يقوم بالتدريس.

*** طرق التعليم فى المساجد:**

كان التعليم يتم فى المساجد بطرق عديدة، اشتهر لدينا منها ما نذكره فيما يلى:

- طريق الإلقاء من الشيخ والتلقى من الطالب، وقد يسجل الطالب كتابة بعض ما يمليه الشيخ أو كل ما يمليه.

- وطريق الإملاء، بأن يملى الشيخ موضوعه ليكتبه الطلاب أو يحفظونه بمجرد إملائه.

- وطريق قراءة كتاب بعينه فى مجلس الشيخ، يقرأه أحد الطلاب النجباء، وكثيرًا ما كان لكل شيخ طالب أو أكثر يقرأ له - وهو يشبه المعيد فى عصرنا هذا - ثم يتوقف الطالب عند قراءة قدر من الكتاب، ويشرع الشيخ فى الشرح.

- وطريق إملاء الحديث الشريف، وكان الإملاء هنا له خصوصية إذ كان الطلاب يكتبون كل ما يملىَ عليهم، ثم يراجعون الشيخ فيما كتبوا ويعرضونه عليه، ليصلح منه ما يريد أو يغير فيه ويبدل، ثم يراجع الطلاب شيخهم بهذا التعديل، وقد يتكرر ذلك أكثر من مرة، وفى آخر عرضة لما أملى الشيخ يقرره الشيخ ثم يكتب فيصبح مؤلَّفا منقحًا.

وهكذا كان الشأن فى كل كتب الحديث، وفى كثير من كتب الفقه وتفسير القرآن الكريم.

* أما طرق تعليم الصغار فى الكتاتيب والمدارس فلها حديث آخر نرجو أن نوفق إلى التأليف فيه [1].

وأما المدارس:

فقد كان التفكير فى إنشائها، بل فى انتشارها راجعًا لعدد من الأسباب، أهمها:

- أن التعليم كان مقصورًا على المساجد وحدها، ولا يستطيع الصغار أن يغشوا المساجد وهم فى تلك السن الباكرة، فالمساجد لتعليم الكبار على النحو الذى ذكرنا آنفًا.

- وأن المساجد كثيرًا ما تضيق عن عدد الطلاب، لتعدد الحلقات وكثرة عدد الطلاب، كما أوضحنا.

- وأن كثيرًا من الدروس وبخاصة فى علم الكلام «التوحيد» كان يصحبها جدل ومناظرة وخصام فى الرأى، وارتفاع فى الأصوات، وكل ذلك مما رغب المسلمين فى إجلال المساجد عنه، فكان لابد من أماكن أخرى غير المسجد.

- وأن تعليم الصغار يتطلب أدوات من ألواح ومحابر وأقلام وغيرها من لوازم الكتابة، وكل ذلك لا يليق أن تغص به المساجد.

* من أجل ذلك وغيره مما لم نفض فيه كانت المدارس ضرورة فأنشئت لتلافى كل ذلك.

* والقرن الرابع الهجرى يمكن أن نُسَمِّيه قرن المدارس أو المعاهد أو مراكز التعليم الهامة الذائعة الصيت فى الوطن الإسلامى.

وقد تميزت مدن بعينها بمدارس بعينها فى هذا القرن الحافل بأنواع التميز، ومن تلك الحواضر أو المدن ما نشير إلى بعضها فيما يلى:

- خراسان:

وهى إقليم عظيم يمتد من العراق إلى الهند، تشتمل على أمهات البلاد مثل: نيسابور، وهراة، ومرو.

وكان فى خراسان أكبر المراكز العلمية فى العالم الإسلامى.

---

(١) ذلك من موضوعات كتاب لنا - لم يتم بعد - هو التربية فى المدرسة.

ـ ونيسابور:

وفيها أول مدرسة وهى التى بنيت لأبى إسحاق الإسفراييني المتوفى بنيسابور سنة ٤١٨هـ[1].

ـ وفى نيسابور مدرسة أخرى بنيت لابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وقد بنيت بعد مدرسة أبى إسحاق الاسفراييني بقليل. وقد ارتبطت هاتان المدرستان بتدريس مذهب أهل السنة، والمسائل الكلامية المتعلقة بهذا المذهب، لأن الإسفراييني وابن فورك كانا أشعريّين.

ـ وفى نيسابور بنى البستى المتوفى ٤٢٩ هـ مدرسة لأهل العلم على باب داره، ووقف عليها من ماله ما يفى بأعبائها، وكان البستى من كبار رجال العلم ومن أشهر المناظرين بنيسابور.

* وكانت طرق التعليم فى هذه المدارس كما ذكرنا آنفا، غير أن إملاء الشيخ على طلابه كان أكثر شيوعًا من الطرق الأخرى، وكان الطلاب يكتبون ويقيدون ويضبطون ويعرضون ذلك على مشايخهم، وكانت تلك الطريق أعلى طرق التعليم وأوثقها.

* وكانت المدارس الكبرى كالمدرسة النظامية تأخذ بما نعرفه نحن اليوم من النظام الجامعى من حيث تعيين المعيدين، وإجلال الأساتذة واتخاذهم زيًا خاصا بهم وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم وللطلاب، كإمدادهم بالمسكن والملبس والمطعم، وكانت مساكنهم فى أروقة ملحقة بالمدرسة.

ـ وقد درَّس فى هذه المدرسة نظام الملك نفسه ـ وكان عالمًا جليلاً، كما درّس فيها الإمام أبو حامد الغزالى، وأبو إسحاق الشيرازى، وكان مديرًا لها، ويقال إن الوزير نظام الملك بنى هذه المدرسة له.

* وقد اشتهر بالإملاء من العلماء:

ـ الجُبَّائى المعتزلى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ.

ـ وأبو على إسماعيل بن القاسم القالى المتوفى ٣٥٦ هـ.

---

(١) قال ذلك: الحاكم النيسابورى المتوفى ٤٠٦ هـ فى كتابه: تاريخ نيسابور وأكده السبكى فى: طبقاته، والمقريزى فى: خططه.

غير أن الذهبى قال: إن أول مدرسة هى المدرسة النظامية المنسوبة إلى الوزير نظام الملك (٤٠٨ ـ ٤٨٥ هـ) ببغداد التى أسست ٤٣٨ هـ وافتتحها الخليفة العباسى القائم بأمر الله فى حفل عظيم.

ـ والزجاجى المتوفى ٣٣٩ هـ.

ـ وأبو عمرو المطرز المتوفى ٣٤٥ هـ.

ـ والصاحب بن عبَّاد المتوفى سنة ٣٨٤ هـ.

* ولا شك أن الحديث النبوى الشريف دراية، ورواية، قد شغل العلماء والمتعلمين فى هذا القرن أكثر من غيره من العلوم، إذ كانت رغبة العلماء متجهة إلى ضبط الحديث وبيان حال الرواة، وطرح ما وضعه الوضاعون وتمييز الصحيح والحسن والضعيف منه؛ وهذا الأمر قد حدا ببعض الموسرين وأهل الجاه والسلطان إلى أن يتكفلوا بالإنفاق على طلاب العلم، فإن الحسن بن الفرات المتوفى سنة ٣١٢ هـ فى آخر وزارة له قال عن طلاب الحديث: لعل الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق ودونه، ويصرف ذلك فى ثمن ورق وحبر، وأنا أحق بمراعاتهم ومعاونتهم على أمرهم. فأعطاهم من خزانته عشرين ألف درهم ـ كما جاء ذلك فى كتاب الوزراء ـ والكتاب: للجهشيارى المتوفى سنة ٣٣١ هـ.

* ومن الحرف التى اشتهرت فى هذا القرن مما يتعلق بالعلم والعلماء حرفة نسخ الكتب أو ما سُمِّيَتْ بالوِراقة، وسمى محترفها: ورَّاقا وكانت حرفة يتعيش منها بعض العلماء وبعض الطلاب.

ـ روى المؤرخون أن بنيسابور وراقا يسمى أبا حاتم ورَّق بها خمسين سنة.

* ومن الفتاوى المعروفة للعلماء المسلمين كأبى حنيفة وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى أفتوا بأنه لا يجوز أخذ أجر على تدريس الحديث والقرآن. بينما أجاز ذلك علماء آخرون.

ـ وكان كثير من العلماء لا يأخذون أجرًا على تدريسهم علوم الدين مثل: أبى العباس الأصَمّ المتوفى سنة ٣٤٦ هـ. فقد كان عالما ذائع الصيت لا يأخذ أجرا على التعليم، وإنما كان يورِّق ويأكل من كسب يده.

وكذلك كان أبو بكر الجوزقى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ[1].

* على أن معلمى الصبيان، والمعلمين فى الكتاتيب، كانوا يأخذون أجرا على التعليم ومنهم مشاهير كأبى زيد البلخى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ.

وكان أجر المعلم يدفع له مالاً أو خبزًا أو غير ذلك مما ينتفع به.

---

(١) ابن الجوزى (٥٠٨ ـ ٥٩٧) فى كتابه: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم.

وذكر ابن حوقل الرحالة المتوفى سنة ٣٦٧ هـ فى كتابه: المسالك والممالك: أن صقلية - وهى حينئذ مدينة إسلامية - كان بها أكثر من ثلاثمائة معلم يؤدبون الصبيان.

* وأما العلماء والفقهاء الذين يعلمون أبناء الخلفاء والوزراء والكبراء، فكانت لهم أجور حسنة وأرزاق مفروضة؛ فالخليفة المقتدر أجرى على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارًا فى كل شهر، وسيف الدولة الحمدانى أجرى على أبى نصر الفارابى المتوفى ٣٣٩ هـ أربعة دراهم فى كل يوم.

* والظاهرة الجديرة بالذكر، أن غالبية العلماء كانوا يحترفون حرفًا يتعيشون منها، وكان بعضهم واسع الثراء من عمله، كما عرف ذلك عن الفقيه المعروف شيخ أهل الحديث فى بغداد دِعْلج بن أحمد بن دعلج السجزى المتوفى فى سنة ٣٥١ هـ، وكان تاجرًا واسع الثراء، مات عن ثلاثمائة ألف دينار.

* وفى مصر كان أبو العباس أحمد بن محمد الخياط المتوفى سنة ٣٧٣ هـ. يحترف مهنة الخياطة - وهو فقيه الشافعية فى زمنه، وكان يخيط القميص بدرهمين ودانقين فى جمعة كاملة.

* ومن الجدير بأن يلحظ بعين الإعجاب والتقدير فى هذا القرن، أن العلماء حملوا ألقابا فخمة مثل: ركن الدين، وشيخ الإسلام، فضلا عما لقب به بعضهم من الحرف التى يحترفونها، كالخياط والنجار والوراق... إلخ.

رابعًا: انتشار المكتبات

ارتبطت المكتبات فى أول أمرها بالمساجد، فقل أن تجد مسجدًا جامعًا إلا وجدتَ فيه مكتبة، وقد قلنا آنفا: إن هذه المساجد الجامعة كانت تعقد فيها حلقات العلم، وتكثر فيها مجالس العلماء، ولابد - والحالة هذه - أن يزود المسجد الجامع بعدد ليس قليلاً من الكتب التى يرجع إليها الطلاب.

وقد كانت هذه الكتب مخطوطة، أو منسوخة من غيرها إذ لم تكن الطباعة قد عرفت بعد.

- وكان بكل جامع مكتبة إلا فيما ندر، إذ كانت عادة كثير من العلماء أن يقفوا كتبهم على المساجد التى يدرسون فيها.

- ويروى المؤرخون أن خزانة الكتب بِمَرْو كانت تحوى كتبًا كثيرة؛ لأن يزدجرد حمل

مكتبته إليها وتركها فيها.

ـ وكان كثير من الخلفاء والوزراء والأمراء يفاخرون بجمع الكتب، ولقد اشتهر من هؤلاء الحكام المولعين بجمع الكتب ثلاثة هم:

١ ـ الخليفة الفاطمى العزيز بالله المتوفى سنة ٣٨٦ هـ، فقد كانت لديه خزانة كتب عظيمة تتعدد فيها الكتب بل نسخ بعض الكتب، بل كتب بخط مؤلفيها.

ويقال: إنه ذكر عند العزيز كتاب «العَيْن» للخليل، فأمر خُزَّان مكتبته فأخرجوا من خزائنه تسعًا وثلاثين نسخة منه، وكانت إحداها بخط الخليل نفسه.

وكذلك كان الشأن فى كتاب: تاريخ الطبرى، فقد كان فى خزانته منه نسخ كثيرة إحداها بخط الطبرى نفسه.

وكذلك كتاب الجمهرة لابن دريد فقد كان فى خزانته مائة نسخة منه.

٢ ـ والوزير أبو الفضل بن العميد (٢٩٥ ـ ٣٦٠ هـ) وهو من أئمة الكتَّاب، الملقب بالجاحظ الثانى، فقد نهبت مكتبته سنة ٣٥٢ هـ بالرَّىّ، فانشغل قلبه واغتم أسفا على كتبه ودفاتره، وكانت ضخمة تحمل على مائة وَقْر، فلما علم أنها سلمت من أيدى الناهبين فرح فرحًا شديدًا.

٣ ـ والصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٤ هـ، كانت مكتبته يقع فهرسها فى عشر مجلدات، وكان فيها من كل علم وفن.

وكانت مكتبة الصاحب بن عباد تحمل على أربعمائة جمل أو أكثر، كما ذكر ذلك ياقوت الحموى (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ) فى كتابه: «معجم الأدباء».

كما اشتهر بجمع الكتب غير هؤلاء، مثل:

١ ـ الحكم بن عبد الرحمن الناصر المستنصر الأموى صاحب الأندلس (٣٠٢ ـ ٣٦٦ هـ) ولى الخلافة بعد أبيه، وكان يحب العلماء ويستحضرهم من مختلف البلدان ويحسن إليهم، وكان جماعًا للكتب، قيل إن مكتبته بلغت أربعمائة ألف مجلد، وكان فهرس مكتبته يتألف من أربعة وأربعين كراسة كل منها عشرون ورقة فيها أسماء الكتب فحسب.

٢ ـ أبو مطرف القاضى المتوفى سنة ٤٠٢ هـ، قاضى الجماعة بقرطبة، وقد جمع من الكتب فى أنواع ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، يقول ابن بشكوال المتوفى

سنة ٥٧٨ هـ في كتابه: «الصلة في تاريخ رجال الأندلس» إن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتب أبي المطرف عاما كاملاً في مسجده، واجتمع من ثمنها أربعون ألف دينار.

- ويذكر ياقوت «في معجم الأدباء» أن أبا القاسم جعفر بن محمد الموصلي الشافعي المتوفى سنة ٣٢٣ هـ أسس داراً للعلم في بلده وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وجعلها وقفًا على طلاب العلم.

- يقول ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ في كتابه: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم»: كان كثير بن الكتب يحلَّى بالذهب والفضة، ويكتب بماء الذهب ويبطن بالديباج والحرير، ويجلد بالأدم الجيد.

- وقد بنى القاضي ابن حبان المتوفى ٣٥٤ هـ في مدينة نيسابور دارا للعلم وخزانة كتب، ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق.

- وأنشأ أبو عليّ سوَّار الكاتب - المتوفى سنة ٣٧٢ هـ - وهو أحد رجال عضد الدولة - أنشأ دار كتب في مدينة «رامر هرمز» على شاطىء بحر فارس، وأخرى بالبصرة، وأجرى على من قصدهما الأرزاق.

- وأسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بني بويه داراً للعلم في الكرخ غربي بغداد، ونقل إليها كتبًا كثيرة اشتراها، وكان فيها مائة نسخة من القرآن الكريم بأيدي أحسن النسَّاخ، وكان في المكتبة عشرة آلاف وأربعمائة مجلد بخط مؤلفيها.

- وكذلك فعل الشريف الرضي المتوفى ٤٠٦ هـ، إذا أنشأ داراً للعلم، وزودها بمكتبة عظيمة، وفتحها لطلاب العلم وأمَّن لهم جميع ما يحتاجون إليه.

- ومن مآثر الخليفة الفاطمي العزيز بالله أن اشترى في سنة ٣٧٨ هـ داراً إلى جانب الجامع الأزهر، وخصصها لخمسة وثلاثين من العلماء، وكان يجرى ألف دينار كل شهر على جماعة من أهل العلم والوراقين والمجلدين.

* وحسب القرن الرابع الهجري فخرا أن أنشىء فيه الجامع الأزهر، أكبر معهد إسلامي في العالم الإسلامي كله.

- والخليفة الحاكم بأمر الله، فتح في سنة ٣٩٥ هـ الدار الملقبة بدار الحكمة أو دار العلم بالقاهرة، وحمل إليها من خزائن كتب القصور شيئًا كثيراً، وأباح الدخول فيها لسائر الناس يقرأون وينسخون.

ووظَّف للدار وللمكتبة فيها خزَّانين وبوابين، ورتَّب فيها علماء يدرسون للناس.

وبعـــد:

فـإن القرن الرابع الهـجـرى الذى كثـر فـيه العلمـاء وتنوعت تخـصصـاتهم وعلومـهم ومعارفـهم، وانتشرت فيـه معاهد العلم ومراكزه ومـدارسه، وكثر فيـه عدد طلاب العلم، وانتشرت فيه المكتبات على النحو الذى ذكرنا آنفا...

هذا القـرن كان حيـاة وحركـة وفاعليـة لكل القيم الإسـلامية، وعلى رأس هذه الـقيم الأخوة فى الإسـلام، وقد قلنا من قبل إن التـعبير عن الأخـوة فى الإسلام غالبًا مـا يأخذ شكل النُّصْرة للمسلمـين وللحق وللدين نفسه، ويأخـذ شكل المواساة للذين يحتـاجون إلى مواساة.

ولو ذهبنا نرصد هذه الأعمال التى تعبر عن الأخوة فى الإسلام فى هذا القرن لما وسعتنا مئات الصفحات، غير أننا نكتفى برصد بعض الظواهر العامة للأخوة الإسلامية فيه، فنرصد الأعمال التـالية - التى أشرنا إليها ونحن نـتحدث عن الأحداث العلميـة والحضارية فى هذا القرن - فنقول:

أولاً: فى مجال نصرة الحق والدين والمسلمين:

من خـلال ما قـدمنا تبيَّن لنـا أن كثـيرًا من العلمـاء كانوا يـجمـعون بين ممارسـة العلم والدرس، مع مشاركـتهم فى الجهاد فى سـبيل الله عندما يحدث نفيـر للجهاد، أو تقتـضيه ظروف دفاع أو تأمين للدعوة إلى الله بإزالة العوائق من طريقـها، وطلاب العلم كانوا كذلك اقتداء بشيوخهم، واستجابة لما يأمرهم به دينهم.

والناس كل الناس مـن وراء العلمـاء وطلاب العلم يَخِفُّون للجـهـاد فى سـبـيل الله إذا استنفروا له.

- وما نسمع عن مـعركة بين المسلمين وأعدائهم فى هذا القـرن إلا ونجد العلماء وطلاب العلم متصدرين فيها، مجاهدين صابرين محتسبين الأجر عند الله تعالى.

- وإن كـثيـرًا من العلـماء وطلاب العـلم كانوا يرابـطون فى سبـيل الله، على الـثغـور الإسلامية وفى البلدان التى تعد حـدودا للوطن الإسلامى المترامى الأطراف، بل إن العلماء وطلاب العلم كانوا أسرع استـجابة لنفير الجهاد، بحكم أنهم العلماء الفقـهاء الذين يطبقون

العمل على العلم، إذ كيف يدرسون فقه الجهاد ولا يجاهدون؟.

ـ ولقد ترتب على مرابطة العلماء وطلاب العلم وغيرهم من المسلمين فى الثغور والحدود أن ابتنيت مساجد فى هذه الأماكن، فعقدت فيها حلقات العلم ودروس الدين.

ـ وكم من عالم فى هذا القرن ـ وفى غيره من القرون ـ نقرأ فى تاريخه أنه كان مرابطًا فى ثغر كذا، وأنه خاض معركة، وأنه جرح أو أصيب أو استشهد فى هذه المعركة؟

ـ وإن حدود الوطن الإسلامى المتاخمة لدولة الروم لشاهد صدق على كثرة المرابطين فى سبيل الله تعالى وفى مقدمتهم العلماء وطلاب العلم.

* وإذا كان ذلك هو الشأن فى هذا القرن ـ بل فى غيره من القرون ـ فإن ذلك ليدعم الأخوة فى الإسلام بهذه النصرة للمسلمين وللحق الذى يدعون إليه، يدعمها ويقوى من أسسها، ويؤكد أنها حقوق وواجبات على المستوى الفردى والجماعى، بل على مستوى الأمة الإسلامية كلها.

ثانيا: فى مجال المواساة

المواساة لكل ذى حاجة من المسلمين خلق أصيل فى الإسلام، دعت إلى التحلى به آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، وعبّرت عنه الأخوة الإسلامية فى التزام المسلمين بحقوق هذه الأخوة وواجباتها.

ـ وعن هذه المواساة للأخوّة فى الإسلام ـ فى هذا القرن الراقى المتحضر، حدّثْ ولا حَرَج.

ـ وإذا كان المسلمون بحكم قيم الإسلام ومبادئه يَبَرُّون غير المسلمين ما لم يكونوا معهم فى حرب، فما بالهم ببرّ إخوانهم فى الإسلام؟ لذلك قلتُ: حدّثْ ولا حرج.

ـ إن مئات بل ألوفًا من المواقف المفعمة بالمواساة تعجز من أراد أن يرصدها جميعًا. . .

ومن أجل هذا سوف نرصد بعضها فيما يلى، محيلين القارئ على كتب التاريخ إن أراد معرفة المزيد.

ـ كثرة الأوقاف التى كانت توقف من أهل الخير على العلماء وطلاب العلم، أوقافًا تسد كل حاجاتهم من مسكن وملبس ومطعم ومشرب، وتأمين كتب وأدوات كتابة.

ـ وكثرة المبانى التى شيدت خصيصًا للعلماء وطلاب العلم، فيما يعرف بالأروقة، وما يجرى على المقيمين فى هذه الأروقة من أرزاق واسعة، وهذا المبانى قد يبينها خليفة أو أمير أو وزير، أو تاجر أو ذو ثراء.

ـ وبناء المساجد، والمساجد الجامعة، لسد حاجة المسلمين إلى دور العبادة وإلى أماكن حلقات علوم الدين.

ـ وإنشاء خزانات الكتب، وتزويدها بالكتب، وإعداد أماكن القراءة فيها، وتوظيف خزان لها وخدم يقومون على أمرها.

* ولقد تبارى فى ذلك كله بعض الخلفاء والأمراء والوزراء وكثير من العلماء والتجار وأهل اليسار، حتى تنافسوا فى ذلك تنافسًا كبيرًا؛ فى شراء الكتب، واستقدام العلماء والمبالغة فى إكرامهم...

* أليس ذلك كله هو من مواساة المسلم لأخيه فى الإسلام، يسد حاجته، ويمده بما يستعين به على الحياة الإنسانية الكريمة؟.

اللهم، بلى.

* أين هذا الذى سجله التاريخ لعلماء المسلمين في برّهم بالمتعلمين وتكفل بعضهم بهم. أين هذا من علماء المسلمين اليوم، فضلاً عن غيرهم؟.

إن علماء اليوم يضنون بأوقاتهم وعلمهم وجهدهم على إخوانهم فى الإسلام، حتى لقد أصبح بعضهم يبيع الساعة من وقته بكذا وكذا لطالب العلم!!!

إنها عدوى انتقلت إلى علماء المسلمين من الغربيين الذين يحسبون علمهم ووقتهم بالساعة والدقيقة[1]، ويقدرون لذلك أتعابًا، متجاهلين وجوب نشر العلم بين إخوانهم حسبة لوجه الله تعالى كما تقضى بذلك جميع الأديان التى جاءت من عند الله وظلت سليمة من التبديل والتغيير.

* إن الأخوة فى الإسلام قد أوجبت على كل من يحمل علما أن ينشره فى إخوانه فى الإسلام، وهددت من يكتم علمه عمن سأل بأن يلجمه الله بلجام من النار يوم القيامة،

---

(١) علمتُ ممن أثق فى دينه وأمانته أن أحد علماء التربية الأمريكان، حضر إلى الجامعة الأمريكية بمصر، فأرادت إحدى الطالبات أن تتحدث إليه وتسأله، فحدَّد لها المسئولون أربعمائة دولار أجرًا على حديثها معه نصف ساعة فقط!!!

ولقد أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب (العلم) أنْ يبينوه للناس ولا يكتموه.

* ومن فضل الله على المسلمين أنه لا يزال فيهم حتى يومنا هذا من ينشر علمه لوجه الله، بل من يسافر إلى بلدان نائية لكي ينشر علمه دون أجر من أحد، وذلك هو الدعم الحقيقي للأخوة في الإسلام، والمواساة الحقيقية من الأخ نحو أخيه المسلم.

٢ ـ من القرون التالية للقرن الرابع الهجرى

ليس هناك شك؛ فى أن القرن الرابع الهجرى قد تأثر بالقرون الثلاثة الأولى خير القرون، ولا جدال فى أنه أثر فيما بعده من القرون؛ لأن تلك سنة الله تعالى فى الأولين والآخرين.

* وكانت مظاهر تأثره بخير القرون متمثلة فى تلك النهضة الحضارية الشاملة التى أضاءت الطريق أمام القرون اللاحقة فى العالم الإسلامى أولا، وفى العالم كله من بعد ذلك فكان بحق قرن الحضارة الإسلامية فى أوج ازدهارها.

* وأما مظاهر تأثيره فيما بعده من القرون، فقد أخذت شكل استمرار العطاء العلمى والحضارى فى القرن الخامس والقرن السادس وإلى منتصف القرن السابع الهجرى، على درجة من الازدهار والرقى يذكرها التاريخ ويشكرها المؤرخون المسلمون، وغير الحاقدين من المؤرخين غير المسلمين.

* غير أن حدثين كبيرين وقعا بالعالم الإسلامى فى نهاية القرن الخامس الهجرى، وفى منتصف القرن السابع الهجرى، قد تسببا من غير شك فى تراجع حضارى من المسلمين أدى إلى ضعف سياسى ترتب عليه تراجع اقتصادى، وتأخر اجتماعى فى معظم مظاهر الاجتماع.

ـ ففى سنة ٤٩١ هـ ـ ١٠٩٨م شنت أوربا بقيادة الكنيسة الغربية وعدد كبير من ملوك أوربا وأمرائها الطامعين أول حملة صليبية على المسلمين للاستيلاء على بيت المقدس، وتوالت بعد ذلك حملات أخرى بلغت فى مجموعها سبع حملات[١].

ولقد استمرت هذه الحروب قرنين من الزمان فلم تطهر أرض المسلمين من هؤلاء المعتدين إلا فى عام ٦٩١ هـ ـ ١٢٩٢م، ومن المعروف أن الحروب تعوق مسيرة الحضارة كلها، وهذا ما كان من العالم الإسلامى كله الذى تأثر بشكل ما بهذه الحروب[٢].

---

(١) لمعرفة التفاصيل: انظر لنا: الغزو الصليبى والعالم الإسلامى ـ ط ثانية دار التوزيع والنشر القاهرة: ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) لقد أفاد الصليبيون من هذه الحملات أن نقلوا من علوم المسلمين ومظاهر التحضر عندهم ما أصاب بعضهم بالدهشة والانبهار ومن هذه العلوم التى نقلوها مترجمة إلى لغاتهم أقاموا أسس نهضتهم العلمية كما صرحوا هم بذلك.
وانظر المرجع السابق للمؤلف ط ٣٣٤ إلى ٣٦٧ بعنوان: نتائج الحروب الصليبية فى دول أوربا.

ـ وفى سنة ٦٥٨ هـ ـ ١٢٥٩م اجتاحت جيوش التتار عاصمة الخلافة العباسية بغداد، وعاثت فسادًا فى كل مظاهر الحضارة فيها، حتى جعلت من كتب مكتبات بغداد العديدة العامة والخاصة معابر على نهرى دجلة والفرات يعبر عليها جنودها؟.

ولقد استطاع السلطان المظفر قطز أن يرد وحشية التتار فى معركة عين جالوت سنة ٦٦٠ هـ ـ ١٢٦٠م.

ـ ولقد كان من نتائج إغراق الكتب وجعلها جسورا وتدمير كل مظاهر الحضارة فى بغداد وفى كل مدينة وقعت فى أيديهم كان من نتائج ذلك أمران أحدهما محسوب على المسلمين، والآخر محسوب لهم.

* أما الأمر المحسوب عليهم فهو أن حدث فى الناس ذهول أدى إليه هول الفظائع التى ارتكبها التتار، أدى بهم إلى التراجع الحضارى والانكماش النسبى وكثير من القلق والاضطراب وحسبك بالعلماء وقد فقدوا كل كتاب !!![1].

* وأما الأمر المحسوب للمسلمين بعد إغراق العلم والمعرفة، فكان أن وضع بعض العلماء نصب أعينهم أن يستغرقوا فى تأليف الكتب، وأن يهتموا بنوع معين من المؤلفات هو المؤلفات الموسوعية التى تتناول عددًا من العلوم والمعارف، واستمرت هذه الظاهرة فى تأليف الموسوعات قرونا عديدة بعد هذه الهجمة التتارية المتوحشة على العلم والمعرفة، وكان من نتيجة ذلك أن زخرت المكتبة الإسلامية بالكتب الموسوعية التى عوضت ما ضاع على أيدى التتار.

* غير أن كل قرن من القرون التى تلت القرن الرابع الهجرى حفل بعدد غير قليل من العلماء والباحثين بل المكتشفين الذين أضافوا للعلم والمعرفة إضافات لا يمكن إنكارها.

* ولأن استيعاب أسماء العلماء فى تلك القرون فوق طاقتنا وفوق موضوع هذا الكتاب، فسوف أكتفى بذكر عدد قليل من علماء كل قرن مع ذكر بعض مؤلفاتهم.

---

(١) كان تدمير الكتب على أيدى التتار صورة وحشية لاتمت للإنسانية بصلة، ومن عجب أن فرنسا صنعت نفس الصنيع بل أشنع منه عندما أحرقت المكتبة العامة فى الجزائر عندما أجبرت على الخروج منها فدمرت بذلك كنوزًا من العلوم والمعارف، ومع ذلك ترفع شعار العدل والمساواة والحرية!!!
لقد رأيت بقايا هذه المكتبة المحروقة بعينى فى إحدى زياراتى للجزائر بُعَيْدَ استقلالها، كما أبادت فى الجزائر كثيرًا مما كان يمكن أن ينتفع الناس به!!!
أليست فرنسا فى ذلك تتارية النزعة والسلوك؟.

وسوف أهتم بعلماء العلوم الإسلامية بصفة خاصة، لما يتجلى فيهم من التزام بقيم الإسلام ومبادئه، مما أبرز عندهم أخلاق الأخوة فى الإسلام ـ موضوع هذا الكتاب ـ فعبّروا عنها حقوقًا وواجبات، وتمثل ذلك عندهم فى النصرة لإخوانهم وللحق الذى يتضمنه الإسلام فى كل قيمه، وفى مواساتهم لإخوانهم المسلمين، سائلين الله التوفيق.

أولاً: القرن الخامس الهجرى

وقد برزت فيه أسماء كثير من العلماء والأعلام فى كل مجال من مجالات العلم، ومن هؤلاء:

١ ـ ابن الهيثم:

محمد بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤ ـ ٤٣٠ هـ).

عالم جليل القدر فى الهندسة حتى لقب ببطليموس الثانى وهو الذى فكر فى بناء سدٍّ عند أسوان لكنه لم يوفق ولم يجد أسلوبًا هندسيًا ملائمًا آنذاك.

من أهل البصرة، رحل إلى مصر فى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمى، وعاش فى مصر حتى وافاه أجله، له أكثر من سبعين مؤلفًا منها ما نشير إلى أسمائها فيما يلى:

ـ المناظر (وهو علم من فروع علم الهندسة) وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية سنة ١٥٧٢م، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ فى تعريف الأوربيين بهذا العلم، كما صرح بذلك: H.Suter فى دائرة المعارف الإسلامية.

ـ وكيفية الإظلال، ترجم إلى الألمانية ونشر مختصرًا.

ـ ومساحة المجسم المتكافىء، ترجم إلى الألمانية ونشر.

ـ والأخلاق، قال البيهقى عن هذا الكتاب: إنه ما سبقه إليه أحد. وغيرها من الكتب.

٢ ـ أبو الريحان البيرونى:

محمد بن أحمد الخوارزمى (٣٦٢ ـ ٤٤٠ هـ).

عالم بالتاريخ والرياضيات، والفلك والفلسفة، اشتهر حتى طبقت شهرته الآفاق.

وكانت له منزلة رفيعة عند الملوك والأمراء، له مؤلفات عديدة ترجم كثير منها إلى

الإنجليزية وغيرها من اللغات، وأفاد منها علمـاء الغرب كما ذكروا ذلك بأنفسهم، ومن هذه الكتب:

- الآثار الباقية عن القرون الخالية: مطبوع ومترجم.

- وتاريخ الهند: مطبوع ومترجم.

- والجماهر فى معرفة الجواهر: مطبوع ومترجم

- والقانون المسعودى فى الهيئة والنجوم والجغرافية: مطبوع ومترجم

- والإرشاد فى أحكام النحو: مطبوع.

وكتب أخرى جليلة القدر فى الفلك والهيئة والرياضيات لا تزال مخطوطة.

٣ ـ الماوردى:

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ).

نسبته إلى بيع ماء الورد، وهو عالم جليل، فقيه اختير أقضى القضاة فى أيام القائم بأمر الله الخليفة العباسى، وتوفى فى بغداد.

له مؤلفات إسلامية هامة سبق بها غيره من العلماء مثل:

- الاحكام السلطانية فى سياسة الحكم والسلطات التنفيدية طبع أكثر من مرة.

- وقانون الوزارة: مطبوع.

- وسياسة الملك: مطبوع.

- وأدب الدنيا والدين: مطبوع.

- وأعلام النبوة: مطبوع.

وغيرها كثير.

٤ ـ ابن حزم الظاهرى:

على بن أحمد بن حزم الأندلسى (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ).

عالم الأندلس وفقيهها، وأحـد الأئمة فى علوم الإسلام، وُلد بقرطبة، وكان وزيرًا، ثم انصرف عن الوزارة إلى العلم، فكان مبرزًا فى الفقه والحديث النبوى والأدب، وكان نَقَّادَة

للعلماء، حتى إن بعضهم قد أوغر صدره، فشوهوا ابن حزم عند الحكام، فأُقصى، فذهب إلى بادية بَعْلَة من بلاد الأندلس، وظل بها متفرغًا للعلم وللتأليف، حتى وافاه أجله.

له عشرات المؤلفات الجليلة القدر، الشائعة الذكر، منها:

- الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل: مطبوع.
- والمُحلَّى فى الفقه: مطبوع.
- والإحكام، فى أصول الفقه: مطبوع.
- والناسخ والمنسوخ: مطبوع.
- والمفاضلة بين الصحابة: مطبوع.
- وطوق الحمامة، فى الألفة والألآف: مطبوع.

وغيرها من الكتب.

٥ ـ ابن عبد البَرّ.

يوسف بن عبد الله بن محمد (٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ).

عالم فقيه، متعمق متبحر فى الحديث النبوى، ومن كبار حُفَّاظه، ولد بقرطبة، ورحل رحلات عديدة وطويلة، وولى القضاء، وكان يقال له: حافظ المغرب، توفى بشاطبة، له مؤلفات عديدة منها:

- الاستيعاب فى تاريخ الأصحاب: مطبوع.
- وجامع بيان العلم وفضله: مطبوع.
- والدرر فى اختصار المغازى والسير: مطبوع.
- والمدخل فى القراءات: مخطوط.

وعشرات من الكتب الذائعة الصيت.

٦ ـ الإمام الجُوَيْنى:

إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله (٤١٩ ـ ٤٧٨ هـ).

لقب بركن الدين، ويقال له: أعلم المتأخرين، ولد فى جُوَيْن من نواحى نيسابور،

ورحل إلى بغداد، وذهب إلى المدينة المنورة فدرّس فيها، وأفتى، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك، «المدرسة النظامية وكان من تلاميذه فيها أكابر العلماء، له مؤلفات كثيرة منها:

- العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية: مطبوع.
- الإرشاد، فى أصول الدين: مطبوع.
- الورقات، فى أصول الفقه: مطبوع.
- مغيث الخلق: مطبوع.
- غياث الأمم والتياث الظلم مخطوط.

وغيرها كثير.

٧ - الإمام الغزالى:

أبو حامد محمد بن محمد الطوسى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ).

هو الملقب بحجة الإسلام، وفيلسوف المسلمين، متصوف خلا تصوفه من بعض ما كان يعرف عن عدد من المتصوفين من شطحات. مولده ووفاته فى الطابران - وهى من بلدان خراسان - ينسب إلى غزالة وهى بلدته، أو إلى الغزْل عند من يقول: «الغزّالى». له كثير جدًا من المؤلفات، منها أمهات فى علوم الدين، مثل:

- إحياء علوم الدين: وهو موسوعة إسلامية أخلاقية تربوية - فى أربعة أجزاء كبار: مطبوع.
- والاقتصاد فى علوم الاعتقاد: مطبوع.
- والمنقذ من الضلال: مطبوع
- وتهافت الفلاسفة: مطبوع.
- والمستصفى من علم الأصول: مطبوع.

وغيرها من عشرات الكتب بل مئاتها.

ثانيا: القرن السادس الهجرى

وهو قرن الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة وملوك أوربا على الشام ومصر للاستيلاء على بيت المقدس، وهو القرن الذى وقع فيه بيت المقدس «القدس» فى أيدى الصليبيين، ثم استعادها المسلمون منهم بقيادة صلاح الدين الأيوبى بعد معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧م.

وقد برز من العلماء فى هذا القرن عدد كبير، هالتهم الهزيمة أولاً، ثم أعاد إليهم توازنهم النصر باستعادة بيت المقدس على يد صلاح الدين. ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ الجيلانى:

عبد القادر بن موسى الجيلانى أبو محمد (٤٧١ ـ ٥٦١ هـ).

ويطلق عليه الكيلانى، وهو مؤسس الطريقة الصوفية القادرية المنسوبة إليه. ولد فى جيلان وهو وراء طبرستان، وانتقل إلى بغداد سنة ٤٨٨ هـ، وهناك اتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع فى أساليب الوعظ، وتفقَّه، وتعمق فى دراسة الحديث النبوى الشريف وعلومه، ثم تصدر للتدريس والإفتاء فى بغداد سنة ٥٢٨ هـ، وتوفى فى بغداد.

ومن مؤلفاته:

- الغُنْيَة لطالب طريق الحق. فى التصوف: مطبوع.
- والفتح الربانى: مطبوع.
- وفتوح الغيب: مطبوع.
- والفيوضات الربانية: مطبوع.

وغيرها من الكتب التى لا تزال مخطوطة.

٢ ـ القاضى عياض:

عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى أبو الفضل (٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ) عالم المغرب فى زمنه غير مدافع، وإمام أهل الحديث فى وقته: وكان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم.

تولى القضاء فى بلده سبتة، ثم تولى قضاء غرناطة، وكانت وفاته بمراكش، له عديد من المؤلفات منها:

- الشفا بتعريف حقوقه المصطفى: مطبوع.

- ومشارق الأنوار. فى الحديث: مطبوع.

- والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع فى مصطلح الحديث: مطبوع.

وغيرها.

٣ ـ ابن الجوزى:

عبد الرحمن بن على القرشى أبو الفرج (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ).

علاَّمة عصره فى الحديث الشريف، وفى التاريخ، مولده فى بغداد ووفاته فيها أيضًا، ونسبة «الجوزى» إلى مشرعة الجوز وهى من مَحَالٍّ بغداد، له أكثر من ثلاثمائة مصنف يغلب عليها طابع العلوم التى لها صلة بالدين. منها:

- المناقب. وهى ثلاثة كتب أحدها فى مناقب عمر بن الخطاب والثانى فى مناقب عمر بن عبد العزيز، والثالث فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل: مطبوعة.

- وتلبيس إبليس: مطبوع.

- والمنتظم فى تاريخ الملوك والأمم: مطبوع.

- ودفع شبهة التشبيه، والردّ على المجسِّمة: مطبوع.

وغيرها.

٤ ـ البغدادى:

عبد اللطيف بن يوسف بن محمد (٥٥٧ ـ ٦٢٩ هـ).

لقب بموفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة. من العلماء المصنفين فى الحكمة، ومن الفلاسفة، وقد صنفت فى التاريخ والأدب، وعلم النفس، والطب، والبلدان. مولده ووفاته فى بغداد، وقد زار عددًا كبيرًا من البلاد كمصر والشام والحجاز وبلاد الروم، له كتب كثيرة منها:

- الجامع الكبير فى المنطق الطبيعى والإلهى. فى عشر مجلدات: مطبوع.

ـ وشرح أحاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب: مطبوع.

ـ والإفادة والاعتبار بما فى مصر من الآثار: مطبوع.

ـ وتزييف ما يعتقده ابن سينا: مطبوع.

ـ والعلوم الضارة: مطبوع.

٥ ـ ابن عبد السلام:

عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم (٥٧٧ ـ ٦٦٠ هـ) الملقب بعز الدين، وبسلطان العلماء.

فقيه على مذهب الإمام الشافعى بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ فى دمشق، وزار بغداد.

وعندما سلَّم الصالح إسماعيل بن العادل الأيوبى قلعة صَفَد إلى الفرنج اختيارًا، أنكر عليه ذلك ابن عبد السلام، ولم يَدْعُ له فى الخطبة، فغضب عليه وحبسه، ثم أطلقه فرحل إلى مصر. وولاه نجم الدين أيوب الخطابة والقضاء، ثم اعتزل ولزم بيته، وتوفى بالقاهرة، وله مؤلفات عديدة منها:

ـ قواعد الأحكام فى إصلاح الأنام. فى الفقه: مطبوع.

ـ والإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز. فى مجاز القرآن الكريم: مطبوع.

ـ وقواعد الشريعة: مخطوط.

ـ والفرق بين الإيمان والإسلام: مخطوط.

* ومن كلمات المصريين الدالة على أن ابن عبد السلام قد بلغ الغاية فى العلم؛ قولهم للمتعالم: «ما أنت إلا من العوام ولو كنتَ ابن عبد السلام».

ثالثًا: القرن السابع الهجرى

وهذا القرن هو قرن الهجمة التتارية الوحشية على العالم الإسلامى التى وصلت إلى بغداد، واجتاحتها، وقضت فيها على معظم مظاهر الحضارة، والعلم والعلماء، وصنع جسور ومعابر من الكتب النفيسة التى كانت تحفل بها مكتبات بغداد ـ على نهرى دجلة، والفرات.

هذا القرن الذى امتلأ بالفوضى والاضطرب والتراجع الحضارى بعد تلك الهجمة المتوحشة.

وعلى الرغم من أن السلطان المظفر قطز استطاع ردع التتار وصد هجماتهم فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ـ ١٢٥٩م إلا أن مظاهر التراجع الحضارى لم تتوقف، وإنما كان لها بالغ الأثر فى حياة المسلمين.

وقد ظهرت فى هذا القرن أسماء كثير من العلماء منهم:

١ ـ ابن قدامة:

عبد الله بن أحمد الجماعيلى المقدسى (٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ).

ولقبه: موفق الدين. وهو فقيه يشار إليه فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وعالم جليل القدر فى عديد من العلوم التى تتصل بالإسلام. له مؤلفات عديدة منها.

ـ المغنى، موسوعة فى الفقه، وقد شرح فيه مختصر الخرقى فى الفقه. فى عشرة أجزاء: مطبوع.

ـ وروضة الناظر. فى أصول الفقه: مطبوع.

ـ وذم ما عليه مُدَّعوا التصوف: مطبوع.

ـ والكافى. فى الفقه: مطبوع.

ـ وفضائل الصحابة: مطبوع.

وغيرها من الكتب.

٢ ـ ابن الأثير:

على بن محمد الشيبانى أبو الحسن (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ).

لقبه عز الدين، وهو مؤرخ عالم بالنسب، أديب كاتب شاعر، إمام فى علمه، ولد ونشأ فى جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، ورحل إلى بلاد كثيرة، ثم عاد إلى الموصل، وكانت داره موئلا للعلماء والفضلاء، وتوفى بالموصل.

وله كثير من المؤلفات منها:

ـ الكامل. فى التاريخ. فى اثنى عشر جزءاً، وهو مرتب على السِّنين: مطبوع.

ـ وأسد الغابة فى معرفة الصحابة فى خمسة أجزاء، وهو مرتب على الحروف: مطبوع.

ـ واللباب. اختصر فيه: الأنساب للمسمعانى: مطبوع.

ـ وتاريخ الدولة الأتابكية: مطبوع.

ـ والجامع الكبير فى البلاغة: مطبوع.

وكثير من الكتب غيرها.

٣ ـ جلال الدين الرومى:

جلال الدين بن محمد بن الحسن البلخى الرومى (٦٠٤ ـ ٦٧٢ هـ) يقال له: «مولانا».

فقيه على مذهب الإمام أبى حنيفة، متبحر فى فقه الخلاف، متعمق فى كثير من العلوم، متصوف متعمق فى التصوف أنشأ فى التصوف طريقة تنسب إليه.

ولد فى بلخ ببلاد فارس ونشأ فى بغداد، وتزود من المدرسة المستنصرية، ثم استقر مع أبيه فى قونية وبها توفى.

له كتب عديدة منها:

ـ المثنوى. وهو أشهر كتبه، وهو منظومة شعرية نظمها بالفارسية وضمنها الفلسفة والتصوف، وهى تقع فى سبعمائة وخمسة وعشرين ألف بيت من الشعر. وقد ترجم المثنوى إلى التركية، وإلى العربية أكثر من مرة فى ستة أجزاء كبار: مطبوع.

وكانت ـ ومازالت له طريقة صوفية تنسب إليه تسمى «المولوية».

وحوله كلام لابن القيم يتهمه بما اتُّهِمَ به ابن سينا، ونحن نرى أن اتهام أحد فى عقيدته أمر خطير لابد أن تقوم عليه الأدلة والبراهين لأن ما فى القلب لا يعلمه إلا الله.

وقد عدَّه أبو الحسن الندوى من رجال الفكر والدعوة فى الإسلام، ومن يقرأ المثنوى بعين محايدة وتنزه عن اتهام مسلم فى عقيدته يرى له كلمات فى هذا الكتاب تدل على فقه صحيح وعمل صالح، كقوله: «لو لم تكن الحياة الاجتماعية مطلوبة ومفضله فى الإسلام لم يكن الأمر بالجمعة والجماعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[1].

---

(١) جلال الدين الرومى: المثنوى. ترجمة عبد الوهاب غرام ٥٠٣. فى ستة مجلدات، وترجم إلى التركية والفارسية، وهو كأى كتاب للبشر، لابد أن تكون عليه مآخذ.

* وما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن نبتعد تمامًا عن اتهام أحد فى عقيدته، وأن نتهى عن الإسراع بوصف أحد المسلمين بأنه ملحد أو زنديق!!! اللهم قد بلّغت. اللهم فاشهد.

٤ ـ القرافى:

أحمد بن إدريس الصنهاجى القرافى أبو العباس (. . . ـ ٦٨٤ هـ).

وقد لقب بشهاب الدين، وهو من علماء الفقه المالكى، وينتسب إلى قبيلة صنهاجة ـ من برابرة المغرب ـ[1] كما ينسب إلى القرافة وهى محلة مجاورة لقبر الإمام الشافعى بأحد أحياء القاهرة، وهو مصرى المولد والنشأة والوفاة.

له مؤلفات عديدة فى الفقه والأصول وغيرهما، ومنها:

- ـ أنوار البروق فى أنواء الفروق. فى أربعة أجزاء: مطبوع.
- ـ وشرح تنقيح الفصول. فى الأصول: مطبوع.
- ـ والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة: مطبوع.
- ـ والإِحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضى والإمام: مطبوع.
- ـ والذخيرة فى فقه المالكية: مخطوط.

٥ ـ ابن النفيس:

على بن أبى الحزم القَرْشِىّ[2] (. . . ـ ٦٨٧ هـ).

هو أعلم أهل عصره بالطب، ويلقب بعلاء الدين وبابن النفيس. ولد فى دمشق، ورحل إلى مصر، وبها توفى.

وكان إمامًا فى الطب سبق كل علماء الطب فى اكتشاف الدورة الدموية الرئوية،

---

(١) البربر: هم شعب «الأمازيج» ومعناها: الأشراف الأحرار، يعيشون فى شمالى أفريقيا وانتشروا فى ربوع المغرب وجهات من الصحراء الكبرى وأطراف مصر، قديمًا منذ ثلاثين قرنًا قبل الميلاد.
وحديثًا دخلوا الإسلام منذ الفتح الإسلامى، وكانوا من كبار المناصرين للإسلام، ومن أشهر قبائلهم فى المغرب الأقصى: المصامدة، والصنهاجية وزناتة.
وكانت للبربر بعد دخولهم فى الإسلام قوة واجهت أعداء الإسلام فى الغرب وفى الأندلس منها:
دولة المرابطين: التى قامت بالمغرب والأندلس (٤٤٥ ـ ٥٤٣ هـ).
ودولة الموحدين: التى قامت فى شمالى إفريقية والأندلس (٥٢٦ ـ ٦٦٩ هـ).

(٢) نسبة إلى قرية: قَرْش من قرى ما وراء النهر.

ووصفها وصفًا دقيقًا صحيحًا، فسبق بذلك «مايكل سرفتس» الذى ينسب الأوربيون إليه هذا الاكتشاف، وكان ذلك فى كتابه: «شرح تشريح القانون» أى قانون ابن سينا فى الطب، وله هذا الكتاب وكتب أخرى منها:

- الموجز فى الطب اختصر فيه كتاب القانون لابن سينا: مطبوع.
- وشرح الهداية. لابن سينا. فى المنطق: مطبوع.
- والشامل فى الطب وهو كبير جدًا، ولا يزال فى دمشق: مخطوط.
- والرسالة الكاملية فى السيرة النبوية: مخطوط.

رابعًا: القرن الثامن الهجرى

وهو قرن القضاء على الصليبيين وإخراجهم من الشام نهائيًا بانهزامهم أمام المماليك - بمصر والشام - وأمام الدولة العثمانية الناشئة بتركيا.

ويمكن أن نعتبره قرن اليقظة للمسلمين بتغلبهم على عدوهما اللدودين: المغول بصدهم عن الشام ومصر، وببدء دخولهم فى الإسلام. والصليبيين بطردهم من مصر والشام، حيث لم يعودوا إلى مصر والشام إلا بعد تحالف دول الغرب بمعونة من مؤامرات اليهود وإسقاط الدولة العثمانية وإلغاء نظام الخلافة سنة ١٣٣٤ هـ - ١٩٢٣م. واستيلاء الصليبيين الجدد على مصر والشام وغيرهما من أقطار العالم الإسلامى التى كانت فى حوزة الخلافة العثمانية.

ومن علماء هذا القرن عدد كبير من المصلحين، منهم:

١ - ابن تيمية:

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية أبو العباس (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وقد لقب بتقى الدين، وكان مصلحًا مجددًا منافحا عن الحق لا يخشى فيه لومة لائم، كما لقب بشيخ الإسلام.

ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ فيها واشتهر، ثم طُلب إلى مصر من أجل فتوى أفتاها، فذهب إليها، وهناك كاد له جماعة من أهلها فسجن مدة فى القاهرة ثم نقل إلى الإسكندرية مسجونًا ولما أطلق عاد إلى دمشق ٧١٢ هـ، وسجن بدمشق سنة ٧٢٠

هـ ثم أطلق ثم أعيد إلى السجن، ومات مسجونًا بقلعة دمشق، وقد خرجت دمشق كلها في جنازته.

تزيد مؤلفاته على أربعة آلاف كراسة، ومن هذه المؤلفات:

- الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية: مطبوع.
- ومجموع الفتاوى. طبعت في السعودية في ٣٣ مجلدا: مطبوع.
- والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: مطبوع.
- ومنهاج السنة: مطبوع.
- والإيمان: مطبوع.

وغيرها كثير جداً.

٢ ـ ابن القيِّم:

محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ).

لقب بشمس الدين، من كبار علماء عصره، وهو من تلاميذ ابن تيمية المقربين إليه وقد سجن مع أستاذه في دمشق، وأهين وعذب، وما أطلق من السجن إلا بعد موت ابن تيمية.

وهو الذي فسر كتب أستاذه ونشر علمه من بعده، وكان مولده بدمشق ووفاته بها، له عديد من الكتب منها:

- زاد المعاد في هدى خير العباد. في أربعة أجزاء: مطبوع.
- وإعلام الموقعين عن رب العالمين: مطبوع.
- والطرق الحكمية في السياسة الشرعية: مطبوع.
- ومفتاح دار السعادة: مطبوع.
- وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: مطبوع.

وغيرها كثير جداً.

٣ ـ السبكي:

علي بن عبد الكافي الأنصاري الخزرجي (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ).

الملقب بتقى الدين وبشيخ الإسلام، وهو من كبار الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ، ومن كبار المفسرين والمناظرين فى عصره، وهو والد التاج السبكى صاحب الطبقات، ولد فى قرية سبك من قرى محافظة المنوفية بمصر. وانتقل منها إلى القاهرة.

وقد رحل إلى الشام وتولى القضاء فيها سنة ٧٣٩ هـ، واعتل هناك فعاد إلى القاهرة، وتوفى بها.

ومن كتبه:

- مجموعة الفتاوى: مطبوع.
- والتمهيد فيما يجب فيه التحديد. فى المبايعات والتمليكات والمقاسمات: مطبوع.
- والسيف المسلول على من سب الرسول ﷺ: مطبوع.
- وشفاء السقام فى زيارة خير الأنام: مطبوع:
- والابتهاج فى شرح المنهاج: مخطوط.

٤ ـ لسان الدين بن الخطيب:

محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانى (٧١٣ ـ ٧٧٦ هـ).

لقبه: لسان الدين، ولقب بذى الوزانين ـ القلم والسيف. وذى العمرين؛ لأنه كان يشغل ليله بالتأليف ونهاره بتديد المملكة.

ولد ونشأ فى غرناطة بالأندلس، وهو ممن تولى الوزارة، مؤرخ أديب شاعر.

وَلاَّه الوزارة أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٣٣ هـ، وكان وزيرا لابنه الغنى بالله ابن أبى الحجاج، وقد عظمت عندهما مكانته، وأَحَسَّ بسعى حاسديه فى الوشاية به، فترك الأندلس خلسة متوجها إلى جبل طارق. ومنه إلى سبتة فتلمسان، فاستوزره السلطان عبد العزيز، وطلب له أهله وأولاده من غرناطة فجاءوا مكرمين، واستقر «بفاس» واشترى فيها ضياعًا.

ولما تولى المغرب السلطان المستنصر بالله ـ وكان السلطان الغنى بالله سلطان غرناطة قد ساعده مشترطا عليه شروطا منها: تسليم لسان الدين بن الخطيب، فقبض عليه المستنصر وسجنه، ثم أرسل الغنى بالله وزيره ابن زمرك إلى فاس، فعقد بها مجلسًا للشورى، وأحضر بن الخطيب من السجن ووجهت إليه تهمة الزندقة، وسلوك مذهب الفلاسفة،

فأفتى بعض الفقهاء بقتله، فأعيد إلى السجن، ودس إليه رئيس مجلس الشورى سليمان بن داود عدداً من الأوغاد فخنقوه فى سجنه، ودفن فى مقبرة باب المحروق بفاس.

ومؤلفاته كثيرة منها:

- الإحاطة فى تاريخ غرناطة: مطبوع.
- ونفاضة الجراب فى أخبار الأندلس: مطبوع.
- ورقم الحلل فى نظم الدول: مطبوع.
- واللمحة البدرية فى الدولة النصرية: مطبوع.
- والحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية: مطبوع.

وغيرها.

٥ - ابن بطوطة:

محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩ هـ) مؤرخ رحالة، ولد ونشأ فى طنجة بالمغرب الأقصى.

وخرج فى رحلته سنة ٧٢٥ هـ فطاف بلاد المغرب، ومصر والشام والحجاز والعراق، وفارس، واليمن، والبحرين، وتركستان، وما وراء النهر، والهند والصين، وجاوة، وبلاد التتر، وأوسط إفريقية، ثم عاد إلى المغرب الأقصى ٧٥٢ هـ حيث استغرقت رحلته سبعة وعشرين عامًا.

وبعد أن أقام ببلده أملى رحلته على: محمد بن جُزَىّ الكلبى سنة ٧٥٦ هـ بمدينة فاس، وهذه الرحلة من أهم كتبه، وقد سماها:

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: مطبوعة.

وقد ترجمت إلى لغات عديدة مثل: البرتغالية والفرنسية، والإنجليزية، وترجمت منها فصول إلى الألمانية.

وتلقبه جمعية «كمبردج» فى كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين.

وتوفى بمراكش بالمغرب الأقصى.

خامسًا: القرن التاسع الهجرى

وفى هذا القرن برزت أسماء كثير من العلماء المسلمين الذين اشتهر عنهم تأليف الكتب الجامعة. كالقلقشندى وابن الجزرى وابن حجر العسقلانى، وابن خلدون، وابن العماد، وغيرهم.

١ ـ الحافظ العراقى.

عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل (٧٢٥ ـ ٨٠٦ هـ).

من كبار حفاظ الحديث النبوى، وهو عالم بحاثة، أصله من الكرد، ومولده فى زازانان من أعمال إربل بالموصل، تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم فيها ونبغ، ثم ارتحل إلى الحجاز والشام وفلسطين، ثم إلى مصر واستقر بها فى القاهرة إلى أن توفى.

له كتب كثيرة منها:

- المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالى: مطبوع.
- ونكت منهاج البيضاوى، فى الأصول: مطبوع.
- وذيل على الميزان والألفية. فى علم مصطلح الحديث: مطبوع.
- والألفية فى غريب القرآن: مطبوع.
- وتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد: مطبوع.

وغيرها كثير من المطبوع والمخطوط.

٢ ـ ابن خلدون:

عبد الرحمن بن محمد بن محمد أبو زيد (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ).

مؤرخ فيلسوف عالم فى الاجتماع، أصله من أشبيلية بالأندلس، ونشأته فى تونس، وقد رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً كثيرة، وقامت فى وجهه مؤامرات ودسائس ووشايات حالت بينه وبين الاستمرار فى بعض الأعمال، فعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها آنذاك السلطان برقوق، وتولى فى مصر قضاء

المالكية، وعزل عنه وأعيد إليه.

وتوفى فجأة فى القاهرة.

له كتب عديدة منها:

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، وهو موسوعة تاريخية بدأت ببدء التاريخ وانتهت بتاريخ عصره: مطبوع. وهو فى سبعة مجلدات.

* يعرف المجلد الأول منها بالمقدمة، وهى تعد من أصول علم الاجتماع، لقيت اهتماما بالغًا عند الأوربيين، وترجمت إلى الفرنسية وغيرها من اللغات.

ـ وشرح البردة: مطبوع.

ـ ورسالة فى المنطق: مطبوع.

ـ وكتاب فى الحساب: مطبوع.

٣ ـ ابن الجزرى:

محمد بن محمد بن محمد العمرى (٧٥١ ـ ٨٣٣ هـ).

لقب بشمس الدين، وكان شيخ الإقراء فى زمانه، ومن حفاظ الحديث النبوى، ولد ونشأ فى دمشق، وابتنى مدرسة، سماها: «دار القرآن».

ورحل إلى مصر مرارًا، وسافر إلى بلاد الروم، ورحل مع تيمور لنك إلى ما وراء النهر، ثم إلى شيراز من أعمال فارس فولى قضاءها، ومات بها.

وهو منسوب إلى جزيرة ابن عمر.

له كتب عديدة منها:

ـ النَّشْر فى القراءات العَشْر: مطبوع.

ـ وغاية النهاية فى طبقات القراء: مطبوع.

ـ والتمهيد فى علم التجويد: مطبوع

* والمقدمة الجزرية وهى أرجوزة فى علم التجويد ـ وكانت من المقررات الدراسية فى الأزهر فى السنة الأولى الابتدائية وكان لابد من حفظها: مطبوعة.

ـ والمصعد الأحمد فى ختم مسند الإمام أحمد: مطبوع.

٤ ـ ابن حجر العسقلانى:

أحمد بن على بن محمد الكنانى (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ).

الملقب بشهاب الدين والمكنى أبو الفضل، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، أقبل على الحديث الشريف، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما ليسمع من كبار الشيوخ، ثم علت شهرته، فقصده الناس للأخذ عنه، وأصبح ملقبًا «بحافظ الإسلام» فى عصره.

له مؤلفات عديدة منها:

ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام: مطبوع.

ـ وفتح البارى فى شرح صحيح البخارى موسوعة حديثية: مطبوع.

ـ لسان الميزان. فى رجال الحديث: **مطبوع.**

ـ الإصابة فى تمييز الصحابة: مطبوع.

ـ وتهذيب التهذيب فى رجال الحديث: مطبوع.

ـ والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة: مطبوع.

٥ ـ السخاوى:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ).

الملقب: شمس الدين، عالم بالحديث والتفسير، حجة، مؤرخ أديب، أصله من سخا من قرى محافظة الغربية بمصر، ساح فى كثير من بلدان العالم الإسلامى سياحة طويلة.

صنف أكثر من مائتى كتاب منها:

ـ المقاصد الحسنة. فى الحديث النبوى: مطبوع.

ـ وشرح ألفية العراقى. فى مصطلح الحديث: مطبوع.

ـ والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: مطبوع.

ـ والضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع: مطبوع.

وغيرها من الكتب.

سادساً: القرن العاشر:

وهو من القرون التى استمر العلماء فيها فى تأليف الموسوعات تعويضًا عما ضاع من الكتب فى بغداد على أيدى التتار، وخروجا من مأزق التراجع الحضارى الذى كان نتيجة للحروب الصليبية وللهجمة التتارية المتوحشة.

وقد برزت فى هذا القرن أسماء عدد كبير من العلماء نذكر منهم عدداً قليلاً يناسب موضع هذا الكتاب، ومن هؤلاء:

١ - الجلال السيوطى:

عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ).

الملقب بجلال الدين، وهو إمام حافظ مؤرخ أديب موسوعى النزعة فى كثير مما ألف. نشأ فى القاهرة يتيمًا إذ مات والده وهو فى الخامسة من عمره، ونشأ فى القاهرة وتعلم فى الأزهر، ونبغ، وعندما بلغ الأربعين من عمره اعتزل الناس وأقام فى روضة المقياس على النيل منزويا عن أصحابه وأقرانه جميعًا لأسباب لا محل لذكرها هنا وانقطع للتأليف.

وكان الأغنياء والكبراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها، وطلبه السلطان مراراً فلم يذهب إليه، وأرسل إليه عطايا فردها، وبقى على هذه الحال حتى توفاه الله.

وكتبه تزيد على المئات، ومنها:

- الإتقان فى علوم القرآن: مطبوع.
- وجمع الجوامع أو الجامع الكبير فى الحديث: مطبوع.
- والجامع الصغير. فى الحديث: مطبوع.
- وتدريب الراوى شرح تقريب النواوى: مطبوع.
- وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة: مطبوع.
- والأشباه والنظائر فى فروع الشافعية: مطبوع.
- والأشباه والنظائر فى العربية: مطبوع.
- ومئات غيرها .

٢ - بَحْرق:

محمد بن عمر بن مبارك الحميْرى الحَضْرمى الشافعى (٨٦٩ - ٩٣٠ هـ) فقيه باحث متصوف أديب، وصفه الزبيدى بأنه علاّمة اليمن، ولد بحضرموت، وأخذ العلم فيها وفى زبيد ومكة والمدينة، وولى القضاء بالشِّحْر، ثم رحل إلى الهند فأكرمه السلطان مظفر وظل فى الهند إلى أن وافاه أجله فى مدينة أحمد أباد.

وله مؤلفات منها:

- عقد الدُّرَر فى القضاء والقدر: مطبوع.
- وحاجة البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين: مطبوع.
- وتحفة الأحباب شرح ملحمة الأعراب فى النحو: مطبوع.
- وشرح لامية الأفعال لابن مالك فى الصرف: مطبوع.
- ونشْر القلَم فى شرح لامية العجم: مطبوع.

وغيرها من الكتب والرسائل والأشعار والأراجيز. التى طبع كثير منها ولايزال كثير منها مخطوطًا.

٣ - أبو السعود:

محمد بن محمد بن مصطفى العمادى (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ).

هو صاحب التفسير المشهور المقرر فى الأزهر الذى يحمل اسمه، على ألسنة طلاب العلم، وإن كان هو قد سماه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

وهو مفسر فقيه شاعر من علماء التُّرك، ولد بقرب القسطنطينية وتعلَّم وعَلَّم فى كثير من البلاد، وتقلد منصب القضاء فى «روسة» ثم فى القسطنطينية وغيرهما، وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وله كتب كثيرة منها:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: مطبوع.
- وتحفة الطلاب فى المناظرة: مخطوط.
- وقصة هاروت وماروت: مخطوط.
- ورسالة فى تسجيل الأوقات: مخطوط.

وغيرها.

٤ ـ الكورانى:

أحمد بن إسماعيل بن عثمان (٨١٣ ـ ٨٩٣ هـ).

لقب: شهاب الدين، مفسر فقيـه، كان شافعى المذهب ثم صار حنفيًا، أصله كردى من أهل شهرزور، تعلم بمصر ورحل إلى بلاد الترك، فعهـد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ولى عهده «محمد الفاتح»، وتولى القضاء فى أيام الفاتح، وتوفى بالقسطنطينية وصلى عليه السلطان بايزيد.

وله كتب منها:

- غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى: مطبوع.
- والدرر اللوامع فى شرح جمع الجوامع للسبكى فى الأصول: مطبوع.
- وشرح الكافية لابن الحاجب. فى النحو: مطبوع.
- وشرح لصحيح البخارى فى عدد من المجلدات: مخطوط.

وغيرها.

٥ ـ الغزّى:

بدر الدين محمـد بن محمد بن محـمد العامرى الدمشـقى (٩٠٤ ـ ٩٨٤ هـ) كنيته أبو البركات ولقبه بدر الدين ولقب أبيه رضىّ الدين، فقـيه شافعى، عالم بالأصول، وبالحديث النبوى وبالتفسير، مولده ووفاته فى دمشق.

له مائة وبضعة عشر كتابًا منها:

- ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم مع حواش وشروح: مخطوط.
- وجواهر الذخائر فى الكبائر والصغائر: مخطوط.
- والمراح فى المزاح: مطبوع.
- والمطالع البدرية فى المنازل الرومية: مخطوط.

وقد لزم بدر الدين العزلة فى أوسط عمـره، فكان لا يزور أحدًا من الأعيان ولا الحكام بل كانوا هم يقصدونه.

* ومن مآثره أنه كان كريمًا محسنًا جعل لتلاميذه رواتب وأكسيةً وعطايا.

سابعًا: القرن الحادى عشر

وهو قرن لا يختلف كثيرًا عن القرن العاشر فى مجال المؤلفات الموسوعية، وبخاصة فى الفقه والسيرة النبوية والتاريخ، وكتب التفسير والحديث.

وقد اشتهر من العلماء فى هذا القرن عدد كبير منهم:

١ ـ الملاَّ على القارى:

على بن محمد بن سلطان أو على بن سلطان الهروى (... ـ ١٠١٤ هـ).

لقبه: نور الدين، فقيه حنفى يعد من أعلام العلماء فى عصره، ولد فى هراة ـ وهى مدينة ضخمة من أمهات مدن خراسان ـ وسكن مكة المكرمة، وفيها توفى.

قيل: إنه كان يكتب بخط يده كل سنة مصحفًا شريفًا، وعليه قراءات وتفسير، فيبيعه، فيكفيه قوته من العام إلى العام. له كتب كثيرة منها ما هو مطبوع وما هو مخطوط [1].

٢ ـ المَقَّرى:

أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس التلمسانى (٩٩٢ ـ ١٠٤١ هـ).

يُنْسب إلى مَقَّرة من قرى تلمسان، وهو مؤرخ أديب موسوعى النزعة فى التأليف. ولد فى تلمسان بالمغرب وفيها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى فاس، ومنها إلى القاهرة، ثم إلى الشام والحجاز. وتوفى فى مصر ودفن بها فى مقبرة المجاورين.

له كتب كثيرة موسوعية من أشهرها كتابه: نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين بن الخطيب. عشرة مجلدات.

٣ ـ نور الدين الحلبى:

على بن إبراهيم بن أحمد الحلبى أبو الفرج (٩٧٥ ـ ١٠٤٤ هـ).

فقيه، مؤرخ، أديب، أصله من حلب، ومولده ومعاشه ومماته فى مصر.

له كتب كثيرة من أشهرها كتابه الجامع فى السيرة النبوية وهو: إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية، فى ثلاثة مجلدات كبار.

---

(١) لن نذكر أسماء الكتب فى هذه القرون من الحادى عشر إلى اليوم إلا فيما ندر، لكثرتها الكاثرة، وحتى لا نطيل على القارىء.

٤ ـ الشهاب الخفاجى:

أحمد بن محمد بن عمر المصرى (٩٧٧ ـ ١٠٦٩ هـ).

لقبه: شهاب الدين، فقيه بلغ من علمه أن عُين قاضى القضاة بمصر، ولد ونشأ وتعلم فى مصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثمانى فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر، ثم عُزل، فرحل إلى الشام وحلب، وعاد إلى بلاد الروم، فنفى فى مصر، وولى قضاء يعيش من راتبه إلى أن مات بمصر، وله كتب كثيرة فى التفسير والفقه والتاريخ وتاريخ الأدباء.

٥ ـ ابن أبى السرور:

محمد بن محمد أبى السرور زين العابدين بن البكرى الصديقى (١٠٠٥ ـ ١٠٨٧ هـ).

مفسرٌ للقرآن الكريم فقيه مؤرخ، باحث مدقق، ولد فى القاهرة وأخذ العلم من مشايخها وعاش بها، وانتهت إليه رئاسة بيت البكرى بمصر، وتوفى بالقاهرة.

له كتب كثيرة فى طبقات الفقهاء وطبقات الصوفية والتاريخ وموسوعة فى تفسير القرآن الكريم.

ثامنًا: القرن الثانى عشر

وقد برزت فيه أسماء كثير من العلماء منهم:

١ ـ المُحبِّى:

محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبى (١٠٦١ ـ ١١١١ هـ) مؤرخ باحث أديب، عنى عناية شديدة بتراجم أهل عصره، أصله من حماة بسورية، وإن ولد فى دمشق، وقد سافر إلى الأستانة «استانبول» وتنقل فى بروسة وأدرنة، وسافر إلى مصر، وتولى القضاء فى القاهرة، ثم عاد إلى دمشق فتوفى بها.

له عديد من المؤلفات من أشهرها: خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر.

٢ ـ ابن معصوم:

على بن أحمد بن محمد الحسنى الحسينى (١٠٥٢ ـ ١١١٩ هـ).

ويعرف بعلى خان بن ميرزا أحمد الشهير بابن معصوم، شيرازى الأصل ولد بمكة، وأقام مدة فى الهند، وتوفى بشيراز.

عالم بالأدب والشعر والتاريخ والتراجم.

له مؤلفات كثيرة من أشهرها.

سلافة العصر فى محاسن أعيان العصر.

٣ ـ الصنعانى:

محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسنى الكحلانى (١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ).

لقبه عز الدين، ويعرف بالأمير كما عرف بذلك أسلافه.

فقيه مجتهد من بيت الإمامة فى اليمن، ولد بمدينة كحلان وتوفى بصنعاء، وأصيب بمحنٍ كثيرة من الجهلة والعوام.

له مؤلفات كثيرة من أشهرها: سبل السلام.

٤ ـ الجبرتى:

حسن بن إبراهيم بن حسن على الزيلعى العقيلى (١١١٠ ـ ١١٨٨ هـ) فقيه حنفى، له علم واسع بالفلك والهندسة، وهو والد المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتى.

ونسبته إلى جَبَرْت وهى الزيلع من بلاد الحبشة.

له عديد من المؤلفات كتبًا ورسائل فى الفقه والهندسة وعلم الموازين.

٥ ـ السفّارينى :

محمد بن أحمد بن سالم السفارينى أبو العون (١١١٤ ـ ١١٨٨ هـ).

يلقب بشمس الدين، عالم بالحديث النبوى والفقه وأصول الفقه والأدب، والتحقيق.

ولد فى سفارين من قرى نابلس بلبنان، ورحل إلى دمشق فأخذ من علمائها، وعاد إلى نابلس فدرّس فيها، وأفتى.

له مؤلفات عديدة فى الحديث النبوى والعقيدة والسيرة النبوية.

تاسعًا: القرن الثالث عشر

وفى هذا القرن برزت أسماء عدد من العلماء منهم:

١ ـ الشوكانى:

محمد بن على بن محمد الشوكانى (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ).

فقيه من كبار علماء اليمن، بل مجتهد فى الفقه، من أهل صنعاء، ولد فى هجرة شوكان من بلاد خَوْلان باليمن، ونشأ وتعلم فى صنعاء، وولى قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ ثم حاكما لها ومات بها.

كان يرى تحريم التقليد.

له مؤلفات كثيرة جدًا، من أشهرها: نيل الأوطار فى الفقه وفتح القدير فى التفسير وإرشاد الفحول فى أصول الفقه.

٢ ـ ابن عابدين:

محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقى (١١٩٨ ـ ١٢٥٢ هـ).

فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية فى عصره.

ولد ونشأ وتعلم فى دمشق، وتوفى بها.

له مؤلفات عديدة أكثرها فى الفقه وأشهرها: رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابدين مطبوع فى خمسة مجلدات كبار.

٣ ـ الميرغنى:

محمد عثمان الميرغنى بن محمد أبى بكر الحنفى الحسينى (١٢٠١ ـ ١٢٦٨ هـ).

فقيه، مفسر للقرآن الكريم، متصوف.

وهو أول من اشتهر من الأسرة الميرغنية بمصر والسودان، ولد فى الطائف، وتعلم فى مكة المكرمة، وتصوفً، ثم انتقل إلى مصر، ثم قصد السودان فاستقر فى «الختمية» جنوبى كسلا.

ولما قام المهدى بثورته فى السودان قاومه الميرغنى.

له مؤلفات فى التفسير والتصوف.

٤ ـ السنوسى:

محمد بن على السنوسى أبو عبد الله السنوسى الخطابى الحسنى الإدريسى (١٢٠٢ ـ ١٢٧٦ هـ).

هو مؤسس الطريقة السنوسية وقائدها، ولد فى مستغانم من أعمال الجزائر، وتعلم فى فاس، وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازى.

وهو من الدعاة المتفرغين للدعوة إلى الله، جال بالدعوة فى الصحراء فى جنوبى الجزائر، وزار تونس وطرابلس الغرب، وبرقة، ومصر، ومكة المكرمة وفى مكة المكرمة تصوف.

بنى زاوية فى جبل أبى قبيس بمكة، ورحل إلى برقة سنة ١٢٥٥ هـ، وأقام فى الجبل الأخضر، وبنى الزاوية البيضاء. وكثر تلاميذه وانتشر أتباعه واتسعت طريقته «السنوسية» فارتابت الحكومة العثمانية فى أمره، فانتقل إلى واحة جغبوب وأقام بها إلى أن توفى.

له مؤلفات عديدة من أهمها ـ فى نظرى ـ: إيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن.

٥ ـ عبد القادر الجزائرى:

عبد القادر بن محيى الدين بن مصطفى الحسنى الجزائرى (١٢٢٢ ـ ١٣٠٠ هـ).

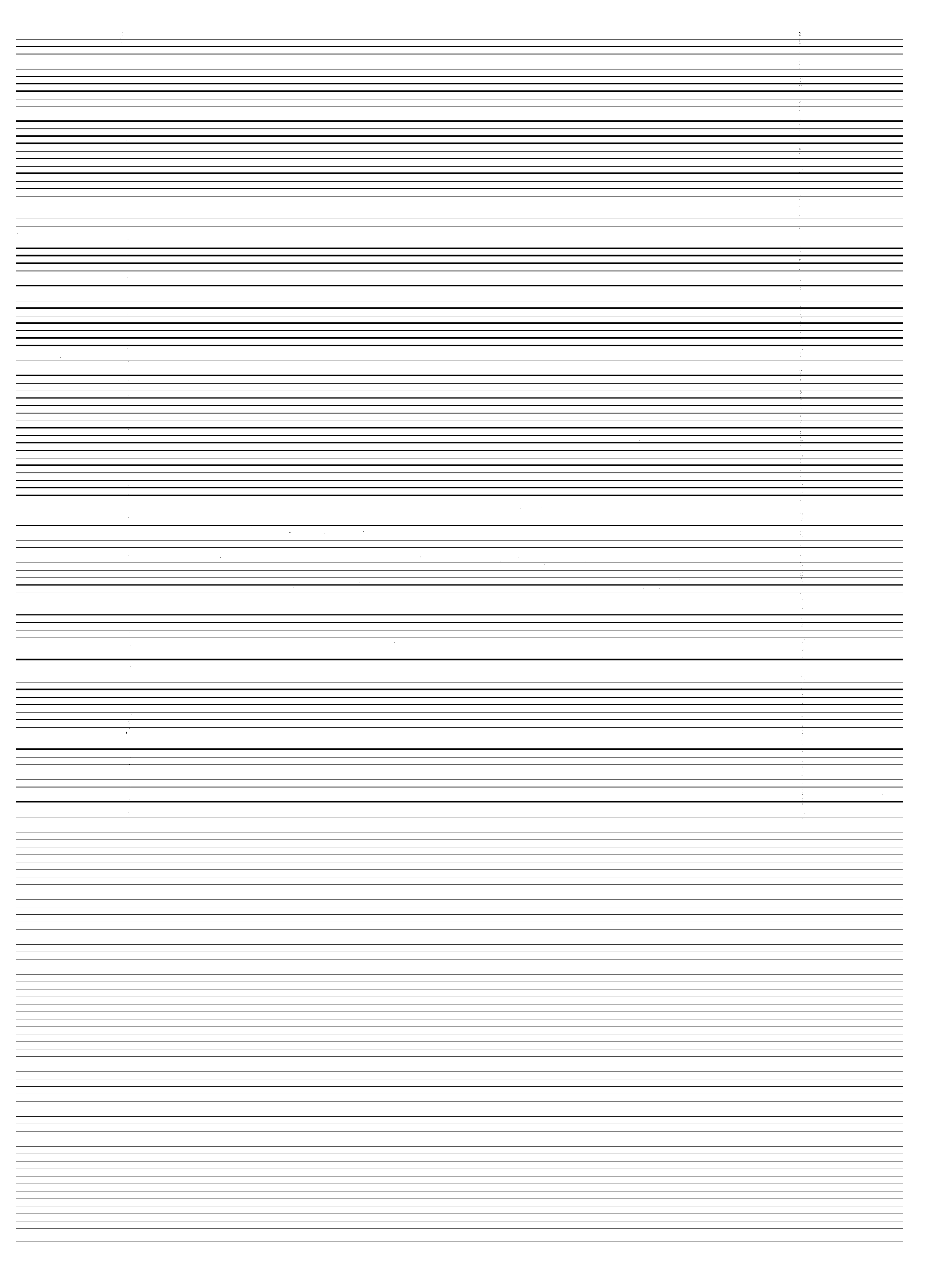
أمير مجاهد من العلماء الفقهاء الشجعان البواسل.

ولد فى القيطنة من قرى وهران بالجزائر، وتعلم فى وهران، وحج مع أبيه سنة ١٢٤١هـ وزار المدينة المنورة ودمشق وبغداد.

ولما دخل الفرنسيون الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاما، وأنشأ مصانع للأسلحة والآلات الحربية وملابس الجند.

وكان شجاعًا باسلاً يتقدم جيشه فى المعارك.

ولما هادن سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام الفرنسيين، ضعف أمر عبد القادر الجزائرى، فاشترط لكى يستسلم شروطًا قبل بها الفرنسيون، فاستسلم سنة ١٢٦٣ هـ ـ ١٨٥٧م، فنفاه الفرنسيون إلى طولون ومنها إلى أبنواز، حيث أقام نيفا وأربع سنين، وزاره نابليون الثالث بمنفاه، وسرحه بشرط ألا يعود إلى الجزائر، فذهب إلى باريس ثم



وله مؤلفات كثيرة منها:

- الرد على هانانو، الذى كان يهاجم الإسلام والمسلمين.

- والإسلام والرد على منتقديه. وغيرهما كثير.

٢ ـ الشيخ طاهر الجزائرى:

طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعونى (١٢٦٨ ـ ١٣٣٨ هـ).

بحاثة من أكابر العلماء بلغة القرآن الكريم، أصله من الجزائر ومولده ووفاته بدمشق.

ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية فى دمشق، وجمع فيها ما تفرق فى الخزائن العامة.

وساعد على إنشاء المكتبة الخالدية بالقدس.

انتقل إلى القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ثم عاد إلى دمشق سنة ١٣٣٨ هـ حيث توفى بها.

كان عضوا بالمجمع العلمى العربى، ومديراً لدار الكتب الظاهرية. وكان يحسن معظم اللغات الشرقية بالإضافة إلى السريانية.

له مؤلفات عديدة نافعة، من أهمها:

- الجواهر الكلامية فى العقائد الإسلامية.

- والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن.

- وغيرهما.

٣ ـ عمر المختار:

عمر بن عمر المِنفى (١٢٧٥ ـ ١٣٥٠ هـ).

المِنفى نسبة إلى قبيلة المِنفة العربية من قبائل بادية برقة. ولد فى البطنان ببرقة وتعلم فى الزاوية السنوسية فى جغبوب، وكان شيخا لزاوية القصر بالجبل الأخضر. سافر مع محمد المهدى الإدريسى إلى السودان سنة ١٣١٢ هـ فكان هناك شيخا لزاوية كلك إلى سنة ١٣٢١هـ.

عندما احتل الإيطاليون بنغازى سنة ١٣٢٩ هـ كان فى طليعة المجاهدين، وعلى الرغم من طول حرب الإيطاليين لليبيا فإن المنطقة التى كان فيها عمر المختار ظلت منيعة.

ونهادن الإيطاليـون مع الطرابلسيين سنة ١٣٤٠ هـ، فدب الخلاف بين زعـماء طرابلس، وتجددت المعارك مع الإيطاليين فنفض الأدارسة أيديهم منهم، فتولى عمر المختار قيادة الجبل الأخضر، فلحقت به القبائل وولوه القيادة، وقد هاجمه الإيطاليون فردهم وغنم منهم مغانم كثيرة من آلات الحرب والمؤن ونحوها.

قال عنه القائد العام الإيطالى: إنه خاض ٢٦٣ معركة خلال عشرين شهرًا.

وبينمـا كان عمـر المختـار فى سرية ومعـه نحو خـمسين فارسًا بـناحية «سلنطـة» بالجبل الأخضر يستكشف مواقع العـدو، فوجىء بقوى إيطالية كبيرة أحاطت به فقاتـلها واستشهد أكثر من كانوا معه، وأصيب هو بجـراح، وقتل جواده فانقض عليه الجنود فأسروه وهم لا يعرفون مَنْ هو؟ فلمـا عُرف أرسل إلى سوسة، ومنها أركب الطراد «أو سـيتى» إلى بنغازى وسجن أربعـة أيام، وسئل عن أعماله فـأجاب بالإيجاب، فحـوكم محاكمة صـورية وقتلوه شنقًا فى بنى غازى. وقد رثاه أحمد شوقى ومطران.

٤ ـ عز الدين القسَّام:

محمد عز الدين بن عبد القادر القسام (١٣٠٠ هـ ـ ١٣٥٤ هـ).

مجاهد كبير ينتمى إلى أسرة كريمة فى جبلة من أعمال اللاذقية. جاء إلى مصر وتعلم فى الأزهر، وعاد إلى بلده فاشتغل بالتعليم والوعظ.

وعندما احتل الفرنسيون ساحل سـورية فى ختام الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م، ثار فى جماعة من تلاميذه ومريديه ضد الفرنسيين، فطارده الفرنسيون فذهب إلى دمشق أثناء الحكم الفيـصلى، ثم غادرها عندما استولى الفرنسـيون عليها سـنة ١٩٢٠م. فذهب إلى فلسطين وأقام بحيفا وتولى إمامة جامع الاستقلال وخطابته ورياسة جمعية الشبان المسلمين فيها.

واستفحل الخطر الصـهيونى فثارت فلسطين على الإنجليز سـنة ١٩٣٤م وكانوا حكامها، وظهرت بطولة القسام فى المعارك التى خاضها منفـردًا بعصبة من رجاله يقاتلون كلما وجدوا سبيلاً إلى ذلك، ويأوون إلى الكهوف والمغارات.

مات القـاسم شهيـدًا فى أواخر عهـد الثورة الفلسيطـينية، ودفن بقرية «الشـيخ» بجوار حيفا.

له كتاب: النقد والبيان تعاون فى تأليفه مع الشيخ كامل القصاب.

٥ ـ الأمير شكيب أرسلان:

شكيب بن عمرو بن حسن بن يونس أرسلان (١٢٨٦ ـ ١٣٦٦ هـ).

من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، مؤرخ أديب سياسي، كاتب، لقب بأمير البيان، وكان عضوًا بالمجمع العلمي العربي بدمشق. ولد في الشويفات بلبنان وتعلم في مدرسة دار الحكمة ببيروت، وعيِّن مديرًا للشويفات لمدة سنتين.

قدم إلى مصر وأقام بها مدة، ثم رحل إلى الشام وانتخب نائبا عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني.

سكن دمشق خلال الحرب العالمية الأولى، ثم سافر إلى برلين بألمانيًا، ثم انتقل إلى جنيف بسويسرا، فأقام بها نحو خمسة وعشرين عاما، ثم عاد إلى بيروت وتوفى بها، ودفن في الشويفات حيث ولد.

* شارك في السياسة، وكان إسلاميًا في توجهه السياسي، قبل إسقاط دولة الخلافة العثمانية، وكان متحمسًا لدولة الخلافة ومدركًا للتآمر بين دول الغرب والصهيونية على إسقاط دولة الخلافة العثمانية.

* انشغل بالقضايا العربية، ودافع عنها بقلمه في مجلة أصدرها باللغة الفرنسية في «جنيف».

* ذهب إلى أمريكا سنة ١٩٢٨م.

وإلى بلاد الأندلس سنة ١٩٣٠م.

* عاش حياته ووقف جهده ومواهبه العلمية والأدبية على نصرة قضايا الإسلام والعرب، وما أكثر ما كتب في هاتين القضيتين. يقول شكيب أرسلان بنفسه في رسالة وجهها إلى صديقه هاشم الأتاسي سنة ١٩٣٥م:

إنه ـ أي شكيب ـ أحصى ما كتبه في هذا العام فكان:

ـ ١٧٨١ رسالة خاصة.

ـ و ١٧٦ مقالة في الجرائد.

ـ و ١١٠٠ صفحة كتبت في كتب له طبعت.

ثم قال: وهذا محصول قلمي في كل سنة.

وله كتب عديدة من أشهرها:

- حاضر العالم الإسلامى وهو فى الأصل من تأليف الكاتب الأميركى لوثروب استودارد Lothrop Stodard ترجمه إلى العربية عجاج نويهض، وزاد فيه الأمير شكيب ما جعله أربعة مجلدات كبار، تعليقًا منه على ما كتبه المؤلف.

- ولماذا تأخر المسلمون: مطبوع.

- وغزوات العرب فى فرنسة وشمالى إيطاليا وسويسره: مطبوع.

- والحلل السندسية فى الرحلة الأندلسية فى مجلدات ثلاث: مطبوع.

وغيرها من الكتب.

* وقد امتلأ هذا القرن - كما قلت بالمصلحين المجددين المشاهير غير من ذكرنا، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ - السيد جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ).

٢ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبى (١٢٦٥ - ١٣٢٠ هـ).

٣ - شيخ الشريعة الأصبهانى (١٢٦٦ - ١٣٣٩ هـ).

٤ - محمود شكرى الألوسى (١٢٧٣ - ١٣٤٢ هـ).

٥ - الشيخ عبد العزيز جاويش (١٢٩٣ - ١٣٤٧ هـ).

٦ - مصطفى صادق الرافعى (١٢٩٧ - ١٣٥٦ هـ).

٧ - الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى دولة الخلافة (١٢٨٦ - ١٣٧٣ هـ).

٨ - الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر (١٢٩٥ - ١٣٦٣ هـ).

٩ - محمد كرد على مؤسس المجمع العلمى العربى بدمشق (١٢٩٣ - ١٣٧٢ هـ).

١٠ - الشيخ بديع الزمان النورسى (١٢٩٢ - ١٣٧٩ هـ).

١١ - عبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ - ١٣٥٩ هـ).

١٢ - الشيخ أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ).

١٣ - والإمام الشهيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فى مصر (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ).

١٤ ـ الشهيد سيد قطب (١٣٢٤ هـ ـ ١٣٨٧ هـ).

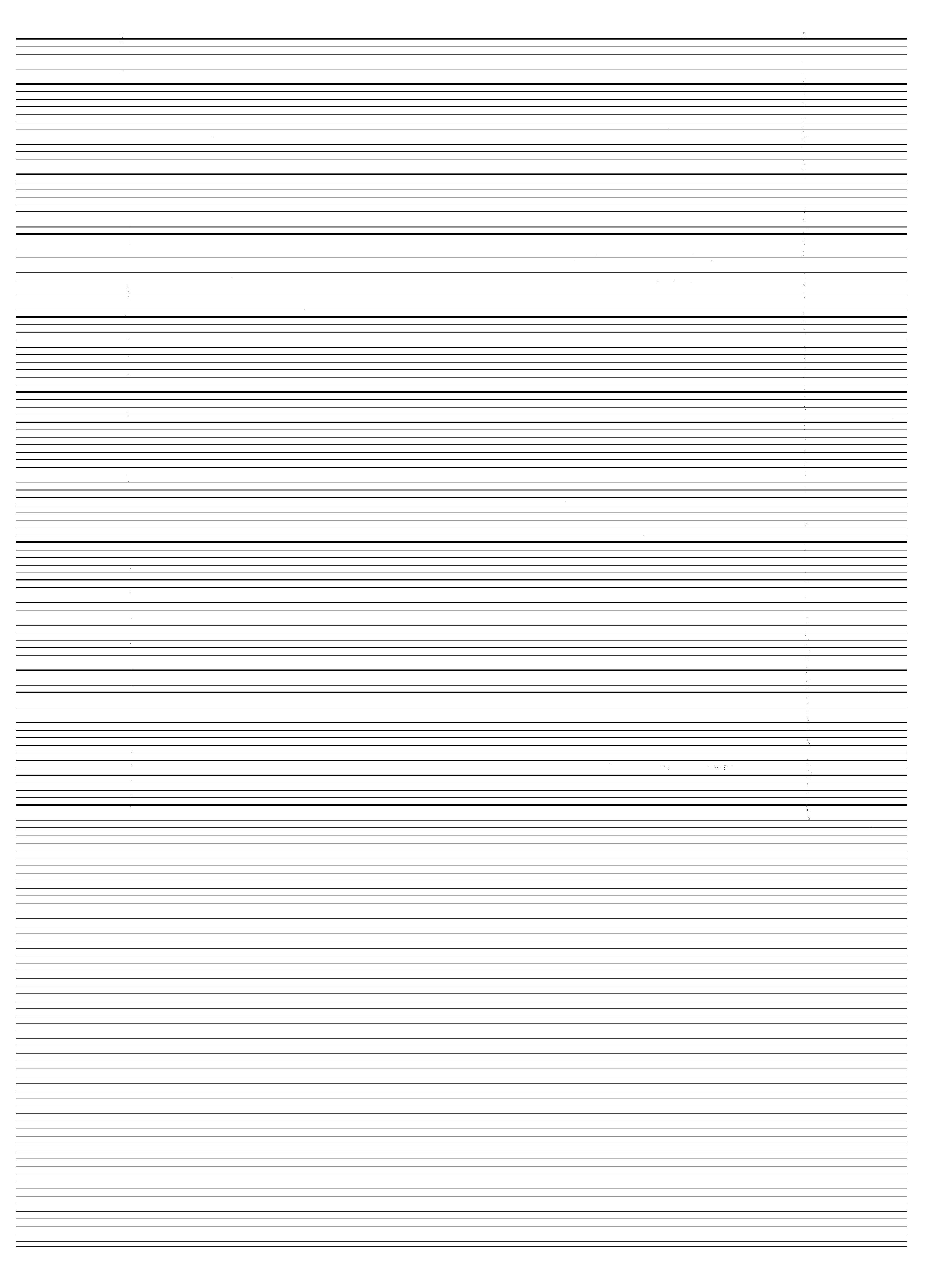
١٥ ـ الشيخ أبو الحسن الندوى ـ أمد الله فى عمره (١٣٣٢هـ).

١٦ ـ الدكتور مصطفى السباعى (١٣٣٤ ـ ١٣٨٥ هـ).

١٧ ـ مالك بن نبى (١٣٢٢ ـ ١٣٩٣ هـ).

١٨ ـ محمد بن محمد بهاء الدين البخارى (١٣١٧ ـ ١٣٨٩ هـ) مؤسس الحركة النقشبنديه بفارس التى امتدت إلى الصين وتركستان وتركيا وغيرها.

١٩ ـ نجم الدين أربكان (١٣٤٣ هـ) أمد الله فى عمره، مؤسس حرب النظام الوطنى سنة ١٩٦٩م، ومؤسس حرب الرفاه سنة ١٩٩١م رئيس الحكومة التركية قبل حكومة يلماظ الحالية. حمله الجيش التركى العلمانى على الاستقالة وحلّ حزب الرفاه وأعلن الجيش حربه على كل ما هو إسلامى.



الباب الثانى

شرح كلمة الإمام البنا فى الأخوة

نص كلمة الإمام البنا فى الأخوة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أخوةً العقيدة

ويشمل:

١ ـ أوثق الروابط رابطة العقيدة.

٢ ـ بين الأخوة والفرقة.

٣ ـ آثار الأخوة.

٤ ـ الحب وأثره فى الأخوة.

والفصل الثانى: صفات الأخ الصادق

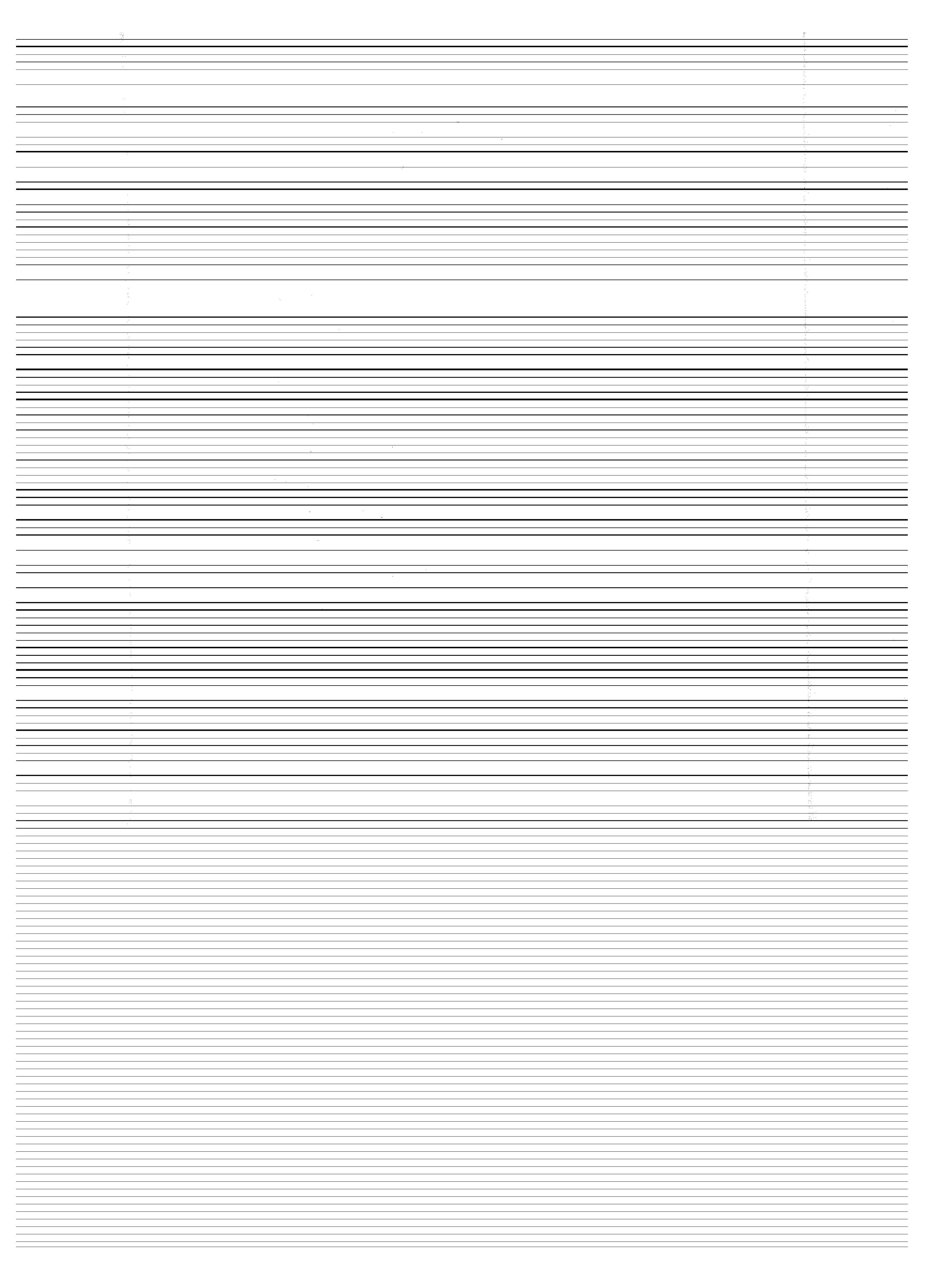
ويشمل

١ ـ التقارب الشديد من أخيه المسلم.

٢ ـ الاحتياج إلى الأخوة فى الله.

٣ ـ خطر الخروج على الأخوة فى الله وآدابها.

٤ ـ الأخوة فى الله والتكامل.



نص كلمة الإمام البنا في الأخوة

* وأريد بالأخوة، أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخت الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه رتبة الإيثار: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وهكذا يجب أن نكون».

تقديم الباب الثانى

فى هذا الباب من الكتاب نوفر الجهد فيه ـ بعون الله تعالى ـ على تحليل كلمة الإمام البنا رحمه الله فى «الأخوة» بإلقاء الضوء على ما فى هذه الكلمة الوجيزة من معانٍ ومضامين وإشارات ودلالات، جاعلين هذا التحليل فى فصلين اثنين من هذا الباب.

الفصل الأول: «أخوة العقيدة» حيث نوضح فيه معنى: أخوة العقيدة وما يدل عليه هذا التركيب من دلالات، أهمها:

ـ أن رابطة العقيدة هى أوثق الروابط، وهى التى توجب على المسلمين أن يتآخوا فى الله تعالى وفى الدين.

ـ وأن الله تعالى قد قصر الأخوة على المؤمنين، الأخوة بكل ما توجبه على الأخ نحو أخيه من واجبات، وما تحتفظ له به نحو أخيه من حقوق.

* ونؤكد أن رابطة الأخوة فى الله هى أوثق الروابط وأبقاها وأعلاها شأنا، وأعزها مكانة، وأرضاها لله تعالى.

* ونوضح ما للأخوة من أثر عميق وقوى فى تزكية الإيمان وتنقيته من الشوائب التى تعكر صفوه، مما يألفه الناس ويعتادونه من تخاصم وتنافر وتعادٍ، فالأخوة تقطع كل ذلك وتقضى عليه وتعطى الإيمان فرصة أن يزيد ويقوى.

* ونشير إلى أن التخلى عن الأخوة فى الله يؤدى إلى التفرق والضعف والضياع ثم إلى الكفر، حيث لا أخوة بين الكفار كما سنوضح ذلك فى تقديم الفصل الأول من هذا الباب.

* ومن أهدافنا فى هذا الفصل الأول أن نؤكد أن الأخوة فى الإسلام فى جوهره وحدة واتحاد وتمازج واندماج يمثل رابطة قوية بين المسلمين، يعتزون بها على كل رابطة، حتى لو كانت رابطة الدم ـ النسب ـ أو رابطة الصهر والرحم؛ وذلك أن رابطة الأخوة فى العقيدة توحد بين المسلمين وتجعلهم بهذه الوحدة قوة، وتصنع لهم بين الناس منعة، تمكنهم من مواجهة أى تَحَدٍّ يوجه إليهم من أعدائهم.

* ثم نشير فى هذا الفصل إلى أن الحب فى الله يدعم الأخوة ويقويها وينقيها من شوائب الأنانية والأثرة وسوء الظن أو سوء التفاهم، وسوء العمل، والتقصير بكل أنواعه،

والإهمال. موضحين أن لهذا الحب فى الله مراتب عديدة أقلها وأدناها وأضعفها سلامة صدر المسلم نحو أخيه المسلم من كل ظن سيئ، فلا يظن به إلا خيراً. . .

ثم تتدرج مراتب هذا الحب على نحو ما سنفصل، حتى تصل إلى أعلى مرتبة منه، وهى إيثار الأخ أخاه على نفسه بأى خير وبكل خير.

وفى الفصل الثانى من هذا الباب نركز على التعريف بصفات الأخ الصادق كما حددتها كلمات الإمام البنا.

فنوضح أنه المجاهد الصابر المحتسب، الذى يتحمل المصاعب والشدائد فى سبيل الله، مع بيان أن أبرز هذه الصفات فيه أن يتقارب مع أخيه تقاربا شديداً فى سرائه وضرائه، وأن يستعد لتحمل المتاعب عن أخيه، وأنه إن ترك ثغرة أو خللا فى هذا التقارب، فقد أَخَلَّ بصدق الأخوة، بل أخلَّ بالأخوة نفسها.

مع تأكيدنا على عدد من الحقائق التى تتصل بصدق الأخوة، منها:

ـ أن مما يدعم الأخوة الصادقة بين المسلمين أن يشعر كل أخ شعوراً عميقا باحتياجه إلى أخيه فى حياته الخاصة، فلا يقطع فى أمر ذى بال إلا بعد استشارته، واحتياجه إليه فى موكب الدعوة إلى الله الذى يسير فيه، واحتياجه إليه فى أن يعينه على ذكر الله تعالى وتقواه.

ـ وأن يشعر أيضًا باحتياج أخيه إليه، فيجعل نفسه فى عونه وفى حاجاته الدنيوية والأخروية، فلا يضن عليه بنصح أو وقت أو جهد أو مال، أو نقل خبرته إليه.

ـ وأن يتأكد كل أخ أن الأخوة فى الله دين ونظام وعمل لابد منه، استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، فهو دين وطاعة لله وتقرب إليه سبحانه وتعالى.

ـ وأن التخلى عن صفة الأخوة فى الله يؤدى إلى عزلة الفرد عن إخوانه، وانفراده بنفسه أو بشيطانه، وهذه العزلة منهى عنها فى نصوص إسلامية كثيرة إلا أن تكون فتنة عامة يصبح فيها القاعد خيراً من القائم.

ـ وأن اعتزال الناس يضع لصاحبه فى المكان الذى لا يرضى الله تعالى، وفى الموضع يعوق الدعوة والحركة والجهاد، إذ كيف يمارس الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق، والجهاد فى سبيله لتكون كلمته هى العليا من اعتزل الناس؟ مَنْ يدعو؟ ومن يحمل الحركة إليهم؟ ومن يجاهد معهم صفا كأنهم بنيان مرصوص؟.

ـ وأن من ترك الأخوة فى الله فقد عَرَّض نفسه للذئب، وسريعًا ما يفترسه الذئب، ما دام يجده وحيدًا بغير رفيق ولا معين، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

ـ وأن الأخوة الحقة هى فى جوهرها تكامل بين الأخوة فى الله. ومعنى التكامل بينهم أن بعضهم لايكمل فى صفاته وعمله إلا بأخيه، وأن ثغرة مًا فى طريق العمل للإسلام لا تُسد إلا إن تكاتف لها عدد من الإخوة فى الله، وإلا صعب أو استحال على واحد من الناس أن يسدها وحده.

ـ وأن الأخوة فى الله بين المسلمين هى الولاء الذى يجب أن يكون بينهم، ولاء بكل ما تحمله الكلمة من معان، وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وإلا فكيف يحقق المسلمون ما أوجب الله عليهم من أن يوالوا بعضهم بعضًا؟.

هذا ما نرجو أن نوضحه فى هذا الباب؛ أن نؤصل ونحلل عن طريق تفصيل الكلام فيه ما جاء فى كلمة الإمام البنا عن الأخوة.

وإلى الفصل الأول من هذا الباب والله المستعان.



- الرغبة فى قضاء حاجات الأخ.

- الإيثار.

ب - جزاء الحب فى الله.

- الجزاء الدنيَوى.

- والجزاء الأخروى.

تقديم الفصل الأول :

أخـــــوة العقـــــيدة

عنوان هذا الفصل: «أخوة العقيدة» مـدخل له، يلزمنا بأن نعرف به، بالأخوة وبالعقيدة وبهذه الإضافة بينهما.

أما الأخوة:

فقد بينا معناها وسائر دلالاتها فى الباب الأول من هذا الكتاب، ولا نحب أن نعيده هنا، ولكنا نذكر بصورة مجملة لهذه الأخوة فى هذا الفصل فنقول:

* الأخوة مشاركة فى الانتماء، أو فى المودة، أو فى الدين.

* والأخوة تقـتضى من الأخ نحو أخـيه المودة والشفـقة، ولذلك سـمى القرآن الكريم بعض الأنبياء عليهم السلام إخوة لأقوامـهم الذين يدعونهم إلى الله، كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[1].

* والأخوة فـى الإسلام نعـمة كبـرى أنعم الله بهـا على المسلمين الأولين إذ كانوا قـبل الإسلام فى فرقة وخصام جعلهم على شفا حفرة من النار، وكانوا أعداء ألداء، فلما جاءهم الإسلام بالأخوة تآلفوا وصاروا إخوانًا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[2].

* والأخوة مـقصورة على المؤمنين دون سائر النـاس، كما يفهم ذلك من قـوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحـجرات: ١٠]. أى أنهـم إخوة فى الدين والحـرمـة، لا فى النسب، بمعنى أنهم جميعًا إخوة فى الدين.

* والأخوة فى دين الإسلام خاتم الأديان تعنى صـفات لابد أن تتوافر فى الأخ المسلم، وتنعكس فى تعامله مع أخيه المسلم، ومن هذه الصفات:

- سلامة صدر الأخ نحو أخيه من أى سوء ظن.

---

(١) سورة الأعراف: الآيات: ٦٥، ٧٣، ٨٥ على التوالى.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

و ـ ب الأخ لأخيه فى الله تعالى.

ـ واحترامه وتقديره شخصيًا، وتقدير ظروفه.

ـ وحفظه لأخيه فى حضوره وفى غيبته فى ماله وعرضه ودمه.

ـ والتعاون معه على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ـ ونبذ كل خلاف معه، والتماس العذر له.

ـ والالتزام بكل ما أوجب الإسلام له من حقوقه.

ـ وإيثار الأخ لأخيه على نفسه.

* ولهذه الأخوة درجات ومراتب ـ كما أوضحنا هناك ـ فهى تبدأ بالتعارف ثم التآلف، ثم التفاهم، ثم التكافل، ثم الرعاية والتفقد، ثم التعاون، ثم التناصر معه ظالمًا أو مظلومًا على نحو ما هو معروف من أن نصر الظالم بكفه عن الظلم، ونصر المظلوم بأخذ حقه له.

* والأخوة هى الأساس الركين الذى يقوم عليه كل عمل من أجل الإسلام:

١ ـ دعوة إلى الله.

٢ ـ وحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق.

٣ ـ وأمرًا بالمعروف.

٤ ـ ونهيا عن المنكر.

٥ ـ وجهادًا فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

ولا يمكن القيام بهذا العمل كله على يد رجل واحد، أو يد رجال غير متآخين فى الله.

ومن أجل ذلك أوجب الإسلام الأخوة فى الله على المسلمين، وجعل لهذه الأخوة أعلى مكانة وأسمى منزلة حين اعتبرها نعمة من الله على المسلمين.

أمـا العقـيدة:

فهى فى اللغة مأخوذة من العقد.

ـ والعقد له معان كثيرة أقربها إلى معنى العقيدة: التأكيد، والوثاقة، والقوة، والتماسك، والإحكام، والشدة، والصلابة.

- ومن معانى العقد: اتفاق والتزام بين طرفين أو أكثر يلتزم كل طرف بمقتضى هذا العقد وينفذ ما اتفق عليه بين الأطراف.

أما العقيدة بلفظها هذا فهى: الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى من اعتقد به.

- والاعتقاد هو: قبول رأى أو فكرة على أنها حقيقة، وهذا القبول عمل عقلى أساسًا، ولكن قد تتدخل فيه العاطفة أحيانًا.

وهذا العمل العقلى يهيئ للفرد فرصة عقلية إرادية للاختيار فيما يعتقده، بغض النظر عن أن يكون هذا المعتقد صوابًا أو خطأ.

وفى مجال العلوم والبحوث الاجتماعية نجد للعقيدة أكثر من معنى، فمن ذلك:

- العقيدة بمعنى المعتقد: وهى المبدأ الذى يتمسك به صاحبه ويؤمن بصوابه دون الاستناد إلى دليل.

- والعقيدة بمعنى المذهب: وهى رأى فلسفى أو دينى، أو هى المبادئ التى تسترشد بها طائفة دينية أو أى طائفة من الجماعات، بحيث تنظم هذه العقيدة سلوك أفرادها دون حاجة إلى إيراد حجة أو حجج عليها.

والعقيدة فى الفكر الغربى - وهو فكر تأثر سلبيًا بما كانت تقوم به الكنيسة «الكاثوليكية» من أعمال تطلق عليها العقيدة الدينية، وكان الناس فى الغالب لا يرضون عن ذلك ويرفضونه لما فيه من قيود على العقل والإرادة، مما أدى فيما بعد إلى ثورة على الكنيسة «الكاثوليكية» فيما عرف بالبروتستانت أو المحتجين.

وهم يرون أن العقيدة الدينية أحد أشكال التنظيم الدينى غير المتبلور أو الواضح، وإنما هى مجرد قبول بعض المعتقدات والممارسات دون تفكير أو حرية اختيار.

* والعقيدة فى الإسلام:

هى ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، ولها أمثلة منها:

- الاعتقاد بوجود الله تعالى.

- والاعتقاد بأن الله تعالى بعث رسلاً وأمرهم بتبليغ الناس.

- والاعتقاد بأن لله تعالى ملائكة بعضهم بلغ وحيه إلى أنبيائه عليهم السلام، وبعضهم وكل إليه عمل كذا أو كذا من الأعمال فى الدنيا أو فى الآخرة.

والاعتقاد بأن الله تعالى أنزل كتبًا على بعض رسله عليهم الصلاة والسلام.

- والاعتقاد بالبعث واليوم الآخر والحساب والميزان، والجنة والنار.

* وبناء على ذلك يمكن القول بأن العقيدة هى ما انطوى عليه القلب والضمير من معتقدات دينية، ويمكن أن تكون معتقدات غير دينية.

أما أخوة العقيدة:

فإنها تعنى ربط هذه الأخوة فى الدين بالعقيدة وتوثيقها بها، إذ العقيدة بهذه المعانى التى ذكرنا لابد أن تكون أقوى الروابط؛ لأن الروابط التى تربط بين الناس عادة هى:

- رابطة الأفكار المشتركة والاهتمامات العقلية.

- ورابطة العواطف المشتركة أيضًا نحو حب كذا أو كراهيته.

- ورابطة تفاهم وتعاون على أمر بعينه، واستجابة له.

- ورابطة ثقافة متبادلة.

إذا كانت هذه هى الروابط فى العادة فإنها فى مفرداتها وفى مجموعها أضعف وأقل فعالية من رابطة العقيدة.

* وإذا كانت العقيدة هى أوثق الروابط، فإن الأخوة فى الله جزء من هذه العقيدة عند المؤمنين، فمن آمن بالله تعالى وبما جاء به محمد ﷺ لابد أن يتآخى فى الله مع كل مسلم لأن ذلك مما أمر الله تعالى به وبلغه عنه رسول الله ﷺ، فلا إيمان بالله بغير أخوة فيه وفى دينه، كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠]، أى أنهم بمقتضى عقيدتهم وإيمانهم خلَّص لهذه الأخوة، متمحصون لها، قد زالت عنهم شبهة الأجنبية، ورذيلة التباعد والتنافر، وإثم التباغض والتعادى.

فالأخوة قصر على المؤمنين لأن العقيدة هى الجامع بينهم وأما بين الكافرين أو المسلم والكافر فلا أخوة، ولا ينبغى أن تكون، بدليل أن المسلم إذا مات وله أخ كافر ولا وارث له سواه، فإن هذا الأخ الكافر لا يرث أخاه المسلم من النسب، وإنما يكون ماله للمسلمين، فالإيمان والعقيدة رباط الأخوة فى الله تعالى.

هذا ما نقصده بعنوان هذا الفصل: «أخوة العقيدة» وهو عنوان ضخم تنطوى تحته مفردات كثيرة كما سنوضح بإذن الله تعالى وعونه.

فإلى تفصيل: «أخوة العقيدة» والله المستعان.

١ ـ أوثق الروابط رابطة العقيدة

يقول الإمام حسن البنا رحمه الله فى أخوة العقيدة:

«وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة. والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها».

* مفهوم الأخوة عند الإمام البنا:

الأخوة عنده هى أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة وهو مفهوم خاص للأخوّة يتجاوز به مفاهيم كثيرة للأخوة، مما تُعورِف عليه؛ فكيف يكون هذا؟.

* رباط العقيدة:

لا يكون هذا إلا إذا كان كل أخ مسلم يرتبط قلبه بقلب أخيه، وروحه بروحه برباط العقيدة.

ـ وقلب الإنسان أهم ما فيه فهو مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسَدتْ فَسَد، كما جاء ذلك على لسان النبى ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**».

وهذا القلب ـ على أهميته فى الإنسان ـ كثير التقلب من حال إلى حال، ومن ضلال إلى هدى، ومن هدى إلى ضلال، ومن التزام إلى تسيب، ومن ضياع إلى التزام، ولذلك جاء فى دعاء النبى ﷺ فيما رواه الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا مُقَلِّب القلوب ثَبِّتْ قلبى على دينك**».

وقالوا: إنما سُمِّىَ قلبًا لكثرة تقلبه وانصرافه من حال، إلى حال وهذا القلب له وظائف وأعمال عديدة فى حياة الإنسان، منها:

ـ به يكون العلم والفهم، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: ٣٧].

- وبه يكون الثبات والشجاعة وزوال الخوف كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ...﴾ [آل عمران: ١٢٦].

- وبه يكون التحول والانصراف من رأى إلى رأى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [الانعام: ١١٠].

* وقد يعبر عن القلب بالعقل كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾ [ق: ٣٧] أى عقل يتعظ به ويعتبر.

* وقد يعبر عنه بالروح كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ...﴾ [الأحزاب: ١٠] أى الأرواح.

فارتباط قلب الأخ المسلم بأخيه فى الإسلام ارتباط علم وفقه وفهم واعتبار، وارتباط ثبات واستقرار، وكل هذه المعانى تحركها العقيدة فى قلب المؤمن نحو أخيه المؤمن.

*** أما الروح:**

فهى اسم للنفس، لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس كما فى تسمية الإنسان بالحيوان، وجعلت هذه التسمية اسمًا للجزء الذى تحصل به الحياة والحركة واستجلاب المنافع واستدفاع المضار.

* وروح الأخ المسلم يجب أن ترتبط بروح أخيه فى الحركة والعمل رباطا توثقه العقيدة وتقويه وتدفع إليه.

- فالقلوب والأرواح يجب أن ترتبط بين الأخ وأخيه المسلم برباط العقيدة لتكون الأخوة الحقة، التى هى صفة المؤمنين ووقف عليهم دون سواهم من الناس، وبغير هذا الارتباط فلا أخوة، وإذا فُقِدت الأخوة بين المؤمنين اهتز إيمانهم وضعف.

- ومظاهر ارتباط القلوب والأرواح بين الإخوة هو:

أ - تقارب هذه القلوب والأرواح، تقاربًا يؤنس فى طريق العمل من أجل الإسلام، ويزيل الوحشة والإحساس بالانفراد فى الطريق، بل يهون على موكب الدعوة إلى الله كل ما يردُ عليه من مشاقٍّ وصعاب ومحن وابتلاء.

ب - وتمازج هذه القلوب أى تضامها وتلاصقها وتبادل المشاعر والأحاسيس فيما بينها،

وهذا التمازج يجعل من أصحاب هذه القلوب والأرواح كيانًا واحدًا، وجماعة واحدة، تستعين بهذه الوحدة على أعدائها والمتربصين بها، إنه التمازج الذى يجعل بعضهم لبعض كالبنيان يشد بعضه بعضا، فيقويه ويمكنه من مواجهة الأعاصير والأنواء، وليس أكثر من الأنواء والأعاصير فى طريق الدعوة إلى الله.

جـ - وحب هذه القلوب والأرواح بعضها لبعض، بحيث يلازم الحب هذه القلوب لا ينفك عنها بحال، وبخاصة إذا كان الحب فى الله وكان للمحبوب دائمًا حيث أمره الله، وذلك شأن الأخ المسلم غالبًا.

وثمرة هذا الحب هو التعاون على البر والتقوى بين هؤلاء المحبين، والاستعانة بهذا الحب على ذكر الله وعبادته والاجتماع عليه، وإيثار الأخ أخاه على نفسه.

د - وشوق هذه القلوب والأرواح بعضها إلى بعض.

والشوق أصلاً هو سفر القلوب والأرواح إلى الله تعالى وإلى جنته، وإلى كل ما يرضيه، ومنه شوق الأخ المسلم نحو أخيه المسلم، يسافر إليه بقلبه وروحه إذا غاب عنه فيدعو له بظهر الغيب ويسأل الله له الخير فى دينه ودنياه، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة: آمين، ولك بمثل». رواه ابن ماجه بسنده عن أم الدرداء مع اختلاف يسير فى اللفظ.

* وهذه المعانى الأربعة: التقارب والتمازج والحب والشوق. إنما تدفع إليها العقيدة وتوثق بها بين المسلم وأخيه المسلم، ومعنى هذا أن أى ارتباط من نوع آخر غير رباط العقيدة، كرباط المنافع والمصالح ورباط الانتماء إلى عائلة أو مهنة أو نحوها من إقليم ولغة وجنسية، كل هذه الأنواع من الارتباط ليست مثل الارتباط الذى تولده العقيدة وترعاه وتنميه وتدعو إليه وتلزم به، ليست مثله فى القوة والوثاقة والاستمرار.

* الأخوة فى الله يربط بين أفرادها رباط العقيدة أولاً، ثم ما تدعو إليه العقيدة من أنواع الارتباطات الأخرى، كرباط التعاون على البر والتقوى، ورباط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورباط الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين فى الناس وفى الآفاق، ورباط الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا. كل هذه الروابط تدعو إليها العقيدة وتزكيها وتوجبها فى ظروف بعينها، بل تجعلها فرضًا عينيًا لافكاك من أدائه والقيام به فى بعض الأحيان.

* وارتباط القلوب والأرواح بالعقيدة يعنى - كما أسلفنا - أن هذه القلوب المتقاربة

المتمازجة المتحابة المتشوقة إلى الحق وأهله ودعاته، ينبغى أن تستقر وتثبت على هذه المشاعر من كل أخ نحو أخيه فى الإسلام، ينبغى أن تستقر هذه القلوب على الرغم مما هو معروف عنها من التغير والتحول والتقلب.

* إن القلوب التى لا تربطها العقيدة تتقلب فى مشاعرها نحو الناس والأشياء ونحو الزمان والمكان، وما يحركها فى هذا التقلب إلا الأثرة والرغبة فى الاستكثار من أعراض الحياة الدنيا، وحب الدعة والراحة وحب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

* أما القلوب التى تربطها العقيدة فإنها ثابتة مستقرة حيث تدعو العقيدة الإنسان دائمًا إلى أن يحب من وجده حيث أمره الله، وأن يبغض من وجده حيث نهاه الله، وتلزم الإنسان بأن يهذب أنانيته وأن يكتفى بما قسم الله له.

* والعقيدة توجب على المسلم نحو أخيه المسلم كثيرًا من الحقوق وتلزمه بكثير من الواجبات على نحو ما سنبين بمشيئة الله تعالى فى فصول هذا الكتاب.

* إن الأخوة التى ترتبط بالعقيدة وتستمد منها أسباب قوتها واستمرارها، وتوثق كل ما فيها، هذه الأخوة مركوزة بكل دلالاتها وإيحاءاتها فى كلمة قرآنية واحدة هى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

* ثم تأتى السنة النبوية المطهرة فتفصل كثيرًا من معانى هذه الأخوة الإيمانية وتفسرها فى مجالات ثلاثة:

المجال الأول: جَلْبُ المسلم الخير والنفع لأخيه المسلم.

والمجال الثانى: دَفْعُ المسلِم الشرَّ والضرر عن أخيه المسلم.

والمجال الثالث: حب المسلم لأخيه المسلم وتجاوبه معه.

* وفى كل مجال من هذه المجالات الثلاثة وردت أحاديث نبوية شريفة ترسم للمسلمين معالم هذه الأخوة وأبعادها، وتدلهم على أحسن الطرق للبر بهذه الأخوة.

ومن تلك الأحاديث الشريفة ما نذكره فيما يلى:

في المجال الأول:

وهو مجال جلب النفع:

ـ روى مسلم وأحمد وابن ماجه بأسانيدهم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه»**.

والأمر فى هذا الحديث للوجوب بمعنى أن من استطاع أن ينفع أخاه فلم يفعل ذلك بخلا أو حسدًا أو تحديًا فقد أَثِم.

ـ وروى البيهقىّ فى سننه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نَصَر أخاه بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا والآخرة»**.

والنصر هنا بالدفاع عنه وهو غائب، الدفاع عن عرضه أن يخوض فيه خائض أو أن يغتابه أحد، والدفاع عن ماله وعن دمه إن تعرض شىء من ذلك للخطر.

والذى لا ينصر أخاه بظهر الغيب رجل أعمى البصر والبصيرة لأنه بامتناعه عن نصر أخيه بظهر الغيب، قد حرم نفسه من نصر الله تعالى إياه فى الدنيا والآخرة.

ومن ذا الذى يحرم نفسه من نصر الله فى الدينا والآخرة؟!!!

ـ وروى مسلم وأبو داود بسنديهما عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثله»**.

والمؤمن الراشد هو الحريص على أن تكون له عند الله تعالى مكانة ومغفرة للذنوب، وطريق ذلك هو دعاؤه لأخيه بظهر الغيب، وليوقن هذا الداعى لأخيه بأن كل دعوة دعاها لأخيه تستجاب بإذن الله لأخيه وله كما ينبئ عن ذلك هذا الحديث الشريف.

ـ وروى البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود بأسانيدهم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ يكن فى حاجة أخيه يكن الله فى حاجته»**.

أى أن على المسلم أن يعمل من تلقاء نفسه على قضاء حاجات أخيه فى الإسلام، حتى يقضى الله تعالى حاجاته.

وفى المجال الثانى:

مجال دفع الشر والضرر عنه، نذكر الأحاديث النبوية التالية:

- روى البخارى - فى الأدب المفرد - بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه»**.

وأى دفع للأذى والشر عن المؤمن من أن يكف المسلم عن أخيه فقره واحتياجه أو خوض الناس فى عرضه أو ذكره بما يكره، وأن يكون له بمثابه من يحوطه من ورائه أى يحمي ظهره؟.

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسلم أخو المسلم لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخدعه؛ كل المسلم على المسلم حرام؛ عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا - وأشار إلى القلب - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»**.

وهل يُدفع الشر عن أحَدٍ بمثل ترك خيانته والكذب عليه وخداعه؟ إن معظم أنواع الشر -إن لم تكن- كلها إنما تأتى نتيجة لوقوع الإنسان فى براثن الخيانة والكذب والخداع.

وأخطر شر يدفع عن الإنسان هو منع الخوض فى عرضه أو ماله أو دمه، أو احتقاره، أو احتقار أموره وظروفه.

وكل ذلك محله القلب والنية.

- وروى أحمد والطبرانى - فى الأوسط - بسنديهما عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار»**.

ومَنْ ذا الذى لا يحب أن يعتق من النار؟!!!

وفى المجال الثالث:

مجال حب المسلم لأخيه المسلم وتجاوبه معه جاءت الأحاديث النبوية التالية:

- روى مسلم وأحمد بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عينُه اشتكى كله»**.

ولا يكون المؤمنون كرجل واحد إلا إن وحَّد بينهم الحب فى الله وجمعت بينهم قيم العقيدة الإسلامية التى تجعلهم إخوة، فهم كالجسد الواحد كل أعضائه تعبر عنه وهو يعبر عنها فى الإحساس بالألم أو غيره من الأحاسيس.

ـ وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود بإسانيدهم عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا»**.

أى أنهم كيان واحد يقوى بعضهم بعضا ويمده بأسباب المنعة والقدرة على مواجهة الأنواء والتحديات.

ـ وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه بأسانيدهم عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

وهذا الحديث النبوى الشريف يوضح نَفْى الإيمان عمَّن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فالأخ المسلم ينزل أخاه المسلم بمنزلة نفسه فى حب الخير له كما يحبه لنفسه.

ـ وروى البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد بأسانيدهم عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»**.

وهذا الحديث الشريف من الأحاديث الجامعة فى نبذ الأسباب التى تؤدى إلى عدم حب المسلم لأخيه المسلم، وهذه الأسباب المؤدية إلى فقد الحب هى: التباغض، والتقاطع أى الهجر، والتدابر ـ أى الإهمال والتجاهل ـ، والتحاسد، وكل ذلك ينفى الحب أولاً ثم ينفى الأخوة نفسها إذا انتفى الحب، وكيف يحدث هذا والله تعالى أمر المسلمين بأن يكونوا إخوانًا؟.

وأوضح الحديث أن أقصى مدة لهجر المسلم أخاه المسلم ـ عند وجود الداعى إلى الهجر ـ هى ثلاثة أيام فقط، ثم عليهما أن يعودا إلى التواصل والمودة، وأن خيرهما هو الذى يبدأ أخاه بالعودة إلى المودة والحب فى الله.

* وفى هذه المجالات الثلاثة التى تعبر فيها الأخوة الإسلامية عن نفسها متسع لتفصيلات أكثر، لا مجال لها هنا، وسوف نتحدث عنها فيما بعد إذا أذن الله.

* وثاقة رباط العقيدة وغلاؤه:

ذلك أن رابطة العقيدة أوثق الروابط وأغلاها ـ كما قال الإمام البنا ـ وإنما كانت كذلك لأسباب من أهمها:

١ ـ أنها عقيدة تقوم على التوحيد: توحيد الله تعالى إلها وربًا وخالقًا ورازقًا، وعبادته كما أمر وحده لا شريك له، والتلقى عنه وحده ما بلَّغ رسوله الخاتم ﷺ، والاستسلام له، والالتزام بمنهجه أكمل المناهج وأتمها وأرضاها لله تعالى؛ فهى بهذا التوحيد أوثق الروابط وأقواها لوحدة المعبود ووحدة المنهج ووحدة الهدف والغاية.

٢ ـ وأنها ـ بناء على ذلك ـ عقيدة من عند الله تعالى وحده هو صانعها وهو الآمر بها، وهو الذى اختارها لتكون ملائمة للإنسان فى معاشه ومعاده، وما سواها من العقائد من عند غير الله من فلاسفة وحكماء ومصلحين، وشتان ما بين ما كان من عند الله وما هو من عند غيره، كما أن أى عقيدة أخرى لا يمكن أن تكون ملائمة للناس، لأن حاجات الناس تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف، ويستحيل على الفلاسفة والحكماء والمصلحين أن يلبوا احتياجات الناس فى كل زمان ومكان، لأن الذى خلقهم هو أدرى بما يصلحهم فى دنياهم وأخراهم وليس ذلك لأحد إلا الله تعالى.

لذلك كانت هذه العقيدة أحسن العقائد وأثمنها، وكانت رابطتها بين الناس تبعًا لذلك هى أقوى الروابط وأوثقها.

٣ ـ وأنها عقيدة ثابتة راسخة لا يدخل عليها تغيير ولا تبديل إلى يوم الدين، على حين كل العقائد الأخرى متغيرة متبدلة، ولذلك كانت رابطتها أقوى وآكد من كل رابطة أخرى تربط بين الناس كرابطة الإقليم واللون والجنس والأسرة ونحوها، فكل تلك الروابط أضعف من أن تستمر، وأوهى من أن تقاوم المتغيرات فى الناس وفى الزمان والمكان.

٤ ـ وأنها عقيدة تستطيع أن تجعل من المؤمنين قوة غير مألوفة فى موازين القوى، فالمؤمن بهذه العقيدة حق الإيمان الصابر على متطلباتها يعدل عشرة من غير المؤمنين بها فى ميدان القتال، فإن ضعف وقل صبره على بعض تكاليفها، فإنه يعدل اثنين من الأعداء فى أى معركة، يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ

عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ[1] (65) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

والعقيدة التى تستطيع أن تصنع هذا عقيدة قوية توثق الروابط بين المؤمنين فيصبحون بها على هذا النحو من القوة.

* ولابد أن أنبه إلى أن هذه الخاصية للعقيدة مستمرة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين بها الصابرين على تكاليفها يستطيعون أن يواجهوا فى كل معركة ضعف عددهم وضعف عدتهم وعتادهم، فهل يفيق ذلك قادة الجيوش المسلمة فيبدأون فى إعداد جنودهم بتوضيح أبعاد العقيدة الإسلامية والتدرُّب على الصبر على تكاليفها، ثم يأخذون بكل أسباب إعداد الجنود بعد ذلك؟.

إنهم لو فعلوا ما انهزموا فى أى معركة لأنهم حينئذ يقاتلون وهم مؤمنون صابرون، والنصر عدةٌ من الله تعالى للمؤمنين بل إنه سبحانه أوجب على نفسه نصر المؤمنين، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ[2] فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٥ ـ وأن رابطة العقيدة أقوى وأوثق، لأنها تستطيع تجاوز قيود الزمان والمكان، وليست خاضعة لهذه القيود كسائر الروابط التى تربط بين الناس، فهى بذلك وحدها العقيدة الصالحة لكل زمان ومكان.

ولا شك فى أن ما كان فاعلا ومؤثرا فى أى زمان وأى مكان أقوى وآكد وأوثق من تلك الروابط التى لا تستطيع أن تتجاوز قيود الزمان والمكان؛ وليس ذلك إلا للعقيدة الإسلامية وحدها دون سائر العقائد.

٦ ـ وأن الذى يربط بين الناس فى ظل عقيدة التوحيد هو رجاء سعادة الدنيا والآخرة، لأن الدنيا وما فيها ومن فيها فى فقه هذة العقيدة ما هى إلا معبر إلى الحياة الآخرة، لذلك جُعلتْ الدنيا مزرعة للآخرة، مَنْ زرع فيها الخير، حصده فى الآخرة، ومن يعمل فى الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره ويجده فى الآخرة، وكذا من يعمل فى الدنيا مثقال ذرة شرًا يره ويجده

---

(١) أى لا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بعقيدة التوحيد التى جاء بها محمد ﷺ.

(٢) البينات كما قال المفسرون هى: الحجج القاطعة والعلامات والبراهين الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى، وما جاءوا به من عند الله هو عقيدة التوحيد.

فى الآخرة، هذا يعاقب وذلك يثاب.

وفى الحياة الأخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⁽٦⁾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⁽٧⁾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

أما الروابط الأخرى بين الناس فأقصى ما يؤمل الإنسان فيها أن تحفظ على المترابطين بها متاع الحياة الدنيا، حيث يتمكن بهذه الروابط من المحافظة على مكاسبه ـ وأحيانًا مطامعه ـ وربما استعان بهذه الروابط على إزالة المعوقات التى تحول بينه وبين ما يريد من متع وشهوات، أما الحياة الأخرى فلا وزن لها عند من تربطهم تلك الروابط التى لا تنبع من عقيدة التوحيد وشتان بين روابط عقيدة التوحيد وغيرها من الروابط.

* وذلك من أدلة أنها أوثق الروابط وأقواها عند من يأخذ بها ويصبر على تكاليفها.

* وأما أنها أغلى الروابط وأحبها إلى المسلم، فلأسباب عديدة نذكر منها ما يلى:

١ ـ أنها ـ أى رابطة العقيدة الإسلامية ـ بسبب تكاليفها تقرب الإنسان من ربه بما التزم به من قيمها وما أداه من تكاليفها، وإذا قرب الإنسان من ربه فقد حظى بكل خير فى الدنيا والآخرة، وذلك أن فرائض هذه العقيدة التى تربط بين الناس من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهى عن منكر، هى أهم ما يتقرب به إلى الله، فإذا زاد الإنسان على ذلك بعض النوافل من جنس هذه الفرائض أحبه الله تعالى فكان سبحانه وتعالى سمعه وبصره ويده... وذلك هو التوفيق فى الحياة الدنيا والفوز فى الحياة الآخرة، والله تعالى يقبل على عبده بأسرع وأحسن مما يقبل عليه عبده، فقد روى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم، وإن دنوتَ منى شبراً دنوتُ منك ذراعاً، وإن دنوتَ منى ذراعاً دنوتُ منك باعاً، وإن أتيتنى تمشى أتيتُ إليك أهرول»**.

فأى رابطة أغلى وأثمن من هذه الرابطة التى تقرب إلى الله تعالى؟.

٢ ـ وأن رابطة العقيدة الإسلامية تمنح من صبر على تكاليفها أمنًا وطمأنينة ورضا وسعادة، وتجنبه ما يقع الناس فيه غالبًا من حيرة وقلق واضطراب عندما يواجهون من أحداث الحياة الدنيا ما يتصورون أنه يحول بينهم وبين ما يريدون، فيعيشون فى قلق وحيرة بل فى صراع أن فاتهم من متاع الدنيا ما كان يحبون لأن همهم الدنيا، أما رابطة العقيدة الإسلامية فتجعل هَمّ من يلتزم بها الآخرة، فيكسب بذلك الدنيا والآخرة، روى الترمذى

بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانت الآخـرةُ هَمَّهُ جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شـمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيـا هَمَّهُ جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له».

إن رابطة العقـيدة الإسلامـية تجعل الملتـزم بها راضيًا بما قـسم الله له، لأنه يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئـه، وما أخطأه لم يكن ليصيبـه، ويؤمن بأن لله تعالى بالغ الحكمة فى المنح والمنع.

٣ ـ وأنها الرابطـة التى تضع الإنسان فى مكان طاعـة الله ومكانتها، ومكـان الطاعة هو تحلى الإنسان بعـبادة الله وفق مـا شرع، وتخليه عن كل مـا نهى عنه أو كرِهَ فـيه، ومكانة الطاعة هى الشعـور بالعزة والسيادة والأمن والاطمـئنان، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

فهذه الرابطة غالية أثيرة محبوبة لدى كل مسلم، يريد أن يخرج من ذل معصية الله تعالى إلى عز طاعـته، وبغـير هذه الرابطة لا يفـقه الإنسان مـعنى الطاعة والالتـزام، بل يزين له الشيطان سوء عمله ومعصيته لله تعـالى، حتى يوقعه فى عذاب الله إن اتخذ الشيطان وليا، وأعرض عن ذكر ربه، واستمرأ المعاصى.

أفلا تكون رابطـة العقيـدة الإسلاميـة بكل هذا الخيـر أغلى الروابط وأحبـها إلى قلوب المؤمنين؟.

٤ ـ ولأن رابطة العقيـدة الإسلامية تولد لدى الملتـزم بها انتماءً يعد أرقى انتـماء وأحسنه للإنسان فى الدنيا والآخرة.

* فإذا كان الانتماء حاجة نفسية لكل إنسان سوى، فإن نوع الانتماء يسهم فى تحقيق هذه الحاجة النفسية على أحسن مستوى وأرقى انتماء.

* إن الإنسان ينتمى إلى أبويه وعـائلته ملتمسًا عندهم الأمن والراحـة والنصرة والعون، ثم ينتمـى إلى مهنته وحـرفته يـلتمس لديهم الأمن والنفع، وينتـمى إلى وطن يلتمس فـيه العيش فى أمن وفـاهية، وينتمى إلى جـيل بعينه، وينتمـى إلى لغة وإلى لون وإلى جنس، وإلى ما تشتهى نفسه من أنواع الانتماء التى لا يعيش إلا بها.

* والعقيـدة الإسلامية تربط بين أصـحابها فتـولد فيهم انتمـاءً إلى الله تعالى بأن يكونوا ربانيين، وإلى منهج الله تعالى بأن يـكونوا مؤمنين موحدين، وإلى نبـيه ﷺ بأن يكونوا به

مقتدين، وإلى أمة الإسلام بأن يكونوا جزءا من خير أمة أخرجت للناس، تلك الأمة الوسط التى أورثها الله خاتم كتبه وأكملها وأتمها، وكل نوع من هذه الأنواع من الانتماء إنما هو انتماء إلى ذروة شامخة.

* وإذا كان الإنسان يهفو دائما إلى أن يكون موفقًا منتصراً على عدوه الذى بين جنبيه، وعدوه عدو دينه من الملحدين والكافرين والمنافقين، فإن لن يحقق هذا التوفيق وذلك الانتصار إلا من خلال هذا الانتماء، وحسبه عزا ومكانة أنه بهذا الانتماء واحد من خير أمة أخرجت للناس.

٥ ـ ولأن رابطة العقيدة تلزم كل مسلم أن يكون داعيًا إلى الله تعالى؛ إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، بحكم أن كل مسلم له فى رسول الله ﷺ الأسوة، والرسول ﷺ يقول ـ كما يحكى ذلك القرآن الكريم : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...﴾ [يوسف:١٠٨].

وأى شرف للإنسان أروع من أن يكون عمله امتدادًا لعمل رسول الله ﷺ، وأى رابطة أغلى من رابطة ميراث الكتاب فمن ورث الكتاب فقد اصطفاه الله ليمشى فى موكب الدعوة إليه، أهناك ما هو أغلى وأشرف من ذلك؟ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [فاطر:٣٢].

* إن الدعوة إلى الله ـ كما حكى عنها القرآن الكريم ـ هى أحسن قول يقوله الإنسان وأحسن عمل يعمله، وهى هداية لمن يُدعى، وأثقل ما يوضع فى ميزان الداعى أن يهدى الله على يديه واحدًا من الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلت: ٣٣].

* إن المشاركة فى موكب الدعوة إلى الله شرف باذخ لا يجهل مكانته إلا غافل أو ضال، ورابطة العقيدة الإسلامية تجعل من المسلمين الذى يملكون البصيرة فيما يدعون إليه دعاة إلى الله تشرف بهم الحياة الدنيا، إذ ينقلون الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الحيرة والضياع إلى الإيمان والالتزام.

فهل هناك رابطة أغلى من هذه الرابطة؟ اللهم: لا.

٦ ـ وأهم ما يجعل رابطة العقيدة غالية أنها تؤدى إلى تحقيق أكبر أمل للإنسان وأغلى أمنية يتمناها وهى الجنة، والجنة أغلى سلعة كما جاء فى الحديث الشريف، والطريق إلى

الجنة ليس سهلا ولا ميسوراً، وإنما هو طريق شاق محفوف بالمكاره - كما جاء ذلك في الحديث الشريف أيضًا.

والجنة سلعة الله تعالى، لذلك كانت أغلى سلعة، روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج[1]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

والمعنى أن من خاف أن تفوته الجنة ونعيمها استعد لها ولم يضيع شيئًا من وقته ولا جهده وبدأ رحلته إليها مبكراً من أول الليل، ومن أدلج أي استعد هذا الاستعداد كان جديرا أن يحقق هدفه ويبلغ منزله، وذلك شأن من يشترى سلعة غالية فإنه يستعد لها، والجنة أغلى سلعة.

ورابطة العقيدة الإسلامية التي تربط بين قلوب المسلمين وأرواحهم هي التي تعينهم على المضي في طريق الخير والهدى، طريق الحق، طريق الجنة التي عرضها السموات والأرض، لذلك كانت من أغلى الروابط، لدى كل مؤمن لأنها تحقق له أغلى أهدافه وأنبلها؛ الجنة.

روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: مالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً».

أليست رابطة العقيدة التي توصل إلى هذه المنزلة أغلى الروابط وأعزها؟ اللهم. بلى.

---

(١) أدلج: سار من أول الليل، أي بدأ سيره ورحلته من أول الليل فكان خليقًا أن يصل إلى هدفه.

٢ ـ الأخوة بين الإيمان والكفر

يقول الإمام حسن البنا فى ذلك: «والأخوة أخت الإيمان والتفرق أخو الكفر...».

ومن الحق أن الأخوة حَدٌّ فاصل بين الإيمان والكفر، فما دام المؤمنون إخوة، فإن الأخوة فى الله علامة الإيمان ودليله، وما دامت الأخوة مقصورة على المؤمنين، فإن التخلى عنها خروج عن صحيح الإيمان وكامله، والخروج من الإيمان كفر، أو يؤدى إلى الكفر.

* ولكن قد يتساءل بعض الناس قائلين: هل يجوز لنا أن نقول: إن الأخوة فى الله هى الحد الفاصل بين إيمان المؤمن وكفره؟.

والجواب: أن نعم.

ودليل صحة هذا الجواب أن الله تعالى قال فى محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠] أى لا يكون المؤمنون إلا إخوة، وبغير هذه الأخوة فلا إيمان، لحاجة الإيمان إلى جماعة تنشره وترسى قواعده، وتحرك به الناس نحو الحق والخير والهدى.

وكما أنه لا إيمان إلا بجماعة فلا جماعة إلا بأخوة، وبالتالى فلا أخوة بغير إيمان، وإلا كانت أخوة على الشر والإثم والعدوان إذ يتناصر الإخوة حينئذ على الباطل وعلى الفساد والإفساد.

فالإيمان يعصم الأخوة عن الانحراف عن الحق والخير والهدى والأخوة تعطى الإيمان إمكانًا ليعبر عن الحق وينشره فى الناس.

ـ والأخوة فى الله هى الحد الفاصل بين الإيمان والكفر. بدليل قول الرسول ﷺ: «... وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله...» فالأمر بالتآخى أمر من الله تعالى بلغه عنه رسول الله ﷺ، ومن لم يأتمر بأمر الله تعالى فقد عصاه، وتخلى عن إيمانه بتلك المعصية، إذ الثابت فى كلام الرسول ﷺ أن العاصى لا يعصى وهو مؤمن، كما فى قوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم والبخارى والنسائى وابن ماجه وأحمد بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»، وزاد أحمد ومسلم: «ولا يَغُل أحدكم حين يغل وهو مؤمن، فإياكم إياكم».

فالأخوة إذاً أخت الإيمان.

* والتفرّق أخو الكفر؛ وذلك أن الكفر ستـر للحق وجحود له وللنعمة، وأولة الضلال وقلما يكون إلا وتصاحبه مجموعة من الرذائل تؤيده وتوسع دائرة ضلاله وفساده وتجعله ضلالاً بعيداً، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ [النساء: ١٦٧ ـ ١٦٩].

وللكفر صفات تخصه، ويعرف بها الكافر بين الناس، ومن ذلك ما تشير إليه الآيات الكريمة التالية:

ـ صفة الكذب والافتراء، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

ـ وصفة الظلم، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿... وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ـ وصفة الفسق، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩].

ـ والجحود ونكران الدلائل والبينات، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

ـ وصفة الغرور، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿... إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ الملك: ٢٠].

ـ وصفة الفجور، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤٢].

إلى غير ذلك من الصفات التى تلازم الكفر.

* ومكانة الكفار عند الله كمكانة الدواب أو أشر منهم، كما تحدثت عنهم الآية الكريمة: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

* ومكان الكفار عند الله تعالى شر مكان، كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

* والكفر يدعو إلى التفرق والتفرق أخو الكفر وملازمه، وما من تفرق فى الصف ولا فى الكلمة إلا ووراءه كفر، وما من كُفر إلا وهو يؤدى إلى التفرق، كما تشير إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

فهم كفروا بالله ورسله، ودعاهم كفرهم إلى التفريق بين الله ورسله فى الإيمان ببعض الرسل دون بعض، فالتفرق إلى زُمَر فى الإيمان والكفر، والتفريق بين الرسل عليهم السلام كل ذلك أخو الكفر وقرينه وملازم له.

* ولو كان هؤلاء مؤمنين وكانت بينهم أخوة لحالت بينهم وبين الكفر والتفريق بين رسل الله تعالى.

ـ وقد يكون التفرق فى الدين والعبادة، فيؤدى إلى أن يصبح الناس شيعا وأحزابًا وفرقا متعادية أو متخاصمة، قد يكون ظاهرهم حسنًا ولكن قلوبهم شتَى شديدة الاختلاف.

ومعنى ذلك أنهم بهذا التفرق يصيرون إلى الكفر.

ولقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا التفرق ونعاه عليهم. وأمر رسوله الخاتم ﷺ أن يكتفى ببلاغهم، وليس عليه من أمر تفرقهم وكفرهم شىء، وذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

* ومن أجل أن التفرق أخو الكفر، فإن الله تعالى حذَّر منه فى آية، ونهى عنه فى آيتين كريمتين، وأمر باتباع صراطه خشية الوقوع فى التفرق.

ـ أما التحذير من التفرق ففى قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

وفى الآية الكريمة وصف للمشركين بأنهم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأحزابًا، ونهى للمسلمين عن أن يكونوا منهم.

ـ وأما النهى الصريح عن التفرق ففى آيتين كريمتين:

الأولى قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

والأخرى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وكل آية من هاتين الآيتين الكريمتين تقرر أن التفرق فى الدين كفر أو شرك من حيث جزاؤه وهو العذاب العظيم.

ـ وأما الأمر باتباع صراط الله المستقيم خشية الوقوع فى التفرق والكفر، وجعل ذلك من وصاية الله لعباده، لعلهم عند الأخذ بهذه الوصية يتقون الله فيما أمر وفيما نهى، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

* ولكى نوضح موقف الأخوة فى الله من الإيمان والكفر، نتحدث عن موضوعين.

الأول: أن الأخوة أخت الإيمان.

والآخر: أن التفرق أخو الكفر، والله المستعان.

الموضوع الأول:

الأخوة أخت الإيمان

كانت الأخوة فى الله وما زالت، وسوف تظل قرينة الإيمان، وأختًا له من منطلق المفهوم المباشر للآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ومن دلالة قول النبى ﷺ: «... **وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله**».

ـ وما تنفصل الأخوة عن الإيمان إلا ويصاب المؤمنون بالضعف بل بالضعف الشديد، لأن الإيمان إذا انفكت عنه الأخوة فى الله، حيل بين المؤمنين وبين التعاون على البر والتقوى وعلى فعل الخير، وحيل بذلك بينهم وبين القوة ووحدة الصف واتحاد الكلمة.

ـ وما ينفصل الإيمان عن الأخوة إلا ويصاب هؤلاء الإخوة بالابتعاء عن الحق وعن الخير، والاقتراب من الباطل والشر، بل التعاون على الإثم والعدوان وسائر المعاصى، لأن الإيمان يعصم الأخوة عن الانحراف والمعاصى والضلال عن الحق، وفَقْد الهُدى.

* ونحاول توضيح هذه القضية ـ وهى أن الأخوة فى الله أخت الإيمان ـ بحديثنا عن نقطتين اثنتين:

الأولى منهما:

التأكيد على أن الإيمان بالله ورسوله الخاتم وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وممارسة العمل الصالح الذى أمر الله به، ذلك الإيمان هو الحياة، بل هو الذى يجعل للحياة الدنيا طعمًا حلوًا - على الرغم من مرارة الحياة الدنيا فى جملتها - ويجعل للإنسان فى هذه الحياة الدنيا أهدافًا نبيلة.

بل إن الإيمان هو الذى يحدد الوسائل لتحقيق هذه الأهداف النبيلة.

والنقطة الأخرى:

أن الإيمان وشيجة تجعل بين المسلمين نسبا وانتماء، ويزودهم بأفضل الزاد وأنفعه فى الطريق إلى الله وإلى الحياة الحقة، الحياة الآخرة.

ولتفصيل ذلك نقول:

أولاً: الإيمان هو الحياة

- الإيمان هو الالتزام بالشريعة التى جاء بها خاتم الرسل محمد ﷺ، وذلك الالتزام يقتضى ثلاثة أمور، هى:

تحقيق وتصديق بالقلب.

وإقرار ونطق باللسان.

وعمل بحسب ذلك من الجوارح.

* وأصل الإيمان - كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ وهو يجيب جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان - ستةُ أشياء هى: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

* والإيمان يرادف الإسلام أحيانا فيطلق كل منهما على الآخر، والإسلام والإيمان كلاهما التزام بالشريعة والمنهج، فى التعامل مع الله ومع النفس ومع الناس والأشياء، ومع الشيطان، فالإيمان إنما يترجم عنه العمل الذى يوافق الشريعة فى كل شعبة من شعب الحياة الدنيا فهو مسيطر على العمل لهذه الحياة الدنيا وموجه له.

- والحياة هى: النمو والمنفعة والبقاء.

وهى صفة يوصف بها النبات والحيوان والإنسان، لما فيها من نمو ومنفعة واستمرار

نسبى. وإذا فقدت واحدة من هذه الصفات لم تعد حياة.

* وقد يوصف الله تعالى بالحياة فتكون الحياة هنا بمعنى البقاء الذى لا فناء له.

* وقد توصف بها أو تطلق على الحياة الآخرة، فتدل كذلك على أنها حياة أبدية لافناء لها.

* وإذا قيل: الحياة الدنيا فهى فى مقابل الحياة الأخرى.

وللحياة الدنيا معان أربعة:

- القوة النامية: وهى عندئذ وصف للنبات والحيوان.

- والقوة الحاسَّة: وهى عندئذ وصف للحيوان.

- والقوة العاقلة العالمة: وهى وصف للإنسان.

- وارتفاع الغَمِّ وزواله: وهى عندئذ الاعتصام بمنهج الله والاستجابة له بل الاستسلام له، وتدل على ذلك آيات قرآنية عديدة منها:

* قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾ [الأنفال: ٢٤].

* وقوله سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا...﴾ [الأنعام: ٢٢].

فالحياة فى هاتين الآيتين الكريمتين هى الاستجابة للمنهج الذى جاء به محمد ﷺ، والاهتداء بالنور الذى جاء به وهو القرآن الكريم، فتلك هى الحياة.

- وهذه الحياة الدنيا بكل ما فيها مما أنعم الله به على عباده من طيبات ومنافع وزينة ومتعة، ينبغى أن يمارسها الإنسان وفق منهج الله، لتكون بذلك مزرعة للحياة الآخرة ومجالاً للعمل الصالح الذى يدخر عند الله لها.

هذا هو الأصل فى العيش فى الحياة الدنيا، فإن انحرف الإنسان عن هذا الأصل، فتناسى الحياة الآخرة، أو نسيها غافلاً أو منشغلاً بمتع الحياة الدنيا، فهو مخدوع غرَّته الحياة الدنيا وزينتها عن الحياة الأخرى، ولقد أكد القرآن الكريم حقيقة الحياة الدنيا فى قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥، ولقمان: ٣٣].

* ومن كان مخدوعًا بالحياة الدنيا عن الآخرة فهو مذموم ضل عن الحق وعن سبيل الله ونسى الآخرة ويوم الحساب، فله عن ذلك عذاب شديد عند الله تعالى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، ومن قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

* ومن استحب الحياة الدنيا على الآخرة كان كافرًا، مشبهًا لليهود متصفًا بصفاتهم - واليهود أكفر الناس بالله ورسله، ولذلك استحقوا لعنة الله - فهم قد كفروا بالله تعالى بعد ما جاءهم موسى عليه السلام بالبينات، وعبدوا العجل، وقالوا لنبيهم: اجعل لنا إلهًا كما لهؤلاء الوثنيين آلهة!!!

ثم كفروا بمحمد ﷺ مع أنهم أمروا أن يؤمنوا به على لسان موسى عليه السلام، ثم أمروا بذلك على لسان عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ...﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦، والأنعام: ٢٠]، وإنما كفروا بمحمد ﷺ حسدًا وكتمانًا للحق الذى يعرفونه وظلمًا لأنفسهم وللحق نفسه.

هؤلاء اليهود كانوا -ومازالوا- أحرص الناس على حياة أى حياة، وكل من استحب الحياة الدنيا على الآخرة فهو من الكافرين، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧]، ومن قوله تعالى: ﴿..وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ② الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ..﴾ [إبراهيم: ٢، ٣].

* ومن كانت صفاته كصفات اليهود فاستحب الحياة الدنيا على الآخرة، أو اشترى الحياة الدنيا بالآخرة فهو من الكافرين.

* غير أن المؤمنين الذين يحسنون فقه الحياة الدنيا والحياة الآخرة، يعطون كل نوع من الحياتين ما يلائمه من التناول والاهتمام، فلا ينسون نصيبهم من الدنيا، ولا يغفلون عن قصد رضا الله تعالى فى الحياة الآخرة.

وهذه الموازنة مرغوبة مطلوبة، من غفل عنها فقد خالف شرع الله ومنهجه، فقد روى ابن ماجه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعظم الناس هما المؤمن الذى يهتم بأمر دنياه، وأمر آخرته»**.

* من حق المؤمن بل من واجبه أن يأخذ من متاع الحياة الدنيا وزينتها ما تستقيم به حياته الدنيا، وبما لا ينسيه حياته الأخرى، على النمط الذى شرعه الله تعالى، بحيث تتوافر له الحياة الإنسانية الكريمة التى كرمه الله بها، فسخر له ما فى السموات والأرض، وطالبه بأن يعمر الحياة الدنيا بأن يأخذ لها بكل الأسباب التى تمكنه من إعمارها من حيث التقدم والنمو والرقى، والقدرة على مواجهة أعداد دينه ودنياه.

* للإنسان أن يأخذ من منافع الحياة الدنيا وزينتها بالقصد، والتوسط والاعتدال دون إسراف أو تبذير، ودون شح أو تقتير، لأن الله تعالى حرم الإسراف والتبذير، كما حرم الشح والتقتير.

* فما موقف الإيمان من الحياة الدنيا؟

موقفه أنه يوجه الإنسان إلى الأساليب الأمثل لتناول الحياة الدنيا، والتعامل مع ما فيها من منفعة ومتعة وزينة.

ومعنى هذا التوجيه أنه يحدد الخطوط والأبعاد ويرسم الخطوات بل مواضع الخطوات، بما يشتمل عليه من أمر ونهى، وبما يوضحه من حلال يمارس وحرام يجتنب.

- موقف الإيمان من الحياة الدنيا أن يحافظ على الإنسان منها حتى لا تنسيه منافعها ومتعها وزينتها حياته الآخرة، وأن يحافظ على الحياة نفسها والأحياء أنفسهم أن تعيث بها وبهم مطامع الإنسان.

- موقف الإيمان من الحياة الدينا أن يوظفها لصالح الإنسان فى معاشه ومعاده، بوضع المنهج الملائم للمؤمنين، ذلك المنهج الذى أوحاه الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ قرآنا يتلى وسنة تفسره وتفصله، وهو منهج متكامل لا يستغنى عنه الإنسان بحال، لأنه يعالج كل قضايا حياته الدنيا والآخرة فى كل ما يعرض للإنسان فى حياته من ظروف وملابسات.

- موقف الإيمان من الحياة الدنيا أنه يوضح للإنسان أن هذه الحياة الدنيا لابد أن تزخر بالعمل الصالح، وأن تُطَهَّر من العمل السيئ، لأن الله تعالى وضع ميزانًا عادلاً لمن عمل صالحًا ولمن أساء، فى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨]، ووضع جزاء عادلاً لمن عمل صالحًا ولمن أساء فى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ⁽١٤⁾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ

يُحْبَرُونَ ⑮ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

* إن موقف الإيمان من الحياة الدنيا أن يطبعها بطابعة وينشر فيها لواءه، ويشيع فيها صفاته وأخلاقه وقيمه كلها، حتى لتصبح الحقائق الإيمانية التالية المتصلة بالإنسان والحياة، حقائق مقررة راسخة، لا يجادل فيها الجاهلون، ومن هذه الحقائق الإيمانية ما نذكره فيما يلي:

- لما كانت الحياة الإنسانية هي الرجل والمرأة والأسرة والمجتمع، وما ينبغي أن يسود هؤلاء من وئام ورخاء ومودة، وعمل صالح وإنتاج نافع، فإننا نستطيع أن نذكر في هذا المجال الحقائق التالية:

* لا حياة آمنة سعيدة راضية مرضية للفرد والأسرة والمجتمع إلا بالإيمان، وبالتمسك بقيمه وأخلاقه والاتصاف بصفاته.

* ولا رعاية للأسرة، ولا صلة للأرحام، ولا رعاية لليتيم والضعيف وذي الحاجة، ولا حسن تعامل مع الجيران إلا بالإيمان.

* ولا حقوق مصونة مرعية، ولا واجبات تؤدى برغبة ورضا إلا بالإيمان، وبسيادة قيمه وأخلاقه.

* ولا قيم أخلاقية فاضلة إلا ما ألزم بها الإيمان، ولا نشر لهذه القيم بين الناس بحيث تبث بينهم الطمأنينة ويشيع الأمن، ويأمن الناس بعضهم بعضا، إلا بالإيمان.

* ولا كرامة للإنسان ولا تكريم له، ولا احترام لحقوقه كلها إلا بالإيمان، إذ كل محاولة للإصلاح من الحكومات والنظم والمنظمات المحلية والعالمية من المحافظة على حقوق الإنسان، يظل حبرًا على ورق مهما حشدت له الحشود وقامت عليه السلطة وحرسته الشرطة، ما لم يَسُد الناس الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- ولما كانت الحياة الدنيا لا تنتظم إلا بنظم وقوانين تضبط بها سلوك الإنسان في مجالات الحياة كلها الخلقية والتربوية والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإننا نستطيع أن نذكر في هذه المجالات عددًا من الحقائق التي قررها الإسلام، ومنها:

* لا أخلاق فاضلة تُغْرس في نفوس الناس، وتنعكس على سلوكهم وأعمالهم، إلا

الأخلاق التى جاء بها الإيمان، على مستوى الفرد والجماعة، وكل ما عدا ذلك زيف أو تجمل يستهدف النفعية، ويفقد العدل والإحسان.

* ولا تربية صحيحة للإنسان فى صغره أو كبره، فى بيته أو مسجده أو فى مدرسة أو فى الحياة كلها، إلا أن تكون قيم هذه التربية نابعة من الإيمان، حيث الإخلاص والتجرد والعدل والإحسان.

* ولا ثقافة ترتفع بمستوى الإنسان، وتجعل منه إنسانًا ناضجًا سويًا فاعلاً مؤثرًا الخير مقاوما للشر، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر إلا الثقافة النابعة من الإيمان، لأنها بهذا الوصف تنأى عن الحذلقة والتشدق والادعاء والتقليد للآخرين والانتماء إلى ثقافات ضالة مضلة.

* ولا علاقات اجتماعية راشدة بين أفراد المجتمع المحلى والمجتمع العالمى ولا علاقات اقتصادية أو سياسية عادلة بين المجتمعات إلا إذا تقررت هذه الحقائق فى نفوس الناس جميعًا، وهى:

- لا يردع الظالم عن ظلمه ولا المجرم عن جريمته مثل الإيمان، فهو أقوى من أى قوة رادعة.

- ولا يحول بين حاكم أو مسئول وبين الانحراف عن الحق والعدل، مثل الإيمان، فهو أقوى من النصائح وأفعل من الاحتجاجات، وأكثر إيجابية من المظاهرات أو الانقلابات العسكرية.

- ولا تجارة ولا تبادل للتجارة دون شطط أو قيود ظالمة، أو سوء استغلال إلا بالإيمان، فهو أهم من العهود والمواثيق والنظم، مهما سجلت فى هيئة الأمم المتحدة أو أقرتها المنظمات العالمية وكتبت بها المواثيق ولو بمداد من ماء الذهب.

- ولا سلام بين الناس، ولا مقاومة للحرب والتخريب والدمار إلا بالإيمان، فهو أقوى من الرادع النووى، وأفعل من كل آلة من آلات الحرب والدمار.

- ولا وصول إلى أعلى المستويات فى مجالات الاكتشاف العلمى من أجل السلام، أو الحرب إلا بالإيمان، فهو الذى يولد الحافز ويقوى الدافع، ويشجع على المضى فى الطريق، لأنه أقوى من كل حافز ودافع.

ـ ولا أنظمة حكم عادلة تحمى الضعيف والفقير والعاجز، وتسد حاجة كل ذى حاجة إلا بالإيمان.

ـ ولا سياسة ناجحة فى تأمين حاضر المجتمعات الإنسانية ومستقبلها إلا بالإيمان.

* وإذا كانت الدعوة إلى الله واجبة على كل قادر عليها...

* وإذا كانت التربية على مبادئ الإسلام وقيمه واجبة على كل مسلم فى مجال مسئوليته...

* وإذا كانت الحركة بالإسلام فى الناس والآفاق واجبة على كل مسلم مؤهل لها..

* وإذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة لدعم الخير فى نفوس الناس، ونزع الشر وأسبابه من نفوسهم...

* وإذا كان الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فرض عين حينا وفرض كفاية أحيانًا...

إذا كان كل ذلك من المطالب الشرعية التى لا تستقيم حياة المجتمع المسلم إلا بها، فإن أحسن ما يعين عليها هو الإيمان.

* وإذا كانت حضارة الإنسانية كلها أمرا يستدعيه العقل وتتطلبه الكرامة الإنسانية فى كل عصر ومصر، وتوجيها شريعة الإسلام، فلا شىء يؤمن هذه الحضارة إلا الإيمان.

*** وبعد:**

فهذه صلة الإيمان بالحياة الدنيا، وتوضيح أنه يتناول كل شعبها ومفرداتها، ونستطيع أن نؤكد ذلك بقول المعصوم ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وستون ـ أو بضع وسبعون شعبة ـ أعلاها؛ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»** وفى رواية **«فأرفعها أو أفضلها: لا إله إلا الله»** [1].

(١) عدّ هذه الشعب (السبعة والسبعين) الإمام الحافظ المحدث الفقيه المجتهد أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى ـ صاحب كتاب: السنن الكبرى، فألف فيها كتابًا ضخمًا طبع فى ستة أجزاء سماه: «شعب الإيمان» (البيهقى ٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ).

* وهذه الشعب السبعة والسبعون هى الحياة الإنسانية كلها، بكل ما فيها من قول وصمت وعمل وترك، وكل ما ينبغى للمؤمن أن يتحلى به من الفضائل، أو يتخلى عنه من الرذائل.

* ومن المعروف فى ديننا أن ترجمان الإيمان هو العمل الصالح، ولذلك قرن الإيمان بالعمل الصالح فى عشرات الآيات من القرآن الكريم، ولذلك نجد الآيات القرآنية الكريمة التى نادت على المؤمنين وطالبتهم بالقيام بعمل صالح كالطاعة والإخلاص والثبات والصبر والصلاة والتقوى وغيرها من الأعمال الصالحة مئات الآيات الكريمة!!!

* وقد قررنا فيما سلف أنه لا إيمان بغير أخوة فى الله؛ لأن المؤمنين إخوة.

والأخوة فى الله تعين الفرد والأسرة والمجتمع، بل تعين شعوب العالم جميعًا ـ إذا كانت أخوة إيمان بالله ـ حكومات وأنظمة تعينهم على التعاون على البر والتقوى، وتحول بينهم وبين أى تعاون على الإثم والعدوان.

ـ إن الأخوة فى الله تشجع أبناء العالم الإسلامى كله على اتباع صراط الله المستقيم ومنهجه القويم، وتحرم عليهم اتباع السبل الأخرى المغايرة لسبيل المؤمنين، لأن تلك السبل تضلهم ويسىء إليهم اتباعها لما يؤدى بهم إلى التفرق عن سبيل الله وسبيل المؤمنين، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ـ والأخوة فى الله تعين المؤمنين وتشجعهم على أن يستكملوا صفات المؤمنين العشرين التى وردت فى آية البرّ من سورة البقرة؛ لما تحفزهم إليه من عمل صالح مشترك فيما بينهم أو منفرد به بعضهم، وتلك الآية الكريمة هى: ﴿...وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والصفات العشرون للمؤمنين فى هذه الآية الكريمة هى:

= ثم اختصره القزوينى المتوفى سنة ٦٦٩ هـ فى كتيب سماه مختصر شعب الإيمان.
وكلا الكتابين لا يستغنى عنها أحد من الدعاة إلى الله أو من المسلمين الذين يحبون أن يعرفوا شعب الإيمان.

١ ـ الإيمان بالله؛ بذاته وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

٢ ـ والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما يجرى فيه من بعث وحشر ونشر وحساب وميزان وجنة ونار.

٣ ـ والإيمان بالملائكة وبوظائفهم كما ذكرت فى الكتاب والسنة.

٤ ـ والإيمان بكتب الله جملة، وهى ما ردت أسماؤها فى القرآن الكريم كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وغيرها، مع الإيمان بآخر الكتب نزولاً وهو القرآن الكريم تفصيلاً أى بكل آية أو كلمة منه.

٥ ـ والإيمان بأنبياء الله ورسله أجمعين ممن وردت أسماؤهم أو قصصهم مع أقوامهم فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية.

٦ ـ وبذل المال لذوى القربى ممن كان ذا حاجة منهم.

٧ ـ وإعطاء المال لليتامى ومن فى حكمهم.

٨ ـ وبذل المال للمساكين.

٩ ـ وتقديم المال لابن السبيل.

١٠ ـ وإعطاء المال لمن سأل من الناس.

١١ ـ ومنح المال للأرقاء لفك رقابهم من الرق.

١٢ ـ وإقام الصلاة.

١٣ ـ وإيتاء الزكاة.

١٤ ـ والوفاء بالعهد.

١٥ ـ والصبر عمومًا.

١٦ ـ والصابرين فى البأساء أى من أصابه أذى فى ماله وهو الفقر.

١٧ ـ والصبر فى الضراء وهو من أصابه أذى فى نفسه، وهو المرض.

١٨ ـ والصبر فى مجاهدة العدو أى حين البأس.

١٩ ـ والصدق.

٢٠ ـ والتقوى.

ـ إن الأخوة فى الله لا تستقيم فتكمل الإيمان إلا إذا استوفى كل أخ فى الله هذه الصفات فى نفسه، حتى يكون أهلاً للأخوة فى سبيل الله وأهلا للإيمان.

ـ وصفات المؤمنين كثيرة عددت منها هذه الآية الكريمة عشرين صفة، وأحصى العلماء بها سبعا وسبعين شعبة، وورت فيها آيات جامعة كثيرة منها:

* الآيات التسع فى بداية سورة «المؤمنون»: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ الآيات.

* والآيات من الثالثة والستين إلى الآية الرابعة والسبعين من سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...﴾ الآيات.

وهكذا نرجو أن نكون قد أوضحنا النقطة الأولى وهى: «الإيمان هو الحياة».

ونتجه بعد ذلك إلى إيضاح النقطة الثانية وهى: «الإيمان نسب بين المؤمنين وزاد لهم إلى الآخرة» والله سبحانه هو الموفق المعين.

ثانيا: الإيمان نَسَبٌ بين المؤمنين وزادهم إلى الآخرة

- والنسب هو: القرابة، وهى اشتراك من جهة أحد الأبوين وهو نوعان:

نسب بالطول كالاشتراك فى الآباء والأبناء.

ونسب بالعرض كالنسبة بين بنى الإخوة وبنى الأعمام، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا...﴾ [الفرقان: ٥٤] أى جعل بينهم قرابة بالنسب والمصاهرة.

- الإيمان نسب بين المؤمنين:

* إذا كانت بين الناس قرابة بالنسب والصهر، فإن بين المؤمنين بالإيمان قرابة أوثق من قرابة النسب والصهر، وحسب المؤمنين أن وصف الله تعالى ما بينهم من صلة ومودة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ ووصفهم النبى ﷺ بصفات كريمة تعطف بعضهم على بعض وتوثق ما بينهم، فى عدد من الأحاديث النبوية الكريمة، منها:

- «**المؤمن أخو المؤمن...**» الحديث.

- و «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا...**» الحديث.

- و «**المؤمن مرآة المؤمن...**» الحديث.

- و «**المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد...**» الحديث (1).

- وروى أبو داود والنسائى والحاكم بأسانيدهم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**» وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة.

* وإذا كان نسب المؤمنين هو الإيمان، فإنه يجمع بينهم بأقوى مما يجمع النسب والصهر، وإن الأخوة فى الله هى عنوان هذا النسب ودليله وترجمته التى تعبر عنه.

- وإنما كان نسب الإيمان أقوى من نسب القرابة لأنه أبقى وأرسخ، لأن قرابة النسب والصهر قد تزول، وأما نسب الإيمان فلا يزول.

روى أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أنسابكم**

---

(1) خرَّجنا هذه الأحاديث النبوية آنفا فلا داعى لإعادة تخريجها.

هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم، طفُّ الصاع لم تملئوه، ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين أو العمل الصالح، وحسب الرجل أن يكون فاحشًا بَذِيًا بخيلاً جبانًا» وفي رواية لأحمد أيضًا: «ليس لأحد فضل على أحد إلا بدين أو تقوى».

وروى أحمد بسنده عن ابن أبي المُعَلَّى عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب يومًا فقال: «... ما منَ الناس أحَد أمَنَّ علينا في صحبته وذات يده منَ ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة، ولكنْ ودٌّ وإخاء إيمان، ولكن ود وإخاء إيمان».

وروى أحمد بسنده عن سهل بن حنيف رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره، أذَلّه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة».

وروى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن يَغَارُ للمؤمن، والله أشد غيرة، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حَرَّم الله».

* ومن علامات قوة نسب الإيمان أنه يمنع التوارث بين مؤمن وكافر، مما يؤكد أن نسب القرابة والدم لا يوجب توارثًا إذا واجه الإيمان.

روى البخاري بسنده عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، أنَّ جعفر وعلى ابني أبي طالب لم يرثا من أبيهما أبي طالب شيئًا لأنهما كانا مسلمين ومات هو على الكفر، فورثه عقيل وطالب وكانا يومئذ كافرين.

* ثم تكون الأخوة في الله فتوثق هذا النسب الإيماني، وترفعه فوق أيِّ نسب إذ كانت عملاً نبويًا كريمًا بدأه الرسول ﷺ في مكة، حيث آخى بين المسلمين آنئذ. ثم هاجر ﷺ إلى المدينة فآخى بين المهاجرين والأنصار، ومعنى ذلك أن المؤمنين في كل ظرف لابد لهم من هذه الأخوة الإيمانية.

وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار توجب التوارث بين المتآخين، وظلت كذلك إلى أن ألغى الله تعالى هذا التوارث بين المتآخين بآية كريمة هي: ﴿... وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦] وأبقى الله عروة الأخوة في الإيمان بل زادها قوة ورسوخًا؛ بقوله تعالى في سورة الحجرات [١]: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ ولكن استمر منع توارث المؤمن

(١) في ترتيب نزول القرآن يرى معظم علماء ترتيب نزول القرآن وأسباب نزوله أن سورة الحجرات نزلت بعد سورة الأحزاب بل يعدون سورة الحجرات من أواخر ما نزل، إذ لم ينزل بعدها إلا ثماني سور.

والكافر مهما تكن درجة القرابة بينهما إلى يوم الدين.

* فإذا قلنا: إن الإيمان بهذه الأخوة فى الله وبغيرها نسب بين المؤمنين يفوق نسب القرابة والصهر، ما جاوزنا الصواب، ولا بالغنا فيما نقول.

* ونخلص مما قلنا إلى تأكيد عدد من الحقائق أهمها ما يلى:

- أن الأخوة فى الله بحقوقها وواجباتها وأحكامها وشروطها وآدابها ملازمة للإيمان تنبع هى وهو من أصل واحد، هو دين الله ومنهجه ونظامه، فهى أخت للإيمان مساوية له كما يتساوى الأخوان فى وحدة الأصول وفى كثير من الصفات.

- وأن الأخوة مقترنة بالإيمان اقترانًا أوجبه الله تعالى ورسوله ﷺ، فهى لا تفارقه ولا يفارقها، وإلا حدث خلل واضطراب فى الإيمان وفى الأخوة معًا، كما يخل أحد المتلازمين بملازمه إذا انفك عنه، فهى تكمل الإيمان وتزيده قوة ووثاقة.

- وأن الأخوة رابطة وثيقة بين المؤمنين، تفوق وثاقة القرابة نسبًا أو صهرًا بينهم.

- الإيمان زاد المؤمنين إلى الآخرة.

تلك حقيقة مقررة فى الإسلام إذ لابد للإنسان من زادٍ يتزود به للآخرة دار الجزاء والحساب، والإيمان خير زاد لهذه الحياة الآخرة.

- والزَّاد هو: المدَّخَر الزائد على ما يُحتاج إليه فى وقته، والأصل فى الزاد أنه طعام يتخذ ويُتزوَّد به من أجل السفر، وذاك زاد مادىّ.

- وهناك زاد معنوى وهو ما يتزود به الإنسان من إيمان، وقيم يدعو إليها ذلك الإيمان، وهى قيم فاضلة ترفع مِنْ قدر من يتمسك بها عند الله تعالى وعند الناس.

- والزاد الحقيقى النافع للدنيا والآخرة معًا هو تقوى الله تعالى، أى فعل المأمور به واجتناب المنهى عنه، بل ذلك فى الحق هو خير زاد.

ومن هذا المنطلق فى فهم الزاد نقول: إن الزاد الحق هو الأعمال الصالحة فى الدنيا، وما يدخره الإنسان منها ومن صنوف الخير والبر وتقوى الله تعالى التى هى خير زاد.

* والتقوى هى لب الإيمان وجوهره إذ هى خوف الله تعالى واتقاء غضبه بفعل ما أوجبه وترك ما نهى عنه.

* والعمل الصالح هو ترجمان الإيمان والدليل على صحته وصدقه، فهو زاد المؤمنين إلى

الآخرة أيضًا.

* ويقول أسلافنا من العلماء فى هذا المجال كلامًا حكيمًا، هو: أن للإنسان سَفَرين هما:

- سفر فى الدنيا. - وسفر من الدنيا.

فالسفر فى الدنيا لابُد له من زاد هو الطعام والشراب والمركب والمال.

والسفر من الدنيا لابد فيه أيضًا من زاد هو معرفة الله تعالى ومحبته والإعراض عما سواه، وهذا الزاد هو زاد الآخرة وهو خير وأبقى من الزاد الأول زاد الدنيا.

* وإنما كان زاد الآخرة خيرًا من زاد الدنيا لأسباب عديدة منها:

- أنّ زاد الدنيا يحقق لذة آنيَّةً فانية.

وزاد الآخرة يحقق متعة أبدية دائمة.

- وأن زاد الدنيا من أجل الدنيا، والدنيا من شأنها أن تُولى وتُدبر كلما مرَّت ساعة من ساعات اليوم والليلة، ثم تنقضى ولا تعود أبدًا.

وزاد الآخرة من أجل الآخرة، والآخرة من شأنها أن تبقى وتستمر، لا تنقضى ساعاتها بحال، فهو خلود بلا موت.

- وزاد الدنيا يخلِّص مَنْ تزوّد به من هموم ومتاعب موهومة، قد تحدث وقد لا تحدث.

وزاد الآخرة يخلص مَنْ تزود به بالتقوى والعمل الصالح من عذاب أكيد يُعَد لمن لم يتزود به.

* وخير الزاد التقوى كما قال الله تعالى: ﴿..وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وإذا كان من معانى التقوى وقاية النفس مما يخاف، فإن أخوف ما يخاف بالنسبة للإنسان هو عذاب الله يوم القيامة، وعذاب الله تعالى هو جزاء لمن عصاه.

ومَنْ يعص الله يفقد إيمانه وهو يعصيه، فقد روى البخارى، ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليها فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو

مؤمن» وزاد أحمد: «ولا يَغُلّ أحدكم حين يغل وهو مؤمن فإياكم إياكم».

* فالتقوى هى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وذلك خير الزاد إلى الآخرة.

* فالإيمان خير زاد إلى الآخرة، وإذا كان الإيمان بضعا وستين أو بضعا وسبعين شعبة، كما جاء ذلك على لسان المعصوم ﷺ، وأنّ هذه الشُّعَب تتناول كل خير وفضيلة فى الحياة الدنيا، فهى الزاد الحقيقى إلى الآخرة، بل الزاد الوفير الذى يدخره المؤمن لآخرته.

* والأخوة فى الله - كما قلنا - أُخت الإيمان وشرطه وعلامة صحته وكماله، وكل مؤمن أوجب الله عليه أن يتزود لآخرته؛ بحب أخيه المؤمن.

فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

ومفردات الإيمان كلها زاد إلى الآخرة، وهذه المفردات كثيرة دلت عليها آيات القرآن الكريم، التى ذكرناها آنفًا، ودل عليهما الحديث النبوى الشريف: **«الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة»**.

* والتمسك بكل قيمة من القيم التى جاء بها الإسلام - وهى كثيرة - تزود للآخرة.

* والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه تزوّد للآخرة كذلك.

* والأخوة فى الله تعين على هذا وذاك، فالأصل فى الأخ المسلم أن يذكر أخاه بالله وبقيم الإسلام وأخلاقه ونظمه وآدابه، إذا نسى شيئًا منها أو نسيها جميعًا، فذلك واجب الأخ نحو أخيه، كما أن الأصل فى كل أخ مسلم أن يعين أخاه على ذكر الله فهذا واجبه كذلك.

وكل واجب على الأخ المسلم نحو أخيه هو حق من حقوق أخيه عليه [1].

وبعد:

فنرجو أن نكون قد أوضحنا الموضوع الأول وهو أن الأخوة أخت الإيمان.

وفى الصفحات التالية نوضح أن التفرق هو أخو الكفر وهو الموضوع الثانى، من النقطة الثانية فى هذا الفصل من الكتاب وهى: **«الأخوة بين الإيمان والكفر»**.

والله الموفق المعين.

---

(١) انظر فى ذلك لنا: فقه الأخوة فى الإسلام: الباب الأول منه بعنوان: الأخوة فى الإسلام بين الحقوق والواجبات ط دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

الموضوع الثاني:

التفــرُّق أخـــو الكـــفر

ما دام المؤمنون إخوة، فإنهم بهذه الأخوة جمع ووحدة، وعندما تذهب عنهم الأخوة يعودون أوزاعًا وفرقًا، ومهما تعددت فرق المسلمين فإن واحدة فقط من هذه الفرق هى الناجية، وهى التى على الحق وعلى منهج الله وسنة رسوله ﷺ، وأما سائر الفرق فهى على الباطل وتسعى فى الضلال، حتى لو بلغت فى عددها ثلاثًا وسبعين فرقة، كما جاء ذلك على لسان المعصوم ﷺ.

- فقد روى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة»**.

وروى ابن ماجة بسنده عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة؛ فواحدة فى الجنة، وسبعون فى النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة؛ فواحدة فى الجنة، وإحدى وسبعون فى النار، والذى نفس محمد بيده لتفترقن أُمَّتى على ثلاث وسبعين فرقة؛ فواحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار»**.

فهذا الحديث الشريف يقرر أن التفرق شر وأن معظم المتفرقين فى النار، ما تنجو منهم إلا فرقة واحدة.

فهل يكون فى النار إلا الكافرون؟.

وهل يؤدى إلى الكفر بعد الإيمان إلا التفرق؟.

بل إن أهم أسباب الكفر التفرق فى دين الله، وغالبًا ما يكون الكفر بعد أن يجىء الناس العلمُ والبينات، أو بعد أن يكونوا مؤمنين، تلك سنة الله فى الذين تفرقوا واختلفوا من قبلنا، فقد قال تعالى فيمن كانوا قبلنا من اليهود والنصارى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٠٥].

وقال جل شأنه: **﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾** [البينة: ٤].

وفى هاتين الآيتين الكريمتين تحذير للمؤمنين من التفرق، ونعى على الذين تفرقوا من أهل الكتاب بعد أن جاءتهم البينات والدلائل الواضحة والحجج القوية.

* والأخوة فى الله تعصم من هذا التفرق، لأن الأخوة أخت الإيمان، فلا تفرق معها، كما أن التفرق أخو الكفر فلا أخوة معه ولا إيمان.

* والأخوة تعصم من الكفر أى تعصم من النار.

ولابد لنا أن نلقى ضوءاً على معنى كلمة الكفر وكلمة التفرق، لنرى كيف يتلازمان، ويؤدى بعضهما إلى بعض.

- الكفر هو: السَّتْر والإخفاء.

وكفر النعمة سترها بترك شكرها، وتجاهل من أنعم بها.

وأعظم الكفر جحود الله تعالى؛ ذاته وصفاته وأسمائه، وأفعاله، ونعمه، وجحود الشريعة والنبوة.

والكافر من جحد الشريعة الإسلامية، فلم يدخل فى دين الإسلام، وفى الغالب يكون عارفًا بأن الإسلام حق، ولكنه يكفر هذا الحق أى يستره.

ومن الكفر الفسق - وهو الخروج عن منهج الشريعة الإسلامية وما تأمر به وما تنهى عنه وتحجره على المؤمنين.

والفاسق هو من عرف حكم الشرع، ولكنه أخل به، والكافر يقال له فاسق لأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

- وكما أن كل فعل محمود، لأن الله أمر به من الإيمان، فإن كل فعلٍ مذمومٍ، لأن الله تعالى نهى عنه، من الكفر، وهذه الأفعال المذمومة المحرمة من الفواحش التى حرمها الله تعالى.. وهى كثيرة جاء بعضها فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. هذا عن الكفر وما يؤدى إليه، فماذا عن التفرق؟.

- التفرق هو: التَّشتت، بحيث يصبح الناس شيعًا وفرقًا، يختلف بعضها عن بعض، وهو ضد التوحد والتجمع، لأنه تفريق للشمل وللكلمة وللقوة.

والتفرق خروج عن الإيمان لا يتحمل تبعته إلا المتفرقون، ولا يتحمل نبى مهما عصاه قومه وتفرقوا مسئولية هذا التفرق، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ـ ونهى الله تعالى المؤمنين عن التفرق ـ وما دام قد نهى عنه فقد حرمه، لما يفضى إليه من الكفر ـ قال الله تعالى يخاطب المؤمنين: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فهذا الآية الكريمة تأمر بالاعتصام بحبل الله وهو القرآن الكريم أو الدين، والأخوة لب الدين ولب الاعتصام به.

وتنهى عن التفرق والاختلاف فى الدين ـ أى تحرمه ـ وذلك لأن الحق لا يكون إلا واحدًا، وما عداه يكون جهلا وضلالا، فلما كان الأمر كذلك وجب أن يكون هناك نهى عن الاختلاف فى الدين أو التفرق فيه.

وفى الآية الكريمة نهى عن المعاداة والمخاصمة، وعن كل ما يؤدى إلى الفرقة، ويزيل الألفة والمحبة ـ أى يزيل الأخوة فى الله ـ بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

وفى شرح هذه الآية قال فخر الدين الرازى: «واعلم أنه روى عن النبى ﷺ: «ستفترق أمتى على نيِّف وسبعين فرقة، الناجى منهم فرقة واحدة، والباقى فى النار» فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الجماعة وفى رواية: «السواد الأعظم» وفى رواية: «ما أنا عليه وأصحابى».

ـ وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

ففى الآية الكريمة: خطاب للأمة الإسلامية «شرع لكم..» وفيها: أمر بإقامة الدين لكل رسول ولمن آمنوا معه، وتدخل فيهم الأمة الإسلامية لأن الخطاب أصلا مُوَجَّه إليها.

ـ والدين فى الآية الكريمة هو: الإيمان والعمل الصالح وسائر شعب الإيمان.

ومعنى إقامة الدين أى الاعتقاد والعمل على الوجه الذى أمر الله تعالى به، وهو الوجه الذى لا يفضى إلى التفرق، لأن التفرق أخو الكفر، والكفر إضاعة لمصالح الناس جميعًا

فى الدنيـا والآخرة؛ لأن الكفـر جحـود ونكران وحجب لـلحق، ونشر للظلم والفـسق، والقتل والنهب، والحـرب، وذلك قصته وأحداثه فى العـالم كله من يوم كان على الأرض كافرون، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وفى الآية الكريمة الكريمة إشارة إلى طبائع أهل الشـرك والكفر والفسق والظلم والامتناع عن الحكم بما أنزل الله، وهى أن يكبر عليهم اتباع الحق، والإيمان بالله.

وكيف يقـبل الكافرون مـا يدعون إليه من حق وإيمان، والله تعـالى وصفـهم فى محكم كتاب بأنهم: ظالمون [١]، وأنهم لا يحكمـون بما أنزل الله[٢]، وأنهم يكـرهون أن يتم الله نوره[٣]، وأنهم يكفرون بالآخرة[٤]، وأنهم ييأسون من روح الله[٥]، وأنهم لا يفلحون[٦]، وأنهم يجحدون بآيات الله[٧]، وأنهم الخاسرون[٨]، وأنهم فى غرور[٩]، وغيـر ذلك من الصفات.

وبعـــد:

فلكى نوضح أن التفرق أخو الكفر، نتحدث فى نقطتين اثنتين هما:

أن الكفر إخلال بالحياة الدنيا.

وأن الكفر إفساد للحياة الآخرة.

---

(١) الآية: ٢٥٤ من سورة البقرة.
(٢) الآية: ٤٤ من سورة المائدة.
(٣) الآية: ٣٢ من سورة التوبة.
(٤) الآية: ١٩ من سورة هود، والآية: ٣٧ من سورة يوسف.
(٥) فى الآية: ٨٧ من سورة يوسف.
(٦) فى الآية: ١١٧ من سورة «المؤمنون». والآية: ٨٢ من سورة القصص.
(٧) فى الآية: ٤٧ من سورة العنكبوت.
(٨) فى الآية: ٨٥ من سورة غافر.
(٩) فى الآية: ٢٠ من سورة الملك.

النقطة الأولى:

الكفر إخلال بالحياة الدنيا

ـ الحياة الدنيا هي دار المعاش للناس كما هي دار العمل والابتلاء، وعلى الرغم من ذلك فهي نعمة من الله تعالى على كل إنسان أوجده في هذه الحياة الدنيا، نعمة منه تعالى لأنه خلق هذا الإنسان ليعبده، فإذا عبده وفق ما شرع أثابه في الآخرة أحسن ثواب، وهو الجنة، حيث لا عمل ولا ابتلاء، وإنما هي متعة خالصة خالدة لا فناء لها أبدًا.

ـ وبما أن هذه الحياة الدنيا نعمة من النعم فإن الإنسان مطالب بأن يقابل هذه النعمة بالشكر، وشكر النعمة على ثلاثة أوجه:

شكر القلب وهو تصور النعمة.

وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم.

وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة.

ـ وشكر الله تعالى على نعمة الحياة الدنيا ينبغي أن يكون على هذه الأوجه الثلاثة، كما يجب أن يتضافر القلب واللسان والجوارح على المحافظة على الحياة الدنيا من كل ما يفسدها من الشرور والآثام، أو يخل بها من التقصير في إعمارها، وإشاعة الخير والبر فيها وفي أهلها، ويمنع كل عمل يهدر قيمتها وكونها دارًا العبادة الله.

ـ ومن شكرها تناول نعم الله فيها من غير إسراف ولا تقتير.

ـ ومن شكرها عدم الانصراف عنها وعن أهلها وما سخر الله فيها للإنسان، وما أحل له فيها من الطيبات.

ـ ومن شكرها المحافظة على وظيفتها الأصلية وهي دار عبادة لله ودار عمل صالح يرضي الله، فمن حولها إلى دار لا يعبد الله فيها فقد أثم، بل كفر بنعمة الله وجحد الله نفسه.

ومن أخلاها من العمل الصالح باء بالفشل والخيبة والخسران.

* ولا شيء يُخل بهذه الحياة الدنيا كالكفر، لأن الكفر كما قلنا آنفا ـ هو ستر النعمة وجحدها ـ وذلك لابد أن يؤدي إلى جحد المنعم سبحانه وتعالى.

ـ وإنما يكون جحد النعمة وجحد المنعم بالنوايا السيئة والأعمال الفاسدة الرذلة التي حرمها الله تعالى، فيكون بعد ذلك الكفر الذي يخل بالحياة الدنيا.

- والكفر بهذا المعنى هو: أعمال فاسدة مُفْسِدة يمارسها الكفار. ابتداء من الشرك بالله تعالى وجحده وجحد نعمه، ومرورا بارتكاب سائر الكبائر - والكبيرة هى ما كان حرامًا محضًا شُرع عليها عقوبة محضة بنص قاطع فى الدنيا والآخرة - والمعاصى؛ كقتل النفس والظلم والربا والزنى وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وكل ذنب شرعت له عقوبة.

- والكافر إنما يأتى هذه الكبائر، لأنه لا يحول بينه وبينها وازع من إيمان وتقوى، ويأتى المعاصى كلها دون رادع من شرع أو عقل، وقد يغريه بهذه الكبائر والمعاصى ما تحققه له من منفعة عاجلة، أو لذة زائلة.

- والكافر بارتكابه لهذه الكبائر والمعاصى يخطئ خطأ فادحًا يعود بأبلغ الضرر على الحياة نفسها، وعند التأمل نجده؛ قد أخطأ فى حق نفسه بأن ورطها فى معصية الله تعالى، وأخطأ فى حق أسرته، وذويه ومَنْ يلى أمورهم، بأن أعطاهم القدوة السيئة وأغراهم بهذه الرذائل.

وأخطأ فى حق المجتمع كله لما عرضه له من جرائم تخل بأخلاقه ونظامه ونسيجه كله.

وأخطأ فى حق الله تبارك وتعالى الذى أنعم عليه بكل ما هو فيه من نعم، أوضحها الحياة نفسها والصحة والقدرة والحركة، وهذا جحد للنعم وللمنعم سبحانه وتعالى.

وجميع الكبائر والمعاصى عند تحليلها هى فى الواقع إخلال بالحياة الدنيا كلها؛ نظامها وقيمها، وما يسودها من علاقات اجتماعية متعددة.

- وإذا كان نظام الحياة الدنيا يقوم على حماية الإنسان والمحافظة عليه، واحترام حقوقه جميعًا، وأهمها حقه فى الحياة عمومًا ،وفى الحياة الكريمة على وجه الخصوص، لذلك كان قتل الإنسان من أكبر الكبائر، وكان من أغلظ الحرمات، حتى ليعد أعظم من حرمة الكعبة المقدسة نفسها، كما جاء ذلك على لسان محمد ﷺ فيما رواه ابن ماجه بسنده عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«وما أطيبك وأطيب! ما أعظمك وأعظم حرمتك! - يعنى الكعبة الشريفة - والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك؛ ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرًا»**.

وما رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه بأسانيدهم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس،**

والتارك لدينه المفارق للجماعة».

وروى أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى[1] قال: **حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ فى مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نَبْل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل، فزع، فضحك القوم، فقال رسول الله ﷺ: ما يضحككم؟ فقالوا: لا، إلا أنَّا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: لا يحل لمسلم أن يُرَوِّع مسلمًا».**

ورواه أبو داود فى «الأدب» والترمذى فى «الفتن».

* **فما نظام الحياة الدنيا كما وضعه الإسلام؟**

إنه نظام له طابع إنسانى يقوم على العدل والإحسان، يمكن أن نجمله فى كلمات، ويمكن أن يفصل فى عشرات الكتب والأسفار.

* **أما إجمال هذا النظام فى كلمات فهو:**

- احترام الإنسان؛ فردًا، رجلاً أو امرأة، صغيرًا أو كبيرًا، قويًا أو ضعيفًا، مؤمنًا أو غير مؤمن، وأسرةً، وجماعة، ومجتمعًا محليًا أو عالميًا.

- وكفالة حقوق الإنسان كلها الشخصية والمدنية وغيرها، مع إلزامه بالقيام بواجباته على خير وجه.

- وحسن تعامله وصحة هذا التعامل فى جميع المجالات التى له بها علاقة، وأول ذلك تعامله مع الله تعالى بطاعته، ومع نفسه بإلزامها الحق، ومع إخوانه فى الإسلام، ومع سائر الناس.

- وحسن تعامله مع من يحكمه من المسلمين، فقد دقق فى حقوق الحاكم على المحكوم وواجباته نحوه.

- والالتزام بالنظم التى وضعها الإسلام بنصوصه، أو بما اجتهد فيه علماء المسلمين، فى المجالات الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

- والتمتع بطيبات الحياة دون إسراف أو تقتير، والامتناع عن كل ما حَرَّم الله تعالى.

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى يسار بن بلال الأنصارى (٧٤ ـ ١٤٨ هـ) قاض فقيه من أصحاب الرأى ولى القضاء لبنى أمية وبنى العباس.

ـ والموازنة الدقيقة العادلة بين حقوق الفرد وواجباته، وحقوق المجتمع وواجباته، وحقوق أولياء الأمور وواجباتهم.

* ومفردات هذا النظام كثيرة تتناول كل شعب الحياة الإنسانية، جانب منه أقرته النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية ـ وهو الثوابت فى هذا النظام من عقيدة، وعبادة، وخلق ـ، وجانب منه ترك فيه الباب مفتوحًا لاجتهاد علماء المسلمين فى كل عصر، حسب ما تقتضيه ظروف هذا العصر ـ وهو المتغيرات ـ مثل جميع ما يستجد على الحياة الإنسانية مما تدعو الحاجة إلى الأخذ به والتعامل معه.

هذا هو نظام الحياة كما رسم أبعاده دين الإسلام ومنهجه، فى كلمات وجيزة.

* وهذا النظام الذى أقره الإسلام للحياة الدنيا له مقتضيات لابد منها ليتكامل هذا النظام، وهى مقتضيات كثيرة نذكر منها ما يلى:

ـ وحدة المسلمين وتجمعهم ليتعاونوا على البر والتقوى، وعلى كبح الشر والفساد، إذ لا حياة إنسانية كريمة دون هذا التعاون، بل التناصر والتآزر، لتستقيم لهم الحياة الدنيا.

ـ واتحاد المسلمين فى صف لمواجهة أعدائهم، والدفاع عن أنفسهم وأهليهم وإخوانهم وديارهم، فتلك سنة من سنن فطرة الإنسان، ومن سنن الله تعالى فى خلقه.

ـ وجمع المسلمين على الإيمان، ودعم هذا الإيمان بالأخوة فى الله، فالإيمان والأخوة فى الله صنوان، وبدونهما يكون الكفر والتفرق، إذ هما أخوان وصنوان أيضًا.

* هذا النظام للحياة بكل مقتضياته يُخل به الكفر، بل يقضى عليه قضاء كاملاً، إذ كيف يحترم الكافر نظامًا أو يعترف لأحد بحق، أو يؤدى واجبًا نحو غيره؟.

ـ إن الكافر جحد الله تعالى وجحد نِعَمه، فكيف لا يجحد الناس ويظلمهم ويعتسف حقوقهم ومصالحهم؟.

ـ إن الكافر يتحدى خالقه ورازقه سبحانه وتعالى، فكيف لا يتحدى مصالح الناس؟ بل كيف لا يعطلها لمصلحة نفسه؟.

ـ إن هذه النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تحتاج فى رعايتها واحترامها إلى الإيمان والأخوة أكثر مما تحتاج إلى سلطان يردع وشرطة تحرس!!! وأين الكافر من الإيمان والأخوة فى الله؟.

ـ مع الكفـر تضيع القـيم، وتزلزل الثـوابت والمتغـيرات جـميـعًا، ويفقـد الناس الأمن والهدوء، والقدرة على العمل الصالح المنتج، والرعاية للأسرة والتضحية من أجلها.

ـ ومع الكفـر تمتلئ الحيـاة بالظلم والعـدوان وتنتشـر الحروب ويمتـهن الإنسان وتضـيع حقوقه، وتصبح الحياة الدنيا غابة يأكل فيـها القوى الضعيف، وتصبح الكلمة والحكم فيها لمن كان أطول أنيابًا وأظفارًا، وأشد قوة وبطشًا!!!

* ومع التفرق والتمـزق والتشيع والتحزّب يفقد الناس الطمأنينة وينتـشر الظلم والفساد والعدوان والحروب، ويمتهن الإنسان، ويحدث كل مـا جر إليه الكفر من فساد؛ ولا عجب فى ذلك، فالتفرق أخو الكفر وصنوه، والداعى إليه والمدعـو نحوه، فما من تفرق إلا ومعه كفر، وما من كفر إلا ومعه تفرق وضياع.

ـ ومع التفرق لا تعاون ولا تآخى، وإنما كل كافر ورأسـه وحده ومصلحته وحده، وكل كافـر وخُدَعة وأكاذيبـه ليحـصل على ما يريد ضـاربًا بجميع الناس ومـصالحـهم عرض أى حائط.

وما صـراع العالم اليوم حول المصـالح والمكاسب ـ كما يسـمونها ـ إلا ويحركـه الكفر، ويؤدى إليه التفرق وتضارب المصالح.

* وهكذا لا يستطيع مـتدبر فى الحيـاة الدنيا أن ينكر أن التـفرق أخو الكفـر، وأنه يفرز نفس ما يفرزه الكفر، ويؤدى إلى نفس النتائج.

كما لا يستطيع مـتدبر أن ينكر أن الكفر يخل بنظام الحياة الدنيا ويفـسدها على الكافرين والمؤمنين سواءً بسواء.

* وإذا كان هذا شأن الكفر فى الإخلال بالحياة الدنيا، فما عمله وما أثره فى إفساد الحياة الآخرة؟.

ذلك مـا نتحـدث عنه فى النقطة الثـانية من حـديثنا عن أن التفـرق أخو الكفـر، والله المستعان.

والنقطة الثانية:

الكفر إفساد للحياة الآخرة.

الحياة الآخرة هى الحياة الدائمة السرمدية، بل هى الحياة الحقة، وإذا قورنت بالحياة الدنيا، فما نجد الحياة الدنيا إلا إلا متاع، وما نجد متاعها إلا قليلاً، على حين الحياة الآخرة متاع دائم، ومتاع كثير، ومن كان نصيبه الجنة فإن فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* ومن اتخذ الحياة الدنيا معبرًا إلى الآخرة، وتزود فى الدنيا بالعمل الصالح، فقد أحيا دينه ودنياه، وأصلح حاضره، وأمّن مستقبله.

أما من باع آخرته بدنياه، فقد خسر الدنيا والآخرة.

* وإذا كانت الحياة الدنيا هى المعاش، فإن الحياة الأخرى هى المعاد، وما كان الله تعالى ليخلق الناس للحياة الفانية دون أن تكون لهم عنده حياة باقية.

والعاقل من عمل فى معاشه لمعاده.

ـ روى ابن ماجه بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَعَل الهموم هما واحدا هَمَّ المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك».

ـ وروى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كانت الآخرة همه، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة، ومَنْ كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق شمله، ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما قُدِّر له».

* وفى وقفة متدبرة فى هذين الحديثين الشريفين، نتعرف عددًا من الحقائق الهامة التى تتصل بالإنسان فى دنياه وآخرته، وترشده إلى الصواب وإلى ما فيه خير دينه ودنياه.

ومن هذه الحقائق:

ـ أن المؤمن عليه أن يجعل همومه جميعًا ـ وهى كثيرة ما دام على ظهر هذه الحياة الدنيا ـ همًا واحدًا هو هم آخرته ومعاده، فإن اتجه إلى الله، كان الله معه فكفاه سائر همومه.

ومعنى ذلك أن الحياة الآخرة هى المعاد الذى يصير إليه كل إنسان، وأنها هى الحياة التى

تستحق المعاناة.

ـ وأن طريق الإنسان إلى أن يربح الآخرة هو أن يملأ دنياه بالعمل الصالح، فيلتزم بما أمر الله به، ويجتنب ما نهى عنه.

ـ وأن الذى تتشعب به الهموم، هموم الدنيا وأحوالها فينسى الآخرة، يصبح كمن ضَلَّ فأخذ يخبط فى أودية لا يعرف لها معالم، ولا يستبين لها آخر يصل إليه، وذلك هو الضلال والحيرة والضياع.

وإذا فعل الإنسان ذلك فآثر دنياه على آخرته، فقد حاد عن منهج الله ونظامه وخالف هدى الرسول ﷺ فى التعامل مع الدنيا والآخرة، وتلقَّته هذه الأودية المقفرة بما فيها من وحشة ومخاوف فيهلك فيها دون أن يستطيع الخروج منها، والله تعالى يراه ويستمع إليه ولكنه غاضب عليه لخروجه عن منهجه ومخالفته هدى رسوله الخاتم ﷺ، فلا يبالى به فى أى أودية هذه الدنيا يهلك ويضيع.

ـ وأن المؤمن الذى يجعل همومه كلها هما واحدًا هو هم المعاد، له بشارات عديدة منها:

* أن الله تعالى يرضيه وينعم عليه بالقناعة ـ والقناعة كنز ـ فيجعل غناه فى قلبه، ومن كان غناه فى قلبه، فرغ قلبه من التعلق الزائد بمتع الحياة الدنيا وملهياتها، فعاش آمنا مطمئنا قرير العين والقلب.

* والبشارة الثانية أن الله تعالى ينعم عليه بجمع شمله، أى ما تشتت وتفرق من أموره كلها، فيكون فى ذلك قد اطمأن إلى رضا الله تعالى عليه.

* والبشارة الثالثة أن الله تعالى سوف يجعل الدنيا وما فيها من خير ونعمة خاضعة له تأتى إليه وهى راغمة، دون أن يعانى من أجلها فى شىء.

ـ وأن فى الحديثين الشريفين أكثر من إنذار لمن جعل الدنيا هَمَّه، فأهمل من أجلها آخرته، ومن تلك الإنذارات:

* أنه يهلك ويضيع فى أحد أودية الدنيا، حيث لا تدركه رحمة الله تعالى، إذ لا يبالى به من أجل ما فعل.

* وأنه يحس دائما بالفقر والاحتياج حتى لكأن الفقر بين عينيه ـ أى أقرب ما يكون إليه ـ فلا يشبع من متع الحياة الدنيا وملهياتها، لأنه مملوء بالإحساس بالفقر إلى هذه الدنيا.

* وأنه لابد أن يتفرق شمله، وتتبدد أموره التي يحاول جهده أن يجمعها، وتبوء محاولاته كلها بالفشل، لأن تلك هي النتيجة المتوقعة لمن جعل الدنيا همه.

* وكبرى الحقائق التي تنذره أنه لن ينال من الدنيا - مهما حاول - إلا ما قدَّره الله له.

والسؤال المهم هنا هو:

هل تساوى الحياة الدنيا مهما طالت - وما هي بطويلة - ومهما تعددت فيها المتع - وما هي بمتع حقيقية - هل تساوى كل هذا العناء، وكل تلك الهموم؟.

الجواب القاطع هو: لا. لأن الذي يستحق ذلك وأكثر منه هو الحياة الآخرة، لأنه لا عيش على وجه الحقيقة والصواب إلا عيش الآخرة، كما نطق بذلك الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، فيما رواه أحمد بسنده عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: **«اللهم لا عَيْش إلا عيش الآخرة»**.

وروى أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: **كان موضع مسجد النبي ﷺ لبني النجار وكان فيه نخل وقبور فقال لهم النبي ﷺ: ثامنوني به، فقالوا: لا نأخذ له ثمنًا، وكان النبي ﷺ يبنيه، وهم يناولونه وهو يقول: ألا إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»**.

وروى أحمد بسنده عن أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- إذ قال حين حضرته الوفاة: يا سامع الأشعريين، ليبلغ الشاهد **«حُلوة الدنيا مُرَّةُ الآخرة، أو مرة الدنيا حلوة الآخرة»**.

* وأن من الحقائق الكبرى أن المؤمن يخسر الآخرة إذا هو عمل عملها من أجل الدنيا، كأولئك الذين يظهرون الورع والزهد طمعًا في رضا الناس، أو يسكتون عن الحق وعن نُصرة المظلوم طمعا في رضا السلطان أو الظالم، إلى غير ذلك من الأعمال التي ظاهرها أنها للآخرة ومع ذلك يقصد بها الدنيا.

والأصل أن يكون عمل الآخرة للآخرة إخلاصا لله تعالى، وعمل الدنيا للدنيا من أجل المعاش فيها، ومن فعل ذلك أرضى الله تعالى، وربح الدنيا والآخرة معًا.

* والمؤمنون يبشرهم رسول الله ﷺ بشارات عديدة كالمكانة العالية اللامعة، والرفعة في الشأن، والدين الكامل التام الذي خصهم الله تعالى به، والنصر على الأعداء، والتمكين لهم ولدينهم في الأرض، ومع كل هذه البشارات يحذرهم وينذرهم بأن من عمل منهم

عمل الآخرة للدنيا فإنه يحرم ثواب الآخرة وهو أعظم الثواب، جاء ذلك فيما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين فى الأرض ـ وقد نسى رواى الحديث عن أنس البشارة السادسة ـ فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب».

* وإذن فالحياة الآخرة أو المعاد هى الحياة الحقة، ولا يليق بمؤمن أن يخسر آخرته بحال: من أجل دنياه أو من أجل أى شىء آخر.

تلك قضية مُسَلَّمة لا جدال فيها بين المسلمين المؤمنين.

* وبعــــد:

فنعود إلى سؤال آخر هو:

ما الذى يجعل الإنسان يخسر حياته الآخرة؟ أو يفسدها؟.

والجواب القاطع ـ أيضًا ـ هو: الكفر. . . الكفر بكل معنى من معانيه التى ذكرناها آنفاه كفر النعمة وجحد الحق، والكفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والكفر بخاتم الأنبياء محمد ﷺ، والكفر بمنهج الإسلام فى الحياة، والكفر بهدى الرسول ﷺ.

وكل هذه الأنواع من الكفر ظلم، ظلم لله تعالى ولمنهجه وظلم للكافر نفسه، وظلم للناس، وكل كافر ظالم، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وكل كافر جاحد بآيات الله تعالى وبيناته وأدلته، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].

والذين لا يحكمون بما أنزل الله كافرون، ظالمون، فاسقون كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿. . .وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ومن قوله تعالى: ﴿. . .وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

* والكفر يفسد الحياة الآخرة، لأن آخرة الكفار أسوأ ما تكون، ففيها ينتظره العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٦].

والمكان المعد للكافر فى الآخرة هو جهنم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ

نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢] وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[الأنفال: ٣٦].

والكافر يعاقب بمقت الله إياه والخسارة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

* فالكفر يفسد الحياة الأخرة بل يدمرها تدميراً، كما دلت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي ذكرناها.

* والنتيجة التي يوصلنا إليها هذا التحليل لكلمة الإمام البنا رحمه الله هي: أن التفرق أخو الكفر وقرينه الملازم له، وأن هذا الكفر يفسد على الإنسان دنياه، ويكون إفساده أشد وأضر للآخرة.

٣ ـ آثار الأخوة فى الله

الأخوة الإيمانية التى تربط قلوب المؤمنين وأرواحهم بأوثق الروابط وأغلاها ـ وهو رباط العقيدة ـ هذه الأخوة لها تأثير أدبى معنوى قوى فى نفوس المؤمنين، بالإضافة إلى ما لابد أن يكون لها من تأثير مادى فيهم.

* فإذا تآخى المؤمنون كما أمرهم الله تعالى، وكما وجههم الرسول ﷺ، عرفوا حقوق هذه الأخوة وواجباتها، فاحترموا الحقوق وأدوا الواجبات، فأصبحوا بذلك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وكالصف الجميع المتضام، فلا يستطيع عدو أن ينفذ إليهم من خلال ثغرة فى البنيان أو فى الصف، لأن الأخوة فى الله تتكفل دائمًا بسد هذه الثغرات، وذلك من التأثير المادى للأخوة فى الله تعالى.

* ونحن بحاجة الآن إلى أن نوضح بشىء من التفصيل هذين الأثرين المعنوى والمادى للأخوة فى الله تعالى، حتى تتضح آثار الأخوة، ويعلم المؤمنون أنها عمل لابد منه، ونهج لا يُقْبَل سواه، ودعم للروابط بين المؤمنين لا نظير له.

ومن أجل هذا التوضيح نتحدث عن نقطتين:

التأثير المعنوى للأخوة.

والتأثير المادى لها.

* أما التأثير المعنوى أو الأدبى للأخوة فى الله، فلما له من صلة وثيقة بالأرواح والقلوب، والعقول والنفوس، وإذا تأثرت هذه بالأخوة، فإن لها فعلاً قويًا فى الأبدان، والجوارح، فهى التى تحكم هذه الأبدان والجوارح، وتسيطر وتوجه جميع تصرفات الجوارح.

ـ وحسب الروح شرفًا ورفعة أنها نفخة من روح الله تعالى فى هذا الإنسان ليحسن الاتصال بخالقه ومانحه هذه النعمة الكبرى، فقد قال تعالى عن أبينا آدم عليه السلام يخاطب مَنْ أمرهم بالسجود له: ﴿... فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

ـ وحسب القلب مكانة فى تكوين الإنسان، وقدرة على السيطرة عليه، أنه إذا صلح صلح الجسد كله، إذا فسد فسد الجسد كله، فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن

النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحلال بيِّن والحرام بيِّن...»** الحديث وفيه: **«ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهى القلب»**.

- وحسب العقل مكانة فى الإنسان أنه مناط التكليف لأن الله تعالى رفع التكليف عن من فقد العقل، وحسب العقل مشرفًا أن الناس يتفاضلون به فى التقوى والعمل الصالح فى الدنيا وفى الآخرة.

وحسبه أهمية للمؤمنين أن به يتم حسن الخلق، ومن المعروف فى شريعة الإسلام أنه إذا حَسُن خلق الرجل حَسُن إيمانه، بل تم إيمانه فلم يعد ينقصه ما يكمله، وأنه بحسن الخلق يطيع المؤمن ربه ويعصى عدوه إبليس، فقد روى ابن المحُبَّر فى كتابه: «العقل» بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولايتم لرجل حسن الخلق، حتى يتم عقله، فعند ذلك تَمَّ إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس»** [1].

ولعلى بهذه الكلمات أكون قد أوضحتُ كيف تتحكم الروح والقلب والعقل - وهى كلمات قد تترادف فتدل على معنى واحد أو معان متقاربة - كما جاء ذلك فى بعض آيات القرآن الكريم - إنها تسيطر على الإنسان فتجعله يسلك سلوكًا حسنًا، إن كانت الروح والقلب والفعل صالحة حسنة الصلة بالله تعالى، أو يسلك سلوكا سيئًا يغضب الله تعالى، إن كانت غير صالحة غير راغبة فى حسن الاتصال بالله تعالى، فهى قابلة لأن تصلح أو تفسد، كما أسلفنا.

أولا: التأثير المعنوى للأخوة فى الله

* ونشير هنا إلى بعض الآثار المعنوية الأدبية الخلقية التى تعد نتيجة لصلاح الأرواح والقلوب والعقول، والتى يتضح فيما تمارسه جوارح الإنسان من أعمال، ومن ذلك ما نذكره هنا إذا أحكمت الأخوة بين المؤمنين:

- الإحساس العميق المريح بالانتماء إلى الإيمان وإلى التآخى فيه، إذ لذلك أثر عميق فى تشجيع المؤمن على فعل الخير، وعلى الدعوة إليه، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(١) للتوسع فى معرفة مكانة العقل فى الإسلام انظر لنا كتاب: «التربية العقلية» الحلقة الثالثة من سلسلة «مفردات التربية الإسلامية» نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

المنكر. وعلى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، إذ يجد من إخوانه فى الله عونا له على المضى فى هذا الطريق، ويجد فيهم صحبة نبيلة فى موكب الدعوة إلى الله.

فإذا حيل بينه وبين شىء من ذلك فتعرض لمحنة فى سبيل الله، كان إخوانه فى الله عزاء له ومواساة لما أصابه.

ـ والشعور بالجماعة ـ وهو شعور فطرى عند الإنسان السوى، إذ لا يقبل الإنسان أن يكون وحده، لما يترتب على ذلك من فقد القدرة على ممارسة الحياة.

والأصل فى الإنسان أن يكون فى جماعة فإن فقد الرغبة فى ذلك فهو مريض النفس، ضعيف العقل، متبلد العقل، إذ يعرض نفسه بذلك للضياع بكل تأكيد إذ يفقد تأييد الله تعالى للجماعة، ويفقد كثيراً من رضا الله تعالى على كل من خالط الناس وصبر على أذاهم.

ـ والإحساس بالقوة والمنعة، والقدرة على الفعل؛ لأن الأخ فى الإيمان حصن لأخيه يحول بينه وبين ما يضره. وعون لأخيه على فعل الخير، وعلى مقاومة الشر، وردءٌ له فى طريق الدعوة إلى الله، ونصير له فى الحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق؛ لأن هذه الأعمال جميعًا، لا تتم على وجهها الصحيح إلا فى جماعة وأخوة فى الإيمان تفضى إلى تأييد ومؤازرة ونصر، وفى الأخوة فى الله ما يفى بكل هذه الأمور الجوهرية فى حياة المؤمن.

ـ والشعور بالراحة والطمأنينة والأمن، حين يرى إخوانه فى الله يشاركونه أفراحه وأحزانه، وأعماله كلها، إذ بغير هذه المشاركة لا يحس المؤمن بالمعنى الدقيق للفرح، ولا بالمواساة إن أصابه مكروه، ولا بالنجاح إن قام بالعمل وحده، ومن هنا يُصبح الابتلاء والامتحان فى سبيل الله، اختبارًا لقوة إيمان المؤمنين، ومجالا لأن يواسى بعضهم بعضًا ويصبر بعضهم بعضًا.

ـ والإحساس برضا الله تبارك وتعالى، وهو شعور يملأ نفس المؤمن عندما يقوم بواجبه نحو ربه ودينه، وحينما يعين أخاه على القيام بهذا العمل الصالح، لأن من خصائص الأخ فى الله أن يعين أخاه على طاعة الله وعبادته، إن هو ذكر هذه الطاعة، وأن يذكره بها إن هو نسيها، والله تعالى يرضى عنه عباده الذين يذكرونه ويتعاونون على عبادته وطاعته.

فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم

برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلَقُ الذكر، فإن لله تعالى سيَّارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفُّوا بهم».

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما؛ أنهما شهدا أن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّتْ بهم الملائكة وغشيَتهُم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

والذى يذكر الله تعالى يذكره اللهُ تعالى ذكراً أكبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والأخوة فى الله تعين على ذكر الله، وذكر الله هو الذى يبعث الاطمئنان فى القلوب، وليس أحسن للقلوب من أن تطمئن قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

هذا عن التأثير المعنوى الأدبى للأخوة فى الله تعالى.

ثانيا: التأثير المادى للأخوة فى الله

* أما التأثير المادى للأخوة فى الله تعالى، فيمكن أن نشير إلى بعضه فيما يلى:

- للتأثير المادى للأخ فى أخيه المسلم وجوه كثيرة نذكر منها ما يلى:

١ - أن يزوره ويعوده ويهدى إليه ولا يبيع على بيعه ولا يخطب على خطبته ولا يهجره فوق ثلاث: بكل هذه الأنواع من الإحسان وردت أحاديث نبوية شريفة منها ما يلى:

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «أن رجلاً زار أخًا له فى قرية، فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال أريد أخًا فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله عز وجل، قال: فإنى رسول الله إليك، بأن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه».

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً زار أخًا له فى الله فأرصد الله له ملكًا، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخى فلانًا، فقال: أحاجة لك عنده؟ قال: لا، قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: فبنعمة له

(١) للتوسع فى ذلك انظر لنا كتاب: «التربية الروحية» وهو الحلقة الأولى من سلسلة: مفردات التربية الإسلامية، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

عندك؟ قال: لا، قال: فَبِمَ؟، قـال: أحبه فى الله، قال: فإن الله أرسلنى إليك يخبـرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة».

* وروى ابن عـدى بسنده عن أنس رضى الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «ما زار رجل رجلاً فى الله إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة».

* وروى الإمام مـسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ: «من عـاد مـريضًا أو زار أخًا له فى الله ناداه مناد أن طبـت وطاب، ممشـاك وتبـوأت من الجنة منزلاً».

* وروى الإمام مـسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع» قيل: وما خرفة الجنة؟ قال: جناها» والمعنى أن من عاد أخًا له مريضًا فكأنه فى بستان يجتنى ثمره.

ومن إحسان المسلم إلى أخيه المسلم أن يقدم له الهدية بمناسبة وبغير مناسبة.

* وروى الإمام مـالك بسنده عن عـبد الله الخراسـانى رحمـه الله قال: قـال رسول الله ﷺ: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء».

* وروى الترمـذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النـبى ﷺ قال: «تهادوا فإن الهدية تذهب وَحَر الصدور ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».

* وروى الترمذى بسنده عن عـبد الله بن عمر رضى الله عنهـما عن النبى ﷺ قال: «لا يبيع أحدكم على بيع بعض ولا يخطب أحدكم على خطبة بعض».

* وروى التـرمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه».

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبـى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهـجر أخـاه فوق ثلاث ليـال يلتقـيان فـيعرض هذا ويـعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام».

* وروى الترمـذى بسنده عن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا قال: قـال رسول الله ﷺ: «كفى بك إثمًا أن لا تزال مخاصمًا».

* وروى الإمام مالك بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح

أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا».

٢ ـ وأن يبتسم فى وجهه ويساعده فى كل ما يقدر عليه:

* روى الترمذى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك، والعظم عن الطريق لك صدقة».

* وروى الترمذى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق».

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

* وروى الديلمى بسنده عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربع من حق المسلمين عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم».

* وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

٣ ـ وألاّ يُضَارّه ولا يهدده جادًا أو مازحًا ولا يُعَيِّره:

ومعنى: ألاّ يضاره أى لا يتسبب فى أن يلحق به ضررٌ أدنى ضرر، ماديًا كان هذا الضرر أو معنويًا.

* روى الترمذى بسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من ضارّ مؤمنًا أو مكر به».

* وروى الترمذى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله».

* وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

* وروى البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يرمى رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلاَّ ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المتسابّان ما قالا، فعلى البادى منهما حتى يعتدى المظلوم».

* وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه».

* وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما».

* وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخًا لأبيه وأمه».

* وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار».

والآية القرآنية الجامعة فى هذا كله هى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[1] قال القرطبى فى تفسيرها: إذاية المؤمنين والمؤمنات هى أيضًا بالأفعال والأقوال القبيحة، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق، وهذه الآية نظير الآية التى فى النساء: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ كما قال هنا. وقد قيل: إن من الإذاية تعييره بحسب مذموم، أو حرفة مذمومة أو شىء يثقل عليه إذا سمعه لأن أذاه فى الجملة حرام»[2].

٤ ـ وحق المسلم على أخيه المسلم فى قضاء حاجاته:

وهذا نوع من إحسان المسلم إلى أخيه المسلم، وقد سبق أن أوضحنا أن الأخوة فى الإسلام تبدأ بالتعارف فالتآلف فالتفاهم فالرعاية والتفقد، فالتعاون والتناصر، إذ بمجموع ذلك كله تكون الأخوة فى الإسلام.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٢) القرطبى: تفسيره: ٦ / ٥٣٢٢ ط الشعب ـ مرجع سابق.

ولا يستطيع المسلم أن يقضى حاجات أخيه المسلم إلا إذا كان عارفًا به وبظروفه وما يحيط به.

والأصل فى أدب قضاء المسلم لحاجات أخيه المسلم أن يقوم بذلك دون أن يطلبه أخوه منه، فضلاً عن أن يرجوه فضلاً عن أن يلح عليه، لأن ذلك حقه الذى أوجبته الأخوة فى الإسلام من خلال النصوص الإسلامية:

* فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».

* وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

* وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «... ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته».

غير أن حاجات المسلم على أخيه المسلم يجب عليه قضاؤها له بشروط نذكر منها ما يلى:

١ - أن تكون هذه الحاجة من المباح الذى أحله الله.

٢ - وأن يكون من يقضى هذه الحاجات قادرًا عليها إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وعليه أن يتشفع له عند من يقضيها.

٣ - وأن يكون قضاؤه لهذه الحاجات مصحوبًا بالبشاشة والاستبشار.

٤ - وألا ينتظر حتى يطلب منه أخوه قضاء حاجاته.

وغير ذلك من الشروط والآداب الإنسانية الرفيعة.

والقاعدة العامة فى قضاء حاجات المسلمين أنّ من قدر على قضاء هذه الحاجات المباحة فقد أوجبت الأخوة فى الإسلام عليه أن يقضيها، فإن لم يستطع فإنه يتشفع له فى قضائها، سواء أكان هذا التشفع إلى سلطان أو مسئول أو واحد من الناس، وسواء أكانت الحاجة كفَّ ظلم أو إسقاط تعزير، أو تخليص حق لصاحبه أو لمحتاج أو غير ذلك.

أما أن يشفع له فى حد من حدود الله تعالى فذلك حرام، كما تحرم الشفاعة التى تؤدى إلى تتميم باطل، أو إبطال حق أو نحو ذلك.

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: اشفعوا تؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب».

بل إن قضاء حاجات المسلمين صدقة يتقرب بها إلى الله من لم يجد فرصة ليتصدق بمال.

* روى البخارى بسنده عن أبى بردة عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ: «على كل مسلم صدقة، قالوا: يا نبى الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنهما له صدقة».

وأدنى درجات قيام المسلم بحاجة أخيه المسلم هو أن يقضى له حاجته عند السؤال والطلب، وأدب ذلك أن يكون قضاؤها مصحوبًا بالبشاشة والاستبشار وإظهار الفرح.

وقد قال بعض أسلافنا الصالحين: «إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فعله أن يكون قد نسى - فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾[1].

وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاءه بهدية فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديت إلىّ، فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى».

وقال الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه: (إحياء علوم الدين): «كان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم، ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته.

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها».

* روى الطبرانى بسنده عن أبى عتبة الخولانى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب، فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها» أى أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الإخوان.

(١) سورة الأنعام: ٣٦.

وقال الحسن البصرى: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا وأولادنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة.

ونستطيع أن نجمل القول فى هذا الحق الخاص بقضاء الحاجات أن يكون الأخ فى حاجة أخيه مثل ما يعنى بحاجة نفسه، وأن يتفقد أخاه من نوع حاجاته ووقت احتياجه، غير غافل عن أحواله كلها، مغنيًاله عن السؤال أو الطلب أو الانتظار حتى تظهر الحاجة، ويقوم الأخ بحاجة أخيه بحيث لا يرى لنفسه فى قيامه بقضاء حاجاته أى حق له على أخيه، فضلاً عن أن يشعر بالتفضل عليه.

ومن أدب قضاء حاجات الأخ المسلم أن يقدم ذلك على حاجة نفسه، وتلك منزلة الإيثار التى امتدحها القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى فى حق الأنصار حين استقبلوا إخوانهم المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

لقد عامل الأنصار إخوانهم المهاجرين بالإيثار ـ وهو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الأخروية وذلك ـ فى الغالب ـ ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة.

وذكر ابن المبارك بسنده: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام: اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح، ثم تَلَكَّأْ ساعة فى البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالى يا جارية، اذهبى بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك فقال: وصله الله ورحمه وقال: يا جارية: اذهبى إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا، فاطَّلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران قد

---

(١) سورة الحشر: ٩.

جابهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسُرَّ بذلك عمر، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض»[1].

وقال حذيفة العدوى: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ـ ومعى شىء من الماء ـ وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه. آه فأشار إلىَّ ابن عمى أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول: آه. آه، فأشار هشام أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات»[2].

«وحكى عن أبى الحسن الأنطاكى: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرى، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئًا إيثارًا لصاحبه على نفسه»[3].

والإيثار مع الخصاصة ـ وهى الحاجة ـ هو أعلى درجات الإيثار.

ـ والشح والبخل سواء، وفسَّر ابن مسعود رضى الله عنه البخل بأنه إمساك الرجل ماله، والشح بأنه أكل مال أخيك ظلمًا.

ـ وقال ابن جبير: الشح معناه منع الزكاة وادخار الحرام.

ـ وقال الليث: الشح ترك الفرائض وانتهاك المحارم.

ـ وقال ابن عباس رضى الله عنهما: من اتبع هواه ولم يقبل الإيمان فذلك الشحيح.

ـ وقال أنس رضى الله عنه قال النبى ﷺ: «**بريء من الشح من أدَّى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة**».

ـ وقال أبو الهياج الأسدى: رأيت رجلاً فى الطواف يدعو: اللهم قنى شح نفسى، لا يزيد على ذلك شيئًا، فقلت له، فقال: إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أفعل، فإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ» .

---

(١)، (٢)، (٣) القرطبى: تفسيره: ٨ / ٦٥٠٦ ـ ٦٥٠٧ مرجع سابق.

٥ ـ وسكوت المسلم على عيوب أخيه فى الإسلام

من حق المسلم على أخيه المسلم أن يرعى شروط هذه الأخوة فى الإسلام وآدابها فى السكوت والكلام، أى أنها حقوق كثيرة يتعلق بعضها بالسكوت عن عيوبه ـ وهو ما سوف نتحدث عنه الآن ـ ويتعلق بعضها بالكلام وهو ما سنتحدث عنه بعد ذلك فى هذا الفصل من الكتاب إذا أذن الله.

إن الإسلام يحرص على نقاء هذه العلاقة الأخوية فى السر والعلن ويبرئها من أن تمس بأذى أو شر.

وحقوق المسلم على أخيه المسلم فى السكوت كثيرة نذكر منها ما يلى:

أ ـ حقه فى أن يسكت أخوه عن ذكر عيوبه بلسانه.

ب ـ وحقه فى أن يسكت عن ذكر عيوبه بقلبه.

ح ـ وحقه فى أن يسكت عن مماراته ومجادلته.

د ـ وحقه فى أن يسكت عن إفشاء سره.

ولكل حق من هذه الحقوق حديث نرجو أن نوضحه فى هذه الصفحات والله ولى التوفيق.

أ ـ حقه فى السكوت عن عيوبه بلسانه

حق الأخ على أخيه فى الإسلام أن يسكت عن الحديث عن عيوبه بلسانه متحدثًا بها إلى الناس، وسواء أكان ذلك فى حضوره أو فى غيبته.

والسكوت عن ذكر العيوب هو نوع من كَف الأذى، وذلك مطلب شرعى أصيل، للأحاديث النبوية الشريف ـ التى ذكرناها آنفًا ـ الداعية إلى المحافظة على الأخ فى الإسلام من أن يناله من أخيه ضرر أو شر مثل قوله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»** وقوله: **«ملعون من ضار مؤمنًا أو مكر به»**. وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: **«فإن تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك»**[١].

وما من شك فى أن سلامة الأخ من لسان أخيه تعنى ألا يذكر عنه عيبًا، لأن ذكر هذه العيوب مضارة المسلم، وهى شر إذا ترك كان من الصدقات.

(١) ذكرنا هذه الأحاديث الثلاثة وخرجناها فيما سبق.

* روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ لم يكن يواجه أحداً بشيء يكرهه».

* وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام - وفى رواية: من جار السوء الذى إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره».

ونستطيع من خلال الهدى النبوى أن نتصور آدابًا لستر المسلم عيوب أخيه المسلم وهى ما يلى:

- أن يسكت تمامًا عن ذكر أى عيب يعلمه فى أخيه فى حضوره أو فى غيبته، لأن ذلك أذى له ومضارة.

- وأن يسكت عن تبليغه بقدح غيره فيه، لأن المبلغ كالعائب أو كالشاتم، وتلك مضارة بأخيه.

- وأن يسكت عمومًا عن كل كلام يكرهه أخوه جملة وتفصيلاً إلا فى مجالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

- وأن يسكت عن ذكر مساوىء أهل أخيه وأقاربه، لأن ذلك من الغيبة وهى حرام منصوص على حرمتها.

وللإمام ابن المبارك رحمه الله كلمة جامعة فى عدم التعرض لذكر عيوب المسلم يقول فيها: «المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات» وذلك متساوق مع الحديث النبوى الشريف الذى رواه الدّارمى وهو: «خير الأصحاب خيرهم لصاحبه وخير الجيران خيرهم لجاره» بسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما.

ب - وحقه فى أن يسكت عن عيوبه بقلبه

ومعنى هذا الحق ألا يسىء المسلم الظن بأخيه المسلم لأن سوء الظن منهى عنه وهو غيبة القلب، كما أن ذكر المسلم بما يكره غيبة اللسان، والله تبارك وتعالى يقول فى شأن من يغتاب: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] قال ابن عباس رضى الله عنهما: «إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة فى الدين وقبيح فى النفوس»[1].

وذكر العيب باللسان غيبة والغيبة تكون بذكر العَيْب فى الخَلْق والخُلُق والدين.

---

(١) القرطبى: تفسيره: ٧ / ٦٥١٦ - مرجع سابق.

* روى أبو داود بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: قلت للنبى ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - تعنى قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنسانًا فقال: «ما أحب أنى حكيت إنسانًا وأن لى كذا وكذا».

* وروى أبو داود بسنده عن المستوردَ[1] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسى ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة».

ومن خلال هذه النصوص نستطيع أن نستخلص آدابًا للسكوت عن عيوب الأخ المسلم بالقلب نذكر منها ما يلى:

- ألا يحمل المسلم قول أخيه المسلم ولا عمله على وجه فاسد ما دام فى الإمكان أن يحمله على وجه حسن.

- وأن يحمل ما يشاهده مما لا يرضاه على السهو منه أو النسيان لأن ذلك من حسن ظن المسلم بأخيه المسلم.

- وأن يُشرب قلبه حسن الاعتقاد فى صلاح أخيه، فإن صدر عنه قول أو فعل يحتمل الصواب والخطأ، فإن حسن اعتقاده فى أخيه يجعله يحسن الظن به ويحمل ذلك على الأحسن، وإلا وقع فى سوء الظن بأخيه، والظن حرام بقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

وحكى الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه؟ قالوا: نستره ونغطيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله!!! من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها»[2].

ومن المقرر فى الإسلام أن المسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه - كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية التى ذكرنا آنفًا - وما من شك فى أن كل مسلم ينتظر من أخيه أن

---

(١) هو المستورد بن شداد رضى الله عنه صحابى من أهل مكة سكن الكوفة وشهد فتح مصر وتوفى بالإسكندرية له سبعة أحاديث منها حديثان فى صحيح مسلم.

(٢) الإمام أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين ٢ / ١٥٦ - ط الحلبى مصر.

يسكت عن عيوبه ومساويه لأنه يحب أن يسكت أخوه عن عيوبه ومساويه.

ـ وأن يباعد بين نفسه وبين الحقد والحسد أن يدخلا قلبه نحو أخيه، لأن الحقد على المسلم أو الحسد له ـ في غير الغبطة أي تمنى نفس النعمة دون تمنى زوالها عن المنعم عليه ـ حرام، كما دلت على ذلك نصوص إسلامية كثيرة ذكرنا بعضها آنفًا وسنذكر بعضها فيما يأتى من هذا الكتاب.

والحقد: هو أن يمسك أحد الناس العداوة لأخيه فى قلبه، وأن يتربص لفرصتها، والحقد والضغن سواء.

أما الحسد: فهو أن يتمنى زوال نعمة أنعمها الله على أحد من خلقه سواء أتمنى أن تكون له هذه النعمة أو لا تكون وسواء أكانت نعمة فى الدين أو فى الدنيا.

وكل من الحقد والحسد حرام منهى عنه، لأن المؤمنين إخوة لا ينبغى لأحد منهم أن يضمر الحقد أو الحسد نحو أخيه، وإنما هى المحبة والألفة والتعاون والتناصر على نحو ما بينا آنفًا، ومن لم يبرئ قلبه من الحقد والحسد فقد عصى الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين، وقد وردت أحاديث نبوية فى النهى عن هذا.

* روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا...**».

* وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب**».

والحسد مذموم، وصاحبه مغموم، كما قال أسلافنا رحمهم الله، وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: لا تعادوا نعم الله، قيل له: ومن يعادى نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول الله فى بعض الكتب: الحسود عدو نعمتى مستخط لقضائى غير راض بقسمتى»[1].

ويقال: الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء وأول ذنب عصى الله به فى الأرض، فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم عليه السلام، وأما فى الأرض فحسد قابيل هابيل»[2].

* روى الترمذى بسنده عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) القرطبى: تفسيره: ٥ / ٢٥١ ط دار الكتب المصرية.

(٢) السابق: ٥ / ٢٥٢.

«دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

والحسد نوعان: مذموم ومحمود. فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله من أخيك المسلم، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع الذى ذمه الله تعالى فى كتابه بقوله: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** [النساء: ٥٤] وإنما كان مذمومًا لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق.

وأما المحمود فهو ما جاء فى صحيح الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام: **«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»** كما رواه ابن ماجه بسنده عن سالم عن أبيه رضى الله عنه.

* وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها».**

والغبطة هى أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة، ولا يزول عنه خيره، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة، ومنه قوله تعالى: **﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** [المطففين: ٢٦].

وبعد: فإن المسلم يجب أن يخلو قلبه من أى حقد أو حسد نحو أخيه فى الإسلام حتى يبرأ من الإثم والمعصية، ويسلم له دينه، وتهنأ له دنياه.

جـ- وحق المسلم فى أن يسكت أخوه عن مماراته ومجادلته

المراء هو: الشك والجدل.

والجدال هو: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

والجدل هو: اللدد فى الخصومة والقدرة عليها.

وقد أمرنا النبى ﷺ بترك المراء حتى لو كنا على الحق، فضلاً عن تحريمه لمن كان مُبطلاً.

* روى أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك**

الكذب وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خلقه».

* وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الكذب - أى المراء الباطل - وهو باطل بنى الله له قصراً فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها».

* وروى الدارمى بسنده عن يحيى بن أبى كثير قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: «دع المراء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان».

* وروى الدارمى بسنده عن محمد بن واسع قال: كان مسلم بن يسار يقول: إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغى الشيطان زلته».

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: «لا تمار سفيهًا فيؤذيك ولا حليمًا فيقليك».

وعند التأمل فى حق الاخ على أخيه فى ترك مماراته وجداله يتبين لنا أن المماراة والجدال من أكبر الأسباب لإثارة نار الأحقاد بين الإخوان، ولأن المماراة والمجادلة هى التى تُفْضِى إلى التقاطع والتدابر، لأن هذا التقاطع يحدث أولا بالآراء ثم يحدث بالأقوال، ثم يكون بالأبدان، وقد ذكرنا فيما مضى الحديث النبوى الشريف الذى رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه وفيه نهى عن التقاطع والتدابر والتباغض والتحاسد، وهو: «... لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانًا».

كما أن فى هذا الحديث الشريف قوله ﷺ: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» وأشد الاحتقار المماراة، وبيان ذلك أن من مارى أخاه فقد رد عليه كلامه ونسبه إلى الجهل والحمق أو الغفلة والسفه، وذلك كله داخل فى الاحتقار، والاحتقار شر منهى عنه بهذا الحديث الشريف وغيره، فضلاً عما فيه من إيغار الصدور.

* وروى الديلمى فى «الفردوس» بسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال: ذروا المراء لقلة خيره، وذروا المراء فإن نفعه قليل وأنه يهيج العداوة بين الإخوان».

* وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدًا فتخلفه».

والمماراة نافية عن صاحبها حسن الخلق، وحسن الخلق مطلب أساسى فى الإسلام دعت إليه أحاديث نبوية كثيرة، ذكرنا بعضها آنفًا ونذكر منها الآن ما يلى:

* روى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»**.

* وروى أيضًا بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«ما من شىء أثقل فى الميزان من حسن الخلق»**.

* وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم بسط الوجه وحسن الخُلق»**.

د ـ وحقه فى ألا يفشى له سراً

من أحكام الإسلام وآدابه ـ كما سبق أن أوضحنا ستر المسلم على أخيه المسلم ـ وحفظ سر الأخ وعدم إفشائه من الستر الذى طالبتنا به النصوص الإسلامية ـ كما ذكرنا آنفًا وكما نذكر الآن:

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة...»**.

* وروى الطبرانى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها إلا دخل الجنة»**.

* وروى الحاكم بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ: **«من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها»**.

* وروى أبو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا حدَّث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة»**.

* وروى أبو داود بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس يسفك فيه دم حرام، ومجلس يستحل فيه فرج حرام، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله»**.

* وروى أبو بكر بن بلال فى مكارم الأخلاق بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ: **«إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره»**.

* وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر رضى الله عنه

حين تأيمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر؟ قال: سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا، فلقيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلىّ شيئًا، فكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبثت ليالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدتَ علىّ حين عرضتَ علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ فقلت نعم. قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىّ إلا أنى كنت علمت أن النبى ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشى سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها النبى ﷺ لقبلتها».

وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما: إنى أرى هذا الرجل - يعنى عمر بن الخطاب - يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمسًا:

لا تُفْشِيَنَّ له سرًا، ولا تغتابنّ عنده أحدًا، ولا تُجْرِيَنَّ عليه كذبًا، ولا تعصين له أمرًا، ولا يطلعن منك على خيانة.

فقال الشعبى: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف»[1].

إلى غير ذلك من الآثار المادية للأخوة فى الله[2]، وإلى الحديث عن القوة والوحدة.

(١) الإمام الغزالى: إحياء علوم الدين: ٢ / ١٥٨، مرجع سابق.
(٢) للتوسع فى ذلك انظر كتابنا: فقه الأخوة فى الإسلام نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

القوة والوحدة

فإذا كانت الأخوة فى الله هى أول القوة وفاتحة بابها، فما تلك القوة التى ترتجى من الأخوة فى الله؟.

وما هى الوحدة التى هى أول القوة؟ كما قال الإمام البنا.

ذلك ما نأمل أن نوضحه فى حديثنا عن النقطتين اللتين أشار إليهما الإمام حسن البنا وهما:

القوة.

والوحدة

فى عنوانين هما:

قوة الوحدة أول القوة.

والاتحاد بعد الوحدة. والله المستعان.

الأول:

قوة الوحدة أول القوة

كلمة قوة: تستعمل أحيانا بمعنى القدرة، كقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ..﴾ [البقرة: ٦٣].

وتارة تستعمل بمعنى التَّهيؤ الموجود فى الشىء، كقولنا: النَّوَى نخل بالقوة أى أنه يصير نخلاً إذا غرس.

وتارة يوصف بها البدن، كما فى قوله تعالى على لسان بعضهم: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وتارة يوصف بها القلب، كما فى قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾ [مريم: ١٢].

وتارة تستخدم فى الدلالة على من يعين الإنسان فى أمرٍ مِنْ أموره، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] وذلك على لسان نبى

الله لوط عليه السلام حينما جاءه قومه يهرعون إليه وكانوا من قبل يعملون السيئات.

- والقوة ضد الضعف.

وهى الطاقة التى تمكن من العمل.

وهى مبعث النشاط والنمو والحركة، وهى نوعان:

- باعثة أو دافعة على العمل.

وهذا الباعث أو الدافع، إما داخلى يعتمد على الأحوال العضوية الداخلية للإنسان.

وإما خارجى يعتمد على أحوال البيئة الطبيعية والاجتماعية.

- والقوة - فى مجال الطبيعيات - تعرف بأنها كل قدرة يمكنها أن تُحدث أثرًا.

وفى مجال «الميكانيكا» هى السبب فى التغييرات التى تطرأ على الحركة.

- وهناك قوة نفسية تعتمد على التجارب الواعية.

- وهناك قوة اجتماعية وهى كل دافع فَعَّال يؤدى إلى العمل.

- والقوة - كما عرفها الجرجانى[1] هى التى تمكن الحيوان من القيام بالأفعال الشاقة وهى أنواع.

فقوى النفس النباتية تسمى قوى طبيعية.

وقوى النفس الحيوانية تسمى قوى نفسانية.

وقوى النفس الإنسانية تسمى قوى عقلية.

والقوى العقلية باعتبار إدراكاتها للكليات تسمى: القوة النظرية، وباعتبار استنباطها للصناعات الفكرية من أدلتها تسمى: القوة العملية.

* والأخوة فى الله بين المؤمنين وحدة، والوحدة أول القوة فما هى الوَحْدة؟

- الوَحدة هى: الانفراد، والواحد هو الشىء الذى لا جزء له ألبتَّةَ.

والوَحدة صيغة لكل ما هو واحد.

---

(1) فى كتابه الجامع: التعريفات ط لبنان ١٩٧٨م والجرجانى هو العلامة على بن محمد الشريف الجرجانى (٧٤٠ - ٨١٦ هـ).

وصيغة لكل ما يكوِّن كُلاً عضـويًا، وهذا هو ما نقصده فى حديثنا عن الوحدة التى هى أول القوة بين المؤمنين.

* وهذه الوحـــدة التى تكون كُلاً عـــضـويًا يعنـينا منهـــا فى هذا المجـال: «الـوحـدة الاجتماعية»[1] وهى: وحدة العـمل فى الجماعة عن طريق حـركات التـوفيق المتبادلة فى سلوك الأفراد أعضاء الجماعة، بحيث يصبح لعمل الجماعة هدف واحد.

* والمؤمنون المتـآخـون فى الله تعـالى تربطهم أنواع عـديدة من الوحـدة ـ أو يجب أن تربطهم ـ نذكر منها:

ـ وحدة العقيدة فى إله واحد خالق رازق له الأسماء الحسنى.

ـ ووحدة الدين؛ فـهـم جميـعًا يدينون بدين الإسلام الذى جـاء به خاتم الأنبيـاء عليهم السلام محمد ﷺ.

ـ ووحدة المصير؛ فهم جميعًا يصـيرون إلى اليوم الآخر بين يدى الله عز وجل يحاسبهم ويجزيهم.

ـ ووحدة الأصل، فـهـم جميـعًا لآدم عليـه السلام، وآدم خلقه الله مـن تراب ثم سواه ونفخ فيه من روحه، والناس جميعًا أبناء آدم وحواء.

ـ ووحدة الهدف؛ فـهـم جميعًا يدعون إلى الله بالحكمـة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، ويتحركون جميـعًا بالإسلام فى الناس والآفاق ـ لا يثنيهم عن هذه الحركة شىء ـ يدعون إلى الخيـر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجـاهدون فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وليمكنوا لدين الله فى الأرض.

ـ ووحدة التوجه؛ فهم يتوجهون بأقوالهم وأعـمالهم إلى الله تعالى يبغون وجهه ورضاه بكل عبـادة من عباداتهم الـتى شرعهـا لهم، ويتوجهـون إلى قِبْلَة واحدة، ومصـدر واحد يتلقون عنه ما يصلح لهم دينهم ودنياهـم وهو الوحى ـ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـ وما أقره هذا الوحى من منهج متكامل لأمور الدين والدنيا.

ـ ووحدة الشـعور، فهم يرتبطون فى مـشاعرهم بإدراكات مـعينة تربط بعضـهم ببعض،

---

(1) هناك عديد من الوحدات غير الوحدة الاجتماعية مثل: الوحدة الفكرية والثقافية، والوحـدة السياسية، والوحدة الاقتصادية والوحدة الدينية... وهكذا.

وتُوَحِّد حكمهم على الناس والأشياء، وإحساسهم نحو كل ما فى الكون من مخلوقات، ومن هنا يتفقون على ما يحبون وما يكرهون، وما يقبلون وما يرفضون مما يحيط بهم من ناس وقيم وأشياء.

- ووحدة التساوى فى الحقوق والواجبات؛ فهم جميعًا أمام الله تعالى وأمام منهجه ونظامه سواء، لا يفضل بعضهم بعضًا إلا بالعمل الصالح، دون نظر إلى عراقة أصل، ولا وجاهة جاه، ولا كثرة مال، ولا تطاول سلطان، إلا إذا وظفت هذه الأمور فى القيام بالعمل الصالح الذى يعود على المسلمين بالخير، عندئذ يقام وزن للأصل والجاه والمال والسلطان، ولكنه لا ينفى العدل والمساواة.

فالقاعدة العامة التى تحكم العدل والمساواة هى أن أكرمهم عند الله أتقاهم، وأنهم تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم - كما قال ذلك المعصوم ﷺ.

- ووحدة الصف؛ فهم جميعًا صف واحد فى مواجهة كل موقف يحتاج وحدة الصف، سواء أكان فى السلم أم فى الحرب، إذ هم بنيان يشد بعضه بعضًا.

- ووحدة العدو؛ فهم جميعًا يد واحدة وقوة واحدة أمام أعدائهم، لأن الذين يعادون الله ورسوله والمؤمنين - غالبًا - ملة واحدة ونحلة واحدة ومطامع واحدة، مهما اختلفوا فيما بينهم، والتاريخ يشهد على ذلك فى مختلف حقبه، وعلى سبيل المثال؛ فإن العداء تقليدى بين اليهود والنصارى من يوم جاء المسيح عليه السلام فكذبه اليهود وتعنتوا معه وتآمروا على قتله لولا أن رفعه الله إليه، وإلى يوم الدين. ولكنهم يتحالفون ضد الإسلام والمسلمين فى أى معركة يكون المسلمون طرفا فيها، عندئذ يجتمع شملهم ويتناسون العداوة فيما بينهم.

وتاريخنا فى هذا القرن خير شاهد على ذلك، إذ تحالف اليهود والنصارى على إسقاط نظام الخلافة فى تركيا، وعلى تقسيم العالم الإسلامى الذى كان فى حوزة الدولة العثمانية فيما بينهم وعلى توالى احتلال بلاد المسلمين أو السيطرة عليها سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، حتى استطاعوا أن يقيموا لليهود دولة وأن يساندوها ويمكنوا لها فى البلاد العربية!!!

* هذه الوحدة هى أول القوة، ولا يصنع الوحدة إلا الأخوة فى الله وفى الإيمان وفى الإسلام.

- وبغير الوحدة لا قوة ولا قدرة على تحقيق الأهداف التى تسعى الأمة الإسلامية إلى تحقيقها.

ـ وبغير القوة فلا كرامة ولا حياة إنسانية كريمة، ولا كيان ولا أمة مسلمة.

* وإذا تحققت الوحدة فالقوة، فقد وضع المسلمون أقدامهم على الطريق الصحيح والصراط المستقيم صراط الله، وعندئذ فقط يستطيعون أن يمضوا فى الحياة الدنيا أمة وصفها الله تعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس، وعندئذ تستطيع هذه الأمة أن تأخذ بكل أسباب القوة التى أمر الله تعالى بالأخذ بها؛ وذلك أن القوة مطلب إسلامى أكدته النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة، على نحو ما سنبين فيما يلى:

ـ القوة مطلب قرآنى صادر من الله تعالى للمؤمنين فى كل حين فى وقت السلم عمومًا كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] فالقوة مطلوبة فى كل حين، وفى وقت الحرب خصوصًا، كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ـ والقوة مطلب نبوى حبب فيها الرسول ﷺ، وفاضل بين المؤمن القوى والمؤمن الضعيف فكانت الخيرية للمؤمن القوى، وكان حب الله تعالى له أكبر.

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير...» الحديث، ورواه أحمد وابن ماجة.

ـ وقد ترجم الإمام مسلم فى صحيحه: «باب الأمر بالقوة وترك العجز...» ثم ذكر هذا الحديث الشريف.

وروى أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدتُ معه بدراً، فالتقى الناس...» الحديث وفى آخره أن رسول الله ﷺ كان يكره الأنفال ويقول: «لِيَرُدَّ قوى المؤمنين على ضعيفهم».

* والآية الكريمة: «وَأَعِدُّوا لَهُم...» تطالب المسلمين بالأخذ بأسباب القوة جميعًا فى كلمة واحدة هى: «أَعِدُّوا...»؛ لأن هذا الإعداد يتناول كل سبب من أسباب القوة، إذ يدخل فى هذا الإعداد ما يلى:

ـ إعداد النفوس والقلوب والعقول لحرب أعداء الله وأعداء دينه ليصبح المقاتلون أقوياء يقاتلون عن عقيدة وإيمان.

ـ وإعداد الأبدان لتكون قوية قادرة على تحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله، وأعباء الحرب

كثيرة ومريرة.

- وإعداد السلاح والآلة القتالية المناسبة للعصر، ولتسلح العدو، فالمؤمن المتسلح قوى قادر على خوض القتال.

- وإعداد العتاد أى كل ما يلزم المحاربين من سلاح وملابس وطعام وشراب وعلاج، وتوجيه معنوى.

- وإعداد الأعداد اللازمة لخوض معركة بعينها، بل إعداد الصف التالى لهم، وصف المدافعين وصف الحرس، وكل ما يلزم الحرب الحديثة من أسباب تأمين الأفراد.

- وإعداد القادة القادرين على إدارة المعارك، المؤهلين لأن يجعل الله النصر على أيديهم، لما هم عليه من إيمان وتقوى.

- وإعداد الأموال اللازمة للإنفاق على كل المرافق أثناء الحرب دعما للمعركة وتأمينا لسيرها، أيًا كانت أنواع هذه الأموال.

- وإعداد الخطة القتالية أو الخطط التى يراها المختصون فى مجال الحروب كخطة هجوم وخطة انسحاب وخطة ثبات وخطة إذا وقعت هزيمة.

* ومعنى ذلك أن هذا الإعداد يختلف من عصر إلى عصر، ومن عدو إلى عدو، ومن معركة إلى معركة.

ففى زمن النبى ﷺ كانت القوة تعنى الرَّمى. فقد روى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وقد تلا هذه الآية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾ على المنبر يقول: «ألا إن القوة الرمى» قالها ثلاثًا.

وفى عصرنا هذا لابد أن تكون القوة هى امتلاك أحدث أنواع الأسلحة التى توصل إليها العلم فى مجالات الحرب؛ لأن ذلك هو ما طولب به المسلمون فى هذه الآية الكريمة فى التعامل مع العدو.

ورباط الخيل فى الآية الكريمة يرمز إلى وجوب المرابطة وحماية حدود الدولة المسلمة وأطرافها، وتأمينها بكل الوسائل المتاحة الملائمة للعصر وللمكتشفات العلمية فى مجال تأمين الحدود.

* والهدف من الإعداد، ومن القـوة، ومن المرابطة، هو: إرهاب أعداء الله وأعداء دينه وأعـداء المؤمنين، وذلك بإيقـاع الرهبة فى قلوبـهم حتى لا يفكروا فـى الهجـوم على ديار المسلمين، بل إن ذلك الإرهاب قد يحمـلهم على مسالمة المسلمين. وفى هذه المسالمة ما فـيها من فوائد تعود على المسلمين بالخير.

ومن هذه الفوائد:

- نشر دعـوة الله فى أوساط هؤلاء الأعـداء، وربما دخل منهم فى الإسلام عـدد فيكون ذلك دعما للحق وتكثيراً لعدد المسلمين.

- واستقرار أحوال المسلمين بعيداً عن خسائر الحـرب ومتاعبها. وعندئذ ينصرف المسلمون إلى تنمية ما يحتاج فى حياتهم إلى تنمية، وإلى تطوير ما هو بحاجة إلى تطوير، وإلى ابتكار مالابد من ابتكاره لتأمين حياتهم فى كل مجالاتها الحيوية.

- وتخويف الأعداء مـن قوة المسلمين حتى لا يعينوا عليـهم عدوا ولا يدخلوا فى حلف مع أحد من أعدائهم، ولا يكيدوا للمسلمين كيداً يضر بهم فى مستقبل أيامهم.

- وحمل الأعداء على احترام العهـود والمواثيق، إذ دأب الناس وخصوصًا أعداء الإسلام على ألا يحترموا هذه العهود وألا يفوا بها إلا لمن كان قويًا، وكانت لقوته قدرة على إرهاب العدو وتخويفه.

* ومن الجلى الواضح الذى لا يختلف عليه الناس، أن هذه القوة - على مستوى العالم الإسلامى - لا يمكن الوصول إليهـا إلا إذا سبقتها وحدة تجمع صفـوفهم وتلم ما تشتت من جماعاتهم وأوطانهم، وتشـد من أزرهم، وتجعلهم - كما أخبر الرسـول ﷺ - كالبنيان يشد بعضه بعضا، هذه الوحدة التى تحدثنا عـنها آنفًا - من وحدة العقيدة إلى وحدة الصف - هى التى تمكن المسلمين من وضع أقدامهم فى الطريق الصحيح وعلى الصراط المستقيم.

* وهذه الوحدة لابد أن تكون هى الشغل الشاغل للدعاة إلى الله والمصلحين والمجددين والقادة فى كل مجال، حتى تصبح حقيقة واقعة تعيشها الأمة الإسلامية.

* وإذا كانت الأخـوة فى الله تسهم إسـهامًا كبـيرًا فى صنع الوَحْدة بين المسـلمين، فإن مقتـضيات العصر الذى نعـيشه اليوم - عصـر سيطرة الولايات المتحدة الأمريكيـة على هيئة الأمم المتحدة، وعلى دول العـالم جميعهـا - توجب على المسلمين خطوة بعد الوَحْدة هى: «الاتحاد».

وذلك ما نتحدث عنه فى الصفحات التالية والله سبحانه وتعالى، الموفق المعين.

والثانى:

الاتحاد بعد الوَحْدة

الاتحاد بين المسلمين مطلب مُلِحٌّ فى كل زمان ومكان، لأن بديل الاتحاد هو التفرق والتشرذم والخلاف وكل هذه البدائل منهى عنها شرعًا، وكيف لا يتحد من وصفهم الرسول ﷺ بأنهم كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضًا، وبأنهم يَدٌ على من سواهم، فالمسلمون يجب أن يتحدوا استجابة لأوامر دينهم ولهدى النبى ﷺ.

* والاتحاد بين المسلمين ضرورة حياة واستمرار فى الحياة، بعد ما وضح لكل ذى عين أن عصرنا هذا عصر التكتلات والاتحادات، ليتمكن المتحددون من مواجهة ضراوة هذا العصر ووحشيته، واضطراب معايير الأقوياء فيه، وإصرارهم على السيطرة على كل من هو مفكك أو ضعيف، نعم، لقد أباد الأقوياء فى أمريكا الهنود الحمر دِيارًا وديَّارًا، وجلبوا الناس من إفريقيا ليكونوا عبيدا لهم يكفونهم مئونة العمل فى الأرض، وقبضوا على رؤساء الدول وحاكموهم وأدانوهم فى أمريكا نفسها!!!

وفرضوا العقوبات على الشعوب وتلذذوا بأن تجوع هذه الشعوب وتعرى وتموت من المرض، لقد أصبحت عقوباتهم شبه أبدية استمرت ضد إيران ما يقرب من عشرين عامًا وضد العراق ما يقرب من عشر سنين، وضد السودان ما يزيد على خمس سنوات، والعقوبة مستمرة ويجدون لها المبرر من مجلس أمنهم وهيئة أممهم المتحدة والمجتمع الدولى الذى لا يجرؤ على مخالفتهم وإلا لقى نفس المصير!!!

* إن المسلمين لو كانوا متحدين ما حدث كل هذا فى شعوب مسلمة، تعاقب من أمريكا لأنها تدين بدين الإسلام، مهما أنكرت أمريكا ذلك ونفته، وأطلقت أجهزة الإعلام وأبواق الدعاية والكلمات الآثمة من بعض المسلمين.

* إن اتحاد المسلمين هو الذى كان يمكن أن يحمى مسلمى الفلبين ومسلمى ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، ومسلمى الهند، ومسلمى البوسنة والهرسك ومسلمى كوسوفو وألبانيا عمومًا.

إن اتحاد المسلمين هو الذى كان يمنع إقامة دولة اليهود على أرض فلسطين، ويمنع تحيز

الغرب كله وأربا وأمريكا بكل صورة من صور التحيز لإسرائيل.

* إن اتحاد المسلمين هو الذى يحميهم من الوحش الاقتصادى الذى يسيطر على العالم اليوم، ومن الوقاحة الإعلامية التى تجاهر بسب العرب والمسلمين، ومن الضراوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، والثقافية والاجتماعية، ومن الانهيار الأخلاقى الذى أخذ يتفشى فى بلاد المسلمين عن طريق وسائل الاتصال السريعة القوية، من شبكات البث الإذاعى صوتًا وصورة، حتى دخل على الناس بيوتهم بل مخادعهم!!!

* هذا الاتحاد بين المسلمين هو واجب الحكومات فى العالم الإسلامى أكثر مما هو واجب الأفراد والجماعات والتجمعات، هو واجب الحكومات لو كان معظمها أو بعضها راغبًا فى أن يكون للمسلمين اتحاد رغبة حقيقية، ولو كان كثير من هذه الحكومات يملك الأمر فى إصدار القرار المستقل عن إرادة الغرب، ويقوم بخطوة أو خطوات فى طريق الاتحاد!!!

فما هو هذا الاتحاد بين المسلمين الذى نعده مطمحا يجب أن تطمح إليه أنفس المسلمين جميعًا شعوبًا وحكومات؟.

* ومن أجل أن نلقى ضوءًا على مفهوم الاتحاد قديمًا وحديثًا نقول:

- الاتحاد لغة: هو أن يصبح الشيئان أو الأشياء شيئًا واحدًا.

- والاتحاد فى المفهوم الاجتماعى هو: التعاون بين هيئات مختلفة كالدول أو الجمعيات أو النقابات على المستوى القومى، أو المستوى النوعى - المهنى - لتحقيق هدف أو أهداف مشتركة.

- والاتحاد فى مفهومه العام هو: توحيد الجهود التى تتم بين المنظمات المختلفة لتحقيق نفع مشترك.

- وهناك اتحاد تعاهدى، «كونفدرالى» وهو: الاتفاق بين دولتين أو أكثر، بمقتضى معاهدة دولية؛ على إقامة هيئة مشتركة بين المتعاهدين تكون لها اختصاصات معينة لتوحيد سياسات الدول الأعضاء فى هذا الاتحاد، مع احتفاظ كل دولة من هذه الدول بشخصيتها الدولية.

- وللاتحاد مفهوم صُوفِىّ يتعارض مع ما يراه أهل السنة من وجوب تنزيه الله تعالى عن أى صفة تخالف الصفات التى وصف بها نفسه سبحانه وتعالى؛ فالصوفيون يقولون: إن الاتحاد هو استهلاك بالكلية فى الله تعالى، والفناء عما سواه.

وهذا المفهوم الصوفى للاتحاد يتصل بنظرية الحلول - أى حلول الله تعالى فى بعض عباده

وهو ما يرفضه أهل السنة لما فيه من تعارض مع وحدانية الله تعالى، ومع كثير مما وصف به نفسه وتنزه به عن خلقه.

- والاتحاد عند علماء المنطق والفلسفة أنواع:

* اتحاد فى الجنس يُسَمىً «مجانسة».

* واتحاد فى النوع يسمى: «مماثلة».

* واتحاد فى الخاصةً يسمى: «مشاكلة».

* واتحاد فى الكيف يسمى: «مشابهة».

* واتحاد فى الكم يسمى: «مساواة».

«واتحاد فى الأطراف يسمى: «مطابقة».

* واتحاد فى الإضافة يسمى: «مناسبة».

* واتحاد فى وضع الأجزاء يسمى: «موازنة».

- والاتحادات بين الدول كثيرة، وغالبًا ما تدفع إلى عقدها الرغبة فى القوة والسيطرة أولاً، ثم فى التقدم والتطور بعد ذلك.

ومن أمثلة الاتحاد بين الدول:

اتحاد أوربا الغربية.

والاتحاد البروتستنتى.

واتحاد جامعة الدول الأمريكية.

واتحاد الكومنولث التعاونى.

واتحاد جنوب إفريقية.

واتحاد الكنائس.

واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، الذى انهار سنة ١٩٨٩م.

* ومن استعراضنا لمفاهيم الاتحاد المتعددة ندرك أنه فى جوهره وهدفه تعاون لجلب منفعة أو لدفع مضرة، وهو بهذا المعنى مطلب إنسانى لا يستغنى عنه الناس.

* والمسلمون فى كل زمان بحاجة إلى هذا الاتحاد، من جانب أنهم أمة واحدة من دون الناس كما وصفهم الرسول ﷺ، لأنهم أمة الإيمان بالرسل جميعًا، ومن جانب أن للمسلمين أعداء فى كل زمان يتحالفون ضدهم ويعادونهم، فقد روى أبو داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكَلَةُ إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلّة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عَدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»**.

ورواه أحمد بسنده عن ثوبان رضى الله عنه أيضًا مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ.

* والمسلمون بحاجة إلى الاتحاد، لأن الأمم جميعًا من حولهم متحدون أو يعملون على أن يتحدوا.

وبعد:

فماذا نقصد باتحاد المسلمين الذى نراه واجبًا شرعيًا؟

نقصد به الاتحاد الذى يأتى بعد الوحدة، تلك الوحدة التى تستوجبها الأخوة فى الله.

فإذا كان المؤمنون إخوة فى الله كما أمرهم الله ورسوله تولدت بينهم وَحدة، وإذا استقرت الوحدة بين المسلمين، كان طريقهم إلى الاتحاد سهلا آمنًا خاليًا من العقبات والعراقيل.

فهل بين المؤمنين اليوم أخوة فى الله؟

واقع المسلمين اليوم ينفى تلك الأخوة فى الله، وإن كان دينهم ومبادئه وقيمه وتاريخه يلزم بهذه الأخوة فى الله.

* والعجيب أنه على مستوى حكومات المسلمين تسمع كلاما جميلاً يتردد فيه كلمات: الإخوة والأشقاء، وإن كان الواقع أنه كلام فحسب، لم يتجاوز مرحلة اللفظ إلى مرحلة العمل والتنفيذ!!!

* وأما على مستوى الأفراد والجماعات، فقد انتبهت جماعة الإخوان المسلمين إلى أن الأخوة فى الله ركيزة الوحدة بين المسلمين وطريق الاتحاد، فسمَّت الجماعة نفسها «الإخوان

المسلمين، وعملت بكل وسيلة على إيقاظ هذه الأخوة فى الله ومدّها بكل أسباب قوتها ونمائها، وتمكنت من خلال بناء هذه الأخوة من تكوين كتائب تحارب أعداء الإسلام من اليهود منذ سنة ١٩٤٨م ومن الإنجليز فى قناة السويس سنة ١٩٥١م.

* ولكن أعداء الإسلام كانوا أقوى من جماعة الإخوان المسلمين فأوحى الإنجليز ـ وهم يهوديو النزعة والهوى ـ إلى حكومة الملك السابق فاروق بإصدار قرار بحل الجماعة فصدر وترتب عليه اعتقال ألوف من أفراد الجماعة، حتى إن العائدين من حرب اليهود فى فلسطين ـ بعد الهدنة التى فرضها الأعداء ـ قبض عليهم وهم فى الطريق إلى مصر.

* وتوالت الحكومات بعد ذلك فى حظر عمل الجماعة، غير أن جمال عبد الناصر لما كان يطمع فى تأييد شعبى للانقلاب العسكرى الذى حدث سنة ١٩٥٢م ألغى قرار الحل وسمح للجماعة أن تمارس عملها، ثم اطمأن إلى أن الأمور قد استقرت، وأن الناس رضوا بنظام الحكم الجديد راغبين أو راهبين، عاد يأخذ نفس الأسلوب الذى اتخذته الحكومات المؤتمرة بأمر الإنجليز فأصدر قرارًا بحلها واعتقل ألوفًا من قادتها وأفرادها وأعدم عددًا من قادتها، وانطلقت أجهزة الإعلام تصف الإخوان المسلمين بأبشع الصفات وتلصق بهم التهم جزافًا، وبخاصة حين مكّن عبد الناصر الشيوعيين وغيرهم من السيطرة على أجهزة الإعلام.

فلما كان أنور السادات واحتاج إلى دعم لموقفه فى مواجهة الشيوعيين، سمح للجماعة أن تعمل، وأن تعيد إصدار مجلتها، وما أن استقر السادات حتى انقلب على الإخوان يحظر نشاطهم، ويعتقلهم، ويسلط عليهم أجهزة الإعلام لتشوههم وترميهم بكل صفة رذيلة.

ولا يزال حظر الجماعة مستمرًا فى حكم الرئيس محمد حسنى مبارك ـ على الرغم من أن أفرادًا منهم أصبحوا أعضاء فى مجلس الشعب ـ ولا تزال أجهزة الإعلام ترميهم بالتطرف، وبالإرهاب، ولا يزال بعض الكتاب يتهمون جماعة الإخوان المسلمين بكل نقيصه!!!

* ولقد حظر عمل الجماعة فى معظم الأقطار العربية والإسلامية، وفى هذا الحظر -دون أدنى ريب- إرضاء لليهود ولأعداء الأمة الإسلامية جميعًا[1].

* وأعود فأسأل: هل بين المسلمين اليوم أخوة فى الله حتى تكون بينهم وحدة، وحتى يكون أملهم الاتحاد؟.

---

(١) تفصيل ذلك يحتاج إلى كتاب أو كتب ندعو الله أن يهيئ لها من يقوم بتأليفها.

الجواب القاطع: هو لا.

لكن الأخوة المؤدية إلى الوحدة الموصلة إلى الاتحاد ليست من المستحيلات إن صح العزم وصدقت النية، وإذا كان العصر الذى نعيشه لا ينعم فيه المسلمون بالأخوة فى الله، فإن ذلك من فساد العصر وسوء القيم السائدة فيه، وليس من تقصير المسلمين، فالذين لم يقصروا منهم فى التآخى فى الله حوربوا، بل جُرِّمُوا!!!

غير أن هذه الحرب وذاك التجريم لا يعفى المسلمين من وجوب التآخى فى الله، بل عليهم أن يتآخوا وأن يتحملوا ما يقع عليهم من محن وإعنات، فذلك ابتلاء ويؤجرون عليه إذا صبروا واحتسبوا.

* إن التآخى فى الله لا يكلف المسلم أكثر من التزامه بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه، ليصبح المسلمون بهذه الأخوة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء.

وبكل تأكيد، لا يحتاج التآخى فى الله إلى العنف والإرهاب والجمود والرجعية والغيبيات وسائر مايتهم به المسلمون فى هذا العصر، وإنما يحتاج إلى التمسك بالإسلام خلقًا وسلوكًا[1].

* وإن الوحدة التى تقوم بين المسلمين بعيدًا عن مبادىء التآخى فى الدين لا تستطيع أن تقف على قدمَيْن، فضلاً عن أن تسعى فى طريق توحد المسلمين واتحادهم.

* والتآخى فى الدين لا يتضمن عداء لأحد إلا أن يكون عدوا واضحًا، ولا يضمر شرًا لأحد، ولا يقوم على تعصب فى الرأى يهمل رأى الآخرين أو يزرى به، ولا هو داع إلى تشدد فى الدين ولا تشديد فيه على المتدنيين، ولا هو قائم على سوء الظن بالناس حتى يثبت العكس، والتآخى فى الدين يحذر المتآخين فيه من أن يلقوا التهم على الناس جزافا، فضلاً عن رميهم بالكفر والزندقة.

---

(١) لا يخفى على لبيب أن مصطلح التطرف نقله الإعلام العربى عن الإعلام الغربى، بمناسبة تطور الصراع داخل الأوطان الإسلامية والعربية ضد الاستعمار والهيمنة الغربية والحضارة المادية بوجهيها الراسمالى والشيوعى، فوضع الغرب هذا المصطلح ومصطلح الدول المتطرفة والدول المعتدلة، ومصطلح حقوق الإنسان، ومصطلحات الرجعية والتخلف والبداوة والقسوة والقبلية والطائفية، لخدمة أغراضه فى حرب الإسلام والعروبة، ورددت من ورائه هذه المصطلحات فئات ثلاث: الإعلام العربى، والذين تعلموا فى الغرب، أو درسوا فى أوطانهم فى المدارس الغربية... وتلك قصة طويلة...

* إن التآخى فى الدين هو سلام ومسالمة للناس جميعًا، أهل الأديان منهم، ومن ليسوا على دين، لأن أول أعمال الأخوة فى الله هو الدعوة، فكيف يدعون من يضمرون لهم العداء والكراهية.

وجوهر التآخى فى الله ولبابه هو احترام الإنسان وتقديره والاستماع إلى رأيه ومناقشته أو جداله بالتى هى أحسن، دون تشدد أو غلو فى أمر من أمور الدين، وما يمكن أن يسقط المتآخين فى الدين فى حمأة اتهام الناس بالكفر أو الزندقة، بل ولا إساءة الظن بهم.

* وكل هذه الشروط والتحفظات على التآخى فى الله إنما هى نابعة من الدين نفسه، أركانه وأخلاقه وآدابه.

لكنَّ المسلمين اليوم غير متآخين فى الله إما هروبا من تكاليف الأخوة وتبعاتها، وإما جبنًا من الحكام الذين حظروا الأخوة فى الدين، وأدانوها ورأوا فيها تعصبًا وانغلاقا وإيمانا بغيبيات.

غير أن الضغوط الشديدة على المسلمين فى الأحداث الكبار التى وقعت بهم فى العصر الحديث ذهبت بمشاعر الهروب من واجبات الأخوة وبددت الخوف من بعض الحكام الذين عزلوا الدين عن الحياة فأدانوا - بالتالى- الأخوة فيه بل إن هذه الضغوط جعلت بعض الحكام يفيقون من تأثير ثقافة الغرب وسياسته واقتصاده وجيوشه أحيانا.

* إن المجتمعات المسلمة التى قيض الله لها أسبابا جعلتها تفيق من سيطرة الغرب، ظل كثير منها مخدَّرًا بما يفد إليه من الغرب من معطيات حضارته فى الفكر والثقافة وبعض المظاهر الاجتماعية فى الملبس والمأكل والمسكن وكثير من العادات.

ونرجو ألا يفهم من كلامنا هذا، وجوب الرفض المطلق لحضارات الآخرين، لأن أى حضارة إنما محصلة لعدد من الحضارات التى اتصلت بها، فهى فى جوهرها حضارة الإنسانية كلها، فلنا أن نأخذ منها ما لا يتعارض مع ثوابت ديننا من عقائد وعبادات وأخلاق - هذا ما قررته أكثر من مرة، ولا أَمَلُّ من تكراره - دفعا لتهمة الجمود أو التعصب أو رفض الآخر مطلقًا.

* ولقد كانت الصدمة العاتية المعاصرة التى جعلت المسلمين شعوبًا وحكامًا يفيقون من هولها هى:

القضاء على نظام الخلافة فى تركيا - على الرغم من أننا لا نعتبر هذا النظام هو المثال -

عندما تحالفت دول الغرب والشرق ومعهم اليهود على صناعة مصطفى كمال أتاتورك، وتشجيعه على إسقاط نظام الخلافة الإسلامية فى تركيا سنة ١٩٢٤م وإحلال النظام الجمهورى محلها.

ولم يكن إسقاط نظام الخلافة هو الهدف، ولكن كان الهدف هو القضاء على الإسلام فى تركيا لتحل محله العلمانية أو «اللادينية»، وليفصل الدين عن الحياة حكومة وشعبًا، وكل أعمال مصطفى كمال أكدت ذلك وقدمت عليه الدلائل والبراهين كإغلاق كثير من المساجد، ومنع تعليم الدين فى المدارس وحرب لغة القرآن، ومنع الأذان بالعربية، وتحويل عدد من المساجد إلى أماكن لإيواء الخيل «اسطبلات»، ومنع المرأة من ستر ما أمر الله بستره من جسمها، وإنشاء أماكن لتناول الخمور وملحقاتها وممارسة لعب الميسر وغيرها، وغيرها..

فَعل هذا مصطفى كمال الذى يضمر للإسلام عداء شربه من ثدى أمه اليهودية التى تنتمى إلى يهود «الدونمة» الذين هربوا من الاضطهاد محتمين بالإسلام.

* عندما أسقط نظام الخلافة الإسلامية فى تركيا كان صدمة لكل المسلمين فحركهم نحو العمل، وجعلهم يفيقون [1].

ـ عندئذ فكر المسلمون فى إنشاء «الجامعة الإسلامية»، وكان مفهوم الجامعة الإسلامية آنئذ هو: الوحدة بين المسلمين وجمع كلمتهم فى العالم كله لمواجهة هذا التحدى الذى مارسه الغرب ضدهم.

* وقد أخذت الجامعة الإسلامية المناهضة للغرب الذى احتل معظم بلاد المسلمين شكلين:

الأول منهما: إنشاء الطرق الدينية.

والآخر: تنظيم الحركات الإسلامية.

* وكان من أبرز هذه الطرق الدينية (الصوفية) ما نشير إليه فيما يلي:

---

(١) وكان قد سبق هذا الحدث الجلل ما قامت به دول الغرب من استيلاء على كثير من دول العالم الإسلامى التى كانت تدور فى فلك الخلافة العثمانية؛ إذ استولى الإنجليز على شبه القارة الهندية (الهند وباكستان وبنجلاديش آنئذ) وكانوا مسيطرين على مصر والعراق والأردن، واستولت فرنسا على الجزائر واستمرت سيطرتها على تونس والمغرب، واستولت إيطاليا على ليبيا واستمرت سيطرتها عليها، واستولت هولندا على أندونيسيا... إلى آخر هذا المسلسل الذى استهدف القضاء على العالم الإسلامى.

ـ الطريقة القادرية:

وهى منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى المتوفى فى بغداد سنة ١١٦٦ هـ، وقد انتشرت هذه الطريقة فى المغرب حيث جددها الشيخ مختار الكبير، وبعد وفاته انقسمت هذه الطريقة واستوطنت أوطانًا إسلامية أخرى مع المغرب، مثل: موريتانيا والسودان الغربى، وبعض بلدان إفريقية.

وكانت هذه الطريقة فى كل مواطنها تقاوم العدوان الغربى المحتل لبلاد المسلمين بكل ما أوتيت من قوة ووسائل سلمية.

ـ والطريقة الشاذلية:

وكان مقرها فى المغرب العربى، ومركزها فى مَراكُش، وهدفها جمع شمل المسلمين وتحسين صلتهم بالله عن طريق العبادة والخلوة والذكر، ومقاومة المحتل الغربى الفرنسى للمغرب العربى.

ـ والطريقة التيجانية:

وقد أسسها الشيخ أحمد بن محمد التيجانى المتوفى سنة ١٨٧٢م فى مدينة فاس بالمغرب، فكانت تنسب إليه، وقد انتشرت هذه الطريقة وزاد عدد أتباعها فى المغرب والسودان والسنغال والجابون والنيجر وغيرها، وكان هدفها: تربية المسلمين تربية إسلامية صحيحة، ومقاومة المحتل الغاصب لبلاد المسلمين.

* والطريقة السنوسية:

وقد أسسها محمد بن على السنوسى فى المغرب أيضًا، وقد كان من أهدافها تربية المسلمين تربية إسلامية صحيحة وعداوة المحتل الغاصب لأرض المسلمين، غير أنها كانت أشعد الطرق عداوة للمحتلين الغاصبين.

* وأما الشكل الآخر من شكلى الجامعة الإسلامية، فهو قديم عن إسقاط نظام الخلافة، متصل بالاستعمار وعبثه فى البلدان الإسلامية فظهرت الحركات الإسلامية الإصلاحية المجدِّدةُ لما اندثر فى نفوس الناس من قيم الدين ومبادئه وأخلاقه، وتوجيه المسلمين إلى أن يتحدوا فى مواجهة العدو الغاصب لديارهم وأموالهم ومقدراتهم وهى حركات كثيرة نذكر منها:

- **حركة جمال الدين الأفغانى فى مصر**، وقد استقطبت العلماء والأدباء والشعراء والراغبين فى الإصلاح وفى مقاومة المحتل الغاصب..

- **وحركة الشيخ الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية**، وكانت إصلاحية أكثر منها ثورية ضد المحتل الغاصب، وهو ممن تأثروا بجمال الدين الأفغانى وشاركوا معه فى جهاده، وأصابه ما أصاب الأفغانى من تضييق ثم نفى...

- **وحركة الشيخ عبد الرحمن الكواكبى**: وهى حركة اتخذت العلم والأدب والمقالات والمؤلفات سلاحًا لمقاومة المحتل الأوربى الغاصب لديار المسلمين.

- **وحركة الشيخ محمد رشيد رضا** - وهو تلميذ للشيخ محمد عبده - وهى حركته اتخذت من المقالات والمؤلفات سلاحًا لمقاومة أعداء الأمة الإسلامية.

- **وحركة النورسى**:

وهى حركة إصلاحية أنشئت فى قلب تركيا العلمانية، واستهدفت مقاومة الأنحراف عن الإسلام فى تركيا، واتخذت من كتابات النورسى ورسائله السرية أسلوبًا فى مقاومة أعداء الإسلام وفى مقدمتهم نظام مصطفى كمال العلمانى بتركيا.

- **وكبرى هذه الحركات الإصلاحية المجددة للدين هى**:

حركة الإخوان المسلمين التى أسسها الشيخ حسن أحمد البنا سنة ١٩٢٨م أى بعد إسقاط الخلافة الإسلامية بأربع سنوات فقط.

* فالجامعة الإسلامية والتفكير فيها جاء نتيجة لصدمة المسلمين بإسقاط نظام الخلافة فى تركيا، وتقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات استولى عليها الغرب وتقاسمتها دوله، بعدما كان المسلمون موحَّدِين فى ظل الخلافة العثمانية.

* غير أن هذه الجامعة الإسلامية حوربت وحورب الداعون إليها العاملون من أجلها حربًا ضارية شنها الغرب واليهود وأغروا بهذه الحرب بعض حكام البلدان الإسلامية الذين كانوا تابعين لهم تبعية منظورة أو غير منظورة.

وكان من كيد أعداء الجامعة الإسلامية أن أغروا من ينادى بشعارات وحدة، وقوميات لتحل محل الجامعة الإسلامية، ومن ذلك:

- القومية العربية جامعًا بديلاً عن الجامعة الإسلامية، فى العالم العربى.

ـ والقومية الفينيقية، فى سورية ولبنان.

ـ والقومية الأشورية، فى العراق.

ـ والقومية الفرعونية، فى مصر.

ـ والقومية الطورانية، فى تركيا.

* ونحاول هنا أن نلقى ضوءاً على أشهر هذه الحركات الإسلامية الإصلاحية وهى فى تصورى ثلاث:

حركة جمال الدين الأفغانى.

وحركة الشيخ محمد عبده.

وحركة الإخوان المسلمين. والله المستعان.

ـ **أما حركة جمال الدين الأفغانى** فكانت تستقطب العلماء والأدباء والوطنيين الذين يضيقون ذرعًا بالاحتلال الانجليزى لمصر.

وقد لقيت رواجًا كبيرًا بين طلاب الأزهر على وجه الخصوص، لما كان يتمتع به جمال الدين من فقه للدين وإحاطة بقضاياه ورده على الدهريين وغيرهم من الفرق الضالة.

وكان لهذه الحركة أهداف عديدة منها:

* توضيح روح المرونة للتشريع الإسلامى، وأنه لا يقف مكتوفًا أمام المستجدات والمتغيرات.

* وتبصير المسلمين بالروح الصليبية التى كانت تسيطر على المستعمرين لمصر ولكثير من بلدان العالم الإسلامى.

* وكشف حيل الإنجليز وألاعيبهم وبيان كذبهم وتضليلهم، وروح العداء للإسلام التى يتميزون بها تميزا واضحًا، حتى لا يفرق جمال الدين بين روح العداء للإسلام عندهم وعند بطرس الناسك الذى أجج الحروب الصليبية فى حملتها الأولى على الشام والقدس.

* ودعوة المسلمين إلى الاتحاد فى وجه العدو، والاستمساك بالعروة الوثقى ـ عقيدة

الإسلام ـ لرد هؤلاء الأعداء وطردهم من بلاد المسلمين.

ـ **وأما حركة الإمام الشيخ محمد عبده**، فكانت حركة يغلب عليها الرغبة فى الإصلاح أكثر مما يوجد فيها من تصد للأعداء الإنجليز المحتلين لمصر ولكثير من بلدان العالم الإسلامى، وكانت لها أهداف عديدة نذكر منها:

* **الإصلاح العلمى إذ وجه همه إلى إصلاح مناهج التعليم فى الأزهر وأدخل فيها بعض العلوم المدنية التى لم تكن تدرس فى الأزهر كالجغرافيا والتاريخ وغيرهما.**

* **والإصلاح السياسى للمسلمين، وفيه بذل جهدًا طيبًا فى مجالين:**

ـ فى تأييد الثورة العرابية ذلك الذى أدى إلى سجنه ثلاثة أشهر ثم نفيه إلى الشام.

ـ وإنشاء جمعية العروة الوثقى السياسية السرية، وإنشاء جريدة باسمها كانت تصدر من الخارج وحاربها الإنجليز فلم يصدر منها سوى ثمانية عشر عددًا ثم أغلقت.

* **ومن إصلاحه السياسى عمله على إحياء فكرة الجامعة الإسلامية بكتابة عدد من المقالات فى جريدة العروة الوثقى.**

* **ومن إصلاحاته الوطنية فى مصر:**

ـ توضيحه للتعصب والتسامح فى الإسلام لإبطال دعوى الإنجليز فى دفاعهم عن النصارى فى مصر.

ـ واهتمامه بالمسألة المصرية وتحريض المصريين على الإنجليز بل تحريض الهنود والعثمانيين على الإنجليز.

ـ واهتمامه بأمر السودان ـ وكان آنئذ تابعًا لمصر ـ، وفضح أعمال الإنجليز فيه وتأييده لثورة المهدى.

* **ومن إصلاحاته الإسلامية:**

ـ رده على «هانانو» فى تهجمه على الإسلام.

ـ وتأليفه كتاب: الإسلام والرد على منتقديه.

ـ وتأليفه كتاب: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.

* وكانت هاتان الحركتان قبل إسقاط نظام الخلافة، لكنهما عاصرتا محاولات الغرب

واليهود تقليص نفوذ العثمانيين، وتفتيت وحدة الدولة، وتأليب الأعداء عليها، وإغراء الثائرين والمتمردين على الدولة بتأييد من اليهود ومن الإنجليز.

ـ وأما حركة الإخوان المسلمين، فقد أنشأها الأستاذ الإمام حسن أحمد البنا سنة ١٩٢٨م، وقد رأت هذه الجماعة أن الإصلاح الحقيقى للمسلمين فى العالم الإسلامى كله يقوم على ركائز وأسس لابد منها، ثم يدخل الإصلاح بعد ذلك مجال مقاومة العدو المحتل لأى بلد من بلدان العالم الإسلامى، لا مصر وحدها بلد منشأ الجماعة.

ومن هذه الركائز والأسس ما نذكر بعضه فيما يلى:

ـ توسيع دائرة الدعوة إلى الله، بحيث يصل صوت الإسلام إلى كل من يجب أن يصل إليه من قاصٍ ودانٍ، حتى ينصلح حال المسلمين فيتمسكوا بدينهم، ولا ينخدعوا بما يقوم به الأعداء من إقصائهم عن الدين، عقيدته وعبادته وأخلاقه، موهمين إياهم أن الإسلام دين محلى كان لفترة زمنية محدودة، ولم يعد صالحًا لهذا الزمان ـ كما يشيع ذلك فى كتب أعداء الإسلام[1].

ـ والاهتمام بتربية الأفراد صغارًا وكبارًا تربية إسلامية صحيحة، تنال فيها المرأة من الاهتمام مثل ما ينال الرجل.

وقد كانت التربية الإسلامية لدى الجماعة تسعى فى مسارين أحدهما:

نظام الأسر، وهو مجموعة قليلة العدد يقودها ويشرف على تربيتها بصير بالدين وبالتربية، وتتخذ للتربية وسائل عديدة كالأسرة والكتيبة والرحلة والدورة والندوة والمخيم والمؤتمر، وقد فصلنا ذلك فى كتابنا وسائل التربية عند الإخوان المسلمين وكتابنا منهج التربية عند الإخوان المسلمين.

والآخر:

تنقية مناهج التعليم فى المدارس من آثار: «دانلوب» ومناهجه التى تستهدف إقصاء المتعلمين عن الإسلام.

ـ وتعميق دائرة الحركة بالإسلام فى الناس والآفاق، منهجًا ونظامًا وأسلوب حياة، وذلك بتكوين الجماعات والجمعيات التى تقدم الخدمات الاجتماعية باسم الإسلام لا ترجو

---

(١) انظر لنا فى ذلك: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام. والغزو الصليبى والعالم الإسلامى. والتراجع الحضارى للعالم الإسلامى المعاصر وطريق التغلب عليه.

من وراء تقديمها جزاء ولا شكراً إلا من الله تعالى.

وقد عبرت الجماعة عن ذلك بأن أنشأت الجمعيات العديدة التى تخدم البيئة والمجتمع، وكان من أهم هذه الجمعيات جمعيتان أو جماعتان.

١ - جماعة البر والخدمة الاجتماعية.

٢ - وجمعية الجوالة.

أما سائر الجمعيات فكثيرة وبخاصة الشركات الاقتصادية والصناعية والسكانية والزراعية.

- وإعداد المسلمين لخوض المعارك مع أعداء الأمة الإسلامية المحتلين لكثير من بلدان المسلمين، المتربصين بهم الدوائر، المشوهين لكل ما هو إسلامى، الذين يطلقون على الإسلام التهم جزافًا.

وذلك بإعداد القادرين على حمل السلاح وتدريبهم عليه وعلى أساليب مقاومة الأعداء، وقد ترجمت ذلك فى حربها لليهود فى فلسطين، وفى أعمالها الفدائية ضد الإنجليز فى قناة السويس.

وبعد: فتلك أبرز الحركات الإسلامية الإصلاحية التى حاولت أن تجدد مفهوم الدين عند المسلمين.

* ولابد فى مجال هذا الحديث عن الوحدة والاتحاد من الإشارة إلى أن المسلمين وهم يبحثون عن الوحدة والاتحاد، اتجهوا إلى الحضارة الغربية - بوصفها حضارة الغالب المحتل لأرضهم وديارهم - يحاولون الأخذ بها أو الأخذ منها، للخروج مما هم فيه من ضعف وتفرق، فكانوا مع هذه الحضارة الغربية فى وضع المنبهرين بها - وبخاصة أن عصر النهضة العلمية فى أوربا جعل للحضارة الغربية بريقا آخّاذًا، فبدا للمسلمين أن هذه الحضارة الغربية حلما جميلاً وحَلاً حاسمًا لمعظم مشكلات العالم الإسلامى فى عديد من أقطاره.

وقد نظر هؤلاء المصلحون إلى واقع العالم الإسلامى المتراجع حضاريًا - لأسباب كثيرة -[1]، كما نظروا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم فى العلم والفن وسائر المكتشفات فى مجالى السلم والحرب، فأحَسُّوا بهول الفارق بين واقع العالم الإسلامى وعالم الغرب، فكانوا فى الأخذ من حضارة الغرب فرقًا:

---

(١) انظر لنا كتاب: التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى المعاصر وطرق التغلب عليه - نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م ففيه تفصيل لأسباب هذا التراجع.

- فرقة رأت الأخذ المطلق من هذه الحضارة خيرها وشرها حلوها ومُرِّها، قيمها وتقنيتها دون تمييز بين التقنية والقيم، ودون بصر بما يصلح من مفردات هذه الحضارة الغربية للمسلمين وما لا يصلح.

وقد تجاهل هذا الفريق أن الحضارة الغربية عزلت الدين عن الحياة وفصلت بينه وبين الحياة لأسباب معروفة فى الغرب تتصل بالكنيسة وما صدر عنها من أعمال واستغلال للنفوذ، مما أدّى إلى الثورة على الكنيسة بل على الدين كله، وعزله عن الحياة.

ومثل هذا الاستغلال وهذا التحكم فى الناس باسم الدين، لم يحدث فى العالم الإسلامى، لأنه لا يعرف من يدعون برجال الدين الذين يحتكرون المغفرة والرحمة، ويفرضون الأتاوات، وإنما يعرف المسلمون العلماء المتخصصين فى دراسة الدين الذين يستفتون فى أمور الدين.

وأغلب هؤلاء الذين رأوا الأخذ المطلق عن الحضارة الغربية إما أن يكونوا تعلموا فى الغرب، أو تعلموا فى بلادهم فى مدارس أجنبية، أو عاشوا فى الغرب دارسين كبارا متزوجين من غربيات. هذه الفرقة يأتى فى مقدمتها:

- محمد على باشا والى مصر ثم المستقل بها عن دولة الخلافة - وهو أوربى الأصل من ألبانيا، وأوربى النشأة والمَرْبى - لذلك سهل عليه أن يدعو الخبراء الأوربين إلى مصر لتنظيم الجيش وتنظيم التعليم فى مصر، كما أوفد عددًا كبيرًا من البعثات إلى أوربا، وفرنسا بالذات، فجاءت هذه البعثات منبهرة بحضارة الغرب ودعت إلى الأخذ بها وعلى رأس هؤلاء رفاعة الطهطاوى.

وقد دفع محمد على باشا الثمن غاليًا عندما تألبت عليه أوربا ومعها فرنسا التى والاها محمد على حتى النخاع، ووجهوا حربًا ضارية ضد مصر ومحمد على سنة ١٨٤٠م بسبب أنه يقيم دولة قوية وجيشًا قويًا، رفض أن يوجهه لاحتلال الجزائر لصالح فرنسا، وقالت إنجلترا: إن دولة قوية فى مصر تمنع اتصالنا بالهند، بل بسائر ممالكنا فى الشرق الأقصى!!!

وقد واكب محمد على فى ذلك أحمد باشا «باى» تونس، الذى أوفد خير الدين إلى فرنسا، فعاد إلى تونس ينادى بما نادى به رفاعة الطهطاوى فى مصر.

- وكذلك فعل حكام إيران فى ذلك الوقت، عندما أنشأوا دار الفنون وفتحوا الباب على مصراعيه للحضارة الغربية.

- وكذلك فعلت تركيا على استحياء فى أخريات حكم الخلفاء، فلما كانت ثورة مصطفى كمال «تركيا الفتاة» ازدادت الوقاحة ضد الإسلام فألغيت الخلافة، وعطلت شعائر الإسلام، وعزل الدين عن الدولة، وأصبحت العلمانية تحل محل الإسلام، ولا تزال تركيا على هذا النمط حتى اليوم.

* وفرقة منهم رفضوا هذه الحضارة الغربية رفضًا مطلقًا، فلم يفرقوا بين قيم الحضارة وتعارضها مع القيم الإسلامية، وتقنيات هذه الحضارة على الرغم من نفعها وتيسيرها لحياة الناس.

وهذا الفريق الرافض للحضارة الغربية رفضًا مطلقًا، يبرر رفضه بما هو أعجب من الرفض نفسه، إذ يقول إنَّه سلفى لا يتحول عن السلفية بحال، وهو بذلك يذهل عن المفهوم الحقيقى للسلفية إذ ليست هى من الجمود أو التحجر فى شىء؛ فإن أسلافنا الصالحين أهل القرون الثلاثة الأولى لما فتح الله عليهم البلاد وقلوب العباد، تعاملوا مع أكبر حضارتين فى الدنيا آنذاك حضارة الفرس وحضارة الروم تعامل الناقد البصير الذى يأخذ ما ينفعه ويهجر ما يضره، وحسبنا أن عمر بن الخطاب قد دَوَّن الدواوين، ولم تكن هذه الدواوين إلا نتاج هاتين الحضارتين!!!

إنه الجهل بالسلفية والتعلق باللفظ دون معرفة المضمون والمحتوى، وكأن الحضارة الغربية أو أى حضارة أخرى حضارة كافرة، أو كأنها نتاج الغرب وحده!!!

إن الحضارة بمفهومها العلمى[1] لا يجوز أن توصف بكفر أو بإيمان، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن كل حضارة هى نتاج لمختلف الحضارات التى سبقتها، بل هى حضارة إنسانية عامة.

والذى يجب أن يتميز به المسلمون فى التعامل مع كل حضارة حتى لو كانت حضارة الأعداء أن يأخذوا منها ما لا يتعارض مع ثوابت دينهم من عقيدة وعبادة وخلق.

- ونحن بحاجة إلى فريق ثالث ينظر إلى حضارة الغرب بموضوعية ورأى متفتح يأخذ التقنيات ويدع القيم، ولا يكتفى بأخذ ثمرات الحضارة الغربية، وإنما يعمل عقله وفكره

(١) المعنى العام للحضارة هو: أنها مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى، وتتمثل فى إحراز التقدم فى ميادين الحياة والعلاقات الاجتماعية، وفى مظاهر الرُّقِىّ العلمى والفنى والأدبى، التى تنتقل فى المجتمع من جيل إلى جيل. وهى مرادفة للمدنية، وهى ضد البداوة - وانظر تعريفات كثيرة للحضارة فى كتابنا: التراجع الحضارى للعالم الإسلامى... مرجع سابق.

لينتج هذه الثمرات أو مثيلا لها أو أحسن منها - كما فعلت اليابان مثلاً - حسب منهج علمي يوصلهم إلى كل ما هم بحاجة إليه من علم وفن وتقنيات.

إن هذا الفريق هو الأمل للخروج من مأزق التعامل الانفعالي مع الحضارات عمومًا وحضارة الغرب خصوصًا، في ضوء عدد من الحقائق أهمها:

١ - أن الدولة الإسلامية الواحدة ليست شرطًا لتقدم العالم الإسلامي، ولا دليلاً على تمسكه بشريعته، وإنما الدول الإسلامية المتحدة أقرب إلى المعقول، وإلى إمكانية التطبيق.

٢ - وأن نظام الخلافة الإسلامية ليس هو النظام الأوحد المقبول في الشريعة الإسلامية، وإنما هو أحد الأنظمة التي قد تلجأ إليها بعض الدول الإسلامية إن رأت ضرورة أو فائدة لذلك.

٣ - وأنه لا يوجد في الإسلام نظام للحكم له قداسة، أو لا يجوز العدول عنه إلى سواه، وإنما الأصل في قبول أي نظام أن يحقق المصالح العامة للمسلمين، لأنه من المقرر أنه: حيث تكون المصلحة فثَمَّتَ شرع الله.

٤ - وأن الإسلام ليس عدوا لغير المسلمين، ما داموا يتعاملون مع المسلمين بغير ضرر أو ضرار، وإنما المسلمون يعادون الذين يعادونهم، وكل عدو يقدر الموقف منه بما يناسب أعماله، ومعنى ذلك أن التقسيم الحاد للحياة الدنيا بأنها داران: دار إسلام ودار كفر، إنما هو اجتهاد فقهاء في عصرٍ ما من العصور كان ملائما لظروفه، وليش شرطًا أن يصلح هذا التقسيم في كل عصر.

٥ - وأن الرفض المطلق أو القبول المطلق للحضارات أو معطياتها ليس من الإسلام؛ لما فيه من إلغاء العقل الذي يحترمه الإسلام ويدعوه للعمل في كل شيء، بل يعتبره مناط التكليف، وسبب تشريف الإنسان.

* إن هذا الفريق هو أمل المسلمين اليوم، ليعمل على بصيرة من أجل أن يحقق اتحاد المسلمين المرجو، وهذا الاتحاد ليس هو بالضرورة الذي يؤدي إلى أن تكون للمسلمين دولة عالمية واحدة - وإن كان هذا أملا في آخر المطاف عندما يرى ذلك علماء المسلمين وحكماؤهم.

ومن أجل أن يكون بين المسلمين اتحاد من النوع الممكن، فإن على علماء المسلمين

وخبرائهم أن تكون بين أيديهم بعض الحقائق التى يعملون على هديها.

ومن هذه الحقائق ما نذكره فيما يلى:

أولاً: الاعتراف بواقع العالم الإسلامى اليوم.

وهذا الواقع يتمثل فى ظواهر عديدة من أهمها:

أ ـ أن المسلمين المعاصرين ـ فى العالم الإسلامى كله ـ يعيشـون أزمة حقيقية فى أسباب الحياة التى من شأنها أن ترتفع بهم إلى مستوى راق، ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو جاهل.

وتتمثل هذه الأزمة فى نواح عديدة من أبرزها:

ـ التخلف فى مـجال الاقتـصاد، مما يعبـر عنه فى أبسط صوره عجـزه عن زرع ما يكفى احتيـاجاته فضلاً عن تصدير فـائض منه، وذلك على الرغم من رقعة واسعـة ذات خصوبة عالية ومياه كـثيرة، وأيْدٍ عاملة رخيصة الأجور نسبيًا، فـلا هو قادر على الاكتفاء الذاتى فى المزروعات، ولا هو قادر على تطوير علم الزراعة كما تفعل دول أخرى.

ـ والتخلف فى مجال الصناعة، مما يتصل منها بالحـياة المدنية، أو بصناعات الحرب وآلتها وأجهزتها ـ على الرغم من توافر المواد الأولية والأيدى الـعاملة وعدد غير قليل من العلماء المتخصصين المتميزين ـ فلا هو قادر على الاكتفاء الذاتى فيما يحتاج إليه من مصنوعات، ولا هو قادر على تطوير الصناعة لتواكب التطور الذى حققته الدول المتقدمة.

ـ والنكوص الاجتماعى ـ على الرغم من أن النظام الاجتماعى الذى جاء به الإسلام فى مجال الأسرة بل المجتمع والمجتمعات الأخرى لا يضاهيه نظام فى إنسانيته، وتكريمه للإنسان وللحياة الإنسانية ذاتها ـ وحسبـه دليلاً على ذلك ما جاء فى حسن الجوار، والوصاية بالجار والمظلوم والملهوف والمستغيث والمستجيـر والأسير، لكن العالم الإسلامى اليوم بعيد عن هذه القيم الإسلامية السامية، مبهور بقيم أخرى أبسط ما توصف به أنها غير إنسانية أحيانا.

ـ والقصور السياسى، بحيث يعيش معظم العالم الإسلامى غـير مستقل استقلالا حقيقيًا فى سيـاسته ولا فى إصدار قراره، ولا فـى ممارسة الحياة التى أمـر بها الإسلام وكرم فـيها الإنسان ودعا إلى احترام حقوقه الإنسانية كلها.

إن سياسة معظم بلدان العالم الإسلامى عـاجزة عن التخلص من نفوذ الغرب وسيطرته الاقتصادية والسيـاسية فضلاً عن سيطرته العسكرية، وعندما كان للعالم قـطبان ـ الاشتراكية فيمـا كان يعرف بالاتحاد السوفـيتى والرأسمالية الغـربية ـ كان العالم الإسـلامى معظمه تابعًا

وديعًا لاهثا وراء أحد هذين القطبين.

* وكثير من بلدان العالم الإسلامى تحكمه أنظمة سياسية ظالمة، تنتهك حقوق الإنسان عمومًا وحقوق المسلمين على وجه الخصوص، مما يجعل المجتمعات تعيش قلقا واضطرابا وانقلابات عسكرية وأخرى قبلية أو عائلية، وثالثة ذيلية تابعة للغرب، وذاك أمر يجب أن يعترف به المنصفون من المراقبين للأمور، ولكل ذلك فإن استقلال بلدان العالم الإسلامى فيه قصور وبحسبه قصوراً أن المواطن لا يعيش حرًا، ولا يستطيع أن يعبر عن إرادته السياسية فى صناديق الانتخابات، وبعض بلدانه لم تسمع عن الانتخابات واختيار مجالس تشريعية وبعضها تحكم بعائلات تتوارث الحكم من عشرات السنين، أو برؤساء يظلون رؤساء حتى يموتوا!!!

ب ـ وأن المسلمين المعاصرين أغلبهم لم يستطيعوا التوفيق بين قيم الإسلام، والقيم الوافدة أو الغازية، ولا بين شريعة الإسلام والقوانين السائدة فى المجتمع، ولا بين الفهم الصحيح للإسلام، وموقفهم من الدول المستغلة لهم المسيطرة على مقدراتهم، التى تقنن لهم الزراعة والصناعة وتحول بينهم وبين الوحدة وتمنع أن يكون لهم سوق مشترك تفضل فيه سلعهم على سلع سواهم، لتجعل منهم سوقًا لمنتجاتها المدنية والعسكرية.

إن دول العالم الإسلامى معظمها تعيش صراعًا مسلحا إما مع جيرانها أو مع أبناء وطنها، وكلها تشترى السلاح من محتكرى إنتاجه أوربا وأمريكا وإسرائيل أحيانا.

إن الغفلة بلغت ببعض حكام بلدان العالم الإسلامى أن استجابوا لهمزات الشياطين فكدسوا الأسلحة المتقدمة واعتدوا بها على جيران لهم من العرب ومن المسلمين، فاستعرت بذلك حربان فى منطقة النفط فى العالم الإسلامى «منطقة الخليج» تسع سنوات بين العراق المشئوم بحاكمه المغتر الأهوج وإيران، وثمانى سنوات بين العراق والنظام العالمى الجديد الذى جره كالسائمة إلى العدوان على الكويت، ليقوم العدو الحقيقى للمسلمين بحماية دول الخليج على حسابها بالطبع، وينشىء لنفسه قواعد جوية وبحرية وبرية فى بلدان العالم الإسلامى، ليمارس فى الحقيقة احتلالاً لها برغبتها وطلبها!!!

هذه الحروب مَنْ ضحاياها؟ ومن الذين يبيعون السلاح للمتحاربين؟ ومن الذين يتمكنون بهذه الحروب من احتلال بلدان العالم الإسلامى؟.

جـ ـ وأن المسلمين المعاصرين لهم عدو مشترك هو عدو دينهم المتربص بكل دولة تعلن أنها ستنتهج نهجًا إسلاميًا فى حكمها ليغرقها فى المشكلات الاقتصادية والسياسية والطائفية،

ويحاصرها، ويحظر الطيـران فيها، ويلفق لها التـهم، ويزعم أنها تضطهد المسيحيـين فيها، بينما هى تقتل المسلمين قـتلاً فى معارك تصطنعهـا وبوساطة دولة زرعتها فى صمـيم قلبها ـ إسرائيل ـ تقتل وتعذب وتبيد وتستولى على الأرض وتطرد شعبًا من بلده، وتتوسع كل يوم على حساب جيـرانها بحروب يؤيدها فيها الغرب معنويًا ومـاديًا، فتقتل الألوف من المسلمين دون أن تتهم بأنها تضطهد المسلمين!!!

د ـ وأن المسلمين المعاصرين فى بلدان العالم الإسلامى كله لم يسـتطيعوا أن يتفقوا على تربيـة أبنائهم تربيـة إسلامـية نابـعة من كـتاب الله تعـالى وسنة رسـوله ﷺ أى من ثوابت الإسلام عـقيدة وعـبادة وخلقًا، وإنما هم يستـوردون التربية من أعـدائهم ويرقعون بهـا ما لديهم، وتربيـة الأعداء من أهل الغـرب أو الشرق لاتـلائم المجتـمع المسلم فى أى بلد من بلدان العالم الإسلامى.

وكلما تغـيرت أهداف التـربية هناك غيـروها هنا تمامًا كما يـلازم الظل صاحبـه أو التابع متبوعه.

ومن المسلم به أن الاستعانة بوسائل التربية قد يكون فيها كبير حرج إلا فى أحيان نادرة، أما الحرج كل الحـرج ففى الاستعـانة بالقيم التربوية الغربيـة وبالأهداف التربوية، وهذا هو حـال العـالم الإسـلامى اليـوم، ولا يستـطيع أن يرفع عنهم هذا الإصْر إلا اتحـادهم بعـد وحدتهم، وتشاورهم واستشارة العلماء فـيهم لاستنباط تربية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قادرة على تربية الإنسان، لا مجرد المواطن فى وطن بعينه.

هـ ـ وأن المسلمين المعاصـرين تسود مجـتمعاتهم وتجـرى على ألسنة أبنائهم لغة غيـر لغة القرآن ـ وهى العـربية ـ مع أنَّ الصلاة الفـريضة المكررة فى اليوم خمس مـرات لا تجوز إلا بالعربية، والقرآن الكريم والسنة النبوية لا تفهم إلا بالعربية، ولا عذر لبلد مسلم مهما كانت لغته المحلية فى حرمان أبنائـه من تعلم لغة دينهم ـ إنها خطوة على طريق الوحدة ـ ولا عذر لبلد عربى فى أن لا يـجعل للغة العـربية الصدارة فى مناهج التـعليم وفى لغة الكتـابة ولغة التدريس لأى فرع من فروع المعرفة، ولا عذر لهم فى تبنى لهـجات عامية فى أجهزة الإعلام و لغة أجنبيـة فى الإعلام والإعلان والأسماء لكثـير من الشركات والمؤسسـات ـ إنها كذلك خطوة على طريق الوحدة.

ومن الأسف أنك تجد بلدان العالم الإسـلامى تسودها دائما لغة العدو الذى استـعمرها إلى جوار لغتهـا المحلية حتى فى العالم العربى نفسـه، امش واستمع إلى الناس فى شوارع

المغرب وتونس والجزائر تجد السيادة للغة الفرنسية وهى لغة التدريس فى المدارس والجامعات إلا فى قليل نادر. وامش فى شوارع دول الخليج واستمع إلى الناس تجد السيادة للغة الإنجليزية لغة المستعمر، وهكذا السودان والصومال وكل البلاد العربية إلا من رحم ربى، وما رحم ربى منها إلا القليل.

واللغة كما نعرف هى وعاء الفكر، فإذا أُقصِيَتْ لغة القرآن أُقْصِيَ القرآن، وحقق العدو بذلك أكبر أهدافه فهم يعلمون ويصرحون أنه لا قضاء على المسلمين إلا بعزل لغة القرآن، وقد صرح بذلك عدد من المستعمرين وعدد من المبشرين وعدد من المستشرقين.

وللأعداء فى ذلك خطة محكمة تبدأ بتعليم اللغات الأجنبية لأبناء المسلمين فى المدارس وهم صغار فيتعلمون معها عادات الغرب وقيمه وهى بلا شك مغايرة لقيم الإسلام، ثم يستمر فرض اللغة الأجنبية فى الوظائف، وفى الشركات، ويميز من يجيد لغة أجنبية عن غيره، مما أدى فى وقتنا هذا إلى انتشار مدارس اللغات الأجنبية فى بلدان العالم العربى والعالم الإسلامى، ومما حدا بالناس إلى توجيه أبنائهم إلى تلك المدارس لما يحظى به من يجيد لغة أجنبية من مكانة وراتب شهرى كبير!!!

وتستمر خطة سيادة اللغات الأجنبية على اللغة العربية حتى تدخل على الناس بيوتهم فى أجهزة الإعلام، وفى المسلسلات الأجنبية لغة وقيمًا، حتى يصبح العربى غربيًا فى بلده العربى، وحتى يصبح المسلم مواليًا لفكر الغرب وثقافته، وهذا هو هدف أعداء الإسلام.

و ـ وأن المسلمين المعاصرين قد تعلم بعضهم العنف والعقوق والأنانية والإسراف فى تقدير الذات، والتهالك على ممارسة الشهوات بحجة أنها حرية شخصية، لأنهم أخذوا عن حضارة الغرب التى تزرع القلق والاضطراب، وتضع الأسرة فى آخر اهتماماتها، وتهمل عن عمد القيم الخلقية الفاضلة، بل تعدها رذيلة حينا، وتخلفا وجمودًا فى كثير من الأحيان.

* وكل ذلك من مظاهر عجز المسلمين عن التوفيق بين حضارتهم والحضارات الوافدة التى تريد بهم الشر والتفلت من الإسلام وقيمه، ولغته وفكره وثقافته.

لابد من الاعتراف بهذا الواقع للعالم الإسلامى اليوم، لبداية الإصلاح.

ثانيـًا:

وضع بعض الحقائق الهامة نصب العين والأذن.

ومن أهم هذه الحقائق ما نشير إليه فيما يلي:

أ ـ العمل الجاد الدءوب على إزالة أسباب الجفوة بين المسلمين، أو حكام المسلمين، لأن هذه الجفوة تدمر الوحدة وتحول بين الأمة الإسلامية وبين الاتحاد عشرات السنين، مع إدراك أن هذه الجفوة مصطنعة، وأن الأعداء هم الذين يغرون بهـا بما ينفث مستشاروهم من سموم لدى حكام الأوطان الإسلامية ضد الحكام الآخرين.

يفعل المستشارون هذا ويتقاضون عليه أكبر الأجور!!!

كأننا نعطيهم أجرًا على تفريق وحدتنا وإذهاب قوتنا، وتحقيق أهدافهم فينا!!!

إنه دهاء الغرب ومكر اليهود منهم، وغفلة كثيـر من حكام المسلمين، ومتعلميهم وكتابهم وأجهزة إعلامهم!!!

ب ـ والاعتزاز بالإسـلام منهجًا ونظامًا، لأن فيه كل أسـباب النهضة وجمـيع شروطها، وكـثيـرًا من أدواتهـا، إذ هو دعوة إلى تعـمـير الكون كله، وإلى تحـرير العـقل من الوهم والخـرافة، وإلى وجـوب السيـر فى الأرض وأخذ الـعبـرة والعظة من سيـر الأولين، وأن التمسك بالثوابت منه عقيدة وعـبادة وخلقًا هو القدر الواجب الذى لا مفر منه بحال، وهو فى الوقت نفسه جانب الأصالة التى يجب أن يعتز بها المسلم.

وأن ما عدا الثوابت فى الإسلام يجتهد فيها علماء المسلمين ما وسعهم الاجتهاد ويعملون فيها عـقولهم فيواكبون بذلك كل مـا ينفعهم من الحداثة والمعاصرة، مقـرين بما يأتى به تغير الزمان والمكان والظروف من مستجدات.

جـ ـ وأنه لا عداء بحال بين العـقل والشرع، ولا تناقض بينهما مـهما كثرت المتـغيرات، لأن الأسس التى قامت عليها شريعة تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وما تحتاج إلا إلى من يفقهون ويطبقون الشـريعة على الحياة، ويجتهدون فيما يحتـاج إلى اجتهاد، وذلك لأن فقه التشريع الإسلامى يجب أن يدور به الفقيه مع مصـالح المسلمين، فالأسلاف قالوا: «حيثما تكون المصلحـة فثَمَّتَ شـرع الله» ويكمل هذا قولهم: «إن منع الـضرر ودفعـه مقـدم على جلب المنفـعة» وفى هذا المجـال من المرونة والسـعة يسـتطيع علمـاء المسلمين أن يتمـسكوا بالشريعة الإسلامية، وأن يواكبوا أحدث المستجدات.

فالعقل يعمل بل يجب أن يعمل فيما لا نص فيه يفيد القطع، فهذا أصل من الأصول الكبيرة فى الإسلام.

د - وأن الإسلام يحترم العقل والتفكير بل يعتبر التفكير إحدى فرائضه، وعلى العقل أن يكون فى خدمة الإنسان وفى التفكير فى كل ما من شأنه أن يكرم الإنسان من علم وفن وابتكار، لأن الإسلام يرفض أن تعمى العقول أو القلوب فتنغلق متجمدة على اجتهادات من سبقوا من المجتهدين، وإخصائيها هذا العمى عندما تتعطل وترفض التفكير والسير فى الأرض لأخذ العبرة من الماضى لخدمة الحاضر، وقد نعى الله على أولئك الذين يعطلون عقولهم فى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وليس أكبر من هذه الآية دعوة إلى السير فى الأرض وأخذ العبرة، وإعمال العقل، ومن لم يفعل فإنه أعمى العقل!!!

هـ - وأن الإسلام ما دام قادراً - على الرغم من كيد أعدائه له - على جمع المسلمين فى الصلاة نحو قبلة واحدة، وفى الصوم على شهر واحد، وفى الزكاة على نصاب واحد وعلى مصارف واحدة، وفى الحج على مناسك واحدة، وفى الدعوة إلى الله على وجوبها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

ما دام الإسلام قادراً على ذلك وهو بفضل من الله قادر عليه إلى يوم الدين، فإنه قادر على جمع المسلمين بالأخوة فى الله، فالوحدة، ثم الاتحاد الذى يزيل عنهم كل أسباب الضعف، وعوامل الانهزام، ومبررات التراجع الحضارى؛ لأنه كل شروط النهضة من الكبوة، واليقظة من الغفوة موجودة فى الإسلام لا تفارقه أبدًا، يفهم هذا من قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر] ففى هذه السورة وحدها الكفاية حتى قال الإمام الشافعى رحمه الله: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم».

وكيف لاتسعهم هذه السورة وتحقق لهم كل ما يصبون إليه؟ وهى تستثنى من جنس الإنسان الذى يعيش خسرانًا، من اتصف بصفات أربعة هى:

الإيمان: بكل أركانه.

والعمل الصالح، وهو ترجمة للإيمان وهو شعب الإيمان جميعًا .

والتواصى بالحق، وهو الدعوة إلى الله إلى الخير.

والتواصى بالصبر، وهو الصبر على ما يتعرض له من أذى وهو يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وهل تكون نهضة للإنسانية أشمل وأعمق من أن يسود المجتمع البشرى إيمان وعمل صالح وتواصٍ بالحق وتواصٍ بالصبر؟.

و ـ وأن هذا الاتحاد المرجو من المسلمين يجب أن تسبقه بعد الوحدة خطوات لابد منها، ومن أهم هذه الخطوات:

ـ تبادل الخبرات والتجارب بين أقطار العالم الإسلامى، عن طريق شبكة معلومات ـ وهى ميسرة الآن عن أى وقت مضى ـ بحيث تحاط بلدان العالم الإسلامى علما بما وصلت إليه الأقطار الأخرى الأكثر تقدمًا فى أى مجال من مجالات العلم والمعرفة.

ويمكن أن يصحب ذلك سجل يشتمل على سير المبرزين من علماء المسلمين، وعلى ما وصلوا إليه من علم فى مجال تخصصهم.

ويمكن أن يلحق بذلك سجل بالبحوث العلمية التى أنجزت فى مختلف فروع العلم، وسجل بالموضوعات التى يرغب فى البحث العلمى فيها.

وكل ذلك لاختصار الوقت والمحافظة على الجهود خشية أن تضيع فى بحث ما بُحث فعلا، وإنما يكون البحث العلمى فى الخطوة التى تلى ما انتهى إليه الباحث السابق ـ وتلك ضرورة فى منهج البحث العلمى(١) ـ وهى التراكمية ـ التى تؤدى إلى تطور البحث العلمى، تطورًا يلائم ظروف الزمان والمكان والواقع الإسلامى المعاصر.

* هذه الحقائق الهامة يجب أن تكون نصب أعين المسلمين اليوم وهم يسعون إلى اتحاد، أو إلى ما يؤدى إلى الاتحاد الذى سبقته الوحدة التى سبقتها الأخوة فى الله تعالى التى تربط بين قلوب المؤمنين برباط العقيدة وهو أوثق الروابط وأغلاها.

---

(١) أحب أن أذكر بأن خطوات المنهج العلمى التى تعارف عليها أكثر العلماء هى: التراكمية، والتنظيم، والتعليل والبحث عن الأسباب، والشمولية واليقين، والدقة، والتجربة...

ثالثاً:

الاتفاق على أن العمل من أجل الإسلام ليس حكراً على أحد:

هذه النقطة لها أهمية قصوى فى حياة المسلمين فى هذا العصر حتى لا يقع بينهم خلاف على ما لا يجوز الخلاف فيه.

ومعنى ذلك أن التفكير فى الوحدة أو الاتحاد أو أى تصور يخرج المسلمين اليوم مما هم فيه من تراجع حضارى، وتبعية منظورة أو غير منظورة، يجب أن يكون من حق كل قادر عليه من المسلمين، بل من واجبه.

ومعنى ذلك أيضًا أن هذا التفكير فى تغيير واقع المسلمين لا يقوم به فرد أو أفراد أو جماعة أو جمعية مهما أوتوا من مكانة بين إخوانهم فى الإسلام، وإنما يجب أن يكون ذلك من كل من ينتمون إلى الإسلام من أهل العلم والخبرة، وأن تجمعهم الرغبة فى نقل المسلمين من العجز والضعف والتبعية، إلى القدرة والإرادة والقوة والنهضة والتقدم.

إن هذا التفكير حق لكل من انتمى إلى الإسلام، وأخلص لله فى علمه وعمله وابتغى بذلك وجه الله.

إن هؤلاء العاملين من أجل هذا الهدف الكبير يجب أن يبتعدوا عن النفاق والتظاهر والشعارات الجوفاء، فكل هذه الآفات تصرف عن العمل الصحيح وعن التفكير المستقيم وعن الوصول إلى الهدف.

ونقول للمتفائلين والحالمين أحلامًا وردية بمستقبل هذا الدين: إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، فلابد من التفكير الجماعى المنظم، ولابد من العمل المشترك، ولابد من استصحاب واقع المسلمين فى كل خطوة من خطوات وحدة المسلمين واتحادهم.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وبعـــد:

فإذا كانت الأخوة فى الله تفضى إلى الوحدة بين المسلمين، والوحدة تقرب من الاتحاد، فإن هذه الأخوة فى الله التى هى القاعدة تحتاج إلى غذاء يمدها بأسباب القوة والحياة. وهذا الغذاء هو الحب فى الله.

فماذا لهذا الحب من أثر فى الأخوة فى الله تعالى؟.

هذا ما نرجو أن توضحه فى الموضوع الرابع الأخير من هذا الفصل الأول من الباب الثانى من هذا الكتاب، والله تعالى يوفق ويعين.

٤ - الحب فى الله وأثره فى الأخوة فى الدين

يقول الإمام البنا عن الحب فى الله: «وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الإيثار» ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أوضحنا فيما سلف من هذا الفصل أن الأخوة فى الدين - إذا روعيت حقوقها وواجباتها - تؤدى من غير شك إلى الوحدة بين المسلمين، فهذه الأخوة رافد قوى لهذه الوحدة المنشودة.

وهناك رافد آخر لهذه الوحدة بين المسلمين هو الحب فى الله تعالى؛ إذ لا تُتصور وحدة بين المسلمين بغير حب يجمع بين أفرادهم، ويعطف قلوب بعضهم على بعض، وينقلهم إلى وحدة الفكر فوحدة الكلمة فوحدة الصف فى مواجهة أعدائهم.

* والحب فى الله أى من أجله سبحانه وتعالى، يعنى أن يحب الأخ أخاه إذا وجده حيث أمره الله تعالى.

* وفى المعنى العام للحب أو المحبة قيل:

- أحببت فلانا: جعلت قلبى معرضًا لحبه.

- والحب: الميل، وأحبه أظهر الود نحوه، وهو ميل إلى الأشخاص أصلا، وقد يكون لغير الأشخاص كالمبادئ والقيم والأشياء؛ بشرط أن تكون عزيزة على المحب أو نافعة له.

- وأصل المحبة: وجود تعظيم فى القلب يمنع الانقياد لغير المحبوب، وهذا التعظيم يُعد - عند التدقيق - أثرًا من آثار المحبة، لا المحبة نفسها، لأن المحبة هى التى توجب تعظيم المحبوب، وتوحى بعدم الانقياد لغيره.

على أن المحبة قد تكون بغير تعظيم للمحبوب، كما أن التعظيم لشخص قد يكون بغير محبته.

*** والمحبة قسمان كبيران:**

الأول: محبة لمحبوب لا يجوز أن يشاركه فيها محبوب آخر، وهى محبة الله تعالى.

والآخر: محبة لمحبوب يمكن أن يشاركه فيها محبوب آخر أو أكثر، وهى محبة مشتركة.

- أمَّا محبة الله تعالى فهى له وحده لا يشاركه فيها غيره، فإن شاركه غيره كانت شِركًا به سبحانه وتعالى.

وتلك هى المحبة التى تستلزم التعظيم والإجلال بل العبادة.

- وأما المحبة المشتركة فهى طبيعية بحكم خلقة الإنسان وفطرته التى فطره الله عليها.

وهذه المحبة أنواع ثلاثة:

أحدها: حب فطرى كحب الجائع للطعام والظمآن للماء، وهذه لا تستلزم التعظيم.

والثانى: حب فطرى أيضًا وهو رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الصغير، وهى كتلك لا تستلزم التعظيم.

والثالث: حب تمليه النزعة الاجتماعية فى الإنسان، وهو حب الأنس والألفة، كحب من يشتركون فى صناعة واحدة أو تجارة أو نحوها، كعلم، أو سفر، أو مرافقة، وهى مثل السابقتين لا تقتضى تعظيمًا للمحبوب.

* وهذه الأنواع الثلاثة من الحب تصلح للناس بعضهم مع بعض بل هى ضرورية لا يستقيم شأن الحياة الإنسانية إلا بها، ووجود هذا الحب بين الناس مطلب شرعى ما دامت حياتهم تحتاج إليه، وهذا الحب كله لا يتضمن شركا بالله تعالى فى محبة سواه، وذلك أن الحب الخاص الذى لا يصلح إلا لله وحده والذى يتضمن التعظيم والإجلال هو حب العبودية لله والخضوع لمنهجه ونظامه وكمال طاعته، وإيثاره على غيره؛ فهذا الحب لا يجوز تعلقه بغير الله تعالى أصلاً.

* وهذا الحب لله تعالى هو الهدف وهو المقصود من الخلق والمراد من الأمر الصادر منه سبحانه وتعالى لخلقه.

- وهذا الحب لله تعالى هو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو صلب ما تضمنته الكتب التى جاءت من عند الله تعالى، وهو أول ما يدخل به الإنسان فى دين الله ونظامه.

- وهذا الحب ينبغى أن يكون آخر كلام المؤمن وهو يموت، فإذا مات عليه دخل الجنة.

- وجميع الأعمال التى يقوم بها الإنسان فى حياته الدنيا من قول وصمت وفعلٍ وترك إنما هى كالأدوات والآلات التى تعبر عن هذا الحب وتؤدى إليه.

- بل جميع المقامات التى يقوم فيها الإنسان لربه - والقيام هو: الاستيقاظ من نوم الغفلة والنهوض عن سِنَةِ الفترة عند الأخذ فى السير إلى الله، أما المقام فهو ما يتوصل به إلى الله بنوع تصوف والتزام بتكليف الله، وكل إنسان فى هذه المقامات فى المكان الذى وضع فيه نفسه - جميع هذه المقامات إنما هى من الوسائل إلى محبة الله تعالى، ومن الأسباب التى تؤدى إلى تحصيلها؛ لأن محبة الله هى روح الإيمان وجوهر الإسلام وحقيقته، بل هذه المحبة هى التى أرسل من أجلها الرسل وأنزل الكتب وأنزل الميزان، وأنزل الحديد؛ وبيان ذلك: أن الرسل يبلغون عن الله منهجه ونظامه، والكتب تشتمل على هذا المنهج وتهدى إليه، والميزان ليفرق الناس به بين حب الله وحب الناس، وبين الحق والباطل، والضلال والهدى، والحديد للتعامل به - وهو رمز القوة - مع مَنْ خرج عن حب الله والإيمان به وحده والتلقى عنه دون سواه؛ يتضح ذلك كله فى آية قرآنية واحدة هى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

* وأما الحب فى الله تعالى فى مجال الأخوة فى الدين، فالأصل فيه أن يكون حبًا لمن التزم بأمر الله فامتثل، وبنهيه فاجتنب، أى لمن كان طائعًا لله، والطاعة عز يضفيه الله على من شاء من عباده فيقبل عليه الناس بالحب والمودة، بعد أن أحب الله صاحبها، وأمر جبريل أن ينادى فى السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه، ثم يحبه أهل الدنيا لما نال من رتبة عند الله.

- وحب الأخ لأخيه فى الله المحبوب على طاعة الله لأنه يجنى ثمرتها الحلوة فى الدنيا إقبالاً من الناس عليه وتوددًا إليه، ورغبة فى صحبته، وفى قضاء حاجاته، والقيام نحوه بكل واجبات الأخوة فى الله وهى كثيرة وعظيمة النفع فى الدنيا والآخرة.

- ولا يكمل هذا الحب فى الله ويؤدى وظيفته الأصلية - وهى التشجيع على الطاعة والاستقامة على منهج الله وصراطه المستقيم - إلا إذا سانده بُغض فى الله أيضًا، لكل من كان حيث نهاه الله من العصاة والمرتكبين، إذ لهذا البغض فى الله وظيفة مكملة لوظيفة الحب فى الله، وهى محاصرة المعاصى والعصاة فى نطاق البغض والنبذ والإهمال، لكى يفكر الواحد منهم مراتٍ ومراتٍ قبل أن يرتكب المعصية حتى لا يكون فى المجتمع المسلم

فى موضع النبذ والكراهية.

ـ ومن المهم هنا أن أنبه إلى أن البـغض فى الله لمن كان حيث نهاه الله لا يعنى المـقاطعة والهجر غير الجـميل ، فضلاً عن العداوة والمحاربة ، كما يفـعل الذين لا يفقهون، وإنما هو بغض أو نبذ موظَّف موقوت، لعل هذا المبغَض المنبوذ يثوب إلى رشده ويعود إلى ربه، فإن عـاد عـاد الحب ليطرد البـغض، وعـاد الود ليطرد الـنبذ، وتـلك سنة الدعـوة إلى الله فى المدعوين جميعًا، حتى أهل الشرك والكفر يُدعون ولا يقاطَعون.

* وإنما كان ذلك هو الأصل فى الحب فى الله والبغض فيه، لما رواه أبو داود بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله».

ولما رواه أيضًا بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

ومعنى ذلك أن الإيمان لـيس هو مجرد النطق بالشـهادتين أى الإيمان بالله، وليس مـجرد الإيمان بالملائكة والكتب والرسل عليهم الصلاة والسلام واليـوم الآخر والقدر خيره وشره، فـهذا ليس بـالإيمان الكامل، وإنما يسـتكمل الإيمان بالحب لله، والبـغض لله، والإعطاء لله والمنع لله، وكل سلوك للإنسـان إنما يكون مـعه حب أو بـغض، ومعـه إعطاء أو منع، ولا يوجد من الناس من يتجرد من ذلك أبدًا.

* وعند التدبر فى كلمـات هذين الحديثين الشريفين ـ ولابد لنا أن نتدبـر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ تستبين لنا حقائق كثيرة فى مجال الأخوة فى الله والحب فيه والبغض من أجله ومن هذه الحقائق ما يلى:

١ ـ أن الحب فى الله والبغض فى الله عمل يتقرب به المؤمن إلى ربه. بل هو من أفضل القربات إلى الله وأحسن الأعمال وأفضل الطاعات.

٢ ـ وأن الميزان الصحـيح والمعيار الدقيق فى العـلاقة بين الإخوة فى الله هو: حبٌ من وُجد حيث أمـره الله، وبغض من وجد حيث نهاه الله، وترك أى موازين أو مـعايير أخرى للحب والبغض، حتى لو كانت بسبب القربى أو الجيرة أو الضيافة.

٣ ـ وأن الحب فى الله يرغِّب المؤمن فى فعل الخـير، وفى الطاعة، بل فى الالتـزام بأمر الله ونهيه، وكل ذلك يثرى المجـتمع بتوسيع رقعة الخير فيـه، وتقديم خدمات جليلة

بهذا الحب للمجتمع كله، وما ظننا بمجتمع يمارس أفراده طاعة الله حتى يكون كل واحد فيه موضع حب إخوانه فى المجتمع؟ وكالحب فى الله الإعطاء لله.

٤ - وأن البغض فى الله ينفر كل عاص من المعصية، ويباعد بينه وبين الخطايا والمآثم، وكل ذلك ينقى المجتمع من بقع الإثم والمعصية فيه، ويحول بين الناس وبين أن توجه إليهم معصية العاصى، إذ كل معصية تعود بالضرر على العاصى أولاً وعلى المجتمع بعد ذلك، إن العاصى يحاول ما وسعه ألا يكون فى دائرة بغض الناس له، وكالبغض فى الله المنع من أجله.

٥ - وأن المسلم فى المجتمع لا يجوز له أن يعيش فيه مغلق القلب متبلد الشعور، مفرغًا أحاسيسه من الحب أو البغض ومن الإعطاء أو المنع، وإنما يجب عليه أن ينفعل بأحداث المجتمع وبأعمال الناس، فيحب أو يكره، ويعطى أو يمنع، كل ذلك لله تعالى.

٦ - وأن الأخوة فى الدين يدعمها الحب فى الله والإعطاء لله، وأنها بغير الحب لا تكون، بل الإيمان نفسه بغير الحب لا يكون صحيحًا أو كاملاً، وأن هذه الأخوة تتأثر سلبًا بالبغض فى الله والمنع من أجله، إذ لابد من البغض والمنع لكل من حادّ الله فأوجد نفسه حيث ينهى الله، فهذا الحب وذاك البغض وهذا الإعطاء وذاك المنع إذا كان لله دعم الأخوة فى الدين وقوَّى أواصرها، وجعلها أساسًا لأفراد المجتمع المسلم.

٧ - وإن المجتمع المسلم الذى يوجد فيه الحب فى الله والإعطاء من أجله مجتمع تكثر فيه الفضائل، ويعم فيه نفع الناس بعضهم بعضا، ولذلك يتقلص فيه عدد المحتاجين من العجزة والعاطلين واليتامى والأرامل والمساكين، إنه بالحب مجتمع المرحمة، وإنه مجتمع المتآخين فى الله المتعاونين على البر والتقوى.

كما أن المجتمع الذى يوجد فيه البغض فى الله والمنع من أجل الله، مجتمع تقل فيه الرذائل والشرور، ويقل فيه عدد الناس الذين يصيبهم ضرر العصاة والمرتكبين، إنه بهذا البغض والمنع مجتمع الخوف من المعاصى والخوف من العصاة والنذر.

* إن المجتمع المسلم لا يستطيع أن يؤدى وظائفه التى أهمها أن يكفل للناس الأمن والطمأنينة، ويوفر لكل فرد فيه فرصة ممارسته لكل حقوقه دون انتقاص، ويلزمه بأداء واجباته نحو نفسه ونحو أهله ونحو جيرانه ونحو الناس أجمعين.

وما يعين المجتمع المسلم على ذلك مثل أن يسود فيه الحب فى الله والإعطاء من أجله، وأن يُعرف فيه البغض فى الله والمنع من أجله.

وبعـــد:

فهذه الحقائق التى اهتدينا إليها فى ضوء هذين الحديثين الشريفين هى علامات واضحة للمؤمنين فى الطريق إلى الله وإلى الحق وإلى الطريق المستقيم، بل إلى التمكين لدين الله فى عباد الله، فإذا تمكن هذا الدين فى الأرض فقد ودَّع الناس القلق والخوف والظلم والجور، وعاشوا فى نور الكتاب والسنة إخوة متحابين فى الله متعاونين على البر والتقوى.

فما هذا الحب الذى يؤثر فى الأخوة فى الدين هذا التأثير؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تقتضينا أن نتحدث عن نقطتين هامتين فى هذا الحب فى الله، هما:

أ ـ مراتب هذا الحب فى الله.

ب ـ وجزاء هذا الحب فى الدنيا والآخرة.

وبذلك نختم هذه الفصل الأول من الباب الثانى من الكتاب والله سبحانه المستعان.

أ ـ مراتب الحب فى الله

نحاول فى هذه النقطة أن نبين مراتب الحب فى الله ونرسم حدوده ونوضح أبعاده، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً إذا أذن الله.

ـ الأصل فى الحب عند المؤمنين أن يكون متجهًا إلى الله تعالى، فحب المؤمن لله غاية قصوى لا غاية وراءها، وهى أشرف غاية وأنبلها وأكثرها نفعًا للمؤمن فى دنياه وأخراه.

ـ وحب المؤمن لربه علامة على إيمانه، ودليل على تذوقه لحلاوة الإيمان، فقد روى مسلم بسنده عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ـ عم النبى ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً».

ـ وحب المؤمن لله لا ينبغى أن يساويه حب لأحد حتى لو كان أباه أو ابنه أو زوجه أو عشيرته، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والمعنى أن بعض الناس حاشا المؤمنين يتخذون من دون الله أندادًا يحبونهم كحبهم لله أى يسوون فى حب هؤلاء الأنداد بينهم وبين الله!!! ثم نفى هذه التسوية لحب الله وأى حب عن المؤمنين فهم أشد حبًا لله إذا أخلصوا فى حبه ولم يشركوا معه غيره، أما المشركون فلم يخلصوا هذا الحب لله.

ـ وليس بمؤمن من لم يكن حبه لله تعالى خالصًا وأشد وأقوى من حبه لأى أحد ولأى شىء، إذ حبُّ المؤمن لربه واجب شرعى، فقد روى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله إيَّاى» ومعلوم أن نعم الله تعالى لا تحصى ولا يستطيع أحد لها عدًا.

ـ وحب الله تعالى يستوجب حب رسول الله الخاتم ﷺ؛ لأن المؤمن ما عرف الله إلا عن طريق رسول الله ﷺ، فهو الذى بلَّغ عنه وهو الذى تلا علينا فى القرآن الكريم ما جاء فى ذات الله وصفاته وأسمائه الحسنى، فلا يؤمن أحد بالله حتى يحب محمدًا ﷺ، بل يكون حب الله ورسوله لديه أشد من أى حب، حتى حب النفس.

فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وفى رواية لمسلم بسنده عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين».

ـ وليس حب الله دعوى تنطق بها الشفاه، وإنما له علامات ودلائل، وبراهين وشواهد، فقد قال سهل بن عبد الله بن يونس التسترى[1]: «علامة حب الله تعالى حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبى ﷺ، وعلامة حب النبى حب السنَّة، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبى وحب السنَّة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلاَّ الزَّاد والبُلغة».

* وغاية الغايات عند كل مؤمن يحب الله ورسوله، أن يحظى بحب الله تعالى إيَّاه، فمن حظى بحب الله تعالى له فقد فاز فى الدنيا وفى الآخرة، أما فوزه فى الدنيا فلأن الله سيحبب فيه أهل الأرض، وأما فوزه فى الآخرة فهو الجنة.

ـ والإخلاص فى حب الله ورسوله كان وما يزال سببا فى حب الله لعبده المؤمن الصالح الذى أخلص حبه لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]. قال المفسرون: وُدًّا: أى حبا فى قلوب عباده، فقد روى الترمذى بسنده من حديث سعد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إنى قد أحببت فلانًا فأحبَّه، فينادى جبريل فى السماء، ثم تنزل المحبه فى أهل الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إنى أبغض فلاناً، فينادى فى السماء، ثم تنزل له البغضاء فى الأرض».

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وخرجه البخارى ومسلم بمعناه، وكذلك خرجه مالك فى «المُوَطَّأ».

ـ وفى الدنيا أشياء كثيرة يحبها الإنسان بالفطرة التى فطره الله عليها وهذه الأشياء لا حرج فى حبها لكن الحرج كل الحرج فى أن ينسيه حبها حب الله ورسوله وكتابه واليوم الآخر.

---

(١) هو أحد أئمة الصوفية، وعلمائهم، وله جهود فى علوم الإخلاص وعلوم الرياضيات، وعيوب الأفعال، وله تفسير للقرآن الكريم مختصر ـ مطبوع ـ وله كتاب: «رقائق المحبين» وغيرها ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفى سنة ٢٨٣هـ.

وهذه الأشياء المحبوبة بالفطرة - كما جاء فى القرآن الكريم - هى: النساء والبنون والمال والقوة والأنعام والحرث، ولكنهـا جميعًا متاع الحياة الدنيـا، يجب أن تُحب بغير إسراف فى حبها، وبغير زهد يحرم الإنسان منها؛ فهى من الطيبات التى أحلها الله، لكن حبـها مقترن بشروط ليكون حبًا لا يردى صاحبه، ومن هذه الشروط:

* ألا يساوى حب الإنسان إياها حبه لله تعالى ورسوله، لأن حب الله ورسوله أنفع للإنسان من حبها، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

- وحب الله تعالى لعبده المؤمن له أسباب كثيرة؛ على رأسها الإيمان والعمل الصالح وطاعة الله ورسوله وحب المسلمين، بل حب الناس جميعًا، والرغبة فى تقديم الخير إليهم، لأن الناس جميعًا أهل لأن توجه إليهم دعوة الله، وهم أهل كذلك - بحكم إنسانيتهم - أن يقدم الخير لهم ويصرف الشر عنهم.

ومن هذه الأسباب التى يحب الله من أجلهـا عبده المؤمن؛ أن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه، وما يحب الإنسان لنفسه إلاَّ الخير، وقد جعل الإسلام من شروط إيمان المؤمن حبه للخير لغيره كما يحبه لنفسه - وتلك من أعظم الأسس التربوية فى بناء شخصية الإنسان المؤمن بناء صحيحا إيجابيًا قادرا على نفع المجتمع الذى يعيش فيه - فقد روى البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وفى رواية: «لجاره» وهى أوسع فى وجوب بذل الحب والخير للناس أجمعين.

وبعد: فإن الحب لله وفى الله واجب - كما أوضحنا ذلك بنصوص من الكتاب والسنة -وهذا الحب- شأنه كشأن كل عاطفة من عواطف الإنسان وشعور من مشاعره - يزيد أو ينقص، فلابد إذن أن تكون للحب درجات ومراتب تبدأ من سلامة الصدر، وتنتهى إلى الإيثار.

فما مراتب الحب فى الله؟

إنها مراتب كثيرة عند التأمل والتدبر وهى وإن بدأت بسلامة الصدر وانتهت إلى الإيثار إلا أن بين هاتين المرتبتين عددًا من المراتب نشير إليها إجمالاً - فيما فتح الله به - فيما يلى:

١ ـ سلامة الصدر، ـ وسنشرحه بالتفصيل بعد ذلك العَرْض.

٢ ـ وحب لقاء إخوانه المؤمنين وأنسهم والائتناس بهم، حتى لا يترك أحد إخوانه منفردًا وحيدًا، فيؤانسه الذئب أى الشيطان وحسبك شرا بهذا الأنيس، فمن كمال إيمان المؤمن أن يحب لقاء أخيه وأن يأتنس به ويأنس إليه فهو بفضل الله الجليس الصالح حامل المسْك فلابد منه لما فيه من نفع فهو إما أن يعطيك أو أن تبتاع منه أو تجد منه ريحًا طيبًا. وكل من الأخوَين فى الله كحامل المسك بالنسبة لأخيه.

٣ ـ والثقة فيه ما دام مؤمنا يعمل الصالحات، فالرسول ﷺ شبهه بالنحلة التى لا تأكل إلا طيبًا ولا تضع إلا طيبًا، وشبهه بسبيكة الذهب التى تصفو بالنفخ فيها ولا تنقص مهما تعرضت لنار المحنة أو الفتنة ومهما اشتد النفخ فى النار التى تصهرها، روى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ المؤمن مَثَلُ النَّحْلة، إن أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب، إن نفخت عليها احمرَّتْ وإن وُزِنَتْ لا تَنقص»**.

٤ ـ وحب الخير لأخيه المسلم وللناس جميعًا فهى مرتبة من مراتب الحب فى الله، والأصل فى المؤمن أن يكون مفتاحا للخير، ليحظى برضا الله تبارك وتعالى، الخير لأخيه المؤمن والخير للناس جميعًا، بنقل العاصى منهم إلى الطاعة، والضال منهم إلى الهدى، وتقديم الخير لهم فى كل مجال ينفعهم فى دينهم ودنياهم.

٥ ـ وحب دفع الشر عن أخيه المسلم وعن الناس عامة، لأن الأصل فى المؤمن أن يكون مغلاقًا لكل شر، حتى ينال رضا الله تعالى، وهى مرتبة من مراتب الحب فى الله.

أما العجب العجاب فمن أناس يوقعون الناس فى الشر، متجاهلين أن ذلك من الجُرْم الكبير الذى يستحق صاحبه العذاب العظيم.

٦ ـ والرغبة فى التعاون مع أخيه على فعل الخير ـ وسوف نشرح هذه المرتبة بتفصيل بعد قليل.

٧ ـ ورغبه المؤمن فى أن يشاركه أخوه فى أى خير يناله، فذلك خُلُق المؤمن لا يستأثر بالخير دون إخوانه، ولا دون الناس جميعًا، سواء أكان هذا الخير معنويًا أم ماديًا، فتلك مرتبة من مراتب الحب فى الله تعالى.

٨ ـ والرغبة فى قضاء حاجات أخيه المؤمن ـ وسوف نشرح ذلك بتفصيل بعد ذلك.

٩ ـ وتحبيبه فى قضاء حاجات الناس، إذ الأصل أن الناس جميعًا يجمعهم أصل واحد، تعطف بعضهم على بعض رحم واحدة، وقضاء حاجاتهم من مراتب الحب التى يجزى الله عليها أحسن الجزاء، وما دام الناس جميعًا عباد لله، فإن كافرهم قد يدخل فى الإيمان، وعاصيهم قد ينتقل إلى الطاعة، وقضاء حاجات هذا وذاك مما يرضى الله تعالى، وتلك مرتبة من مراتب الحب فى الله ما يشك فى ذلك فاهم للإسلام أهدافه وأبعاده ودعوته إلى الحق والهدى.

١٠ ـ وتحبيبه فى دفع الشر عن الناس جميعًا، وعن المؤمنين منهم على وجه الخصوص، فذلك أصل من أصول شريعة الإسلام وهو دفع الضرر عمومًا، إذ تلك وظيفة المؤمن وأداؤها يدل على مرتبة من مراتب حب الناس عموما وحب المؤمنين على وجه الخصوص.

١١ ـ والتعاون معه على دفع الشر وإماطة الأذى ورد العدوان ومقاومة الظلم، وعظة الأشرار والمعتدين والظالمين، والمضللين، فهذا من صميم أعمال الدعوة إلى الله تعالى التى لها عند الله أجزل الأجر وأعظم الثواب.

١٢ ـ والإيثار ـ وهو أعلى مراتب الحب فى الله ـ وسوف نفصل القول فيه بإذن الله تعالى بعد تفصيل بعض مراتب الحب ـ كما أشرنا إلى ذلك.

وبعد : فإن مراتب الحب فى الله أكثر من ذلك بكثير، ولكن هذا ما فتح الله به، ونرجو أن يكون فيه مقنع ونفع للمسلمين عمومًا وللدعاة إلى الله على وجه الخصوص، والله الهادى إلى سواء السبيل.

وإلى تفصيل القول فى المراتب الأربعة التى اخترناها من هذه المراتب.

المرتبة الأولى من مراتب الحب فى الله:

مرتبة سلامة الصدر.

سلامة صدر المؤمن نحو أخيه، تعنى تنقية هذا الصدر من أى مشاعر غير محمودة، كسوء الظن بأخيه، وغيرها من الهواجس التى تحيك فى الصدر، وربما عشَّشَتْ فيه دون أن يصبر عنها صاحبها، فتوقعه هذه المشاعر فيما لا ينبغى أن يقع فيه المؤمن.

ـ وسلامة صدر المؤمن نحو أخيه المؤمن حق من حقوق الأخوة فى الله، بل إن الظن كله فى المؤمن حذَّر منه رسول الله ﷺ، بل وصفه بأنه من أكذب الحديث، وما حذّر منه الرسول ﷺ إلا لأن الله تبارك وتعالى أمر باجتنابه فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وجاء فى السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تحذر من سوء الظن، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه يأثر[١] عن النبى ﷺ أنه قال: «**إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديث...**».

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**».

فكل ما نهى عنه النبى ﷺ من سوء ظن وتجسس وتحسس وتنافس، وتحاسد وتباغض وتدابر، كل ذلك أو بعضه لا يجعل صدر المؤمن سليما نحو أخيه، وكل ذلك حرام لأن الرسول ﷺ نهى عنه.

وروى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه وأن نظن به إلاَّ خيرًا**».

* إن سلامة صدر المؤمن نحو أخيه المؤمن تقتضى ألا يظن به إلا خيرًا، وأن ينقى قلبه من كل سوء ظن بأخيه المسلم.

* وسلامة الصدر تقتضى أن يلتمس المؤمن لأخيه المؤمن العذر إن رآه يقول أو يعمل

---

(١) يأثر: أى يروى عنه ﷺ.

شيئًا يُعْتَذر منه، مما ليس حرامًا، وليس له أن يسيء الظن به، فلعله إنما فعل ما فعل متأولا. أو حمله عليه ظرف قاهر، أو أكره عليه أو نحو ذلك.

* وسلامة الصدر تقتضى أن يستر المسلم أخاه المسلم إن رآه على حرام، حتى يستره الله فى الآخرة، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة».

وروى الحاكم فى «مستدركه» بسنده عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها».

وفى هذه الحال فإن عليه أن ينصحه فيما بينه وبينه دون أن يحرجه فضلاً عن أن يشهّر به أو يفضحه أو يتتبع عوراته فإن كل ذلك مما نهى عنه رسول الله ﷺ فى أحاديث كثيرة.

ـ ومن سلامة صدر الأخ نحو أخيه فى الدين أن يسكت عن زلّته وأن يتجاهلها كأنه لم يرها، لأنه يحب أن يعامل هو بمثل ذلك إن وقع منه خطأ، وكل ابن آدم خطّاء.

ومن ذكر زلة أخيه أو أشاعها عند غيره فإنه قد أخطأ فى حق أخيه إذ لم يلتزم له بهذا الحق!!! وإذا كان الله تعالى قد ستر عليه زلته هذه أفلا يسترها عليه أخوه فى الله؟

إن تجاهل هذه الزلة والسكوت عنها هو خلق المؤمن بالله ورسوله، فقد روى عبدالرحمن[1] بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال: كنت باليمن، ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة، فقدم عَلَىَّ اليهودى مِنْ سَفَرٍ، فقلت له: إن الله قد بعث فينا نبيًا، فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا، وقد أنزل علينا كتابًا مصدقًا للتوراة، فقال اليهودى: ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به، إنا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة، إنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم».

* ومن سلامة الصدر أن يترك مماراة أخيه، ويسكت عن مدافعته فيما يتكلم به، لأن ذلك يعنى أن فى الصدر ضيقًا وحرجًا، وأن هذا الصدر لم يتسع لترك مماراة أخيه أو مدافعته.

إن ترك المماراة وما تجر إليه من تغاضب وتخاصم هو استجابة لقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن ماجه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ترك المراء ـ

---

(١) هو تابعى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ـ لكن لم تكن له صحبة رسول الله ﷺ.

وفي رواية الكذب - **وهو باطل بنى له قصر فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو مُحقٌّ بنى له قصر فى وسطها، ومن حَسُنَ خلقه بُنى له فى أعلاها».**

وروى أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم ببيت فى ربضِ الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه».**

- وفى مماراة الأخ لأخيه وجداله له دلالات كثيرة كلها غير لائقة بالأخ نحو أخيه فى الدين.

* فهى تدل على تآكل الحب فى قلبه لأخيه، وحب الأخ فى الله مطلب شرعى بنصوص إسلامية كثيرة.

* وهى تدل على أن الأخ لا يكن احترامًا ولا تقديرًا لأخيه، مع أنّ واجبات الأخوة فى الله تقتضى الاحترام والتقدير.

* **والممارة تدل على أن الممارى يرغب فى الجدل وحب الظهور وحب التغلب فى الجدال على الطرف الآخر، وكل ذلك مما يرفضه أدب الإسلام فى التعامل بين الإخوة.**

* وهى خطر عظيم يهدد بإهاجة العداوة والبغضاء بين الإخوة فى الله وذلك مما يعد محرمًا فى ديننا الحنيف.

* والمماراة تهدد بإشاعة التنافس والتحاسد وكلاهما يؤدى إلى التباغض والتدابر، وكل ذلك مما حرم رسول الله ﷺ فى الأحاديث التى ذكرنا طرفًا منها فيما مضى.

وقد روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى[1] فغضب وقال: **«ذروا المراء لقلة خيره، فإن نفعه قليل، فإنه يهيج العداوة بين الإخوان».**

* ومن سلامة الصدر نحو الأخ فى الدين، أن يغفر له زلاته ومساءاته فضلا عن هفواته.

وهذه الزلات والهفوات إما أن تكون فى حق الدين كارتكاب المعاصى ونحوها، وإما أن تكون فى حق أخيه بتقصيره فى حق من حقوق الأخوة وواجباتها.

---

(١) ماراه: جادله، وخالفه وتَلَوَّى عليه.

ومع سلامة صدر الأخ نحو أخيه فلابد ـ إذا كانت الزلة فى حق الدين ـ من التلطف فى نصحه والرغبة فى تمهيد طريق التوبة له، ما دام غير مُصرٍّ على المعصية، فإن أصر على المعصية فللصحابة رضى الله عنهم فى التعامل معه طريقتان:

إحداهما: أنه يجب أن يبغَض فى الله، لأنه وضع نفسه حيث نهاه الله، والإيمان ـ كما هو معروف ـ حب وبغض ، حب من وُجِد حيث أمره الله ، وبغض من وجد حيث نهاه الله، ومن المنادين بهذه الطريقة أبو ذر الغفارى رضى الله عنه، وهذه الطريقة فى معاملته أسلم وأحسن.

والأخرى: أنه لا يقاطع لأنه كسائر الناس يعوجُّ حينا، ويستقيم حينا، فإن إعوج لا يقاطع حتى لا يستمرئ الاعوجاج. ومن المنادين بهذه الطريقة أبو الدرداء رضى الله عنه، وهذه الطريقة فى التعامل معه ألْيَن والطف، وأدعى إلى أن يعود إلى الصواب، ويتوب عما بدر منه، ويدع جانبا وساوس الشيطان ونفثه وهمزه ولمزه.

فإن كانت الزلات والهفوات فى حق أخيه، فلا يسع أخاه إلا أن يتسامح معه ويعفو، فإن التسامح دائمًا خلق المؤمنين والعفو دائما أقرب إلى التقوى.

* ومن سلامة صدر المؤمن نحو أخيه المؤمن أن يدعو له بظهر الغيب، يدعو له بكل ما يحبه لنفسه، سواء أكان هذا الدعاء له فى حياته أو بعد مماته، وفى هذا الدعاء للأخ المؤمن بظهر الغيب دليل على سلامة الصدر ونقائه من كل شائبة تعكره، وفيه فائدة أخرى هى أنه كأنما دعا لنفسه بما يحب، كما أكد ذلك الحديث النبوى الشريف الذى رواه مسلم بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قال المَلَك: ولك مثل ذلك**».

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب**».

وروى مسلم بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة**» وفى رواية للدارقطنى: «**دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب لا ترد**».

ولابد هنا من تساؤل يلح وهو: لماذا كانت دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب على هذا القدر من الأهمية ومن ثواب الله عز وجل؟.

وجواب ذلك: أنَّ دعوة الأخ لأخيه الغـائب عنه الذى لا يراه وهو يدعو، ولكنه يتذكره ويستحضـره فى نفسه دليل أكيد على حبه إياه، وعلى صـفاء قلبه له، وعلى أنه يحب له ما يحب لنفسه، هذه واحدة.

والأخـرى: أن الإسلام يؤكـد على ضـرورة توثيق رابطة الأخـوة فى الله، لأنه لا إيمان بغير أخـوة فى الله ولا عمل يجتمع فـيه المسلمون ينجح دون أخوة، وإذا كـان الجهاد وهو ذروة سنام الإسلام لابد فيه من تآخ بين المقاتلين ووحدة صف ووحدة عمل فلا شك فى أن ذلك يستدعى الأخوة بكل ما فيها من حب وإيثار ليقاتل المسلمون أعداءهم صفا كأنهم بنيان مرصوص، لذلك كان تذكـر الأخ لأخيه وهو غائب والدعاء له توثيقـا وتأكيداً لأواصر هذه الأخوة فى الدين.

إن الأخوة فى الـدين يجب أن تسيطر على قلب المؤمـن نحو أخيـه المؤمن حبـا فى الله ودعاء له بالخير، فى كل أحواله، حضر أو غاب، وذلك أنبل ما فى أخوة المؤمنين.

* ومن سلامة صدر المؤمن نحو أخيه المؤمن؛ الوفاء له.

والوفاء هنا يعنى أكثر مما يعرف الناس عن الوفـاء، فليس الوفاء بين الإخوة مجرد الالتزام بالحقوق والواجبات وأدائها على وجهـها مع أنه من الفضائل الكبرى، وإنما هو أكبر من كل ذلك وأجلّ. فـهو يعنى أن يثبت على حب أخيـه فى الله حتى الموت، موت مـن وَفَّى أما موت الأخ فـلا يقطع الوفاء له بعـد موته كالدعـاء له ورعاية أمور أبنائـه ونحو ذلك من بر أصدقائه ومن إليهم.

ولعل سبب ذلك أن الناس إذا أحب بـعضهم بعضًا أو وفىَ بعـضهم لبعض إنما يهـدفون إلى منفعـة دنيوية، أما الوفـاء بين المتآخين فى الدين فينظر فـيه إلى منفعـة أخروية عند الله تبارك وتعالى، وشتان بين ما كان للدنيا وما يكون للآخرة!!!

إن وفاء الأخ لأخيه فى الدين لا يجوز أن ينقطع حـتى بالموت فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله؛ إمام عادل، وشـاب نشأ فى طاعة الله، ـ أو فى عبـادة الله ـ ورجل قلبه مـعلق بالمساجـد، ورجلان تحابا فى الله اجـتمعـا عليه وتفرقـا عليه، ورجل دعتـه امرأة ذات منصب وجمـال فقال: إنى أخـاف الله، ورجل تصدق بصدقـة فأخفاهـا حتى لا تعلم شمـاله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

ورواه أصحاب السنن.

والمعنى الذى نقصده هنا من هذا الحديث الشريف هو ثبات الأخ على حب أخيه يجتمع على حبه فى الله أو يفترق معه من أجل الله تبارك وتعالى، وهذا غاية الوفاء للأخ المؤمن ولقيم الإسلام الثابتة.

وبعـــد:

فقد فصلنا القول فى المرتبة الأولى من مراتب الحب فى الله وهى سلامة الصدر، وسوف نفصل القول فى ثلاث مراتب من مراتب الحب فى الله الاثنى عشر التى حصرناها آنفًا، خشية الإطالة، والله ولى التوفيق ومانح السداد.

المرتبة الثانية من مراتب الحب فى الله

مرتبة الرغبة فى التعاون مع أخيه على الخير:

الأصل فى المؤمنين جميعًا أن يكونوا متحابين متسامحين، لأن رابطة الإيمان تقوى فى المؤمنين نوازع الحب والتسامح، إذ يعد ذلك لب الأخوة فى الله وجوهرها.

وكلما قوى الحب فى نفوس المؤمنين بعضهم نحو بعض كلما قربوا من رضا الله تعالى عنهم، وهيأ لهم الخير فى دنياهم، وأعد لهم أجزل الثواب فى أخراهم.

ومن مراتب الحب فى الله الداعمة لنوازع الخير فى نفوس المؤمنين - فهى تمحص الحب فى الله وتزيده قوة واتساعًا - مرتبة التعاون على فعل الخير فى الناس جميعًا.

والخير الذى يتعاون عليه المتآخون فى الله هو إجمالاً: كل ما رغَّب فيه العقل الصحيح والشرع الشريف، والأصل فى الخير أنه حسن من وجهين: فهو حسن فى ذاته، وحسن فى جلبه النفع للناس فى دنياهم وأخراهم، وفى دفع الضرر عنهم فى الدين والدنيا.

ففى هذه المرتبة يأخذ الأخ بيد أخيه ويتعاون معه على فعل الخير، استجابة لأمر الله تبارك وتعالى حيث يقول مخاطبًا المؤمنين: ﴿..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾ [المائدة: ٢].

* والتعاون بين الأخَوَيْن أو الإخوة فى الله إنما يكون دائمًا على البر والتقوى، ولا يجوز أن يكون على الإثم والعدوان، والبر والتقوى هو لب الخير للإنسان نفسه ولغيره من الناس، ولا يظهر هذا الخير ولا يوصله إلى الناس إلا التعاون.

* وهذا التعاون على فعل الخير ونشره فى الناس له شُعَب عديدة، نذكر منها ما يلى:

ـ شعبة النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم: فهذه النصيحة واجبة شرعًا بل هى الدين كله، أى لا دين لأحد إلا أن يكون ناصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم كما ورد ذلك فى الحديث النبوى الذى رواه مسلم بسنده عن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

* والنصيحة لله تعالى هى: وصفه بما هو أهل له والخضوع له ظاهراً وباطنا، وطاعته، والجهاد فى رد العاصين إليه.

* والنصيحة لكتابه هى: تعلمه وتعليمه وتفهم معانيه وحفظ حدوده والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه.

* والنصيحة لرسوله هى: تعظيمه وطاعته وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها والاقتداء به ومحبته ومحبة أتباعه.

*والنصيحة لأئمة المسلمين هى: إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ودفعهم عن الظلم بالتى هى أحسن.

* والنصيحة لعامة المسلمين هى: الشفقة عليهم، والسَّعْى فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

ـ وشعبة التواصى بالحق: وهذا التواصى بالحق أحد أركان أربعة تقوم عليها النجاة من الخسران الذى يلقاه الإنسان فى دنياه وآخرته، فهو مع الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالصبر هو النجاة من الخسران: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

* والتواصى بالحق يعنى أن يتواصى الإخوة فى الله فيما بينهم على أن يتمسكوا بالحق ويظلوا متمسكين به إلى أن يلقوا الله تعالى، تمسُّكًا يشمل الاعتقاد والقول والعمل.

* وهذا التواصى بالحق يعطى صاحبه الإحساس بمتعة أنه مع الحق دائما وبصحبته على الدوام، وليست هناك متعة تعدل هذه المتعة مهما عانى المؤمن فى سبيل تمسكه بالحق وإصراره عليه، وأكبر هذه المتعة النفسية أن يجد المؤمن بجواره أخاه المؤمن يشد أزره،

ويساند موكبه فى الطريق إلى الحق الذى أمر بالتواصى بالحق.

* وليس كمثل التواصى بالحق سلوك يطامن من غلواء الظالمين، ويخفف من حدة سطوتهم وبطشهم بالمتمسكين بالحق، إنهم عندما يجدون كثرة المتمسكين بالحق يصابون باليأس والإحباط وسريعًا ما يكفكفون من غُلَوائهم فى البطش بالحق وأنصاره.

* والتواصى بالحق يهون متاعب الطريق إليه ويكثُر أنصاره، ويقرب يوم النصر والتمكين لدين الله، ويعطى صاحبه أحسن الفرص لتجديد إيمانه وتقوية يقينه بأن الله تعالى معه يؤيده فى الدنيا، ويجزل له العطاء فى الآخرة.

* والتواصى بالحق يقمع أهل الفسق والفجور والضلال والكفر ويضيق عليهم الخناق، ويثبط من عزائمهم، وكل تلك من الجرائم التى لا يقضى عليها مثل التواصى بالحق بين المؤمنين؛ لأنه من المقرر أنه ليس بعد الحق إلا الضلال، قال الله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

* إن التواصى بالحق يطهر المجتمع من الضلال ومن الباطل ومن الضالين والمبطلين، وحسب الإخوة فى الله المتواصين بالحق فيما بينهم أن الله تعالى استثناهم من الخاسرين، فالأخوة فى الله بغير تواص بالحق أخوة جوفاء لا تنتمى إلى الأخوة فى الله مهما أخذت من صورتها وشكلها وملامحها، إذ الأصل هو الجوهر لا العَرَض والمضمون لا الشكل، وهو التواصى بالحق.

- وشعبة التواصى بالصبر: وهذا التواصى بالصبر هو ركن من تلك الأركان الأربعة التى إذا اجتمعت أخرجت صاحبها من الخسران الدنيوى والأخروى.

* ومن المسلَّم به بين المؤمنين أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر حق، بل حق ليس بعده إلا الضلال وأن العمل الصالح ترجمان لهذا الإيمان أى لهذا الحق، وأن التواصى بالحق ليثبت ويشيع، هو خدمة جليلة للحق وأهله.

فليس بعجيب أن يكون التواصى بالصبر على ما يؤدى إليه التمسك بالحق من عنت وعناء هو الركن المتمم لتلك الأركان التى يخرج صاحبها من دائرة الخسران!!!

* وليس بغريب أن يعانى المتمسكون بالحق العنتَ والإرهاب والسجن والتعذيب من أنصار الباطل والضلال فتلك سنة من سنن الله تعالى فى خلقه أن يكون هناك صراع بين الحق والباطل، ومن سنن الله كذلك أن يمحص الذين آمنوا ويختبر إيمانهم وتمسكهم بالحق

فلا يقدر لهم النصر السريع أو النصر الحاسم لتكون فتنة يبتلون بها ليعلم صدقهم فى إيمانهم وتواصيهم بالحق، وصدق الله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ -٣].

* وليس بمستبعد أن يكون أنصار الحق قلة إذا قورنوا بأنصار الباطل، أو أن يكونوا أضعف منهم ماديًا، لأن ذلك هو المشاهد على مر التاريخ الإنسانى ومع سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لكن فى مقابل ذلك ليس بمستبعد أيضًا أن ينصر الله تعالى القلة المؤمنة الصابرة على الكثرة الكافرة فى كثير من جولات الصراع بين الحق والباطل: ﴿... فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]، و﴿... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

* والتواصى بالصبر على الحق من صميم الأخوة فى الله، إذ ليس هناك أخوة إلا مع الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر.

* وإذا صبر المؤمنون الذين يعملون الصالحات على تواصيهم بالحق وما يجره ذلك عليهم من العنت، فقد أحرزوا مكاسب كثيرة منها:

* إحراز مكانة الصابرين عند الله تعالى وهى أعلى مكانة، وإحراز أجرهم عند الله وهو أوفى أجر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

* وتأمين الاستمرار لموكب الدعوة إلى الله، لأن الصبر فى حقيقته عدم مبالاة بما يوقعه الظالمون على المؤمنين الصابرين، وبهذا يمضى موكب الدعوة إلى الله غير هيَّاب لبطش الباطشين.

* وشعور الظالمين الباطشين بالخيبة والفشل والإحباط، وفى هذا الشعور ما يخفف من بطشهم إذ يرونه غير مُجْدٍ مع هؤلاء الصابرين، ولربما غيروا من وسائلهم فى البطش فكانوا أشد فتكا، ولكن الحقيقة الدامغة أنهم فشلوا فى استعمال وسائلهم الأولى، وهم جديرون -بصبر الصابرين- أن يفشلوا فى استعمال وسائلهم الأخرى.

وبعد: فإذا كان التعاون على الخير له هذه الشعب الثلاث التى هى من صميم الخير للمؤمنين.

وإذا كانت هذه الشعب الثلاث من الأمور المعنوية غالبًا، فإن للتعاون بين الإخوة فى الله

مجـالات عملية أخـرى هى أدخل فى الفعل منهـا فى القول، وفى المادة منهـا فى المعانى، وهى ضرورية لاستمـرار مسيرة العمل من أجل الإسلام، حـتى يتم الله نوره، وينجز وعده للمؤمنين بنصرٍ جعله الله تعالى حقا عليه: ﴿..وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

ومن هذه المجالات ما نذكر بعضه فيما يلى:

- مجال التعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

والتعـاون فى هذا المجال هو من أصـول الدين الحق، ومن أسباب سـعادة المجـتمع فى دنياه واطمئنانه إلى يومه وغده، وهو فى الوقت نفسه سبب فى رضا الله تبارك وتعالى.

* والتعـاون فى هذا المجال لا سبـيل إلى إهماله أو تجاهله، فـما يفعل الآمـر بالمعروف الناهى عن المنكر إذا كان وحده فى هذا المجال؟ إنه لن يفـعل شيئًا ذا بال، ولن يستطيع أن يغير أو يصل إلى نتيجة حاسمـة، فضلاً عن أن يؤمن المجتمع من الأشرار العابثين، ولا أن يغرس فى المجتمع حب الخير وحب الناس، أما التعاون بين الإخوة فهو وإن كان من مراتب الحب فى الله الذى يحظى عليه المؤمن بالثـواب، فإنه فى الوقت نفسه جـدير بأن يحقق فى المجتمع كل هذه الفضائل ويجنبه كل تلك الرذائل.

* وآيات القرآن الكريم عند التـأمل فيها والتدبر لما ترمى إلـيه وما تستهـدفه نجد الخطاب فيهـا - فى مجال الأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر - متجـها إلى الجماعـة لا إلى الفرد، مما يؤكد ضرورة العمل فى جماعة أى التعاون بين المؤمنين؛ ومن ذلك:

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾ [آل عمران: ١٠٤] والأمة: الجماعة يجمع بين أفرادها إما دين واحد، أو مكان واحد أو زمان واحد، سواء أكان هذا الجامع بينهم بالتَّسْخير أو بالتَّخْيير.

وقوله جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقوله عز وجل: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

---

(١) وكذلك جاء الخطاب للجماعة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الآيتين ١١٢ من سورة التوبة، و ٤١ من سورة الحج.

حكيم﴾ [التوبة: ٧١][1].

* حتى إن الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف خوطب به المنافقون خطاب الجماعة أيضًا، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

* وما خوطب المفرد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا مرة واحدة فى القرآن الكريم فى وصية لقمان عليه السلام لابنه، فى قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾ [لقمان: ١٧][1]، وذلك لتأكيد أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب فردى كذلك إن لم يجد الإنسان جماعة يشاركها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

* وكذلك كان شأن السنة النبوية المطهرة، جاء الخطاب فيها فى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر موجها إلى الجماعة فى معظم الأحاديث النبوية الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر.

فقد روى الترمذى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»**.

وروى أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل...»** الحديث وفيه: **«كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»**.

ـ ومجال الدعوة إلى الله ـ وهى واجب كل مسلم يملك البصيرة فيما يدعو إليه ـ وهذه الدعوة لا تتم على وجهها الصحيح، ولا تحقق أهدافها فى استقطاب المدعوين نحو طاعة الله تعالى وحسن عبادته، ونحو دعم الأخوة فى الدين، ونحو تحبيب الناس فى الخير وفعله، ونحو الاعتزاز بالانتماء لهذا الدين الخاتم، ونحو ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العاليا ـ لا يتم ذلك ـ وهو ضرورى إذ هو

---

(١) وكذلك فى الآية: ٧٨ من سورة المائدة.

من صلب الإيمان ومن شروطه وأركانه - إلا بالتعاون بين الدعاة إلى الله فى وضع خطة عامة للدعوة إلى الله وخطط مرحلية تلائم المدعوين زمانًا ومكانًا وظروفًا، وكل ذلك يحتاج إلى الجماعة، وما يسع الفرد فيه إلا أن يعمل عملاً محدود التأثير إذا قورن بما يمكن أن تفعله الجماعة[1].

- ومجال الحركة بهذا الدين فى الناس وفى الآفاق - وهى أيضًا واجب كل مسلم على حدة - ولكن العمل الجماعى فيها أجدى وأنفع وأجدر أن يُوَصِّل دين الإسلام ومنهجه ونظامه إلى كل من يجب أن يصل إليه، لتسود قيمه وأخلاقه وآدابه أوسع رقعة من الأرض، إن لم تسد الأرض كلها، لأن الله تعالى رب العالمين فلابد أن يكون منهجه للعالمين جميعًا.

* وهذه الحركة بالإسلام واجب متمم لواجب الدعوة إليه؛ إذ هى جزء من الدعوة، وكيف تحدث هذه الحركة بالإسلام - وهى عمل وتنظيم وتربية - دون أن تتضافر حولها الجهود، وتنشط الجماعات فتوضع الخطط وترسم المعالم والحدود، ليجد الناس فى الإسلام حلاً لكل مشكلة ومفتاحا لكل خير ومغلاقًا لكل شر.

* ومهما رفض العلمانيون ومن إليهم منطق أن «الإسلام هو الحل» فلن يغير ذلك الرفض هذه الحقيقة، ولا يستطيع أن يبهرج حولها ويزوق من عبارات جوفاء خادعة، إلا إذا استطاع أحد أن يحجب ضوء الشمس عن الدنيا، أو يمنع الهواء عن الناس أن يملأ صدورهم بالصحة والحيوية والنشاط، وحتى لو فعلوا - وما هم بفاعلين إلا أن ينصبوا المشانق ويحفروا الأخاديد لكل مؤمن - فما هم بضارين للحق ولا قادرين على طمس الحقيقة، لأن الزمن كفيل بأن يخرج لهم من أصلاب المؤمنين الذين اضطهدوا مؤمنين أشد قوة وبأسا وصلابة، وليسألوا التاريخ إن كانوا ممن يرغبون فى العلم والمعرفة على قدر رغبتهم فى الدجل السياسى والشعارات الكاذبة.

* ربما تكون لأعداء الحركة الإسلامية اليوم جولة وصولة وما يتوهمون به أنهم قضوا على الحركة الإسلامية فى تركيا أو الجزائر أو تونس أو السودان أو باكستان أو أندونيسيا أو غيرها، ولكنها لن تستمر ولن تكون الجولة الأخيرة، لأن الله تعالى يأبى ذلك كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ⦗٢٠⦘ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

(١) وانظر إذا رغبت فى فقه الدعوة إلى الله كتاب: فقه الدعوة إلى الله، للمؤلف.

[المجادلة: ٢٠ ـ ٢١]، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وما على المؤمنين المغلوبين اليوم أمام العلمانيين والنظام العالمى الجديد إلا أن يأخذوا بأسباب النصر وأن ينادوا داعين الله كما دعا نوح عليه السلام عندما كذبه قومه وسخروا منه ومن دعوته وكفروا به وبما جاءهم به من حق وكفرت معهم زوجه وكفر ولده، فدعا الله قائلاً: رب إنى مغلوب فانتصر، كما حكى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٩ ـ ١٥].

ـ ومجال الجهاد فى سبيل الله تعالى، وهو أهم المجالات التى يحتاج العمل فيها إلى تعاون المؤمنين وتضام صفوفهم، وهذا الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وهو ترجمة للإيمان والإسلام والعدل والإحسان، وهو ركن من أركان الدين ما ضيعه المسلمون فى أى زمن من الأزمان إلا هزموا وذلوا، وما تمسكوا به إلا عزوا وسادوا.

* ويخطىء عن جهل أو تعمد مَنْ يزعمون أن الجهاد فى الإسلام هو إكراه الناس على الدخول فى الإسلام بحد السيف أو ببطش القوة، ما كان ذلك فى يوم من الأيام ولن يكون لأن الله تعالى حرم ذلك فى قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

* ويمعن فى الخطأ من يزعم أن الجهاد فى سبيل الله عنف وقتل ودماء دون تمييز بين الناس... إنه إحقاق للحق، ودعوة إليه ومواجهة لأعداء الحق أعداء الله عندما يتصدون لدين الحق وكلمة الحق، إنما الإكراه والقسر والضرب بالقنابل الذرية والهيدروجينية وغاز الأعصاب والكيماويات القاتلة هو ما يمارسه النظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد كل بلد إسلامى يحاول أن يتخذ من الإسلام منهجا ونظامًا!!!

ومع كل ذلك التخريب والتدمير والتجويع وتحريم الطيران، وتحريم استخراج النفط وبيعه، لا تجد أمريكا من يقول لها إنك تكرهين الشعوب لا بحد السيف ولكن بحد الحرب الكيماوية!!!

لماذا لا تجد أمريكا من يقول لها ذلك؟ الجواب يعرفه كل من يسمع ويرى!!!

* إن مجال الجهاد فى سبيل الله أحوج مجالات العمل من أجل الإسلام إلى التعاون على الخير بين المؤمنين المتآخين فى الله عز وجل.

المرتبة الثالثة من مراتب الحب فى الله

مرتبة الرغبة فى قضاء حاجات المتآخين فى الدين:

الرغبة فى أن يقضى المسلم حاجات أخيه المسلم، وأن يعين كل من كان فى حاجة إلى عون، وأن يحب لأخيه فى الله ما يحب لنفسه، كل ذلك من الأصول والأركان والدعائم التى يقوم عليها الإيمان، ومما يعبر به عن الإسلام، ومما يقتضيه العدل والإحسان بين المؤمنين، فقد قال تعالى يخاطب المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. فالآية الكريمة تطالب المؤمنين جميعًا بفعل الخير عمومًا ـ والخير هو كل ما يُرَغِّب فيه العقل والشرع، ويرغَب فيه الناس جميعًا ـ وهو ضد الشرّ.

وهذه الآية الكريمة أصل فى فعل الخير، ولا شك أن قضاء المؤمن لحاجات إخوانه من الخير.

* وهناك أحاديث نبوية عديدة ترغب المسلم فى قضاء حاجات أخيه المسلم وفى أن يزيل عنه كل أسباب الألم والضيق والكرب، ومن هذه الأحاديث الشريفة:

ـ ما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ وسَّع على مكروب كربة فى الدنيا وسَّع الله عليه كربة فى الآخرة، ومن ستر عورة مسلم فى الدنيا ستر الله عورته فى الآخرة، والله فى عون العبد ما كان فى عون أخيه»**.

ومَنْ ذا الذى لا يحب أن يكون الله فى عونه؟ ومن ذا الذى يبخل بعون وقد علم أن الله سوف يكون فى عونه؟

* ومن عون الأخ وقضاء حاجاته رحمة الأخ لأخيه، وإشفاقه عليه أن يكون فى ضيق أو مكروه، فإذا رحمه فإن الله تبارك وتعالى سوف يجزيه أحسن الجزاء، فرحمة الله تعالى تتسع وتكبر مع الرحماء بالناس، فقد روى الدارمى[1] بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه

(١) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، روى عنه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود، وكتابه: السنن، هو المتمم لكتب ثمانية فى السنة هى: البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأبو داود، وابن ماجه، وموطأ مالك، عليهم رحمة الله.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، وأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جزءًا واحدًا، فمنْ ذلك الجزء يتراحم الخلق؛ حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

* ورحمة الله تتسع لتشمل كل ذى حاجة من عباده، فهو سبحانه يكون فى عون المستدين، وفى عون المجاهد، وفى عون الناكح المستعف، وفى عون المكاتب الذى يريد الأداء، وفى عون كل إنسان يكون فى عون أخيه بقضاء حاجاته، بل يجعل الله تعالى ملائكته فى عون عباده الصالحين جميعًا، والمسلم مطالب بأن يحاكي الله تعالى فى صفاته التي تطيقها بشريته وفطرته.

فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنّ للمساجد أوتادًا؛ الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم».

ووصف الرسول ﷺ لهم بأنهم أوتاد المساجد وجلساء الملائكة وموضع رعايتهم، وأن الملائكة تعينهم فى قضاء حوائجهم، وصف يشوقُ المؤمن لأن يكون وتدا من هذه الأوتاد، وأن يسرع فى قضاء حاجات المؤمنين.

* هذه معالم المجتمع المسلم وتلك أخلاقياته، كما رسمتها كلمات السنة النبوية المطهرة، مجتمع متراحم متعاون يسعى فيه المؤمن فى قضاء حاجة أخيه دون أن يطلب منه أخوه ذلك، فإن طلب كان أولى أن يقضيها له.

* وكل إنسان فى المجتمع لابد أن تكون له حاجة ما دام على قيد الحياة وقديما قيل: «وحاجات من عاش لا تنقضى».

- روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاث كلهم حق على الله، عون المجاهد فى سبيل الله، والناكح المستعف، والمكاتب يريد الأداء».

روى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها - وكانت تستدين فقيل لها مالك وللدَّين؟ - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد كانت له نيَّة فى أداء دَيْنه إلا كان له من الله عز وجل عون» فأنا التمس ذلك العون.

* وهذا العون من المؤمن لأخيه المؤمن إنما يثيب الله عليه ويعين إن كان فى الحق، وبعيدًا عن الظلم، فإن اقترن بشيء من ذلك خرج عن دائرة عون الله تعالى ومثوبته،

ودخل فى دائرة ما نهى الله عنه، وسمى عندئذ تسمية تناسبه، فقد روى أحمد بسنده عن امرأة من أهل فلسطين اسمها فسيلة عن أبيها قالت: سمعت أبى يقول: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: أمِنَ العَصَبِيَّة أن يحب الرجل قومه؟ قال: **«لا، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم»**.

* والأحاديث النبوية التى تبشر من كان فى عون أخيه وفى قضاء حاجاته أكثر من أن نذكرها جميعًا فى هذا المجال[1]، ولكن نذكر منها ما نستشهد به.

- روى الدارمى بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«على كل مسلم صدقة»**، قالوا: يا رسول الله فإن لم يستطع؟ قال: **«يحتمل بيديه فيأكل ويتصدق»** قالوا: أفرأيت إن لم يفعل؟ قال: **«يعين ذا الحاجة الملهوف»**، قالوا: أفرأيت إن لم يفعل؟ قال: **«يأمر بالخير»** قالوا: أفرأيت إن لم يفعل؟ قال: **«يمسك عن الشر فإنها له صدقة»**.

وروى الطبرانى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سُرُورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دينا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلىّ من أن أعتكف فى المسجد شهراً، ومَنْ كف غضبه ستر الله عورته، ومَنْ كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»**.

وروى أحمد بسنده عن مسلمة بن مخلد رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«من ستر مسلمًا فى الدنيا ستره الله عز وجل فى الدنيا والآخرة، ومن نجَّى مكروبًا فَكَّ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله عز وجل فى حاجته»**.

* وعون الأخ أخاه فى أمر من أمور الدين واجب شرعى، أمَر به الرسول ﷺ أمْرًا صريحًا فى أكثر من حديث نبوى شريف، وبخاصة فى الظروف التى يكون للإنسان فيها حاجات يعجز عن الوفاء بها لضيق ذات يده، ومن أمثلة ذلك: الجهاد فى سبيل الله، وأداء الدَّين، ونحوها من الأعمال، فقد أوجب الله على المسلمين أعمالاً أو ندب إليها أو رغَّب

---

(١) لمعرفة هذه الأحاديث: انظر: سنن الدارمى. باب الرقاق، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، والأدب المفرد للبخارى، وغيرها من كتب السنة المطهرة.

فيها، فهذه يكون عون المؤمن فيها لأخيه المؤمن واجبًا شرعيًا بدليل عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، منها:

ما رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينًا، وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» فذكر من أصناف المال ما ذكره حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

هذا خلق الإسلام في سد حاجة المحتاجين.

* والحاجة المعنوية كالحاجة المادية يجب على المسلم أن يسدها لأخيه المسلم، فقد روى أبو داود بسنده عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار: إنّ منْ إخوانكم قوْمًا ليس لهم مال ولا عشيرة، فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة» فما لأحدنا من ظهر[1] يحمله إلا عُقْبَة[2] كعُقْبة أحدهم، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فضممت إليّ اثنين أو ثلاثة، مالي عقبة إلا كعقبة أحدهم من جَمَلي.

* ومن الحاجة المعنوية أيضًا ووجوب سدها نحو الأخ المسلم ما رواه الدارمي بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لينصرن الرجل أخاه، ظالمًا أو مظلومًا، فإن كان ظالمًا فلينهه فإنه نصره، وإن كان مظلومًا فلينصره».

* ورغبة المؤمن في قضاء حاجات أخيه المؤمن هي من صميم فعل الخير الذي امتدح الرسول ﷺ من كان سببًا في فتح بابه، أو سببًا في غلق باب شر كان يحتمل أن يصيب أخاه المسلم.

روى الدارمي بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الخير خزائن، لتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير».

* ومن قضاء حاجات الأخ المؤمن إقالته من عثراته، وإقالته من بيع أو عهد أو نحوه إذا كان في هذه الإقالة مصلحة له.

---

(١) ظهر: أي ما يركب من جمل وحصان ونحوهما.

(٢) عُقْبَة: أي يتعاقب عليه هو وغيره، فلا يناله من ركوبه إلا مثل ما نال صاحبه.

روى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود».

وروى ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلما، أقال الله عثرته يوم القيامة».

* وما من أحد من الناس تكون له حاجات مشروعة ليس منها ما يغضب الله تعالى، إلا أحب أن يقضيها بنفسه أو يجد من إخوانه من يقضيها عنه.

ومن قضى حاجات أخيه فإن ذلك دليل على محبته إياه وتنزيله من نفسه منزلة نفسه، وأدب الإسلام أن يدعو المسلم ربه أن يقضى حاجاته، وأن يوفقه الله لقضاء حاجات إخوانه، لما لقضاء هذه الحاجات من ثواب عظيم عند الله تعالى.

* والمؤمن الحق من أحب أن يصنع للناس ما يحب أن يصنع الناس له، فذلك دليل الحب فى الله.

روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أن يزحزح عن النار ويدخلِ الجنة، فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وليُؤْتِ إلى الناس ما يحُب أن يُؤتَى إليه».

* وأوسع الأبواب فى قضاء المسلم حاجات أخيه المسلم هو باب الشفاعة ـ وهى الانضمام إلى آخر نصرًا للأخ وسؤالاً عنه لقضاء حاجاته ـ ولأن الشفاعة من كبريات الفضائل، ومن أسباب الأجر عند الله تعالى فقد أمر بها الرسول ﷺ وأخبر أن لها عند الله أجرًا.

روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى أُوتَى، وأُسْأَل، وتُطلَب إلىّ الحاجة وأنتم عندى، فاشفعوا إلىّ تؤجروا، ويقضى الله على يدى نبيّه ما أَحَبّ».

وروى أبو داود والنسائى بسنديهما عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا إلىّ تؤجروا، إنى أريد الأمر وأُوَخره كى تشفعوا إلىّ فتؤجروا».

وبعـــد: فتلك مرتبة من مراتب الحب فى الله تعالى من شأنها ـ كغيرها من مراتب الحب فى الله التى عددنا منها ثنتى عشرة مرتبة ـ أن توثق الصلات بين المؤمنين المتحابّين فى الله المتآخين فى هذا الدين.

المرتبة الرابعة من مراتب الحب في الله

مـرتبـة الإيثـــار:

الإيثار هو: الاختيـار والتفضيل، **بمعنى أن يفـضل الإنسان غيره على نفـسه، وهو أعلى** درجـات الحب، ويقابل الإيثـار؛ **الأثَرة وهى أن يفـضل الإنسان نفـسـه على غيـره، وفى** الحديث الـشريف، روى البخـارى بسنده عن عبـد **الله بن زيد رضى الله عنه قال**: قـال لنا رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدى أثَرة وأموراً تنكرونهـا»، قالوا: فما تأمـرنا يا رسول **الله**؟ قال: «**أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم**».

والمعنى: أن أمراء الجور سوف يستأثرون وحدهم بالفيء.

* والإيثار خلق فاضل يتـحلى به المؤمن الذى يرغب فى نفع غيره أكثـر من نفع نفسه، وهو نوعان:

الأول:

إيثار محبوبه على غيره طلبًا لحظه منه وهو حينئذ معاوضة، أى يأخذ منه ويعطيه.

والآخر:

إيثار محبوبه إجابة لداعي محبته، فهذا الإيثار لذات المحبوب لا لحظ منه.

وقال العلماء: الدين كله والمعـاملة كلها فى الإيثار، فإن الإنسان محـتاج لبعض حظوظه ممن يؤثره. فهذا معظم الإيثار وهو الذى بين الخلق.

* أما الخالق سبحانه وتعالى فهو يؤثر عباده من غير أن يكون له سبحانه حظ من عباده، بل إن عبادة الناس لله تعالى لا تعود على الله تعالى بنفع.

وقيل: مَن آثر اللهَ على غيره آثره الله على غيره.

وفى دعـاء النبى ﷺ: « **اللهم زدنا ولا تنقـصنا، وأعـطنا ولا تحـرمنا، وأكـرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا** » رواه أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

* والإيثار إما أن يتعلق بالخالق جل شأنه وإما أن يتعلق بالخلق.

- فالمتعلق بالخالق سبحانه هو إيثار رضاه على رضى غيره، وإيثار حبه على حب سواه، وإيثار رجائه وخوفه على رجاء غيره وخوفه، وإيثار طاعته على طاعة سواه، وإيثار الطلب منه وسؤاله على الطلب من سواه أو سؤاله.

وهذا هو أجَلّ نوعى الإيثار.

وعلامة هذا الإيثار شيئان:

أحدهما: فعل ما يحب الله مهما تكن النفس تكرهه وتهرب منه.

والآخر: ترك ما يكرهه الله مهما كانت النفس تحبه وتقبل عليه.

* وليس فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه إلا باتباع ما جاء به الرسول ﷺ، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن البصرى رحمه الله، قال قوم على عهد رسول الله ﷺ: إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية: وقد سمى الجنيد رحمه الله هذه الآية: آية المحبة.

- والمتعلق بالخلق معناه أن يؤثرهم الإنسان على نفسه بما لا يضيع عليه دينًا ولا دينارًا ولا وقتا، ولا يفسد عليه حالاً ولا يهضم له حقًا، فإن كان إيثارهم يضيع شيئا من ذلك فإيثار - نفسه عليهم أولى.

وهذا الإيثار الذى يتعلق بالخلق، والذى أثنى عليه الله تعالى هو الإيثار بالدنيا لا بالدين ولا بالوقت، ولا بما يعود بصلاح الدين، وذلك فى قوله تعالى: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. فإيثار المؤمن لأخيه المؤمن إنما هو بطيبات الدنيا ونعمها، لا بالدين ولا بالأوقات المصروفة فى العبادة، ولذلك لم يشرع الإسلام الإيثار فى القُرُبات وإنما شرع فيها التنافس. فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِموا عليه لاستهموا»** والعقل يقضى بأن الإيثار يكون بالشىء الذى يضيق عن أن يشارك فيه الناس، بل لا يسع إلا واحدا منهم، عندئذ يكون الإيثار، أما الطاعات والقربات فإن ثوابها يتسع لكل من قام بها ولو كانوا ملايين الناس.

* وإذا كان الإيثار على مثل هذا المستوى من التضحية بطيبات الدنيا، ومن تفضيل الغير

على النفس، فماذا يجعل الإنسان المفطور على حب نفسه، يتصف بهذا الإيثار؟

قال الأسلاف من العلماء: إن الذى سهل الإيثار على الإنسان أمور كثيرة، منها:

- رغبة المؤمنين فى مكارم الأخلاق ومعاليها، فإن من أكرم أخلاق الرجل وأرفعها قدراً، الإيثار، وصاحب الإيثار محبوب بين الناس بل محترم معظم، لأن الله تعالى جَبَلَ الناس على حب صاحب الإيثار، كما جبلها على احتقار المستأثر.

- والنفرة من أخلاق اللئام وأصحاب الأثرة والشح.

- وتعظيم الحقوق التى حبب الله فيها المؤمنين بعضهم ببعض، فمن حفظ هذه الحقوق كان جديراً بحب الناس وتقديرهم.

وقال الأسلاف من علماء الأخلاق:

إن الأخلاق ثلاثة:

- خُلُق الإيثار، وهو خلق الفضل وصاحبه محبوب مطاع مهيب.

- وخلق القسمة والتسوية، وهو خلق العدل، وصاحبه لا يحمل له أحد شراً ولا أذى.

- وخلق الاستئثار والاستبداد، وهو خلق الظلم، وصاحبه تسرع النفوس إلى أذاه.

هذا عن خلق الإيثار بين الناس وهو الذى حوله ندندن، وإليه ندعو المؤمنين أن يؤثروا إخوانهم فى الدين على أنفسهم وهى أعلى درجات الحب فى الله.

*** وأهل الإيثار [1] طبقات:**

- طبقة أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

- وطبقة سائر الرسل الذين كلفوا بالتبليغ.

- وطبقة سائر الأنبياء الذين لم يكلفوا بالتبليغ.

- وطبقة أهل الإيثار وهم عباد الله المفضلون على كثير من عباده لما يحسنون ويتصدقون ويؤثرون إخوانهم فى الدين على أنفسهم.

- وطبقة ورثة الأنبياء من العلماء.

- وطبقة أئمة العدل وولاته.

(١) بل المؤمنون جميعًا تتشكل منهم هذه الطبقات.

- وطبقة المجاهدين فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

- وطبقة الصالحين الذين فتح الله عليهم بابا أو أبوابًا من الخير القاصر على أنفسهم كالصلاة والصدقة والعمرة، أى المتنفلون.

- وطبقة أهل النجاة الذين يؤدون فرائض الله ويتركون محارمه من غير زيادة أو نقصان.

- وطبقة الذين أسرفوا على أنفسهم فأتوا بعض الكبائر ثم تابوا فتاب الله عليهم، وماتوا على توبة.

- وطبقة الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، لكن صالحهم كان أكثر.

- وطبقة الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، ومنعتهم سيئاتهم من دخول الجنة، وهم أهل الأعراف[١] وفى تعريفهم أقوال كثيرة للعلماء.

- وطبقة أهل المحنة والبلية، وهم مسلمون خَفَّتْ موازينهم ورجحت سيئاتهم على حسناتهم.

وهؤلاء قد اختلف العلماء فى مصيرهم؛ هل إلى الجنة؟ أم إلى النار؟ أم هم فى منزلة بين المنزلتين؟.

- وطبقة الذين لا طاعة لهم ولا معصية ولا إيمان ولا كفر، وهؤلاء أصناف كثيرة مثل:

مَنْ لم تبلغه الدعوة.

والمجنون

والأصم

والأطفال ممن آباؤهم مشركون.

وقد اختلف العلماء فى مصيرهم إلى أكثر من ثمانية مذاهب[٢].

---

(١) قيل: هم: أصحاب الفترة، وأطفال المشركين.

وقيل: هم أولو الفضل من المؤمنين حلوا على الأعراف، فيطلعون على أهل النار وأهل الجنة جميعًا.

وقيل: هم الملائكة وليسوا من بنى آدم.

وقيل: هم الشهداء الذين يستشهد الله بهم على عباده من الأنبياء والفقهاء والصالحين، كما يفهم ذلك من قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

(٢) أشهر هذه المذاهب ثمانية هى:

١ - التوقف فيهم وعدم القول بأنهم من أهل الجنة أو أهل النار.

٢ - أنهم فى الجنة. =

* وأهل الإيثار متصدقون محسنون إلى الناس بأموالهم على اختلاف حاجاتهم ومصالحهم، من تفريج كرباتهم، ودفع المضار عنهم، وكفايتهم فى مهامهم، وهم أحَد الصنفين اللذين يجوز الحسد لهما، لما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا حسد إلا فى اثنتين - أى صفتين أو خصلتين - رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»**.

وفى رواية أخرى للبخارى ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»**.

وهذان الصنفان هما من أنفع عباد الله لعباده، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذا الإيثار، وتلك الأعمال الفاضلة.

وبعد هذه الجولة فى رحاب الإيثار، نعود إلى هدفنا من هذا الاستعراض للإيثار بوصفة مرتبة عليا من مراتب الحب فى الله، مؤكدين لكل المؤمنين أن الإيثار أعلى مراتب الحب فى الله، ومؤكدين أن من أُوتى الإيثار لإخوانه فى الدين، فقد أوتى خيرًا كثيرًا فى الدنيا بحب الناس له، وفى الآخرة بحسن جزاء الله سبحانه وتعالى.

* وفى تاريخنا الإسلامى ومع الخطوات الأولى للدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة، وبالمؤخاة التى عقدها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، رضى الله عنهم أجمعين - ضرب الأنصار فى الإيثار لإخوانهم المهاجرين أروع الأمثال، فقد جاءت آيات القرآن الكريم تعلن عن ذلك فى قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩].

= ٣ - أنهم فى النار.
٤ - أنهم فى منزلة بين الجنة والنار.
٥ - أنهم تحت مشيئة الله تعالى.
٦ - أنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم.
٧ - أن حكمهم حكم آبائهم فى الدنيا والآخرة.
٨ - أنهم يمتحنون فى عرصات يوم القيامة وترسل إليهم رسل، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار،
ولكل واحد من هذه المذاهب تفسيراته وتعليلاته.

قال علماء التفسير فى هذه الآية: كان المهاجرون فى دور الأنصار فلما غنم رسول الله ﷺ أموال بنى النضير، دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين؛ فى إنزالهم إياهم فى منازلهم، وإشراكهم فى أموالهم، ثم قال: **«إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علىّ من بنى النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم؟»** فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار»** وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار، إلا ثلاثة منهم - لحاجتهم - وهم: أبو دجانة سماك بن خَرَشَة، وسهيل بن حنيف، والحارث بن الصِّمة.

فالأنصار رضى الله عنهم هم المؤثرون لإخوانهم على أنفسهم وهم بحق أهل الإيثار.

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً بات به ضيف فلم يكن عند المضيف إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نوِّمى الصبية، وقرِّبى للضيف ما عندك، **وأطفىء السراج وأريه أنَّا نأكل....»**.

- ويقال: إن ذلك الرجل هو أبو طلحة الأنصارى رضى الله عنه فنزلت: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [الحشر: ٩].

- وقال ابن عمر رضى الله عنهما: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخى فلانا وعياله أحوج منا إلى هذا، فبعثه إليهم، فلم تزل - الرأس - يبعث بها من واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات، حتى رجعت إلى الأول، فنزلت. **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [الحشر: ٩]

* وفى الإيثار - وهو أعلى درجات الحب فى الله - قصص كثيرة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم، نكتفى منها بقصتين هما:

الأولى:

قال حذيفة العدوى: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لى ومعى شىء من الماء - وأنا أقول -: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نَعَم، فإذا أنا برجل يقول: آه، آه، فأشار إلىّ ابن عمى أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نَعَم، فسمع آخر يقول: آه، آه، فأشار هشام أن انطلق إليه،

فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات.

والأخرى:

حُكِى عن أبى الحسن الأنطاكى أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرىّ، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرغفان، وأطفأوا والسراج وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله، لم يأكل منه أحد شيئًا؛ إيثارًا لأصحابه على نفسه.

* وإنما تظهر أهمية الإيثار ودلالته على الحب فى الله عندما يكون المؤثر فى حاجة، ومع ذلك يؤثر أخاه فى الله على نفسه هؤلاء هم الذين: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

* ومن تعامل بالإيثار مع إخوانه فى الدين فحسبه ربحًا ومَحْمدة أنه وقِىَ شح نفسه، فكان من المفلحين.

ب - جزاء الحب فى الله

ما دام الحب فى الله من القِيم التى دعا إليها الإسلام فى كثير من آيات القرآن الكريم، وفى كثير من الأحاديث النبوية التى أوردنا جانبًا منها فيما مضى من هذا الكتاب، ما دام الحب كذلك فلابد أن يكون لهذا الحب جزاء عند الله تعالى يوم الحساب، بل لابد أن يكون جزاؤه عظيمًا، إذ هو طاعة لله تعالى وامتثال لأمره واتباع لسنة رسوله ﷺ، وجزاء الطاعة معروف وهو الفوز العظيم والجنة التى تجرى من تحتها الأنهار مع الخلود فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]

* والذى لا شك فيه أنَ للحب فى الله عند الله تبارك وتعالى جزاء، أخرويًا، سنقدم عليه الشواهد والأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

* ولا شك كذلك أن للحب فى الله جزاء دنيويًا نحس به فى حياتنا، وندرك أثره فى المتحابين فى الله تعالى، وسوف نوضح ذلك ما وسعنا دون إطالة، لأن مجال الحديث فيه مفتوح بأوسع الأبواب وبأفسح مجالات التسجيل والرواية عن أصحاب هذه الحظوظ.

فما الجزاء الدنيوى للحب فى الله تعالى؟

ذلك ما نحاول الإجابة عليه فيما يلى، والله تعالى ولىّ كل توفيق وهو المسدد والهادى إلى الحق.

أولاً:

الجزاء الدنيوى للحب فى الله:

قليلة هى النصوص الإسلامية التى تبشر بجزاء دنيوى على الحب فى الله ولكنها موجودة، وإن كانت لم تسم الحب فى الله ولم تنص عليه بذاته، ولكنها أشارت إليه، ودلت عليه ضمن فضائل أوسع منه كالإنفاق عمومًا وكصلة الرحم عمومًا.

وعند التدقيق نجد الحب فى الله نفقة فى سبيل هذا الحب الذى دعا إليه الله تعالى، ورحم توصل كذلك، لأن الأخوة فى الله كما قلنا آنفا قرابة فى الدين نجدها أبقى وأنفع عند الله من أخوة النسب.

* وقد ورد فى ذلك عدد من الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها:

- ما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق منها إلا اتسعت حلقه مكانها فهو يوسعها عليه، وأما البخيل فإنها لا تزداد عليه إلا استحكاما»**.

- وما رواه أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحبَّ أن يوسَّع الله عليه فى رزقه، وينسأ له فى أثره، فليصلْ رحمه»**.

- وما رواه أحمد بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«مَنْ سَرَّه أن يُمَدَّ له فى عمره، ويوسع له فى رزقه، ويدفع عنه منية السوء؛ فليتق الله وليصل رحمه»**.

* وأتصور بل أكاد أجزم بأن الجزاء الدنيوى للحب فى الله حقيقة واقعة يحس بها من أحب لله وفى الله، لكنه جزاء يأخذ صورًا معنوية هى أجدى على صاحبها من أى جزاء مادى كسعة فى الرزق ونحو ذلك، ومن هذه الصور ما نذكر بعضه فيما يلى:

ـ الإحساس بالرضا والراحة النفسية عندما يجد الإنسان نفسه قد استجاب لله ولرسوله فى الدعوة إلى الحب فى الله، ذلك الحب الذى ذكرنا له كل تلك المراتب التى أعلاها الإيثار.

وهذا الإحساس الجميل المريح جزاء دنيوى بالغ الأهمية فى حياة الإنسان.

ـ والشعور بأن المسلم الذى أحب فى الله قد قام بعمل جليل فى تثبيت القيم الفاضلة فى المجتمع، لأنه لا يحب إلا من وجده حيث أمره الله، والله تعالى لا يأمر إلا بما فيه خير الدنيا والآخرة، ومعنى ذلك أنه بهذا الحب يجمع شمل المسلمين على حب الخير وممارسته فى الحياة.

ـ والاطمئنان إلى أن الصحة النفسية للمحب وللمحبوب على درجة عالية من المواءمة بين الإنسان وغيره من الناس، فكل إنسان بمقتضى فطرته التى فطره الله عليها يسرُّه ويطمئنه على حاضره ومستقبله أن يكون محبًا ومحبوبًا، ولا يكفل هذا مثل الحب فى الله تعالى.

ـ وبعث الثقة فى نفس الأخوين أو الإخوة الذين تبادلوا الحب فى الله، وثقة الإنسان فيمن حوله ضرورة نفسية إذا حرمها الإنسان قلق واضطرب، وكان أدنى إلى الفشل فى كل ما يأتى من الأمور.

ـ وانتشار الحب فى الله بين المؤمنين، حتى يصبح المجتمع وقد سيطر عليه الحب فى الله، ومعنى ذلك أن يكون المجتمع ملتزمًا بما أمر الله، منتهيا عما نهاه عنه، وذلك هو المجتمع الفاضل الآمن الذى يستطيع فيه الإنسان أن يمارس حياته بعيدًا عن الخوف والشر والحسد والحقد والأنانية، وكلها عيوب مدمرة للمجتمع ومن فيه، وما يقضى عليها دواء مثل دواء الحب لمن كان حيث أمره الله.

ـ وانتشار روح التعاون بين الناس، لأن من أُحِبَّ فى الله يريد أن يبادل من أَحبَّه نفس الشعور، ومن هنا تنشأ المرحمة بين الناس، والتعاون على البر والتقوى، وفى هذه الحالة فإن المجتمع يسارع إلى حب اليتيم والضعيف والعاجز والعاطل، فيقدم لكل منهم ما يحتاج إليه، فتسود المجتمع روح الأخوة وتنتعش الفضائل وتنقمئ الرذائل، ويحار الأشرار إذ يجدون أنفسهم مكروهين فى الله، وربما مبعدين عن ذويهم أنفسهم إذا كان ذووهم قد التزموا بحب من يجدونه حيث أمره الله وبغض من يجدونه حيث نهاه الله، ـ وفى هذا حسم لمادة الشر وحصار ـ وتضييق على الأشرار.

- وانتشار احترام مبدأ الحقوق والواجبات، فكل حق يستمتع به الإنسان يقابله واجب لابد أن يقوم به، وإذا ساد هذا المبدأ فى مجتمع ما، فإنه يصبح مجتمع العدل والإحسان؛ لأن المجتمعات ما تصاب بمرض أسوأ من مرض إنكار حقوق الآخرين، والتقصير فى أداء الواجبات.

والحب فى الله يؤكد هذا المبدأ ويجعل له الصدارة، لأن الله تعالى يريد دائما إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإلزام المؤمنين بالتمسك بالحقوق - إلا أن يتسامحوا لإخوانهم فى الله - وأداء الواجبات - إلا أن يعفيهم أصحاب هذه الواجبات تسامحًا معهم أيضًا - إذ كيف ينكر محب حق محبوبه؟ وكيف يقصر محب فى واجبات محبوبه؟

- وانتشار روح التسامح بين الناس إذ تلك سنة بين المتحابين، فما بالنا بالمتحابين فى الله تعالى؟

وإن روح التسامح إذا سادت الناس، فلا بغضاء ولا شحناء ولا خصام ولا قطيعة ولا تدابر، ولا حسد ولا حقد، والمجتمع الذى تسود فيه روح التسامح مجتمع آمن مطمئن منصرف إلى العمل النافع والإنتاج المفيد، بل النهضة والابتكار فى شتى ميادين الحياة الإنسانية كلها.

* وحسب الحب فى الله جزاء دنيويًا أن يجعل المتحابين فى الله رحماء فيما بينهم، متعاطفين مع غيرهم، متعاونين جميعًا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

- وإن الحب فى الله يولد بين المؤمنين اعتزازًا بالانتماء لهذا الدين العظيم الذى أحب بعضهم بعضًا من أجله.

وهذا الاعتزاز بالانتماء إلى خاتم الأديان يملأ نفوس الناس بأنبل المشاعر وأكثرها نفعًا للإنسان فى دنياه، فهو يشعر بالثقة فيمن حوله وبالمجتمع نفسه.

ويشعر بأهميته وبأن له عملاً فاعلاً مؤديًا إلى خير المجتمع، ويشعر بالاطمئنان على حاضره ومستقبله، ونفسه وماله وولده وما يملك.

* هذه بعض المكاسب أو الجزاء الدنيوى للحب فى الله نرجو أن نكون قد أوضحناها بعون من الله وتوفيق.

ثانيًا:

الجزاء الأخروى للحب فى الله:

هذا النوع من الجـزاء الأخروى على الحب فى الله، أيدته نصـوص إسلاميـة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهـرة، ذكرنا بعضها فى ثنايا هذا الكتاب، ونذكـر بعضها فى هذا المجال.

* **ومن البديهى أن يكون للحب فى الله جزاء أخـروى عظيم لأن الله تعالى أمر المؤمنين** بالتآخى فيه والتحاب فيما بين الإخوة، ومن أطاع الله أثابه.

* **ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا الجزاء العظيم:**

- قوله تبـارك وتعالى: **﴿ وَالَّذِيـنَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيـلِ الـلَّهِ وَالَّذِيـنَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].**

* والمغفرة من الله تعالى هى صون العبد من أن يمسه عذاب.

* والرزق فى الآخرة ما يفيضه الله عليهم من نعم دائمة.

- وقوله جل وعلا: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** [النحل: ١٢٨].

* وتقوى الله خوفه باجتناب ما نهى عنه وامتثال ما أمر به.

* والإحسان بكل معنـى من معانيه مطلب شرعى كتبـه الله على كل شىء، وما دام قد كتبه فإنه يجازى عليه أحسن الجزاء: **﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾** [الرحمن: ٦٠].

- وقوله عـز شأنه: **﴿ ... وَأَقِيـمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا...﴾** [المزمل: ٢٠].

* والقـرض الحسن وتقـديم الخير لـلنفس إنما يكون بالحب فى الله والبـغض فيـه، والاجتماع عليه والتفرق عليه.

- وقوله سبـحانه وتعالى: **﴿ إِن تُقْرِضُوا الـلَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالـلَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾** [التغابن: ١٧].

* **ومن المعلوم أن القرض ليس لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا فهو الغنى، وإنما لعباد**

الله للتفريج عنهم، ولكنه يقع فى يد الله تعالى فيجازى عليه أحسن الجزاء.

* ومن امتنع عن هذا القرض الحسن ولجأ إلى بديله وهو الربا - إذ هو قرض يجر نفعًا - فقد وقع فى حرب مع الله تعالى.

* ولا شك فى أن القرض الحسن وإطعام الطعام وعيادة المريض وكسوة العريان وقضاء حاجة المحتاج، كل ذلك مما يثيب الله تعالى عليه أحسن الثواب، ويعاقب على تركه.

روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«قال الله تعالى: «استقرضت عبدى فلم يقرضنى...»** ومن المعلوم أن المستقرض هو أحد الناس، ولكن من يقرضه فكأنما أقرض الله تعالى.

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ عن الله تعالى أنه قال: **«مرضتُ فلم يعدنى ابن آدم، وظمئتُ فلم يسقنى ابن آدم، فقلت: أتمرض يا رب؟ قال: يمرض العبد من عبادى ممن فى الأرض فلا يُعاد، فلو عاده كان ما يعوده لى، ويظمأ العبد فى الأرض فلا يُسقى، فلو سقاه كان ما سقاه لى»**.

هذه بعض الآيات الكريمة التى تدل على الجزاء الأخروى للحب فى الله وللتآخى فى الله الذى يترجم عنه بالحب.

* ومن الأحاديث النبوية الدالة على هذا الجزاء العظيم للحب فى الله والتآخى فيه، ما نذكر بعضه فيما يلى:

- روى أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: «حقت محبتى للمتحابِّين فىَّ، وحقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ، المتحابون فىَّ على منابر من نور، يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء»**..

ورواه الطبرانى فى الكبير، والحاكم فى المستدرك.

* وروى الحاكم بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر - رضى الله عنه - يا رسول الله بأبى أنت وأمى، ما الذى أضحكك؟ قال: **«رجلان من أمتى جثَيا بين يدى رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ مظلمتى من هذا، فقال الله تعالى: ردَّ على أخيك مظلمته، فقال: يا رب لم يبق لى من حسناتى شىء، فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك؟ ولم يبق من حسناته شىء؟ فقال: يا رب**

فليحمل عنى من أوزارى، قال: فيقول الله تعالى للمتظلم: ارفع بصرك فانظر فى الجنان، فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأى نبى هذا أو لأى صديق؟ أو لأى شهيد؟ قال الله تعالى: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوت عنه، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة».

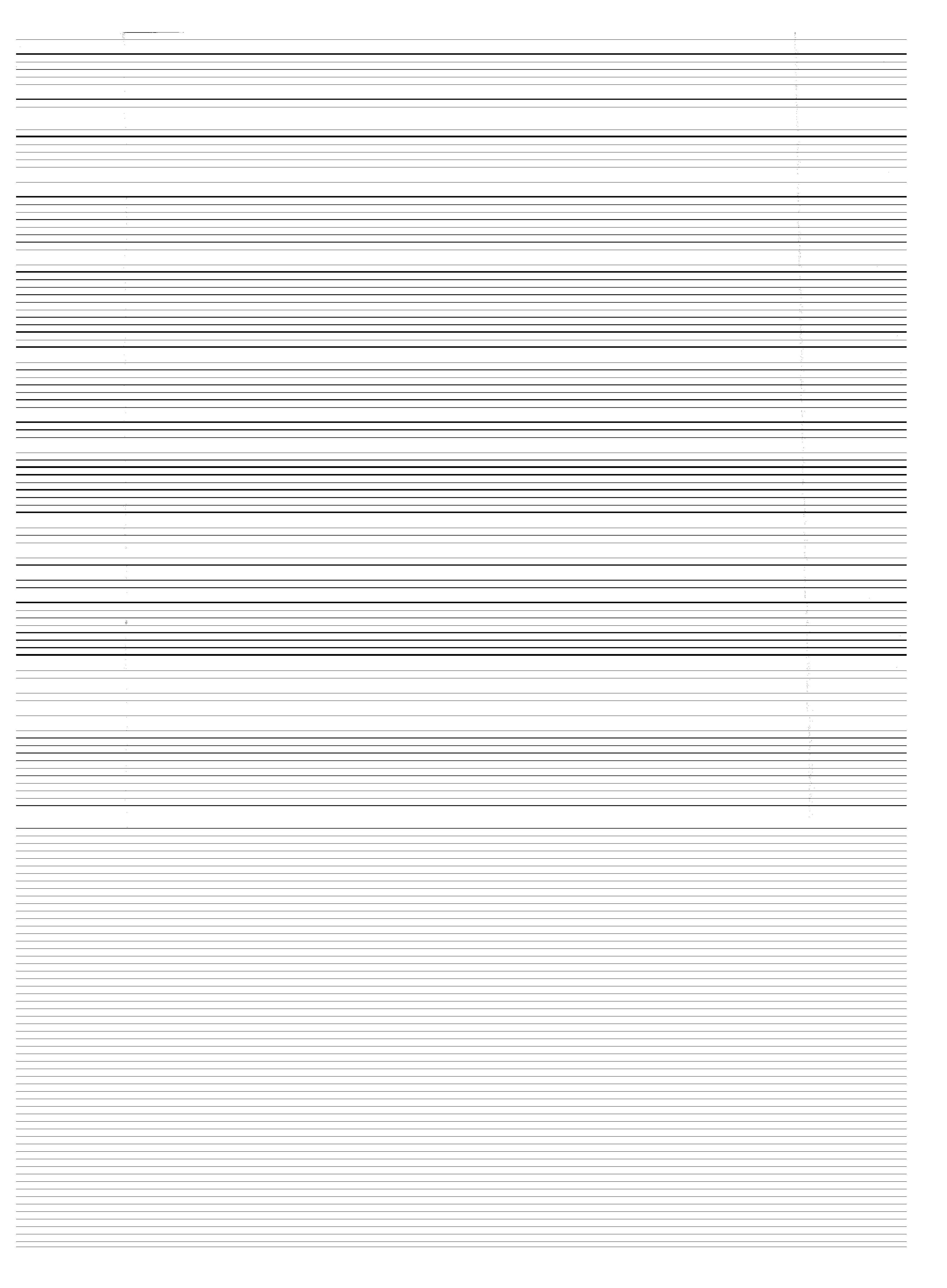
ـ وروى أبو داود بسنده عن جابر وطلحة رضى الله عنهما، قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«ما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا فى موضع ينتهك فيه عرضه، وتُستحل فيه حرمته، إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصره، وما من امرئ خذل مسلمًا فى موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته»**.

ـ وروى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم»** قلنا: يا رسول الله فكلنا رحيم، قال: **«ليس الذى يرحم نفسه خاصة ولكن الذى يرحم الناس عامة»**.

وبعـــد:

فلعلى بذلك قد أوضحت فى هذا الفصل ما عناه الإمام البنا رحمه الله من كلماته عن أخوة العقيدة.

وإلى الحديث عن باقى كلماته فى صفات الأخ الصادق فى الفصل الثانى الذى نختم به هذا الكتاب، سائلين الله التوفيق والسداد.



الفصل الثانى

صفات الأخ الصادق

ويشمل الموضوعات التالية:

١ ـ قوة الأخوة وفاعليتها. (يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه)

أ ـ الأخوة القوية.

ب ـ الأخوة الفاعلة.

٢ ـ الحاجة إلى الأخوة (إن لم يكن بهم فلن يكون، وهم يكونون به وبغيره)

أ ـ ضياع الأخ إن بعُد عن إخوانه

ب ـ الأخوة فى الله باقية على الرغم من المتخاذلين.

* أسباب التخاذل إجمالاً:

أولا: إيثار الراحة والدعة والعافية.

ثانيا: خوف الفتنة والبلاء.

ثالثًا: البخل بالجهد والوقت والمال.

رابعًا: إيثار الدنيا وما عند الناس على ما عند الله

٣ ـ خطر الخروج على الأخوة:

أ ـ أسباب الخروج إجمالاً:

أولا: سوء الظن بالقيادة.

ثانيًا: الانتكاس الذى يستهين بالدين.

ثالثًا: الخوف من بطش الظالمين.

رابعًا: الطمع فى الجاه والمنصب والمال.

خامسًا: ممالأة الأعداء والسير فى ركابهم.

سادسًا: الرغبة فى تقلد المناصب فى الجماعة.

سابعًا: الغرور عند من يتصور نفسه موازيًا للجماعة.

ب ـ نتائج الخروج على الأخوة فى الله:

أولاً: ضرر يعود على الخارج عن الأخوة فى الدين.

ثانيًا: أضرار تعود على المسلمين جميعًا ومنها:

- ضعف المسلمين وذهاب ريحهم.
- طمع أعداء المسلمين فيهم.
- تصعيب الوصول إلى التمكين لدين الله فى الأرض.

٤ ـ الأخوة فى الله تكامل إيمانى دعوى حركى:

أ ـ سد الثغرات فى العمل من أجل الإسلام.

ب ـ الوصول إلى الوَحدة فالاتحاد.

جـ ـ تحقيق الولاية بين المؤمنين.

تقديم الفصل الثانى

الأخ الصادق وصفاته

الصدق هنا يعنى: كل فعل فاضل، ظاهراً كان هذا الفعل فى العمل والسلوك، أم باطنًا انطوى عليه القلب والعقل.

ومن هذا الصدق أنواع:

صدق الاعتقاد.

وصدق القول.

وصدق العمل.

وصدق الثبات على الحق، والصلابة والقوة فيه.

والصدق فى القتال أى عدم الفرار أو التراجع.

وصدق النصيحة.

* وأعلى درجات الصدق: الجهر بالحق فى مواطن الهلاك. وقال الإمام القشيرى[1]: الصدق ألا يكون فى أحوالك شوب، ولا فى اعتقادك ريب، ولا فى أعمالك عيب.

* والأخ الصادق عند الإمام حسن البنا هو المجاهد الذى توجه إليه برسالة التعاليم، فخاطبه قائلاً: هذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهى ليست دروسًا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ، فإلى العمل أيها الإخوة الصادقون: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، وكلا وعد الله الحسنى.

---

(١) هو عبد الكريم بن هوازن النيسابورى القشيرى (٣٧٦ ـ ٤٦٥ هـ) من بنى قشير بن كعب، شيخ خراسان فى عصره زهداً وعلما بالدين، هو صاحب التفسير الكبير، ولطائف الإشارات فى التفسير أيضًا، والرسالة القشيرية.

* وهذا الأخ الصادق هو المجاهد الذى توجه إليه الإمام البنا فى هذه الرسالة بأركان البيعة العشرة فقال فى خطابه إليه بهذه الرسالة: أيها الإخوان الصادقون، أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها؛ الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة.

ثم خاطبه فى آخر كلامه عن الأركان العشرة بقوله: أيها الأخ الصادق، إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات، حتى تكون لبنة قوية فى البناء، ثم سرد ثمانية وثلاثين واجبًا.

ثم عاد فى ختام الرسالة يقول: أيها الأخ الصادق، هذا مجمل دعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات:

الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أمنيتنا.

* وفى ركن الأخوة الذى نحن بصدد تفسيره وشرحه خص الأخَ الصادق بأوصاف أشد قوة، وأكثر قدرة على التطبيق لأركان هذه البيعة، ومنها:

- ارتباطه بإخوانه بأوثق الروابط وأغلاها وهو رباط العقيدة.

- وحبه لإخوانه.

- وسلامة صدره نحو إخوانه.

- وإيثاره لإخوانه على نفسه.

- وبأنه يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه.

- وبولائه لإخوانه فى الدين.

* وسنحاول فى هذا الفصل بفضل الله تعالى وعونه أن نوضح صفات الأخ الصادق، فيما يلى:

١ ـ قوة الأخوة وفاعليتها

قوة الأخــوة وفاعليــتها كــما يرى الإمام الــبنا هى أن يرى الأخ إخوانه أولى بنفــسه من نفسه.

وفى تحليلنا وشرحنا لهذه الكلمة الوجيــزة الدَّالَّة نقول: لا يرى الأخ إخوانه أولى بنفسه من نفسه إلا إذا كانت أخوته قوية، وفاعلة.

* والقوة: تستعــمل تارة بمعنى القدرة، كما فى قــوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ...﴾ [البقرة: ٦٣].

وتارة بمعنى التهيؤ الموجود فى الشىء؛ مثل: النوى نخل بالقوة.

وتارة تستعــمل للدلالة على قوة البدن كمــا فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾ [فصلت: ١٥].

وتارة تستعمل للدلالة على قوة القلب والروح، كما فى قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾ [مريم: ١٢] أى بقوة قلب وروح.

وتارة تستعــمل للدلالة على قوة من يعين من خارج الإنسان كمــا فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣].

* وتستعمل كلمة القوة للدلالة على القــدرة الإلهية، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

* وعند علماء الاجتماع:

القوة هى: كل قدرة يمكنها أن تحدث أثرًا، فهى تعتبر سببًا، ودافعًا.

والقوة بمعنى الدافع نوعان:

ـ قوة دافعها داخلى يعتمد على الأحوال العضوية الداخلية.

ـ وقوة دافعها خارجى يعتمد على أحوال البيئة الطبيعية والاجتماعية.

* **وللقوة أنواع أخرى منها:**

ـ القوة النفسية التى تعتمد على التجارب الواعية.

- والقوة الاجتماعية وهى كل دافع فعَّال يؤدى إلى العمل الاجتماعى.

كما أن القوة قد تكون إيجابية كقوة الجذب أو التثبيت، وقد تكون سلبية كقوة النفور أو التفكك.

* وأما الفاعلِيّة فهى القدرة على إنتاج أثر حاسم فى زمن محدَّد. والقدرة على تحقيق الأهداف.

والفاعلية الحركة والنشاط والحيوية والإيجابية.

* والأخوة فى الله أو فى الدين يجب أن تكون بكل وصف من الأوصاف الحسنة التى ذكرنا للقوة، وبكل نوع من أنواعها؛ البدنية والروحية، والنفسية، والاجتماعية، وأن تكون قوة إيجابية قادرة على جذب الآخرين نحو هذا الدين وتشجيعهم على التمسك بالقيم الإسلامية، مع تثبيتهم على هذه القيم وتلك المبادئ.

* والأخوة الفاعلة التى تستطيع أن تحدث أثرًا حاسمًا فى كل ما يحيط بها من ظروف فى زمن محدد، مع استطاعتها أن تحقق أهدافها.

وإلى تفصيل قوة الأخوة وفاعليتها.

أ- الأخوة القوية:

الأخوة القوية هى التى يلتزم فيها صاحبها، بتطبيق حقوق الأخوة وواجباتها.

فما حقوق الأخوة وواجباتها؟

- كل حق لابد أن يقابله واجب، لأنه لا يمكن لأحد ان يتمتع بحقوقه، دون أن يقوم بواجباته.

والحقوق هى مصالح ومزايا وحريات للأخ المسلم على أخيه المسلم خصوصًا وعلى المجتمع كله عمومًا.

- والواجبات هنا هى ما أوجبه الشرع على الفرد المسلم نحو أخيه فى الدين، أو أوجبه على المجتمع نحو كل فرد من أفراده.

وما دام هذا الواجب شرعيًا فإن الله تعالى يعاقب على تركه.

* وإذا كان الحق من الحقـوق الطبيعية اللازمـة للإنسان بوصفه إنسـانًا، أو من الحقوق الوضعيـة التى تقررها القوانين المكتوبة والعادات المقـررة، فإن كلاً منهما قـد كفله الإسلام لكل أحـد، على أكمل صورة وأوجبهـا، وشرَّع من أجلهـما تشـريعات عـديدة. وجاءت بتقريرهما آيات من القرآن الكريم، وكلمات من السنة النبوية المطهرة.

- ومن الآيات القرآنية الجامعة فى هـذه الحقوق قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقوله جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠ - ١١].

- ومن الأحاديث النبوية الشريفة فى الحقوق:

ما رواه ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: **رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك، ماله، ودمه وأن نظن به إلا خيرًا»**.

وما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسلم أخـو المسلم، لا يخونه ولا يكذبـه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه ومـاله ودمه، التقوى ههنا وأشار إلى القلب، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»**.

وليست هذه الحقوق للمسلمين وحدهم ولكنها لأهل الذمة والعهد كذلك.

روى الطبرانى - فى الكبـير - بسنده عن جابر رضى الله عنه قـال: **قال رسول الله ﷺ: «إذا ظُلم أهل الذمة كـانت الدولة دولة العدو، وإذا كثر الزِّنى كـثر السبىُ، وإذا كثـر اللوطية رفع الله يده عن الخلق ولا يبالى فى أى واد هلكوا»**.

- ومن الأحاديث النبوية الشريفة فى الواجبات:

ما رواه الإمـام الطبرى بسنده عن أبى ثعـلبة الخشنى رضى الله عـنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله تعالى ذكرُه فرض فـرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشيـاء فلا تنتهكوها، وحَدَّ حدودا فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»**.

ورواه الدارقطنى وغيره، وهو حديث مرفوع ذكره النووى فى: الأربعين حديثا.

وما رواه أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اضمنوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».

وما رواه البخارى فى تاريخه، وأحمد والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم بأسانيدهم عن الحارث بن الحارث الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهم، وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأوحى الله إلى عيسى: إما أن يبلغهن أو تُبَلِّغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن، فقال له: يا روح الله إنى أخشى إن سبقتنى أن أعذب أو يخسف بى، فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مَثَل مَنْ أشرك بالله كمَثَل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق، ثم أسكنه دارًا، فقال: اعمل وارفع إلىَّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

وآمركم بالصلاة، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله عز وجل يقبل بوجهه على عبده ما لم يلتفت.

وآمركم بالصيام، ومَثَل ذلك كمثل رجل معه صُرَّةُ مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة، ومَثَل ذلك كمثل رجل أسَرَه العدو، فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدى نفسى منكم؟ فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فَكَّ نفسه.

وآمركم بذكر الله كثيرًا، ومَثَل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا سراعًا فى أثره، فأتى حصنا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحْصنُ ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله تعالى.

وأنا آمركم بخمس أمرنى الله بهن؛ الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد فى سبيل الله؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه، إلا أن يُراجع، ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو مِنْ جُثاء جهنم، وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله

التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله».

وبعد: فما تفصيل حقوق المسلم على أخيه المسلم وواجباته نحوه؟[1] فى صورة معدودة محصاة تقريبًا؟

نشير من ذلك إلى ما يلى:

١ ـ حقه فى أن يستر عليه أخوه عيوبه وأخطاءه، وواجبه فى ألا يضع نفسه فى مواضع المحرمات والشبهات.

٢ ـ وحقه فى أن يردَّ عنه أخوه غيبته، وواجبه فى أن يلتزم خلق الإسلام حتى لا يعيبه أحد.

٣ ـ وحقه فى أن يعفو عنه، وواجبه فى ألا يخطىء فى حق أخيه، ولا فى حق أحد من الناس.

٤ ـ وحقه فى أن يحسن إليه أخوه، وواجبه فى أن يقابل هذا الإحسان بإحسان مثله أو أكبر منه.

٥ ـ وحقه فى أن ينطق له أخوه بما يحب، وواجبه فى أن يكون موضع رضا الله تعالى، ورضى الناس.

٦ ـ وحقه فى أن يترك أخوه مجادلته أو مماراته، وواجبه فى ترك التعصب للرأى.

٧ ـ وحقه على أخيه فى أن ينصحه ويعلمه، وواجبه فى أن يقبل النصيحة ويشكر عليها، ويقبل على التعلم برغبة ومحبة.

٨ ـ وحقه فى أن يفى له أخوه حيًا وميتًا، وواجبه فى أن يبادل أخاه وفاءً بوفاء.

٩ ـ وحقه فى أن يخفف عنه أخوه أعباءه، ويقضى حاجاته، وواجبه فى أن يقضى هو حاجات نفسه وإخوانه.

١٠ ـ وحقه على أخيه فى أن يدعو له أخوه بظهر الغيب حيًا وميتًا، وواجبه فى الدعاء لأخيه ولسائر المسلمين.

١١ ـ وحقه على أخيه فى أن يعلمه أساليب الدعوة إلى الله، وواجبه فى الاستجابة لذلك والشكر له.

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا: فقه الأخوة فى الإسلام. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ بالقاهرة.

١٢ ـ وحقه على أخيه فى أن يصاحبه أخوه فى مجال الحركة بالدين فى الناس والآفاق، وواجبه فى أن يسمع ويستجيب ويحسن الصحبة.

١٣ ـ وحقه على أخيه فى أن يبصره أخوه بأساليب التربية الإسلامية ومفرداتها، وواجبه فى الأخذ بما عُلِّم ، والالتزام بتنفيذ مفردات التربية الإسلامية، وهى مفردات كثيرة جامعة تضمن صلاح الفرد والمجتمع(١).

١٤ ـ وحقه فى أن يتعاون معه أخوه على البر والتقوى، وواجبه فى التجاوب مع أخيه فى ذلك.

١٥ ـ وحقه فى أن يعلمه أخوه كل ما يلزمه فى مجال العمل من أجل الإسلام، والتمكين لدين الله فى الأرض، وواجبه فى أن يجعل جزءا من وقته وجهده وماله وجاهه من أجل العمل الإسلامى والتمكين لدين الله تعالى.

هذه صورة مجملة معدودة للحقوق والواجبات المتبادلة بين الإخوة فى الله.

وإذا روعيت هذه الحقوق والواجبات، والتزم بها المتآخون فى الله، فقد دعموا أخوتهم فى الله، وجعلوا هذه الأخوة قادرة على تحقيق أهدافها.

فما أهداف الأخوة فى الدين؟

نستطيع أن نحدد هذه الأهداف إجمالاً فيما يلى:

١ ـ تآخى المؤمنين فى الله؛ ليحمل قويهم ضعيفهم، ويعين غنيهم فقيرهم ويرحم كبيرهم صغيرهم، وينصر الأخ أخاه فى كل موقف ظالمًا بكفه عن الظلم ومظلومًا برفع الظلم عنه.

٢ ـ وتوثيق رابطة العقيدة الإسلامية فيما بينهم.

٣ ـ ومن أجل تعاونهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

٤ ـ وللتعاون فى تطبيق الإيمان والإسلام والعدل والإحسان.

٥ ـ وللتعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(١) هى مفردات عشر: التربية الروحية، والخلقية، والعقلية، والبدنية، والدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والجهادية، والجمالية. وقد نشرنا منها ثلاث حلقات هى: التربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية العقلية. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، وسنوالى نشر باقيها إذا أذن الله تعالى.

٦ ـ ولنشر الدعوة إلى الله ـ الدعوة إلى الخير ـ وللتحرك بالإسلام فى الناس والآفاق.

٧ ـ وللعون على الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، من أجل التمكين لدين الله فى الناس وفى الأرض.

* وإذا كانت هذه هى أهداف الأخوة فى الله تعالى، فإن هذه الأخوة يجب أن تكون قوية، ودليل قوتها الالتزام بكل ما لها من حقوق وما عليها من واجبات، وهذا ما نعنيه بالأخوة القوية، وعلامة صحتها وقوتها أن يرى الأخ إخوانه أولى بنفسه من نفسه.

وبغير هذه الأخوة القوية لا تتحقق أهدافها التى تحدثنا عنها آنفا.

* ومن لم تكن أخوته قوية على النحو الذى أوضحناه فى ذلك فليس بالأخ الذى يوصف بأنه من الإخوان الصادقين.

ب ـ الأخوة الفاعلة:

وهذا هو الوصف الثانى للأخوة فى الدين.

ومعنى فاعلية الأخوة أن يكون الأخ نشطا دءوبا ذا حركة وسرعة استجابة لمتطلبات الأخوة فى الدين، وبغير ذلك لا يستطيع أن يحقق الأخ أهداف الأخوة فى الله فى أى مجال من مجالاتها، إن الفاعلية هنا تعنى القدرة على التأثير الحاسم فى كل ما يحيط بها من ظروف وملابسات.

ولابد لنا هنا أن نرصد فاعلية الأخوة فى الله فى أهم مجالاتها التى نعرفها، وذلك فيما يلى:

١ ـ مجال الأخوة نفسها:

وفاعلية الأخوة فى هذا المجال الأساسى لها تقاس بمدى ما حققته من نجاح فى التعريف بالأخوة حقوقها وواجباتها، وبتأكيد معانى الأخوة كلها، وبقدرتها على جذب الآخرين والتأثير فيهم تأثيرًا إيجابيًا.

ـ ومعنى إيجابية التأثير أن يقتنع الآخرون بالانضمام إلى موكب الأخوة فى الله، وأن يلتزموا بأحكام الأخوة فى الله حقوقًا وواجبات وأخلاقًا وآدابًا، وأن يستمروا على هذا الالتزام، وأن يحاطوا بالظروف التى تجعلهم فى مأمن من التراجع أو الانتكاس.

ـ وفاعلية الأخوة تقتضى كذلك من صاحبها أن يحقق نجاحًا فى تفقيه الآخرين بالأخوة، وتفقيههم بالتعاون فى مجـال الأخوة على كل ما من شأنه أن يعود على المسلمين بالخير فى الدين والدنيا، أو يدفع عنهم الضرر فى دينهم ودنياهم.

٢ ـ ومجال الدعوة إلى الله:

وفاعلية الأخـوة فى هذا المجال ـ وهو أوسع مجالات العـمل من أجل الإسلام ـ تقاس بمقاييس عديدة نظرًا لـسعة المدى الذى تتحرك فـيه الدعوة إلى الله ونظرًا لعمومـية المدعوين إلى الله، ونظرا ليسر وسائل الدعـوة إلى الله وبـساطتها، وعلى سبيل المثـال، فإنها تقاس بما يلى:

ـ مدى ما حـققته فاعليـة الأخوة من اتساع دائرة نشر الدعوة إلى الله فى أكـبر عدد من الناس، وأوسع مدى من المكان والزمان.

ـ وبمدى ما اكتـسبته الأخوة من مدعـوين انضموا إلى موكب الدعوة واستـعدوا للالتزام بأحكامها وآدابها.

ـ وبمدى ما تسـتطيع هذه الأخوة أن تقـدمه للمـدعوين الجدد من خـدمات تعـود عليهم بالنفع فى دينهم ودنياهم.

ـ وبمدى ما يستطيع الأخ ذو الأخوة الفاعلة أن يقـدمه للدعوة من جهـد ووقت وعمل وعلم وعطاء.

ـ وبمدى ما يسره للمدعوين من فـقه للدعوة فى وسائلها وأساليبهـا وأهدافها، ومراحلها وواجباتها وشروطها وآدابها.

ـ وبمدى قـدرة هؤلاء المدعوين على الانـتقـال من مرحلة فـى الدعوة إلى مـرحلة أعلى منها.

* إن الأخوة فى الله لا تكون فـاعلة فى مجـال الدعوة إلا إذا قدمت ذلك وأكـثر منه، حسبة لوجه الله تعالى لا انتظارًا لجـزاء من أحد أو لثناء من إخوانه، وإنما يحتسب فى ذلك كله أجره عند الله.

٣ ـ ومجال الحركة بهذا الدين:

وفاعلية الأخوة فى هذا المجال تقاس بمقاييس عديدة:

- بمدى القدرة والانطلاق فى التحرك بهذا الدين فى الناس وفى الآفاق، وكلما اتسع المدى كانت الفاعلية أكثر إيجابية وتأثيراً.

- وبمدى ما يتولد عند الأخ من رغبة فى الاختلاط بالناس، ومعايشة أمورهم ومشكلاتهم والعمل على حلها.

- وبمدى ما يستطيع الأخ أن يثبته فى نفوس مَنْ تحرك فيهم، من مبادئ الدين وقيمه وآدابه.

- وبمدى ما يستطيع أن يؤثر به فى الناس من تحبيبهم فى الخير وتنفيرهم من الشر، وترغيبهم فى حب الناس وحب الخير لهم.

- وبمدى ما يستطيع أن يبثه فى الناس من فقه للدين وقضاياه وفقه للدنيا ومسائلها، وفقه للدعوة وفقه للحركة وفقه للتربية الإسلامية.

- وبمدى قدرته على توليد الانتماء إلى الإسلام وقيمه فيمن تحرك فيهم، والاعتزاز بهذا الانتماء.

- وبمدى ما يستطيع أن يقنع به مَنْ تحرك فيهم من وجوب المضى فى طريق الحق مهما كانت التضحيات من أجله، حتى يمكّن لدين الله فى الأرض.

٤ ـ ومجال التربية الإسلامية:

وفاعلية الأخوة فى هذا المجال ـ وهو مجال متشعب واسع ـ تقاس بعدد كبير من المقاييس نذكر منها ما يلى:

- مدى ما نجحت فيه هذه الأخوة الفاعلة من إشاعة المفاهيم التربوية الإسلامية، بحيث يستطيع المتربى أن يجد علاجًا تربويًا إسلاميًا لكل موقف يمر به يحتاج إلى علاج.

- ومدى ما وصل إليه المتربى من التزام وانضباط مع القيم التربوية الإسلامية فى نفسه وفى بيته وأقاربه وأرحامه وجيرانه، فكل ذلك يقيس فاعلية أخوته.

- ومدى ما استطاع أن ينجح فيه من إزالة الأمية بنوعيها عن المتربين الذين يتعامل معهم.

أمية القراءة والكتابة التى أدى إليها اضطراب النظام السياسى والاجتماعى فى الوطن الذى يعيش فيه.

والأميـة الإسلامية التى أدت إليـها سيـاسة التعليم وأهدافـه وقصور مناهجـه فى معظم بلدان العالم الإسلامى التى تدين كثير منها بالعلمانية التى تقصى الدين وقيمه.

- ومدى قدرته على تحبـيب من يتعامل معهم فى الدراسة المتعمـقة لمجالات هامة بل فى غاية الأهمية للمسلمين، هى:

* مجـال السيرة النبـوية الشريفـة وهى السنة العمليـة لأن صاحبـها ﷺ يجب أن يكون القدوة لكل مسلم.

* ومجال سير الصحابة رضى الله عـنهم والتابعين وتابعيهم وأهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون، لأنهم هم الذين نقلوا إلينا الدين فـى أصليه الرئيسين الكتاب والسنة، ونقلوا إلينا التطبيق العملى لهذا الدين فى الحياة الإنسانية.

- ومدى ما يسـتطيع أن يعلمه لمن يتعامل معـهم من أهداف التربية الإسلاميـة ووسائلها وميادينها ومراحلها، والأوعية الزمنية الملائمة لاستيعاب ما تحتوى عليه كل مرحلة.

- ومدى ما استطاع أن ينجح فيه مع من يتعامل معهم فى إيجاد فكر مشترك بينهم ووعى بالقضايا الإسلامـية التى تحيط بالمسلمين فى العالم كله، وعيًا علميًا وعمليًا واجـتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا، وتصور دقيق لحلول مناسـبة لهذه القضايا فى ضوء ما يدبره أعداء المسلمين للإسلام والمسلمين من حرب وتحدٍّ للمصالح الآنية والمستقبلية.

- ومدى نجاحه فى حشـد الرأى العام الإسلامى فيمن يتعامل معـهم حول كل قضية من القضايا العامة والمرحلية، وذلك أن الرأى العام الواعى يؤثر تأثيرًا إيجابيًا فى كل قضية يتحشد لها.

- ومدى نجاحه فى تبصير من يتعامل معهم بالأخطاء التربوية التى يقع فيها بعض البسطاء العفويين الذين لا يحسنون التقدير، وكيفية تلافى هذه الأخطاء، وعلاج ما وقع منها، وذلك دون جرح لمن أخطأوا أو تشهـير بهم، لأنهم فى أغلب الظن إنما أخطأوا بحسن نية، أو بجهل بالأبعـاد الحقيقة للقضـايا التربوية التى عالجوها، ولهم أجر من اجـتهد فأخطأ، ولا يجوز التهجم عليهم أو اتهامهم فى نواياهم.

٥ - ومجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وفاعلية الأخوة فى هذا المجال من أهم الفـاعليات لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم إيجابيات الإسلام وأقوى أسسه، وتقاس فاعلية الأخوة فى هذا المجال بما يلى:

ـ بمدى ما يستطيع صاحب الأخوة الفاعلة من قدرة على إشاعة الخير والمعروف وحب ذلك للنفس وللناس مؤمنهم وغير مؤمنهم.

ـ وبمدى ما يستطيع أن يطبع عليه الناس من ممارسة للأمر بالمعروف، وتحمل أى أعباء تترتب على هذه الممارسة.

ـ وبمدى قدرته على ترغيب من يتعامل معهم فى النهى عن أى منكر، وتحمل أعباء هذا النهى والصبر على هذا التحمل.

ـ وبمدى ما استطاع أن يصل إليه فيمن يتعامل معهم وفى المجتمع المحيط به من حب الخير للناس وشيوعه، وانكماش الشر والمنكر وكراهية الناس لذلك.

ـ وبمدى ما استطاع أن يبصر الناس به من فقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشروطهما وآدابهما، والتوعية بما جاء فيهما من نصوص إسلامية.

٦ ـ ومجال الجهاد فى سبيل الله تعالى:

وفاعلية الأخوة فى هذا المجال تقاس بما يلى:

ـ بمدى ما استطاع صاحب الأخوة الفاعلة من تعريف الناس بالجهاد فى سبيل الله تعريفًا نابعًا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وجهاد الرسول ﷺ وما أحاط بهذا الجهاد من شروط وآداب.

ـ وبمدى ما استطاع أن يوصله للناس من فقه للجهاد فى سبيل الله يوضح أهدافه ووسائله وأحكامه، وأنه ليس عدوانا على أحد، ولا إكراهًا على الدخول فى الدين.

ـ وبمدى قدرته على تأكيد أن الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فريضة محكمة تعد ذروة سنام الإسلام، ومثل سائر الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله لمن استطاع إليه السبيل.

ومعنى ذلك أن الجهاد فريضة لا تتعطل أبدًا بل هى ماضية إلى يوم القيامة مهما تغيرت الظروف والأحوال، ولا يعفى منها إلا من كان صاحب عذر، وأنها قد تكون فريضة عينية واجبة على كل مسلم بذاته، أو كفائية إن قام بها البعض فتحققت بهم الكفاية سقطت فرضيتها عن الآخرين.

ـ وبمدى قدرته على رد الشبهات والمفتريات التى يوجهها أعداء الإسلام للإسلام من خلال الجهاد، كقولهم:

* إن الإسلام انتشر بحد السيف وإن الناس أكرهوا على الدخول فيه، ولهذا شرع الجهاد.

* وإن الجهاد فى الإسلام يستهدف الاستيلاء على البلاد والعباد وأنه توسع لا مبرر له.

* وأن الجهاد يجب أن يتوقف لأنه شرع لظروف بعينها وبيئة بعينها.

٧ـ ومجال العمل من أجل تمكين دين الله فى عباده:

وفاعلية الأخوة فى هذا المجال تقاس بما يلى:

ـ بمدى قدرة صاحب الأخوة الفاعلة على تبصير الناس بالدين الإسلامى الصحيح المصفًّى، كما جاء فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة.

ـ وبمدى قدرته على توضيح التنوع الكبير للعمل من أجل التمكين لدين الله فى الأرض، تنوعًا يشمل كل عمل يقوم به الإنسان قاصداً به وجه الله ليحقق به أى نفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم.

ـ وبمدى قدرته على توضيح أهداف التمكين لدين الله فى الأرض وخلاصة هذه الأهداف أو إجمالها فى كلمات هى: أن يستريح الناس جميعًا مؤمنين وغير مؤمنين من كل ما يعانون منه من ظلم وعدوان، وقلق واضطراب وانتقاص لحقوقهم الإنسانية، ومن كل ما يعانون منه من فساد سياسى وظلم اجتماعى، وخلل اقتصادى، وانتهاك لحرمة الإنسان.

ـ وبمدى قدرته على الإسهام فى إزالة الشبهات التى أثيرت حول الإسلام كتابه ونبيه والصحابة رضوان الله عليهم والمصلحين المجددين فى كل عصر، وتاريخ الإسلام، إذ لا يمكن التمكين للدين وهذه الشبهات تتردد على ألسنة الناس ولا يعرفون كيف يدفعونها عن دينهم.

ـ وبمدى قدرته على الإسهام فى إزالة المعوِّقات التى يضعها أعداء الإسلام للمسلمين فى طريق التمكين لدين الله فى الأرض. وهى كثيرة بعضها فكرى ثقافى وبعضها مادى وبعضها سياسى وكثير منها اقتصادى.

وكل تنقية للفكر والثقافة من هذه المعوقات بالاعتزاز بالفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية إزالة لبعض هذه المعوقات، وكل مقاطعة لسلعة ترد من بلد يكيد للإسلام ويعاديه ويعتدى على بعض بلدانه إزالة لبعض هذه المعوقات، فى ضوء «لا يحقرن من المعروف شيئًا»، ومن

صميم المعروف مقاطعة هذه السلع مهما كانت صغيرة أو رخيصة الثمن.

* بغير ذلك فلا فاعلية للأخوة فى الدين، وليس بأخ صادق من لم تكن أخوته فاعلة.

* وبغير القوة في الأخوة والفاعليـه فيها فلن يستطيع الأخ المسلم أن يرى إخوانه أولى بنفســه من نفسه، وذلك شعـور ضرورى لدعم الأخوة فى الله، فـذلك هو الإيثار المطلوب الذى هو أعلى درجات الحب فى الله.

ولا يكون هذا الإيثار أحسن ما يكون إلا إذا دعت إليه أخوه قوية فاعلة.

٢ ـ الحاجة إلى الأخوة

الحاجة إلى الشىء فى اللغة هى: الفقر إليه مع محبته.

وفى علم الاجـتماع هى: كل مـا يتطلبه الإنســان لسدٌ مـا هو ضرورى من رغـبات، أو لتوفير ما هو مفيد لتطوره ونموه.

أو هى الدافع الطبيعـى أو الميل الفطرى الذى يدفع الإنسان إلى تحقيق غـاية ما، داخلية كانت أو خارجية، شعورية كانت أو غير شعورية.

* وقد قسم علماء الاجتماع الحاجة إلى أنواع:

ـ **حاجة أولية**: أو ضرورية كالحاجة إلى الطعام والمسكن والملبس والزواج.

ـ **وحاجة مشتقة**: أى ناتجة عن تواجد الإنسان فى جماعة لها خصـائصها الاجتماعية مثل اللغة الواحدة، والتربية والضبط الاجتماعى، والقيادة.

ـ **وحاجة تكاملية**: وهى مجموع الحاجات التى تحقق أكـبر قدر من الانسجام الاجتماعى، وتربط بين أعضـاء الجماعة، وذلك مـثل المعتقـدات والممارسات الدينيـة، ونواحى النشاط الترويحية.

ـ **وحاجة اجتماعية**: وهى مواقف اجتماعية متعاقبة، تواجه الفرد أو الجماعة، مع احتياج هذه المواقف إلى حلول مناسبة.

ـ **وحاجة اقتصادية**: وهى شعور مادىّ أو معنوى يحفز الإنسان على العمل، وبذل الجهد والنشاط من أجل الحـصول على السلع والخـدمات التى تشبع هـذا الشعور إشـباعًا كليًا أو جزئيًا.

* وتتطور حاجات الإنسان بتطور المجتمع الذى يعيش فيه: فحاجة من يسكن المدينة هى أضعاف حاجة من يسكن القرية، وحاجة من يسكن القرية هى أضعاف حاجة أهل البادية، وهكذا.

وتبعًا لقوة الحاجات وكثرتها يتضاعف النشاط الاقتصادى، لكى يصل إلى إرضاء هذه الحاجات.

* **والأخوة**: إحدى الحاجات الأساسية للإنسان، فهو بحاجة إلى أخيه، ليتعاون معه على تحقيق حاجاتهما الخاصة بهما، وحاجات الأسرة من بعد.

وحاجة المواطن فى وطن ما إلى من يؤاخيه، ليتعاون معه على تحقيق حاجات الوطن والمواطنين.

* وحاجة المؤمن إلى أخيه فى الدين متنوعة وضرورية فى مجالات عديدة، وهو يفتقر إليها ويحبها، لأنها تشبعه فى المجالات العديدة التى يمارس فيها حياته، وتهيئ له العون على هذا الإشباع.

- ففى مجال عبادة الله يحتاج إلى من يعينه أو يذكره.
- وفى مجال القيام بأى عمل صالح يعود عليه أو على غيره بالنفع، يحتاج إلى من يتعاون معه.
- وفى مجال الدعوة إلى الله تعالى وإلى فعل الخير يحتاج إلى سند.
- وفى مجال الحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق يحتاج إلى رفيق.
- وفى مجال الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا يحتاج إلى من يناصره ويؤازره.
- وفى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، يحتاج إلى من يسانده.
- وفى كل مجال من مجالات العمل على التمكين لدين الله فى الأرض يحتاج إلى من يكون معه.
- وما دامت الحاجة إلى الأخوة فى الله على هذا النحو، فهى تصنف من الحاجات الضرورية، ما دام الضرورى هو ما لابد منه لدفع الضرر، والضرر هنا هو ألا يجد المؤمن أخًا فى الدين يعينه على هذه الواجبات الشرعية.

* ويمكن اعتبار حاجة الأخ إلى أخيه من الحاجات المشتقة التى هى نتيجة للعيش فى مجتمع له خصائصه التى تجمع بين أفراده، وأهم هذه الخصائص هى: الدين والقِيَم النابعة منه، التى تخضع لها تربية أفراده، وتكوين عاداتهم وسلوكهم، وانضباطهم الاجتماعى.

فبغير الأخوة لا يمكن أن تحقق هذه الحاجات فهى مشتقة أو ضرورية أولية، حسب مصطلحات القوم.

* ويمكن اعتبار حاجة الأخ المؤمن إلى أخيه فى الدين حاجة تكاملية بكل تأكيد، لأنها تحقق له أكبر قدر من الانسجام الاجتماعى وتربط بينه وبين إخوانه بأوثق الروابط وهو رباط العقيدة.

وهى أخوة يعبر بها عن كثير من نواحى نشاطه فى الدعوة والحركة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، والتمكين لدين الله فى الأرض.

فضلاً عما فيها - أى الأخوة - من تحقيق الحاجة إلى الترويح عن النفس ترويحًا مشروعًا.

وكل ذلك من صميم الحاجات الاجتماعية التى تحقق بالأخوة فى الدين.

* والأخوة فى الدين تحقق كثيرًا من الحاجات الاقتصادية، وما دام الاقتصاد ضروريًا فى حياة الإنسان إذ يحفزه ويشجعه على العمل وبذل النشاط من أجل الحصول على حاجاته الأساسية فى الحياة، والأخوة فى الدين مجال يمكن أن يتشارك فيه الراغبون فى تأمين اقتصاديات حياتهم، وهم آمنون من ظلم الشريك لشريكه أو إنكاره بعض حقوقه أو أكلها بالباطل - كما يحدث بين معظم الشركاء - وذلك أن الأخ المؤمن يرده دينه عن هذا الظلم، وعن أكل هذا المال الحرام، فكل ذلك مما حرمه الله تعالى.

* فالحاجة إلى الأخوة فى الدين حاجة أصيلة أساسية لا تتكامل أساليب الحياة الإنسانية الكريمة إلا بها.

وقد دلَّنا على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿... إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠] حيث تعتبر هذه الآية الكريمة الإيمان بغير أخوة كأن لم يكن.

ودلَّنا على ذلك فعل النبى ﷺ إذ آخى بين المؤمنين فى مكة والإسلام يخطو خطواته الأولى، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد أن انتقل إلى المدينة المنورة، ونادى على

المؤمنين جميعًا بقوله ﷺ: «... وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله» فى الحديث الذى رواه مسلم بسنده وذكرناه آنفا بتمامه، وفى عديد من الأحاديث النبوية الشريفة التى ذكرنا.

* فالحاجة إلى الأخوة فى الدين مطلب إيمان، ومطلب شريعة، ومطلب حاجات اجتماعية وسياسية واقتصادية بين المسلمين.

وهذه الحاجة إلى الأخوة فى الدين إذا لم توجد ترتب عليها أمران خطيران ضاران بالمؤمنين فى الحاضر والمستقبل، ومحرجان له بين يدى الله يوم القيامة.

هذان الأمران هما:

ضياع الأخ إن هو تباعد عن إخوانه.

وبقاء الأخوة على الرغم من المتخاذلين.

وهذا ما نحاول أن نفصله فيما يلى، والله المستعان.

أ ـ ضياع الأخ إن تباعد عن إخوانه

لما كانت الأخوة فى الدين أصلا من أصول الإيمان، بحيث لا يتصور إيمان بغير أخوة فى الله؛ كانت الأخوة درعًا يحمى الإيمان من التآكل والنقصان، وكانت سياجًا يحمى الأخ من كل ما يضعف إيمانه أو يهز ثقته فى نفسه وقيمه، وفيمن حوله من إخوانه، وتلك خسارة كبرى نستعيذ بالله منها.

وقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه».

والمعنى: أن من ضيَّع هذه الأخوة أى لم يسع إلى اتخاذها عنصرًا من عناصر الإيمان، فقد فقد المرآة التى يرى فيها نفسه على حقيقتها إذ تعكس حاله وظروفه، فإن وجد خيرًا حمد الله واستزاد منه، وإن وجد غير ذلك تاب وندم وعزم على ألا يعود.

ومن فقد الأخ فى الدين فقد فَقَد من يعينه على الأخذ بأسباب معاشه معظمها، وكثيرًا من أسباب معاده التى يعينه عليها أخوه، فإن أخاه فى الدين يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه.

وروى أبو داود بسنده عن سالم عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «المسلم أخو

المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، مَنْ كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة من فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»

والمعنى: أن المسلم إذا ابتعد عن أخيه المسلم أو ترك التواصل معه والأنس به والتعاون معه، فمن ذا الذى لا يظلمه ولا يسلمه لعدو؟ ومن ذا الذى يقضى حاجاته؟ ومن ذا الذى يفرج عنه كربته؟ ومن ذا الذى يستر عيوبه وأخطاءه؟

إنه حينئذ يتجرد من كل هذه الأسباب وهو فى مسيس الحاجة إليها بوصفه إنسانًا يخطىء ويصيب، ويستغفر ويتوب.

* والمجتمع المسلم جميعه، الأصل فى أفراده أن يكونوا إخوة فى الله، يحمل بعضهم إلى بعض الخير والعلم والنصيحة والحب والإخلاص، والتشجيع على لزوم الجماعة جماعة المسلمين، فإن الجماعة خير وبركة وقوة ونفوذ وغِنًى وراحة وقدرة على تحقيق الأهداف المشروعة فى الحياة الدنيا.

وحسب جماعة المسلمين نفعًا للأخ المسلم أنها تكف عليه ضيعته، وتحوطه من ورائه، أى تعينه وتحفظه.

روى أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«نَضَّر الله عبدًا سمع مقالتى هذه فحملها، فرُبَّ حامل لفقه غير فقيه، ورُبَّ حامل للفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن صدر مسلم، إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولى الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط مَنْ وراءهم»**.

* هذا الضياع الذى يلحق الأخ إن هو تباعد عن إخوانه معناه أن يصاب هذا المتباعد بأضرار عديدة كفقده لمن يعينه ومن ينصره ومن يرد غيبته ومن يفرج كربته ومن يستر عيوبه، ومن يحوطه من ورائه، ومن يذكره إذا نسى، ومن يحفزه على لزوم جماعة الخير.

* هذا الضياع أو الضرر يتمثل فى أنواع عديدة:

- أضرار نفسية.
- وأضرار اجتماعية.
- وأضرار على مستوى الدعوة والحركة.
- وأضرار على مستوى الأخوة نفسها أى على مستوى الإيمان.

وفى الصفحات التالية نحاول أن نلقى ضوءاً على هذه الأضرار لنكشف عنها، ونبين مداها، وما تتركه فى المسلمين من متاعب وأوجاع وما تسببه من أنكماش وانحسار، وتراجع فى مجال الدين والدنيا معا.

المتباعد يخسر خسارة فادحة، خسارة دنيوية وخسارة عند الله، لأنه عصاه، وترك الأخذ بما أمره به، ولنوضح هذه الأضرار سائلين الله التوفيق والسداد.

أولاً:

على المستوى الشخصى:

أهم ما فى المستوى الشخصى - فى تصورى - هو الناحية النفسية لهذا المتباعد عن إخوانه، حيث تعتريه الكآبة والضيق - مهما تكن دواعى الابتعاد ومغرياته - فما إن يتباعد عن إخوانه إلا وتطبق عليه مشاعر الإحساس بالغربة والانعزال، غربة المكان وغربة الزمان وغربة من يحيطون به وغربته عنهم.

ومَنْ أَحَسَّ بالغربة ملأته الوساوس ولم يهنأ له عيش، وما هى إلا شهور تطول أو تقصر ثم تركبه الهموم والأوهام، فيذهل عن الحق ويعمى عن الطريق الصحيح، فيزداد عزلة عمن يحيطون به وهو معهم، ويمتلىء غربة عنهم وهو يشاركهم الحياة، ومهما أغراه هذا الابتعاد عن إخوانه بمكاسب دنيوية موقوتة ومحدودة فى حقيقتها فإنه يفقد الإحساس بالراحة فضلاً عن الرضا عما يصنع، وسريعًا ما يعز عليه النوم ويهرب منه الاطمئنان ويفارقه الشعور بالأمن، وإذا هو - بعد وقت يطول أو يقصر - حطام إنسان نادم متخبط لا يجرؤ على التراجع عما هو فيه من ضياع لأن الشيطان يُسوّل له ويزين، ويخوفه من الرجوع إلى إخوانه ويهدده، وهو مستسلم له خاضع لهمزه ولمزه، غارق فى بحر كيده ومكره، لا حول له ولا قوة ولا ناصح يخلص له النصح، ولا معين ولا مذكر، إنه يصبح حطام إنسان وإن بدا لمن يراه متماسكًا راضيًا عما يفعل، بل مصرًا عليه.

إن هذا المتباعد - وهذه حاله - أولى الناس بأن يحاط بعناصر الخير من إخوانه ليعينوه على الخروج من هذا التيه والعودة إلى إخوانه، حيث الأمن والطمأنينة وذكر الله تعالى.

وبعـــد :

فما هذا الشعور بالغربة؟

ـ أما غربة المكان: فـلأن المكان كالإنسان يُحب ويُبغض، ويتحرك إليـه شوق أو يحدث منه نفور، وقد عبر عن ذلك رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن مكة ويجبر على مغادرتها.

وهذا المتباعد عن إخوانه كان قد اعتاد معـهم ارتياد أماكن بعينها، فلما تباعد عنهم ابتعد عن تلك الأماكـن إلى أماكن سواها لم يكن يألـفها من قـبل ولم يألف من فيـها، وعندئذ يحس بغربة المكان ووحشته، وغربة من يجدهم فى هذه الأماكن الجديدة الغريبة عليه، فإذا أضيف إلى غربة المكـان غربة من فيه، تضاعف فى نفـسه الإحساس بالغـربة، وربما أمرضه ذلك أو أصابه بالحزن والاكتئاب.

ـ وأما غربة الزمان: فإنه بابتعاده عن إخوانه قـد عزل نفسه عنهم وعن قضاياهم ومجال اهتمامـاتهم الآنية المرتبطة بزمن بعينه يشـغلهم التفكير فيـه، فيعزل بذلك نفـسه عن الزمن الذى يجب أن يفكر فـيه وفى قضايـاه وهمومه الإسلامـية فكأنه يعـيش خارج الزمن الذى اعتاد أن يشارك إخوانه العيش فى قضاياه وهمومه.

وذلك إحسـاس بالغربة والوحـشه مرير، حـيث يجد الإنسان نفـسه فى زمن غـير زمنه وقضايا غير قضاياه، وهموم غير همومه، إنه إحساس يورث الحزن والاكتئاب أيضًا.

ـ وأما الغربة الشخصية: فهى غربة نفسية شديدة الوقع السيئ على من يحس بها، وذلك أن المبـتعـد عن إخـوانه ـ وقد كـان يألفـهم ويحبـهم ـ يملؤه الشـعـور بالانهزام والتـراجع والنكوص، ويُلِحُ على نفسه متسائلا مذعـورًا قائلاً لنفسه: هل ابتعد هو عن إخوانه أم هم الذين ابتعدوا عنه فـأصبح وحده بغير أنيس، وخَلَت طريقه من الرفيـق الصالح، ليجد فى مكانه قرين السـوء ورفيق القلق والاضطراب؟ يجـد شيطانًا ينسيـه ربه وذكر ربه، ويزين له الغفلة والبعـد عن الحق وأهله، وتلك أحاسيس توتر الأعصـاب وتقلب فى نظره الحقائق، فيتصـور أن إخوانه نفروا منه، فيتعـمق فى نفسه إحساسه بالغـربة عنهم، وكلما تعمق هذا الإحـسـاس ازداد بعـدًا عن إخوانه ونفـورًا منهم، فيـتـضاعف فى نفـسه الشـعور بالغـربة والوحشة.

* فإذا أضيف إلى ذلك شعوره بأنه مقصر فى حق دينه وفى حق إخوانه، لأن الدين هو الذى أوجب الأخـوة فى الدين وأوجب لها حـقوقًا وألزم لهـا بواجبـات، وحسـبه ضـعفًا

وانهزامًا وأزمة نفسية أن يحس بأنه مقصر فى حق الله تعالى.

* وكلما تفاقم فى نفس المبتعد عن الله الشعور بالغربة، انكمش من داخله وانهارت معنوياته، وجاء إليه الشيطان وقد أصبح فريسة له، لأن الشيطان لا يفترس فريسة أيْسَر عليه من إنسان يحس بالوحدة والغربة والعُزلة.

- ومن الناحية التربوية:

يشعر المبتعد عن إخوانه بنقص شديد فى الروافد التربوية التى تمده بالزاد التربوى النافع فى الدنيا والآخرة، إذ مِنَ المسلَّم به أن الإنسان يتربى ويتعلم طالما هو حَيٌّ يرزق، لأن التربية عملية مستمرة لا تتوقف عند زمن بعينه، وليس للمعطيات التربوية حدٌّ تتوقف عنده ليقول الإنسان عنده: لم أعد بحاجة إلى تربية.

* ومن المعروف أن من أهم وسائل التربية الجليس الصالح والأخ المسلم خير جليس صالح، فالأخ يتأثر يقينًا بأخيه المسلم فى سلوكه وأخلاقه، ويجد فيه قدوة فى أعمال الخير، كما يجد فيه زاجرًا عن أعمال الشر، فإذا ابتعد الأخ عن إخوانه فَقَدَ هذا الرافد الثرَّ الذى يعينه على تحسين سلوكه وأخلاقه، وفَقَدَ من أجل ذلك الوسط المؤمنَ الذى يعيش فيه وهو الذى يمده بهذا الثراء، وتلك القيم التربوية النابعة من الدين الخاتم، والتى يحملها ويشجع عليها الأخ المؤمن المتآخى مَعَ أخيه فى الله تعالى وفى الدين.

ثانيًا:

على المستوى الاجتماعى:

يتسبب ابتعاد الأخ عن إخوانه فى الدين فى أضرار اجتماعية تلحق بهذا المبتعد نفسه وبالمجتمع الذى يعيش فيه، وهى أضرار ليست بالقليلة، نحاول أن نرصد بعضها فيما يلى:

- حرمان المجتمع من أحد أفراده الذين كانوا فاعلين فيه، وإذا خسر المجتمع فى كل حين فردا فاعلاً فماذا ينتظر أن يتم فيه من إصلاح وتقدم؟ فهل يقوم بالإصلاح إلا أفراد متعاونون متفاهمون؟

- وحرمان المجتمع من كل الأعمال التى لا تتم على وجهها الصحيح إلا إن تضافرت عليها جهود المجموعة أو الجماعة، ومن هذه الأعمال:

الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير، لأن ذلك لابد أن تتعاون عليه جهود الجماعة لتتحمل أعباءه وتصل به إلى غايته، فإذا ابتعد الأخ عن إخوانه فقد حرم نفسه من هذا العمل الصالح، وحرم إخوانه من أحد معاونيهم على هذا العمل الجليل.

ومعنى ذلك أن يخسر المجتمع خسارة كبيرة بغياب الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير، مما يصيب المجتمع بالقلق وعدم الاستقرار، ويؤدى إلى فقد ثقة الناس بعضهم ببعض.

وحسب أى مجتمع من الخير والعدل والإحسان أن ينتشر فيه الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير.

ـ وحرمان المجتمع من أن يسود فيه النهى عن المنكر وحصاره وحصار القائمين به، وذلك أن النهى عن المنكر يحتاج إلى جمع من الناس يتعاونون عليه ويتحملون أعباءه وأعباء المضى فيه.

وابتعاد الأخ عن إخوانه يحرم المجتمع من أن يحظر فيه المنكر، أو ينكمش أصحابه ويتوارون فيتوارى معهم الشر والأذى.

كما أن ابتعاده عن إخوانه ـ وإن حرمه المشاركة فى هذا الخير ـ إلا أنه يفت فى عضد إخوانه ويضعف من جهدهم.

ولا يخفى على أحد أن انحسار النهى عن المنكر فى مجتمع مًّا يعنى أن تظل فرص الفساد والانحراف متاحة لمن يريدها، كما يعنى أن تنتشر الرذائل والمنكرات، وفى ذلك قلق واضطراب لكل من يعيش فى هذا المجتمع، لأن مرتكبى المنكرات والرذائل آفات تفتك بالمجتمع، وهم فى الوقت نفسه عناصر هدم للمجتمع، كان الأصل فيهم أن يكونوا عناصر بناء ونماء!!!

ـ وحرمان المجتمع من العمل الصالح والإنتاج النافع، والتقدم والرقى والنهوض بكل مرافق المجتمع، وذلك أن المتباعد عن إخوانه يحرم المجتمع من عضو عامل ويد منتجة، لأن العمل والإنتاج فى جماعة أجدى على العمل وعلى الإنتاج نَوْعًا وكَمًّا من العمل الفردى؛ فالجماعة مرآة وخبرات متراكمة وتوجيهات ونصائح عن علم وممارسة تثرى العمل وتكسبه جودة وإحسانًا.

والحياة الإنسانية لا تستمر على المستوى اللائق بكرامة الإنسان ولا يمكن للإصلاح ولا للتقدم أو النهوض بالمجتمع أن يتم إلا فى إطار جماعة.

وابتعاد الأخ عن إخوانه يفقده المشاركة فى العمل الصالح، ويفقد الجماعة واحدا منها، ويفقد المجتمع فرصة للتقدم والرقى والنهوض.

وكلما تعدد هذا الابتعاد عن الجماعة أصبح معوقًا من معوقات العمل من أجل الإسلام يصيب المجتمع بالجمود ثم بالانتكاس وفى ذلك ضرر أكبر للفرد وللمجتمع على السواء.

ثالثًا:

على مستوى الدعوة والحركة:

أضرار ابتعاد الأخ عن إخوانه أكبر وأخطر من أى أضرار أخرى فى مجال الدعوة والحركة والتمكين لدين الله فى الأرض، مع أن التمكين لدين الله هو هدف العمل الإسلامى كله.

ـ أما على مستوى الدعوة:

فعلى الرغم من أن الدعوة إلى الله تكون أحيانًا فردية فإن المبتعد عن إخوانه لا يستطيع أن يمارسها على وجهها الصحيح، لأنه وهو يدعو يتزود من إخوانه بزاد الخبرة والتجربة والسابقة، ولا غنى له عن ذلك، وإلا فشل فى دعوته، وكيف ينجح فى العمل من فقد الناصر والمعين والمرجع والمربى والمفتى والموجه؟

والداعى يحتاج دائمًا إلى التزود بالعلم والمعرفة والخبرة العملية الميدانية، وجُلُّ ذلك قد يدرك بالقراءة والاطلاع، لكن الخبرة العملية لا تدرك إلا بوسط من إخوانه يعيش فيه ويتلقى عنه أصول هذه الخبرة والتجارب التى مرت به، فإذا ابتعد عن هذا الوسط، فقد هذه الخبره العملية الميدانية[1].

ـ وأما على مستوى الحركة:

فإن ابتعاده عن إخوانه يصيبه بضرر بالغ، لما أوضحنا آنفا، فالحركة بالإسلام فى الناس والآفاق خبرة عملية ميدانيه يحتاج فيها إلى إخوانه أصحاب السابقة والخبرة، ويجدى فيها الشيخ أكثر مما يجدى الكتاب.

---

(١) انظر لنا فى هذا المجال:

فقه الدعوة إلى الله، نشر دار الوفاء ١٩٩٣م. ط ثالثة. وفقه الدعوة الفردية، نشر دار الوفاء ١٩٩٤م. ط ثانية.

وسبب ذلك أن الحركة تقوم على عناصر عملية كلها، مثل:

* الاختلاط بالناس وتحمل آثار هذا الاختلاط بالصبر على أذاهم.
* والتأثير فيهم بالكلمة والموقف والقصة والتدبر.
* وإعطائهم القدوة والأنموذج فى الخلق والسلوك.
* وتفقيههم فى دينهم تفقيها عمليًا يتحول به العلم إلى عمل.
* وجذبهم إلى موكب الدعوة موكب الحق والهدى والخير.
* وتشجيعهم على التمسك بالحق والصبر على متاعبه.
* وتنظيمهم فى مجموعات متجانسة تجتمع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وكل عنصر من هذه العناصر السبع يحتاج فى تعلمه إلى الاندماج فى الجماعة المؤمنة الفاهمة المجربة التى عَبَرَتْ فى هذه المجالات سبعين عامًا فى الدعوة إلى الله من يوم أنشئت، ويصعب على الفرد أن يؤدى هذه العناصر دون معونة من إخوانه، فإن ابتعد عن إخوانه خسر النجاح والتوفيق، وخسرت الحركة بالإسلام أن تنطلق فى الناس والآفاق حتى تبلغ ما بلغ الليل والنهار.

رابعًا:

على مستوى الأخوة نفسها:

أضرار الابتعاد عن الإخوة فى الدين تتعدى المبتعد نفسه إلى الإضرار بالأخوة نفسها إضرارًا نسبيًا، لكن هذا الابتعاد لا يستطيع أن يقضى على الأخوة - كما سنوضح ذلك فى النقطة التالية بعد قليل - وذلك أن الأخوة فى الله تعبير عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، واستجابة لأمره، والأخوة - كما قلنا آنفا - حقوق وواجبات، نحو الذات ونحو الآخر، فإن ابتعد الأخ عن إخوانه، فمن أين له أن يكمل إيمانه بهذه الأخوة؟ ومن أين له أن يعرف لإخوانه حقوقهم وأن يؤدى واجباتهم؟

إن الأخوة لا تثمر ثمرتها المرجوة - وهى التعاون على البر والتقوى والتحرك بهذا الدين فى الناس والآفاق - إلا بتجمع الإخوة وتعاونهم على تلك الأعمال، فكيف إذا ابتعد واحد أو أكثر عن إخوانه فى الله؟

* والمبتعد عن إخوانه هو الأفدح خسارة، لأنه سريعًا ما يفقد الثقة فى نفسه لفقده أخوته، فمن المسلَّم به أنه لا يستطيع أن يكون بغير إخوانه، فإن كان فلن يكون مع الحق، ولكن إخوانه كذلك يخسرون واحدًا منهم كان فى مكانه يسد إحدى الثغرات، ويقف على موقع من مواقع العمل من أجل الإسلام وفى ابتعاده عنهم خسارة لهم وللعمل الإسلامى كله.

ب ـ بقاء الأخوة على الرغم من المتخاذلين

الأخوة فى الإسلام قيمة نابعة من الإيمان والإسلام استجابة لله ولرسوله، ولذلك فإن شأنها شأن سائر القيم لا تتغير ولا تتبدل، إذ هى من الثوابت فى ديننا الحنيف.

* ومهما تنكر الناس للقيم فى أزمان التراجع والضياع، وفى أمكنة الشر والإثم فلن يضير ذلك القيم فى شىء، وإلا كانت معانى الصدق والعفة والعدل والإحسان مثلا وهى قيم ثابتة قد تأثرت بالكذابين وأهل الفحش والدعارة والظلم والأنانية، لكنها لم تتأثر ولن تتأثر.

وكذلك الأخوة مهما تخاذل عنها المبتدعون فلن تضيع ولن تخبو ولن تتغير أو تتبدل.

* الأخوة فى الله ـ وإن كانت قيمة ـ إلا أن بعض الناس قد يتنكرون لها فيرفضونها فرارًا من حقوقها ونكوصا عن واجباتها، أو يبتعدون عن إخوانهم فى الله إيثارًا للعافية ودرءًا للمتاعب التى يتوهمونها إن هم استمروا على الأخوة فى الله، وربما شجعهم على ذلك واقع العالم الإسلامى الذى سيطرت عليه قُوًى معادية للإسلام، فاصبحت تكافئ من يتهجم على الإسلام وتمنحه المأوى الأمن والجوائز والمكافآت، وفى الوقت نفسه تضطهد المتمسكين بدينهم فتلصق بهم التهم وتسجنهم وتعذبهم وربما أخرجوهم من ديارهم أو ألجئوهم إلى الخروج، كل ذلك لتحول هذه القوى المعادية بين المسلمين وبين ما يريدون من إصلاح وتجديد لأمر الدين!!!

* لكن ذلك الابتعاد عن الإخوة فى الله أو ذلك الرفض لهذه الأخوة لن يؤثر فضلا عن أن ينفى قيمة الأخوة الإيمانية من حياة المؤمنين، بل ربما زاد بعض الناضجين تمسكًا بالأخوة واستعدادًا لتحمل تبعات هذا التمسك.

*** فمن هم المتخاذلون عن الأخوة فى الله؟**

المتخاذلون هم فى الغالب أولئك الذين يقيسون الأمور بمقاييس غير صحيحة، أو غير دقيقة وهى غير إسلامية بكل تأكيد، فترجح لديهم كفة التخاذل والتراجع والنكوص، وتشيل كفة الثبات والصبر والإقدام.

*** وهؤلاء إنما يحركهم إلى التخاذل أمور نذكر منها:**

أولاً:

إيثار الراحة والعافية:

فهم يرون فى المضى فى طريق الأخوة فى الدين مشقةً وعناءً وبلاءً فيخوفهم الشيطان من المصائب والمحن، ويلبس عليهم أمورهم فيوهمهم أن الثبات على الحق وعلى الإيمان والأخوة فى الله له ثمن باهظ وأعباء ثقيلة، ويوسوس إليهم بأن ينظروا فيما يلقاه المتمسكون بالحق والأخوة من عنت وإرهاق، يحول بينهم دائمًا وبين الراحة والعافية.

* ولو تدبر هؤلاء الغافلون المضلَّلون قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

لو تدبروا هاتين الآيتين، ما خافوا ولا آثروا الراحة والعافية، لأن ما كتبه الله على عبده من بلاء لابد أن يلقاه، كما لابد أن يثاب عليه إن صبر واحتسب، وحسب الواحد منهم أن يقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهى خلاص من كل شر ونجاة من كل ضرّ.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «**حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**».

* إن الشيطان يوسوس للإنسان بما يرديه ويزوِّر عليه كل أموره، والحق أن ما يصيب المسلم من هم أو ألم إلا كفر الله تعالى به من خطاياه، روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**» ورواه أحمد بسنده عنهما أيضًا.

والحقيقة المؤكدة أن الإنسان مؤمنا كان أو غير مؤمن لا يصيبه إلا ما كتب الله له، ولن يستطيع أن يفر من قدره إلا إلى قدره، مهما انكمش وانطوى وآثر الراحة والعافية، ومهما احتاط من ظلم الظالمين فتوقف عن أى عمل لا يرضى الظالم وحزبه.

إن هؤلاء المذعورين مما قد يصيبهم من بلاء غافلون، وما يفيقون من غفلتهم إلا إذا تدبروا قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهؤلاء المتخاذلون عن الحق وعن الإيمان، وعن الأخوة فى الدين هم أقرب ما يكونون إلى من يعبدون الله على حرف، أى أنهم مترددون يقيسون الأمور قياسا خاطئًا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

* والأصل هو الثبات على الحق وعلى الإيمان وعلى الأخوة فى الله وعلى كل ما أمر الله به، فقد أثنى الله تبارك وتعالى على هؤلاء فى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

فهؤلاء المتخاذلون لن يضروا الله شيئًا وإنما يضرون أنفسهم ومجتمعهم، ولا يستطيعون أن يتحاشوا ما سوف يقع عليهم من بلاء، ولن يهدموا الأخوة بهذا التخاذل والتنحى.

ثانيًا:

البخل بالجهد والوقت والمال.

ذلك ان كثيرًا من المتخاذلين بخلاء بما لديهم، يُخَيَّل إليهم أن هذا البخل بالجهد أو بالوقت أو بالمال على الله وعلى دعوته، يوفر لهم الجهد والوقت والمال، وهذا وهم كبير، لان من أعطى واتقى فسوف ييسره الله لليسرى.

وهذا النوع من المتخاذلين يعصون ربهم ويغفلون عن حقائق الأمور، فيتخاذلون عن الأخوة بخلاً وشحًا، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨]. أى خيرًا منكم

فى طاعة الله والاستجابة لما أمر والانتهاء عما نهى.

والبخل بالوقت الجهد بخل بالمال، لأنهما يترجمان إلى المال، فيتناولهما وصف البخل.

* وما أجهل هؤلاء والبخلاء، لأن كل ما يملك الإنسان من مال أو جهد أو وقت هو على وجه الحقيقة ملك لله، والله تعالى قد استخلفه فيه واسترعاه إياه ليرى ماذا يفعل فيه، ثم يقرر القرآن الكريم أن المنفق يخلفه الله خيرًا مما أنفق، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* وتأسيسًا على المقاييس الحقيقية التى أقرها القرآن الكريم فإن المنفق يعود أثر إنفاقه على نفسه، ويوفى الله جزاءه رزقًا مبسوطًا وخيرًا عميمًا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿.. وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وروى البخارى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر»**.

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**.

ثالثًا:

إيثار الدنيا وما عند الناس على ما عند الله:

ومن أجل ذلك يتخاذلون عن الأخوة فى الله، وذلك خلل فى الرأى واضطراب فى الرؤية، يؤدى إلى زعزعة الإيمان وإضعاف رابطة الأخوة.

ومن يتخاذل عن الأخوة لهذا السبب وينكص عن المضى فى موكب الدعوة والأخوة فى الله يغفل عن حقيقة كبرى فى ديننا وهى أن ما عند الله خير وأبقى مطلقًا ودون احتراز أو قيد، أما ما عند الناس فما هو إلا متاع الحياة الدنيا الزائل، يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]. ومن قوله جل شأنه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. ومن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥ - ٩٦].

وروى البخارى بسنده عن عمرو بن عوف الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين يأتى بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافَوْه صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ، انصرف: فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: **«أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين»**؟ فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: **«أبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»**.

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض»**.

وروى ابن ماجه بسنده عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: دُلَّنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس، فقال: **«ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**.

وروى الترمذى بسنده عن كعب بن عياض رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتى المال»**.

وروى الترمذى بسنده عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»**.

وروى الترمذى بسنده عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**.

وبعد:

فماذا يفعل من آثر الدنيا وما عند الناس على ما عند الله فتخاذل عن إخوانه وتركهم فى الطريق دون عذر مقبول؟

ما تجدى عليه الدنيا كلها ما فيها ومن فيها إذا حيزت له، إذا قورن ذلك بما عند الله لعباده المؤمنين المخلصين الذين يبتغون وجه الله؟

* أيظن هذا الغافل عن الحق الذاهل عن الحقيقة، الطامع فيما عند الناس الزاهد فيما عند الله، أيظن أنه بتخاذله عن إخوانه وعن موكب الدعاة إلى الله قد ربح شيئًا أى شىء؟

لقد وَهِم وأسرف فى الوهم، إنه على وجه الحقيقة قد خسر الدنيا والآخرة.

إنه فَقَدَ كيانه كله لأنه إن لم يكن بإخوانه فلن يكون.

* هل يضر ذلك المتخاذل إلا نفسه، يضرها فى الدنيا بفقد إخوانه وانعزاله عنهم وهم دعاة الخير وأنصار الحق والإخوة فى الدين، ويضر نفسه فى الآخرة - وهى دار البقاء والخلود - بفقد ما عند الله، وبجهله أو تجاهله للحقيقة الكبرى التى هى: أن ما عند الله خير وأبقى.

* ومن المسلَّم به، بل القطعى أن الأخوة فى الله باقية لأنها قيمة ومبدأ، على الرغم من تخاذل المتخاذلين، وكل قيمة أو مبدأ لا تتأثر بأن يتخلى عنها أو ينكرها واحد أو أكثر من الناس، لأن الناس والزمان والمكان فى تغير وإلى فناء، والقيم والمبادئ فى ثبات وإلى بقاء، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

* إن الأخوة فى الله قيمة كالصدق والأمانة والعفة والشجاعة والكرم والنجدة، وستظل هذه القيم ثابتة بل باقية مهما قل المتعاملون بها أو ندروا أو انعدموا.

* إن الأخوة باقية لأن الإخوان الذين تخاذل عنهم جاهل غافل يكونون بغير هذا الجاهل الغافل، ولا يفقدون بفقده إذ تخاذل عنهم إلا أحد البخلاء الجبناء الغافلين الذين ضل رأيهم وغامت رؤيتهم، فضلوا بذلك ضلالا بعيدًا.

وهل هذه خسارة لها وزنها؟! اللهم: لا.

٣ - خطر الخروج على الأخوة

الخروج على الأخوة فى الله أخطر من التخاذل عنها، ومهما يكن سبب التخاذل فإنه أقل شرا وضررًا من سبب الخروج على الأخوة، وربما كان ذلك لأن الخروج شذوذ عن الحق وعن الجماعة وعن القيم عمومًا ومن قيمة الأخوة على وجه الخصوص.

الخروج على الأخوة قد يتعدى الشذوذ إلى العداء وممالأة العدو، وضرب الصف وتوهين الدعاة إلى الله، ومن هنا كان خطرًا، نسأل الله الا يقع فيه أحد، فإن يقع بوسوسة الشيطان فنسأل الله له سرعة الإياب إلى الحق، وقبول التوبة والإنابة.

* والخروج من الأخوة فى الله يذكرنا بالخوارج[1] فى تاريخنا وما فعلوا، وما كانوا عليه من معاداة الحق والوقوف فى وجهه - وإن وهموا فى أنهم على الحق - بل يذكرنا بحججهم الواهية التى تعلقوا بها ليبرروا لأنفسهم شق وحدة المسلمين، وما جروه عليهم من ويلات وحروب.

والخارجون على الأخوة فى الله ليسوا أقل خطرًا من خوارج الأمس البعيد، ولست هنا بصدد الإدانة والفحص عما فى القلوب، ولكنى أشرح وأعلل وأذكر أسباب الخروج ونتائجه، وأسأل الله تعالى أن يشملنا جميعًا بهدايته ورعايته.

أ - أسباب الخروج على الأخوة فى الله

لابد أن يكون لهؤلاء الخارجين على الأخوة فى الله أسباب بررت لهم فى غيبة التفكير الهادئ الصحيح هذا الخروج، وأحاول هنا أن أذكر بعض هذه الأسباب، لعل فى ذكرها ما يعين على الصدق مع النفس والرجوع إلى الحق والاستغفار عما كان، وجملة هذه الأسباب فيما يبدو لى هى:

أولاً:

سوء الظن بالقيادة:

وذلك بكل تأكيد من همزات الشياطين، لأن من حق المؤمن على أخيه المؤمن ألا يظن به إلا خيرًا - كما أوضحنا ذلك آنفًا فى حديث نبوى شريف - والقيادة وإن كانت غير معصومة عن الخطأ، لأن العصمة من الخطأ ليست لأحد من بنى آدم باستثناء الرسول ﷺ، إلا أن خطأ القيادة - عند التدقيق والتحقيق - لا تُسأل عنه وحدها، وإنما يسأل معها كل من

---

(١) الخوارج: هم أول فرقة مسلمة خرجت على الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، إذ رفضوا قبول على للتحكيم.

والخوارج هم الذين علموا من بعدهم من المسلمين أن يشقوا عصا الطاعة، وأن يفارقوا الجماعة وأن يبرروا ذلك بمبررات واهية.

وربما كان للخوارج الأوائل من بداوتهم - والبداوة يصحبها الجهل وانغلاق الفكر - ومن تشددهم فى الدين - والتشدد تصحبه السرعة والطيش فى إصدار الأحكام - ربما كان لهم من ذلك ما هيأ لهم ما دانوا به من باطل وما نادوا به من شعارات مضللة.

كان من أهل شوراها، فإن تـأكد بعد الحوار أن القيادة أخطأت وأخطأ مـعها أهل الشورى، فإن ذلك لا يبيح سوء الظـن بالقيادة إذ هى قيادة بشرية تخطئ وتصـيب بعد تحاور وتشاور واجتهاد، فـإن أصابت فلها أجران، وإن أخطأت فلها أجر، ومـا أظن مَنْ كان مأجورًا عند الله أهلاً لأن يساء به الظن.

إن سوء الظن بأحد من المسلمين منهى عنه شرعًا، فما بالـنا إذا كان موجها إلى قيادة من قيادات العمل من أجل الإسلام؟

وسوء الظن شعور يكمـن فى قلب صاحبه وعقله، يحركه الشيطان كلما ركد، والمؤمن الصـادق مع الله ومع نفـسـه عليـه أن يطرد هذه الهـواجس والوسـاوس ليكون على أولى درجات الحب فى الله وهى: سلامة الصدر، فإن لم ينجح فى ذلك فقد أحرج نفسه مع الله ومع الأخوة فى الدين، فـإن ترتب على ذلك خروج على الأخوة فذلك إثم يحـاسب عليه الله تعالى.

ثانيًا:

الانتكاس والاستهانة بالدين:

ونعنى بالاستهانة بالدين الاسـتهانة بأحكامه وأخلاقه وآدابه فمن كـان كذلك سهل عليه الخروج على الحق وعلى الأخوة وعلى موكب الدعاة إلى الله.

* والقلوب بين أصبـعين من أصابع الرحـمن يقلبها كـيف شاء، وقـد يمسى أحد الناس مؤمنا ويصبح كافرًا، وقد يصبح مؤمنا ويمسى كافرًا، ولذلك كان من دعاء رسول الله ﷺ، فيـما روى أحـمد بسنـده عن أنس رضى الله عنه قال: كـان النبى ﷺ يكثر أن يـقول: «**يا مقلب القـلوب ثَبِّتْ قلبى على دينك**»، قال: فـقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جـئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها**».

* فمن تغـير قلبـه عن الحق اتجه إلى الباطل، ومن ضـاق بالالتزام بشـرع الله ونظامه، وبأخلاق الإسـلام وآدابه؛ وجد فى الباطل مـا يشبع نزواته وشطحاته، ووجـد فى التحلل من شريعة الله تعالى وأخلاق الإسلام ما يشبع شهواته عن طريق الحرام.

* ومن وصل إلى هذه الحـال سـهل عليـه أن ينتكس وأن يعـود إلى جـاهليـة السلوك والأخلاق، وأن يستمع إلى وساوس الـشياطين مع الجن أو والإنس الذين يزينون للناس ما

حَرَّمَ عليهم، ويحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، «ويخوفون من الفقر ويأمرون بالفحشاء.

* وعندئذ يجد هذا المتكس ألاّ مجال له فى موكب الأخوة فى الدين، ولا صبر له على الالتزام بشرع الله وأخلاق الإسلام، ولا قدرة له على مقاومة شهواته، فيخرج على الأخوة فى الدين، ليكون بعيدًا عمَّن يُذَكِّرونه بالله تعالى، ويحولون بينه وبين ما يغضب الله، وينأى عَمَّن لا يستطيع أن يجاهر بينهم بمعصية الله؛ إذ كيف يجاهر بها بينهم وهم دعاة إلى الله غيورون على محارم الله أن تنتهك؟

* إن الخروج على الأخوة عند هذا الإنسان يمثل خطرًا عليه على حاضره وعلى مستقبله، وعلى أهله وذويه، وكل من رآه على الحال الأولى، ثم رآه ينحدر إلى الحال الثانية.

وقد يكابر هذا المتكس، فيبحث له عن مبرر لخروجه عن الأخوة، وعن الحق، ولكن هيهات أن يجد مبررًا إلا بتزوير من شياطين الجن والإنس، ومهما وجد من متعة فى هذا الانتكاس، فإنها متعة وقتية، ومتعة كاذبة، متعة يعقبها ندم وألم وإحساس بالخيبة والضياع والتعرض لعقاب الله تعالى.

ثالثًا:

الخوف من بطش الظالمين:

وهذا السبب ربما كان أقوى من السببين السابقين، والناس سريعًا ما يقعون فى هذا المأزق وذاك الحرج، وبخاصة إذا زيَّن له أحد الناس أن يكون بمأمن عن بطش الظالم، وربما قال له: لماذا تكون ضمن أعداء الظالم؟ أو لماذا تضع نفسك فى صفوفهم؟ إنك بتعرضك لظلم هذا الظالم تكون كمن يقدم على الانتحار، وما هذا بعمل العقلاء؟!!!

* وهذا الخارج على الحق وعلى الأخوة فى الله لهذا السبب أشد جهلاً وغفلة ممن خرجوا لسوء ظن بالقيادة أو لنكسة فى الالتزام بأخلاق الدين وأحكامه!!! وذلك لأن هذا المتكس يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، لأن الإيمان بالقضاء والقدر قاسم مشترك بين جميع الناس، حتى الكافرين منهم، فكيف يواجه المتكس هذا الموقف؟ وأين يضع نفسه ليكون بمنأى عما قُدِّر له؟ بل ماذا يحول بينه وبين

ظلم الظالم إن أراد أن يظلمه وقدر عليه؟

* والظالم - فى كثير من الأحيان - لا يبحث عن سبب ليمارس ظلمه، إذ هو مزيج من مشاعر وحشية لا ترقب فى أحد إلاً ولا ذمة، وهى مشاعر لا تنتظر أن يخطئ الإنسان فى حق الظالم ليعاقب، وإنما هو يُعَاقَب لأن الظالم أراد ذلك.

* ومن المؤكد أن الظالم يعطل عقله، ويتعامل مع معايير لا تنتمى إلى العدالة حين يوقع ظلمه على أحد من الناس.

إن كثيرًا من الظالمين دأبوا على المحاسبة على الماضى مهما كان بعيدًا فى الزمان، وعلى العقاب على الحاضر المظنون فيه تحدى الظالم، وإن لم يحدث هذا التحدى، وعندئذ يقع الظلم على هذا الخائن، ولا ينجيه منه أنه خرج على أعداء الظالم الذين يعرضهم لظلمه على الدوام.

* إن هذا الخارج خوفًا من بطش الظالم لا يعفيه من عقاب الظالم أن يتهجم على إخوانه وعلى الحق، وعلى القيم!!! فإن أعفاه الظالم من بعض البطش، فلن يكون ذلك إلا لوقت معين ثم يعصف به!!! أليس ظالمًا؟

إن كثيرًا من هؤلاء الخارجين المتهجمين على إخوانهم زَجَّ الظالم بهم فى السجون والمعتقلات دون ذنب مستحدث ولكن بذنب قديم لم يعترف الظالم بالتوبة عنه.

وكثيرًا ما رأينا ذلك وقرأنا عنه، إذ يكاد يكون هذا الأسلوب هو سنة متبعة عند الظالمين جميعًا، فى كل العصور.

* وإذا كان الخارج على الحق وعلى الأخوة فى الدين قد لا ينجو من ظلم الظالم وبطشه، مع أنه خرج خوفًا من هذا الظلم وهلعا من الظالم!!! فإنه إن نجا من بطشه فى الدنيا، فلن ينجو من عذاب الله فى الآخرة ما لم يتب توبة نصوحا.

فماذا يغنى الخوف من بطش الظالم عن الخائف المذعور الذى تجاهل الإيمان بالقضاء والقدر؟

إنه لن يغنى عنه شيئًا، وخير له أن يعى هذه الحقيقة فيفيق.

رابعًا:

الطمع فى الجاه والمنصب والمال:

وهذا السبب فى الخروج على الأخوة فى الدين قد يكون أكثر الأسباب إغراء لقصار النظر، وضعاف الإيمان.

ومما ييسر لهذا الخارج على الحق وعلى إخوانه هذا الطمع، أنه يشاهد عددًا غير قليل من الناس خرجوا فنالوا من أعراض الدنيا ما نالوا، ووُسدوا من المناصب الرفيعة ما وُسّدوا، وتلك سنة أعداء الإسلام فى الأوطان الإسلامية وفى خارج هذه الأوطان، فمن عادتهم أن يبسطوا أيديهم وأموالهم وما يملكون من جاه لكل خارج على الحق وعلى المسلمين، ولكل عائب على الإسلام شيئًا متخذا لذلك سبيل التضليل والتزوير.

*** ولو تدبر هذا الخارج على الحق وعلى الأخوة من أجل مطامح دنيوية، لو تدبر أمره، واستقبل منه ما استدبر لعَلِمَ عِلْم اليقين أن الجاه والمنصب والمال، لا ينالها إلا مَنْ قُدِّرتْ له، فإن لم تُقَدَّر له فلن ينال منها شيئًا، إذ طويت الصحف بذلك منذ زمن سحيق وجف القلم بعد أن سجل ما هو كائن، ولا مبدل لكلمات الله.**

وهذا الطامع... من أدراه أن الجاه والمنصب والمال خير له؟ ربما كان الشر كل الشر له فى هذه الأشياء، وربما كانت له فيها خسارة الدنيا والآخرة!!!

ومن ذا الذى تُسَوِّلُ له نفسه أن يبيع دينه وآخرته بأعراض الحياة الدنيا الفانية؟

لا شك أنه الغافل الضال الذى يقدم دينه وخلقه ثمنا لهذه المتع الزائلة، إن من يشترى الزائل بالباقى، والضار بالنافع، وما عند الناس بما عند الله، والباطل بالحق والوحشة بأنس الأخوة فى الدين، إن من يفعل ذلك لفى ضلال بعيد.

* إن الطمع رذيلة إذا كان فى أعراض الحياة الدنيا، وهو أشد ضررًا وشرًا إذا كان على هذا النحو من الفداحة والخسران.

* إن الطمع لا يجوز إلا فى رحمة الله وعندئذ نسميه رجاءً، وأنفع الرجاء ما كان مقترنا بالخوف من عقاب الله تعالى، فقد روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»**.

أما أن يكون الطمع سببًا فى فساد الدين والخروج على قيمه وأخلاقه وعلى الأخوة فيه فذلك هو الضلال المبين.

خامسًا:

ممالأة الأعداء والسير فى ركابهم:

وهذا سبب يأتى بعد فساد الدين والاستهتار بقيمه، وبعد اليأس مما فى أيدى أعداء الحق من جاه ومنصب ومال، فعندئذ يشمر الشيطان عن ساعديه، ويجد، ويجتهد ويزين الباطل، ويُحَوِّل هذا الطامع اليائس المقهور إلى جندى من جنود العدو يضرب بسيفه، ويعينه فى مكره بالمؤمنين وإيقاع الشر بهم، فيظهر ولاءه لعدو الله ويسير خائفًا ذليلاً فى ركابه، بل ربما زيّن له التنكيل بمن كانوا إخوانًا له فى العقيدة، فيسلك لذلك طرقًا معروفة منها:

- التجسس على إخوانه ونقل أخبارهم لهذا العدو.
- واتهامهم بتهم باطلة ترضى غرور العدو وتبرر له البطش بهم.
- ومحاولة جذب بعضهم إلى صفوف العدو، بإغراءات دنيوية، ووعود خادعة.
- وتخويف بعضهم من بطش الظالم.

* وما يمارس هذا الخارج تلك الأمور إلا وهو شاعر بأنه ذليل مقهور، مخدوع بالعرض عن الجوهر، وبالباطل عن الحق، وبأعداء الله عن الله تعالى.

وفى حمأة إحساسه بالقلة والذلة والقهر يتصور أن العدو قادر عليه وعلى غيره من الناس، وأنه يستطيع أن ينكل به ويفرض عليه المحنة والبلاء، فيشجعه ذلك على أن يوالى هذا العدو القاهر ويمالئه ويسير تابعًا ذليلاً فى ركابه.

وما درى هذا الخارج على الحق وعلى الأُخوَّة فى الدين أنه واهم مخطئ سيئ التقدير، يتجاهل حقائق الحياة ونواميسها، ويجهل قدرة الله على التغيير، وعلى إبطال كيد أعدائه، وعلى هزيمتهم بأبسط الأسباب وأبعدها عن التصور البشرى العاجز، وينسى أن من سنة الله تعالى أن ينصر القلة المؤمنة على الكثرة الباغية.

وفوق كل ذلك ينسى أو يتناسى أن البلاء والمحنة للمؤمن اختبار له وتمحيص لإيمانه ويذهل عن قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ

﴿مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

وينسى أن الذين يتحدون الله فى عباده الصالحين وأوليائه لن يعجزوا الله عن أن يعاقبهم بحيث لا يفلتون من عقابه، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤].

* إن هذا الخارج الممالئ لعدو الله ذاهل عما حدث للمسلمين فى معركة بدر الكبرى إذ نصر الله القلة على الكثرة، وما حدث لهم فى معركة أحد إذ ابتلاهم ليمحص إيمانهم.

* ومع هذا النسيان أو التناسى والجهل أو التجاهل والعجز عن أخذ العبرة فى النصر والهزيمة والمنحة والمحنة، فإن هذا الخارج الغافل المنحنى أمام العدو، المعادى لأهل الحق، يحسب أنه بذلك قد صنف نفسه فى صفوف الأعداء إذ مالأهم على من كانوا إخوانه!!!

وكثيراً ما يحدث هذا التحول إلى صفوف العدو فى السجون والمعتقلات، ومع اشتداد أعمال التعذيب والعنف والإرهاب، وإلحاق الأذى بالنفس والعقل والجسد والأهل والولد!!!

* إن الأعداء وهم يهدرون كل حقوق الإنسان فى التعامل بالقهر والعنف والإرهاب مع من يطالبون بأن يكون الحكم لله وبما أنزل الله، يغرون صغار النفوس وضعفاء الإيمان بأن ينحازوا إليهم ويمالئوهم لينجوا بذلك أنفسهم من هذا العذاب، ويستجيب لذلك من لديهم القدرة والرغبة على أن يخيسوا بالعهد وأن يخلو بالمواثيق التى أخذوها على أنفسهم وكان الله عليهم شهيداً!!!

* هؤلاء الخارجون المفارقون الممالئون للعدو يعيشون وهما كبيراً، لأن العدو - على الرغم من ذلك كله - لايثق فيهم، ولا يطمئن إليهم، بل يقولون: إن من حملوا «ميكروب» الأخوة فى الدين والعمل من أجل تمكين دين الله فى الأرض، فلن يتخلصوا منه أبداً!!!

والأمثلة على اتخاذ الأعداء لهذه السياسة كثيرة، مع كل من خرج عن الحق وانحاز إلى الباطل، إنهم يعطونه مقابلاً سريعًا ولكن من الصعوبة أن يثقوا فيه أو يتخذوه وليا كما اتخذهم أولياء!!! إنهم سريعًا ما يهملونه ويتجاهلونه بعد أن أخذوا منه ما أرادوا.

إن هذه الأمثلة أكثر من أن تحصى وهى تتكرر فى كل حين ولكن العبرة بمن يتذكر ويخشى ويتعظ!!!

* وإنما أطلت نسبيًا فى الحديث عن هذا السبب من أسباب الخروج على الأخوة فى الدين لأنه أخطر الأسباب وأشدها ضرراً بدين مَنْ مالأ عدو الله وعدو المؤمنين ومشى فى ركابه.

* ولابد أن أنبه إلى أن العدو يمهد للغافلين الذين فقدوا الصبر وجهلوا حكمة الله، يمهد لهم السعى فى هذا الطريق، بل يفرشه لهم بورود الوعود الكاذبة.

سادسًا:

الرغبة فى تقلد المناصب فى الجماعة:

وهذا السبب فى الخروج على الأخوة فى الدين وإن تناقض تمامًا مع أخلاق الإسلام وأحكامه إلا أنه موجود تتحدث به النفس حينا وتنطق به الألسنة حينًا.

* ومن المعروف فى ديننا وأحكامه وأدبياته كلها أن الاستشراف لتولى مسئولية فى الجماعة أو فى أى تجمع للمسلمين حرام يعاقب الله عليه فى الدنيا والآخرة.

أما عقاب الدنيا فهو أن يتركه لنفسه ولا يعينه فضلاً عن أن يوفقه فى تحمل أعباء هذه المسئولية المطلوبة أو المرغوبة.

وأما عقاب الآخرة فلأنه فعل ما نهى عنه الإسلام ـ كما سنذكر بعد قليل من نصوص ـ.

* الاستشراف أو التطلع لتولى المناصب فى الجماعة يحبط العمل ويعرض صاحبه لعقاب الله، فما بالنا بمن يطلب ويطالب، ويخطط ويدبر ويناور للوصول إلى هذا المنصب؟

إن ذلك من السلبيات التى أدى إليها سوء فقه الدين، أو أدّى إليها حب الدنيا وكراهية الموت!!!

إن هذه الحقائق معروفة فى الدين لكل مسلم تقريبًا أكدتها النصوص الإسلامية الشريفة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونذكر هنا ما يلى:

ـ قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

- وروى مسلم بسنده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لى رسول الله ﷺ: **«يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنتَ عليها»**.

- وروى مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله: أمِّرنا على بعض ما ولاَّك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«إنا والله لانولى على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه»**.

- وروى مسلم بسنده عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: **قلتُ يا رسول الله: ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: «يا أبا ذرّ إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلاَّ من أخذها بحقها وأدَّى الذى عليه فيها»**.

* والحقيقة التى لا تقبل جدلاً عند المسلمين الذين يفقهون الإسلام أن الذى يستشرف المنصب ويرغب فى تقلد المسئولية لا يمكن أن يكون قاصداً بذلك وجه الله ولا التقرب إليه بتحمل المسئولية لأنه يسلك إلى ذلك طريقًا محظوراً، وإنما يكون قصده غير ذلك من أعراض الحياة الدنيا كالوجاهة والاستفادة ونحوهما.

* وهؤلاء المستشرفون لتولى القيادة عندما يحال بينهم وبين ما يشتهون يعتزلون الجماعة ويخرجون على الأخوة وينطوى كثير منهم على نفسه مزوداً إحساسه بالفشل فى الوصول إلى ما كان يرغب فيه من منصب وجاه ومسئوليه.

وبعضهم يحاولون محاولات جادة دائبة، أو ملتوية ماكرة لكى يصلوا إلى ما يريدون وكل ذلك حرام نهى عنه الإسلام.

وبعضهم يصرح فيحدث من يثق فيه بأنه أولى بالمنصب من فلان أو فلان، وينطلق لسانه فى اتهام من حال بينه وبين ما يشتهى، وهو بهذا يرتكب خطأ وإثما إذ ينثر شره وفساد قلبه فتصيب العدوى غيره من الناس، فيتخاذلون أو يخرجون.

* وهؤلاء الذين يتشوفون إلى المناصب وإلى تولى المسئولية أنصحهم لوجه الله تعالى أن يراجعوا إيمانهم ويجددوه، وأن يدققوا فى نواياهم ويصلحوا ما فسد منها، وأن يستغفروا الله تعالى من هذه الذنوب التى نهى عنها الإسلام بآيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة.

* والمجتمع غير الملتزم بالإسلام أحكامًا وأخلاقًا وأدبًا، هو الذى يسرب إلى هؤلاء وأمثالهم، تلك التطلعات المحظورة، وهذه التوجهات الخاطئة، وعلى المسلم أن يحذر ذلك وأن يكون على خوف من الوقوع فيه، إنه إن يحذر وإن يخف يجد نفسه قد عاد إلى الصف بعد أن زال سبب خروجه عنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

وبعـــد :

فإن هذا السبب من أسباب الخروج على الأخوة فى الدين، له دلالة على عدم نضج التربية الإسلامية فى نفس هذا الخارج، وعلى أنه ربما كان يعبد الله على حرف إن أصابه خير اطمأن به وإن أصابه غير ذلك انقلب على وجهه وهذا وذاك يحتاج إلى علاج وإصلاح.

سابعًا:

الغرور عند مَنْ يتصور أنه موازٍ للجماعة:

وهذا سبب للخروج على الأخوة فى الدين وعلى الجماعة كلها وهو سبب زينه الشيطان على وجه اليقين.

والغرور جهل مهما أوتى صاحبه من علم ومن مؤهلات، جهل بالله تعالى وبصفاته وأسمائه الحسنى وأفعاله، لأن القاعدة العامة فى ديننا هى أن من عرف الله لم يأمَنْ مكره، ومن لم يأمن مكر الله حتى لو وضع إحدى قدميه فى الجنة لا يغتر بعلمه أو جاهه أو ماله، فإن اغتر بشىء من ذلك فهو يجهل الله تبارك وتعالى.

* وعلاج من اغتر - فى تصورى - أن يقرأ فى كتاب الله مصير مشاهير المغرورين فى تاريخ الإنسانية فرعون وهامان وقارون[1] وغيرهم من كبار الظلمة الكفرة، فهم جميعًا ممن أحسن الله إليهم ابتداء فأعطاهم الجاه والسلطان والمال فاغتروا بما أوتوا، فدمر الله عليهم تدميرًا.

وآيات القرآن الكريم ناطقة بذلك فى كثير من المواضع.

* هذا المغرور بما آتاه الله من علم أو جاه أو مال؛ قد دخل بهذا الغرور فى مجال الحمق

(١) يقرأ سورة القصص، وسورة غافر، وكثيرًا من السور الكريمة التى جاءت فيها قصة فرعون.

والسفه، فقد روى الترمذى بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتْبع نفسه هواها، وتمنى على الله».

وهؤلاء المغرورون قد يكونون أحكموا العلم، ومارسوا العمل، وواظبوا على الطاعات، وتركوا المعاصي، وحسن للناس ظاهرهم، إلاَّ أنهم فى غمرة هذا كله لم يتفقدوا قلوبهم لتنكشف لهم حقائقهم وتظهر لهم صفاتهم الذميمة عند الله تعالى، كالبر والغرور وطلب الرياسة.

* هؤلاء يدفعهم غرورهم إلى أن ينظروا فى أعطافهم وفى عقولهم فيرون أنفسهم أهل الرأى والفتوى والتحليل الأخير، ويرون أن من خالفهم فى رأيهم أو خرج عن طوع ما أفتوا به فهو جاهل وغير مقدِّر لمكانة العلماء، بل اعتبروه مارقا - وهذا من خطئهم فى الرأى وفى السلوك - ثم لا يكتفون بإدانة الأفراد إذا خرجوا عما رسموا لهم، بل ينظرون إلى الجماعة نفس النظرة، فيرون الجماعة كالفرد عليها أن تأخذ بما رأوا وتعمل بما اقترحوا، فإن لم تفعل فإنها تتجاهل مكانتهم، وتعرض نفسها للوقوع فى الخطأ.

وكثيرًا ما ينطلق هؤلاء المغرورون من منطلق رغبتهم فى نقد الجماعة والحديث عما فى صفوفها من عيوب، وسوء فقه، وسوء إدارة، وابتعاد عن الأخذ بآرائهم، وهم بذلك يرون أنفسهم مُوازِين للجماعة - إن تواضعوا بعض التواضع - وفوق الجماعة إن أطلقوا لأنفسهم عنان الغرور، فانتفخت أوداجهم عندما تلوك ألسنتهم العلم والحكمة والرأى الصقيل!!!

ومن أجل ذلك يخرجون على الأخوة فى الدين، وعلى الجماعة، بل إن بعضهم يفكر ويعمل على تكوين جماعة من المحيطين به المأخوذين بعلمه وحكمته وجاهه وماله، جماعة تنافس الجماعة!!!

* وتاريخ الجماعات كلها لا يخلو من أمثال هؤلاء المغرورين بما أوتوا، والذى يريد أن يتتبع هؤلاء يرهق نفسه ولا يخرج من وراء ذلك بطائل إلا إحياء ذكرى المغرورين.

* وكثيرًا ما يلجأ بعض هؤلاء - الموازون للجماعة أو الذين يرون أنفسهم فوقها - إلى أن يروجوا لأنفسهم أو يروج لهم المقربون منهم بغير حياء وقد يتحدث أحد هؤلاء المغرورين قائلاً:

- لقد قلت للجماعة كذا وكذا ولكنها لم تأخذ بما قلت!!!

ـ وقد اقترحت على الجماعة فى موقف كذا أن تفعل كذا، فلم تفعل!!!

ـ وقد حذرتها من كذا فلم تحذر!!!

ثم تنتفخ أوداجه فيقول: من أجل ذلك وقعت الجماعة فى المحن والابتلاء!!!

يقول هذا ـ وهو يعلم أن الجماعة ليست جماعة إلا عندما تأخذ بالشورى، وأنها عند ما تأخذ بالشورى فهى على صواب، وإن خالفت رأى هذا العالم النِّحرير، والسياسى الخطير، والمصلح الكبير.

وكثيرًا ما يحاول بعض هؤلاء أن يخذِّلوا عن الأخوة فى الدين وعن الجماعة، متذرعين بثقة الناس فيهم وما نالوا من علم وشهرة.

* ولو تدبر هؤلاء العلماء ـ وهم أهل تدبر وتأمل ـ لعلموا أن واحدا من العلماء مهما أوتى من العلم والجاه والمال لن يكون بحال موازيًا للجماعة أبدًا، إذ الأصل فى الجماعة أن تكون على الحق ما دامت تأخذ بالشورى وتستمع إلى الرأى الآخر وتحاور وتشاور.

وحسب الجماعة فضلا وشرفًا أن يد الله تعالى معها، وأن البركة فيها ومعها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وقد أخبر الرسول ﷺ بأن الجماعة لا تجتمع على باطل أو ضلال، وأنها رحمة، وأوجب لزومها، وأخبر أن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض[1].

ب ـ نتائج الخروج على الأخوة فى الله

من المؤكد أن الذين يخرجون على الأخوة فى الله لا يحققون لأنفسهم ما كانوا يصبون إليه إلا فى القليل النادر من الحالات، لكنهم من غير شك يخسرون فى مقابل ذلك عند الله تعالى خسائر فادحة، لأن هذا الخروج وذلك التخلى هو فى الواقع خروج على ما أمر الله تعالى به، من أن المؤمنين يجب أن يكونوا إخوة.

* ومن المؤكد كذلك أن الأخوة فى الدين لا تخسر بهذا الخروج عليها إلا أقل القليل المتمثل فى واحد من مئات أو ألوف، وقد أوضحنا آنفا أن الأخوة فى الدين قيمة ومبدأ، وأن المبدأ لا يضيره أن يؤمن به واحد أو ألف من الناس، ولا أن يتخلى عنه واحد أو ألف

---

(١) ذكرنا هذه الأحاديث النبوية فى هذا الكتاب فى فصوله السابقة فلم نجد داعيًا لإعادة ذكرها.

من الناس، إنما الخاسرون على وجه الحقيقة هم أولئك الذين خرجوا عن هذا المبدأ وتلك القيمة.

* غير أن الخروج على الأخوة في الدين يضر المسلمين بوجه عام ويباعد بينهم وبين هدفهم الكبير وهو التمكين لدين الله في الأرض. كما أنه يضر الخارج نفسه، وسنحاول هنا أن نرصد نوعين من هذه الخسارة أو الضرر؛ ما يعود منه على من خرج على الأخوة في الدين، وما يعود منه على المسلمين عمومًا.

أولاً:

أضرار تعود على الخارج عن الأخوة.

وهذا الضرر قد أشرنا إلى كثير من مظاهره فيما مضى من صفحات هذا الكتاب، ونسجل هنا بعض الأضرار الأخرى:

الأول: يخسر الإحساس بالانتماء إلى الجماعة، وبخاصة الجماعة التي تعمل من أجل هذا الدين ورفعته وسيادة قيمه، حتى يتقدم المجتمع وينهض ويتمتع أفراده بحقوقهم غير منقوصة ويؤدون واجباتهم كاملة.

وإذا خسر هذا الخارج هذا الانتماء فقد وقع في نوعين من الشر كل منهما أضر من الآخر، وهما:

- أن يعيش العزلة والانطواء على النفس كلما وجد نفسه بعيدًا عن إخوانه، غريبًا في وحدته، أو في صحبة قرناء السوء.

- وأن يتيح الفرصة لذئب الإنسان وهو الشيطان أن ينفرد به، وإذا انفرد الذئب بواحد من الناس افترسه، أما أن يكون هذا الواحد في جماعة فإن الذئب لا يدنو منه.

وقد روى أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية، والناحية، وإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة».**

الثاني: يخسر المتعة النفسية والروحية التي كان يجدها في مشاركة إخوانه في العمل على كافة مستوياته من أجل الإسلام، وهي متعة معمقة للإيمان، مرغبة في المزيد من العمل

الصالح، مقربة من الله تعالى.

ومهما عمل وحده ـ بعد خروجه كما يوهم نفسه ـ فلن يجد فى عمله هذا متعة التعاون والمشاركة مع الصالحين من الناس، يستهدى بهم ويتقوى بجمعهم ويسارع معهم فى الخيرات.

إن تلك المتعة الروحية فى المشاركة فى العمل من أجل الدين لا تعدلها متعة.

الثالث: يخسر فائدة الحوار والمناقشة والاستماع إلى الرأى الآخر، بحثا عن الأفضل والأحسن والأنفع للناس فى دينهم ودنياهم، إنه يخسر بخروجه على الأخوة فى الدين ممارسة الشورى، والشورى فى الإسلام عبادة لله تعالى مدحها الله تعالى صفة من صفات المؤمنين المتوكلين على الله الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش المتسامحين المقيمين للصلاة الذين أمرهم شورى بينهم المحسنين المتصدقين... إلخ[1].

وخسارة الشورى خسارة فادحة، فما بعدها إلا الغرور، والاعتداد الزائد بالرأى، بل ربما التعصب.

ثانيا:

أضرار تعود على المسلمين:

وهى أضرار كثيرة أشرنا إلى بعضها فيما سلف من هذا الكتاب ونذكِّر هنا ببعضها، والذكرى تنفع المؤمنين:

الأول: ضعف المسلمين وذهاب ريحهم:

إذ لا يشك أحد فى أن خروج واحد من المسلمين على جماعتهم، وتركه مكانه فى الصف يحدث خللاً فيه، فيؤدى إلى ضعف نسبى فى الجماعة، لأن كل واحد من المسلمين يقوم على ثغرة من ثغرات العمل من أجل الإسلام، عليه أن يحافظ عليها، فلا يُؤْتَى العمل من قِبَل الثغرة التى يحرسها.

وكل واحد من المسلمين فى جماعة لابد أن يكون له موقع فى العمل يحميه ويدافع

---

(١) اقرأ الآيات الكريمة من ٣٦ إلى ٤١ من سورة الشورى، تجد الشورى بين صفات للمؤمنين كلها داخلة فى عبادة الله تعالى.

عنه؛ حرصًا على الإسلام وقيمه ومبادئه، فإن لم يكن له هذا الموقع فهناك خلل فى النظام وفى الإدارة وفى توزيع الأعمال.

وكل موقع مهما بدا صغيرًا أو غير ذى أهمية فإنه لابد أن يُحمى، وأن يحذر القائم عليه أن يُؤتى من قِبله.

وإذا كانت إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان أى ثغرة يجب أن تُسَد، أفلا تكون حماية المؤمنين من ذئب الإنسان ثغرة يجب أن تُحمى وتُسد؟

* إن المؤمنين قوة طالما كانوا جماعة، فإذا تفرقوا ضعفوا وهانوا، وخروج واحد منهم عليهم تفرق وتمزق، وسبب من أسباب الضعف.

وقوة المؤمنين دائمًا فى وحدة كلمتهم واجتماعهم على الحق والتواصى به وبالصبر عليه، إنهم عندئذ فى المكانة التى يهابهم فيها عدوهم ويعجز عن مواجهتهم، وإلا ضاعت هيبتهم وذهبت ريحهم.

الثانى: طمع أعداء المسلمين فيهم:

أعداء المسلمين يكادون يكونون أعداء تقليديين فى كل عصر ومصر، وهم: المشركون والكافرون والمنافقون والعصاة لله تعالى، والأشرار، تلك سنة من سنن الحياة فى الصراع بين الحق والباطل.

وهؤلاء الأعداء متربصون دائمًا ينتظرون الفرصة فيهتبلونها ويبحثون عن الثغرة فيدخلون منها، ولا يجدون فى هذا المجال أحسن من خروج بعض المسلمين على بعض، فذلك الذى يتيح للعدو أن ينفذ إلى الصف الذى أصابه الخلل، والجماعة التى تفرقت وتشرذمت.

* وتاريخ المسلمين حافل بفترات الخروج على الجماعة والتفرق والخلاف، وما كانت فترة من هذه الفترات إلا انتهز العدو فرصتها فوجه ضرباته إليهم طمعًا فى الانتصار على أمة ممزقة ولنذكر ببعض هذه الفترات.

- ما عبر الصليبيون أوربا إلى بيت المقدس إلا بعد أن علموا أو عملوا على أن يتفرق أمر المسلمين، ولقد استطاعوا فى ذلك الوقت أن يستولوا على بيت المقدس وأن يقيموا عددا من الممالك فى بلاد المسلمين، وأن يظلوا ماكثين قرنين من الزمان.

* وما خرج الصليبيون من الشام ومصر إلا بعد أن اجتمعت كلمة المسلمين على عهد صلاح الدين الأيوبى ومن بعده من الأمراء فطردوهم طردًا وبيلاً بهذا الاتحاد.

ـ وما طمع التتار فى المسلمين إلا بعد أن رأوا تفرقهم وتمزق دولتهم، فاجتاحوا البلاد والعباد وعاثوا فسادًا.

* وما رُدَّ التتار على أعقابهم إلا حين توحدت كلمة المسلمين واتحدت صفوفهم، فوضعوا حدًا فاصلاً لشر التتار فى العالم كله.

* وما استطاعت دولة الخلافة العثمانية أن تبسط نفوذها على تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلا بعد أن توحدت ووحدت الأمة الإسلامية.

ـ وما استطاع الصليبيون أن يعودوا محتلين لمعظم بلدان العالم الإسلامى إلا أن عملوا على إضعاف دولة الخلافة وتبديد وحدة المسلمين وشرذمتهم، وإحياء النعرات والقوميات التى زادتهم فرقة وتمزقًا.

ـ وما استطاع اليهود - ومِنْ ورائهم الغرب وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى - أن يغتصبوا أرض فلسطين وأن يقيموا عليها دولة، إلا بعد تفرق المسلمين وذهاب وحدتهم وريحهم.

ـ وما استطاعت أمريكا ونظامها العالمى الجديد «العولمة» أن تسيطر على معظم بل جميع بلدان العالم الإسلامى سياسيا واقتصادياً، وعسكريا وثقافيا إلا بعد أن عملت بكل وسيلة لأن تحول بينهم وبين أى وحدة أو اتحاد.

ـ وسياسة تمزيق الأمة المسلمة وتفريق كلمتها هى التى مكنت منهم أعدائهم، وصيَّرتهم إلى ما هم فيه من ضعف وتبعية، وفُرقة وعداء.

* ومعنى ذلك أن العدو لا يطمع فى المسلمين إلا بعد أن يعمل ما وسعه على شق صفهم وإغراء المخدوعين بالخروج على الجماعة.

الثالث: صعوبة الوصول إلى التمكين لدين الله فى الأرض.

تمكين دين الله فى الأرض يعنى أمورًا عديدة أهمها:

ـ قدرة المسلمين على أن يمارسوا تربية أنفسهم وغيرهم تربية إسلامية، فهذا يمنع الانحراف عن الحق والخروج عليه.

ـ وقدرتهم على الدعوة إلى الله وإلى الخير، وعلى الحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق، فهذا من شأنه أن يشيع الخير فى الناس، ويحبب بعضهم فى بعض.

- وقدرتهم على ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عـن المنكر، فهذا من شأنه أن يشجع على الفضيلة والخير، وأن يحسم الرذيلة والشر.

- وقدرتهم على أن يمارسوا الجهاد فى سبيل الله بكل صوره من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا، فهذا من شأنه أن يجعل كلمة الكفر هى السفلى.

* كل ذلك إسـهام فى التـمكين لدين الله فى الأرض، وكل ذلك يحتـاج إلى أن يكون المسلمون وحدة، وألا يخرج عليهم بعضهم.

* والتمـكين لدين الله فى الأرض واجب كل مسلم على قـدر ما يسـتطيع، وبغيـر هذا التمكين فإن الأمة الإسلامية تخسر فى مجالات عديدة أشرنا إليها آنفًا:

- فهى تخسر بعجزها عن ممارسة التربية الإسلامية.

- وعجزها عن الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس وفى شتى بقاع الأرض.

- وعجزها عن ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

- وعجزها عن الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

فهذه المجالات تتيسـر للمسلمين إن كان دين الله قد مُكِّنَ له فى الأرض، والتمكين لدين الله فى الأرض يحتاج إلى ممارسة هذه الأمور الأصيلة الأساسية فى الإسلام.

* وهذا وذاك يحتاج إلى جماعة، ولقـد صدقت فى ذلك كلمة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فيـما رواه عنه الدارمى بسنده عن تميم الدارى رضى الله عنـه قال: تطاول الناس فى البنيان على عهد عمر رضى الله عنه، فقال: «يا معشر العُرَيْب، الأرضَ الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوَّده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومَن سوده قومه على غير فقه كان هلاكًا له ولهم».

* وإذا كان الرسول ﷺ قد نهى عن هجـر المؤمن لأخيه المؤمن فوق ثلاث، فكيف بمن هجر المسلمين وجماعتهم إلى غير رجعة إليهم؟

روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»**.

* ومن المقرر أن التمكين لدين الله تعـالى فى الأرض واجب، ولا يستطيع المسلمون أن

يمكنوا لدين الله في الأرض إلا في جماعة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالجماعة إذن واجبة، وما دامت واجبة فإن الخروج عليها إثم ومعصية.

*** الجماعة واجبة عقلا وشرعًا:**

- أما وجوبها من جهة العقل فلأنها التي تستطيع أن تتصدى لما لا يستطيعه الفرد، مثل الدعوة إلى الله والحركة بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا؛ لأن التصدى لذلك تقوم دونه عقبات ومعوقات يضعها أهل الباطل والضلال.

وأهل الباطل والضلال جماعة أو جماعات ودول ومنظمات ولا يمكن التصدي للجماعة إلا بجماعة ولا للمنظمة إلا بمنظمة ولا لدولة إلا بدولة، فهذا منهج التفكير السليم.

* غير أن هذا التصدي ليس معناه العنف - كما يحلو لبعض الجاهلين أو المغالطين أن يقولوا أو يفعلوا - فإن هذا أبعد ما يكون عن الإسلام ومنهجه ودعوته التي تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق أحكامها وشروطها وآدابها، والجهاد في سبيل الله وفق أحكامه وآدابه كذلك[1].

- وأما وجوب الجماعة شرعًا، فلعدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومنها:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

* وقوله جل شأنه: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

* وما رواه أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم».

* وما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقِفَنَّ عند رجل يقتل مظلومًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره، ولم يدفع عنه، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلومًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه».

---

(١) انظر في ذلك: ركن الجهاد من هذه السلسلة

وكل ما طلبته آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التى ذكرنا لا يمكن أداؤه إلا فى جماعة.

* وإذا كانت الجماعة واجبة عقلا وشرعًا، فإن الخروج عليها وعلى الأخوة فى الدين التى هى نسيجها، مستنكر عقلا وشرعًا، لما يؤدى إليه هذا الخروج من تفضيل الأعمال التى توصل إلى التمكين لدين الله فى الأرض، التى ذكرنا من مفرداتها آنفًا؛ التربية الإسلامية والدعوة والحركة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

٤ ـ الأخوة فى الدين تكامل إيمانى دعوى حركى جهادى.

شرع الله تعالى الأخوة فى الدين وأوجبها لتكمل الإيمان، وييسّر بها الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس، وجعلها تعين على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، فيؤدى ذلك كله إلى التمكين لدين الله فى الأرض.

* هذه المنظومة التى تبدأ بالإيمان وتنتهى بالتمكين لدين الله فى الأرض سلسلة متماسكة الحلقات لا يمكن أن يستغنى بعضها عن بعض، وهذا هو معنى التكامل الذى نقصده.

كما أنها لا ينفع بعضها دون بعض.

* والأخوة فى الدين تمكن المسلمين المتآخين من ممارسة هذه المفردات، وتعبر عنها، وتترجمها فهما وإخلاصًا وعملاً وجهادًا وتضحية وطاعة وثباتا وتجردا، واستجابة لحقوق الأخوة وأداء لواجباتها، فلا عجب أن كانت هذه الأخوة هى الركن القادر على التعبير عن سائر أركان البيعة، ولا عجب فى أنها إذا عُطلت تتعطل سائر الأركان.

* ومن أجل ذلك كانت الأخوة تكاملا تندمج فيه هذه الأركان. ولهذا التكامل مظاهر ودلالات نحاول أن نذكر بعضها فى هذه الصفحات.

* إن الأخوة فى الدين تؤدى وظائف لا يؤديها سواها من أركان البيعة، نذكر منها:

- سد الثغرات فى العمل من أجل الإسلام.
- وتيسير الوصول إلى وحدة المسلمين فاتحادهم فالتمكين لدين الله.
- وتدعيم الولاية بين المؤمنين.

ولنلق ضوءا على كل نقطة من هذه النقاط الثلاث، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

أ ـ الأخوة فى الدين تسد ثغرات العمل من أجل الإسلام.

العمل من أجل الإسلام يتناول كل عمل مشروع يؤدى إلى التمكين لدين الله فى الأرض، وبالتالى فهو مئات المفردات.

وكل مسلم مطالب بأن يعمل ما فى وسعه ليسهم فى التمكين لدين الله فى الأرض.

ولا نستطيع أن نحصى أنواع العمل من أجل الإسلام فى هذه الصفحات لأنه بحر مترامى الشواطئ، وسماء واسعة الأرجاء، وأرض رحبة الأنحاء.

لكننا نحاول متأسِّين فى ذلك بالقدوة ﷺ، أن نيسر على الناس ونقرب إلى عقولهم، فنحصر هذا العمل الضخم بين حدين حصره بينهما رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها، قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[1].

فأول عمل وأفضله من أجل الإسلام هو: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضى ذلك، وأقل هذه الأعمال وأبسطها تكلفة هو إماطة الأذى عن الطريق، وما بين هذين العملين خمسة وسبعون عملاً، كل منها شعبة من شعب الإيمان، وكل منها يسهم بنصيب فى التمكين لدين الله فى الأرض.

ونستطيع القول بأن هذه الأعمال السبعة والسبعين كما عدها الإمام البيهقى لم تدع عملاً صالحًا إلا دعت إليه، وحببت فيه، بل أوجبته بوصفه جزءا من الإيمان، فهو إذن كل الفضائل، وكل واحدة منها عندما يقوم بها المسلم يثيبه الله عليها أجزل الثواب.

وهذه الفضائل هى لبنات فى بناء الإسلام، ويقابل هذه الفضائل السبعة والسبعين، سبع وسبعون رذيلة نهى عنها الله تعالى ويعد الانتهاء عنها عملاً صالحًا يثيب الله تعالى عليه أجزل الجزاء.

* وكل رذيلة من هذه الرذائل ثغرة فى دين المتدين يجب أن تسد ويحال بينها وبين الظهور، ولا يعين على سد هذه الثغرات مثل الأخوة فى الدين، فإن هذه الأخوة عون للمسلمين على أن يسدوا هذه الثغرات فى الطريق إلى الله وإلى التمكين لدينه فى الناس.

---

(1) انظر فى ذلك كتابنا. التربية العقلية ص ١٢٣ من سلسلة مفردات التربية الإسلامية، ومن أراد التوسع والشرح فلينظر شعب الإيمان للإمام البيهقى، ط دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م فى مجلدات ثمانية.

وكل فضيلة من هذه الفضائل السبعة والسبعين يعد تعطيلها ثغرة من الثغرات التى تخدش إيمان المؤمن، لذلك كان لابد من سد هذه الثغرات، ولا شيء كالأخوة فى الدين يعين على سدها.

* ولابد من التأكيد على أن سد هذه الثغرات مطلب شرعى، وأن من يتسبب فى سد ثغرة من هذه الثغرات التى قد يُؤتى منها الإسلام، فإن له عند الله أجزل الثواب، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء، والمهاجرون، الذين تُسَدُّ بهم الثغور، ويُتَّقَى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن شاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عباداً يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا، وتُسَدُّ بهم الثغور ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم، وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»**.

ـ والثغور هى التى يصيب المسلمين منها ضرر فى حاضرهم أو مستقبلهم، أو هى أنواع الخلل التى تصيب العمل من أجل الإسلام، أو تعترى شعبة من شعب الإيمان، فمن سدها فله عند الله أجر عظيم.

ـ والمكاره جمع مكروه وهو كل عمل يبغضه الله تعالى لما فيه من معصية له، وكل عمل أو عقبة تعترض طريق العمل من أجل الإسلام فمن وقى المسلمين هذه المكاره فله عند الله تعالى أجر عظيم.

* روى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ثُلَّة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين يتقى بهم المكاره، وإذا أُمروا سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره، وإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتى بزخرفها، وزينتها فيقول: أى عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى، ادخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب»**.

وهؤلاء الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره هم أولئك الذين ربطت بينهم الأخوة

فى الدين، فعرفوا للأخوة حقوقها وأدوا واجباتها فأعانوا إخوانهم على سد الثغور واتقاء المكاره قاصدين بذلك وجه الله تعالى.

ب ـ الأخوة فى الدين تيسر للمسلمين الوحدة فالاتحاد فالتمكين لدين الله فى الأرض.

الأخوة فى الدين عندما يراعى فيها ما ألزم الله به من حقوق وواجبات فهى كفيلة بأن ترتقى بالمسلمين من درجة إلى أخرى أعلى منها، حتى تصل بهم إلى أعلى درجات العمل الصالح الذى يقرب إلى الله تعالى وهو التمكين لدين الله فى الأرض.

* وهذه الدرجات كثيرة كشعب الإيمان، ولكن الإمام البنا حصرها بين حدين متأسيا برسول الله ﷺ، فقال عنها:

«وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخوة الإيمان...» فهى عنده تبدأ برباط القلوب بالعقيدة، وتنتهى بالإيثار الذى يجعل الأخ يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه.

ولكن درجاتها فيما نتصور هى:

- تقوية الإيمان فى قلوب المؤمنين.
- ومباعدتهم عن كل أسباب الفرقة والاختلاف.
- وغرس الحب فى القلوب ـ الحب فى الله ـ الذى أدناه سلامة الصدر وأعلاه رتبة الإيثار.
- ومع الحب تأتى درجة الوحدة.
- ومع الوحدة تكون درجة القوة.
- ثم درجة الاتحاد بين المسلمين.
- ثم درجة التمكين لدين الله فى الأرض.

* والذى نود أن نركز عليه هنا هو: أنّ الأخوة فى الدين تكامل بين المتآخين فى الله يولد الوحدة فالاتحاد فالتمكين.

ولابد لنا من توضيح هذه الكلمات: الوحدة، والاتحاد، والتمكين فنقول:

الكلمة الأولى: الوحدة

الأخوة والوحدة:

سبق أن أوضحنا ذلك آنفا، وقلنا هناك إن الوحدة أنواع عديدة أهمها، وحدة العقيدة، ووحدة الدين، ووحدة المصير، ووحدة الهدف، ووحدة التوجه، ووحدة الشعور، ووحدة التساوى فى الحقوق والواجبات، ووحدة الصف، وأخيراً وحدة العدو.

وهذه الوحدة بكل أنواعها هى أول القوة.

ولا وحدة بغير أخوة، والقوة التى تؤدى إليها الوحدة مطلب قرآنى صادر من الله تعالى للمؤمنين فى كل زمان وفى كل مكان وفى كل حال من حالات الإنسان.

- فى وقت السلم كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

- وفى وقت الحرب، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

* وما دامت القوة مطلبًا قرآنيا فلابد أن يدعو الرسول ﷺ إليها، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير...**».

* ولا قوة بغير وحدة، فماذا عسى يفعل قوى واحد مهما أوتى من أسباب القوة؟

ولكن عندما تكون بين المسلمين وحدة يكونون قوة يحسب لها العدو ألف حساب وحساب.

* ومن أجل هذا نقول: إن الأخوة فى الدين تكاملٌ بين المؤمنين تؤدى إلى الوحدة، والوحدة قوة، والقوة إذا استثمرت أدَّتْ إلى الاتحاد.

والكلمة الثانية: الاتحاد

الأخوة والاتحاد:

سبق أن أوضحنا آنفًا، أن الاتحاد مطلب ملح للمسلمين فى كل زمان ومكان، بل هو ضرورة حياة وضرورة استمرار فى الحياة، والاتحاد كالوحدة مطلب دينى، فقد روى أبو

داود بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها» قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: «لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يُجعَل الوهنُ فى قلوبكم، ويُنزَع الرهب من قلوب عدوكم؛ لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت»**.

* فالمطلوب أخوة فى الدين - كما أوضحنا آنفا - فإذا وجدت الأخوة وجدت الوحدة، وإذا تمت الوحدة كان الاتحاد، وإذا حدث الاتحاد كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس.

* وكل تقصير فى شىء من ذلك فإنما تتحول معه الأمة المسلمة إلى غثاء كغثاء السيل، ثم يَغْشَى الوهن قلوب المسلمين، وتنزع مهابتهم من قلوب أعدائهم، لأنهم نسوا الدين بإقبالهم الشديد على الدنيا، وكراهيتهم الموت أى لقاء الله، وإنما يكره لقاء الله مَنْ ساء عمله.

* وهذا الاتحاد الذى هو أمل الأمة المسلمة فى كل حال وفى كل حين هو الذى يجعل منهم بنيانا يشد بعضه بعضا ويساند بعضه بعضا، ويكمل بعضه بعضا، روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى بأسانيدهم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**.

* إن اتحاد المسلمين هو الذى يرد عنهم أعداءهم بحرب حينا وبغير حرب أحيانًا، إذ يجعل لهم مهابة بين الأمم.

واتحاد المسلمين - مع حسن التنسيق - هو الذى يمكنهم من النهوض من عثرتهم الحالية، ليقفوا على أقدامهم، ويتقدموا خطوات وخطوات فى مجالات الحياة جميعًا.

- فى العلم بمختلف فروعه، المدنية والعسكرية.

- وفى التطبيق والتقنية، وتوظيف الطاقات.

- وفى الاقتصاد بكافة مجالاته، وأسواقه المشتركة.

- وفى الزراعة المتطورة نوعا وكمًا.

- وفى المحافظة على صحة الإنسان البدنية والنفسية.

- وفى التعليم المرحلى والمستمر، وربط البحوث العلمية فى الجامعات باحتياجات المجتمع.

- وفى المحافظة على حياة الإنسان واحترام حقوقه وحرياته.

* وهذا الاتحاد هو الذى يمكن الأمة الإسلامية من أن تمارس الدعوة إلى الله وإلى الخير، والحركة بالدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

* وقد يبدو اتحاد المسلمين عند بعض الناس مطلبًا خياليًا، ولكن هؤلاء لم يرزقوا انفساح العقل ورحابة الفكر ليروا إمكان حدوثه فى المستقبل بل المستقبل القريب، فقد حدث فى الماضى، وليس هناك ما يمنع حدوثه فى المستقبل.

والحق أن التفكير المتأنى والثقة بالله وإخلاص العمل له والاستمرار فى هذا العمل المخلص، كل ذلك يجعل اتحاد المسلمين بعد وحدتهم، ووحدتهم بعد أخوتهم فى الدين، وأخوتهم بعد إيمانهم يجعل ذلك ميسورًا قريب المنال، ولسنا بهذا نمعن فى التفاؤل، ولكننا ندعو بإلحاح إلى الأخذ بالأسباب.

الكلمة الثالثة: التمكين

الأخوة والتمكين:

ذكرنا ـ أكثر من مرة ـ أن التمكين لدين الله فى الأرض هدف لكل عمل من أجل الإسلام ابتداء من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل بهاتين الشهادتين، وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق، غير أننا نذكر هنا بالأسباب الحيوية التى تمهد وتمكن لسيادة دين الله ومنهجه ونظامه على حياة الناس، تلك الأسباب التى دعونا إلى الأخذ بها وهى فى صورتها المجملة التى سردنا مفرداتها أكثر من مرة:

ـ الإيمان بالله.

ـ والأخوة فى الدين.

ـ والدعوة إلى الله.

ـ والحركة بالدين فى الناس والزمان والمكان.

ـ والأمر بالمعروف.

ـ والنهى عن المنكر.

ـ والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

* وهذه الأسباب جميعًا تعين عليها الأخوة فى الله، وتتيح لكل سبب منها أن يعبر عن نفسه أحسن تعبير وأصدقه، وبغير الأخوة فى الله يصبح الأخذ بهذه الأسباب عملا متعذرًا إن لم يكن مستحيلاً، لأن كل سبب منها لا يستطيع أن يعبر عن نفسه إلا بالأعوان المخلصين والمساندين المتآخين، فإذا جُرِّدَ أى سبب منها عن هؤلاء الأعوان وأولئك المساندين كان ضعيفًا، بل شديد الضعف، قاصرًا عن الوصول إلى هدفه. أو عاجزًا عنه عجزًا مطلقًا.

* من أجل هذا كانت الأخوة فى الدين أساسًا هامًا فى الإيمان بالله تعالى، وركنا ركينا فى التمكين لدين الله فى الأرض.

* وبكل أنواع الثقة نستطيع أن نقول: إن التمكين لدين الله فى الأرض غير ممكن بغير التآخى فى الدين.

جـ ـ الأخوة فى الدين تدعم الولاء بين المؤمنين

سبق أن قررنا أن الأخوة فى الدين هى التى تستطيع ـ إذا روعيت حقوقها وواجباتها ـ أن تَسُدَّ كل ثغرة أمام المسلمين، وأن تؤمن لهم وحدتهم بأنواعها العديدة، وأن تهيئ لهم الاتحاد.

* ونضيف هنا أن الأخوة فى الدين هى التى تحقق الولاء بين المؤمنين، وهذا الولاء مطلب شرعى دلت عليه آيات القرآن الكريم.

ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١ ـ ٧٢].

فهذه الآية الكريمة تقرر الولاء بين المؤمنين والمؤمنات، وتقرر عددًا من الحقائق أهمها:

ـ أن الولاء ـ بمعنى المحبة والنُّصرة ـ قائم بين المؤمنين جميعًا رجالاً ونساء، أو يجب أن يكون قائمًا.

ـ وأن الذى جعل فيهم هذا الولاء هو الإيمان بالله الذى يتآخون بمقتضاه لأن المؤمنين إخوة.

ـ وأن مما يعزز الولاء بين المؤمنين جميعًا أن يلتزموا بما أمر الله به، وأن يأمروا الناس به،

وأن ينتهوا عما نهى الله عنه، وأن ينهوا الناس عنه.

ـ وأنهم يدعمون هذا الإيمان ويزيدونه قوة وصلابة وقدرة على مواجهة المتاعب والصعاب؛ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فى كل أمر وكل نهى.

ـ وأنهم بهذا الولاء وتلك الطاعة فى رحمة الله وجنته خالدين فيها ولهم فوق ذلك رضا الله تبارك وتعالى، ليفوزوا بهذا وذاك فوزًا عظيمًا.

* وفى آية كريمة أخرى يعلن الله تبارك وتعالى أنه ولى هؤلاء المؤمنين الموالى بعضهم بعضًا، وهى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

* ومن المقرر فى شريعة الإسلام أنه لا ولاية بين مؤمن وكافر لأن الولاية جاءت تبعًا للإيمان والأخوة، ولا أخوة بين مؤمن وكافر، فقد نفى الله ولاية للمؤمنين للكافرين فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائده: ٥١].

* ومن المقرر كذلك أنه لا ولاية بين المؤمنين وأعدائهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ...﴾ [الممتحنة: ١].

* ومن المقرر أيضًا أنه لا ولاية بين المؤمنين ومن استحبوا الكفر على الإيمان ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

* والأخوة فى الدين قادرة على تحقيق الولاية بين المؤمنين، وعندما يوالى المؤمنون بعضهم بعضا فإنهم يضعون أقدامهم على طريق الوحدة فالقوة، وإذا وضعوا أقدامهم فى طريق الوحدة سهل عليهم السير فى طريق الاتحاد ـ والاتحاد كما قلنا آنفا أمل ـ وإذا كان بين المسلمين الذين يزيدون اليوم على ألف وثلاثمائة مليون ـ كما تقول بذلك إحصاءات أعدائهم ـ فإنهم سوف يكونون أصحاب فاعلية بل وتأثير جيد فى أنفسهم وفى العالم كله، ولا أثر عندنا أهم من تمكين دين الله فى الأرض.

* وإنما كان التمكين لدين الله فى الأرض هو الهدف الأكبر والغاية القصوى من كل أنواع العمل من أجل الإسلام، لأسباب عديدة ومبررات قوية نذكر منها ما يلى:

- أن التمكين لدين الله يكفل للبشرية كلها مسلمين وغير مسلمين أن يعيشوا في ظل نظام عادل، وفي ظل قيم ومبادئ عادلة، ليس فيها تفرقة عنصرية من أجل اللون ولا من أجل الدين ولا من أجل أي شيء آخر، وإنما يتفاضل الناس في ظل هذه القيم بالتقوى لله عز وجل، وبالعمل الصالح.

- وأن دين الله الذي يمكن له لا يجيز للقوي أن يستغل حاجة الضعيف، ولا للغني أن يقهر الفقير، وإنما هو دين يقوم على العدل والإحسان، ويحرم الربا والغش والخداع بين الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، إنه الدين الذي يوجب على المؤمنين به بر الآباء والأبناء والأهل والأقارب والأرحام والجيران ويندبهم إلى بر غير المؤمنين ما داموا لا يعادون المسلمين.

- إنه الدين الذي يحرم على الناس الخبائث، ويحل لهم الطيبات ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي عليهم، ويتيح لهم مزيدًا من حرية التفكير وحرية التعبير، ويحول بينهم وبين ما يضرهم أو يضر سواهم.

- إن الدين الذي يحرم الظلم بكل صوره، حتى لو كان واقعًا على المشركين أو الكافرين ما داموا يعيشون في بلدان مسلمة، إنه دين الإنسانية كلها، دين كرامة الإنسان مهما يكن دينه أو لونه أو وطنه.

- إنه الدين الذي لا يعطي للحكومة المسلمة الحق في ظلم غير المسلمين أو العدوان عليهم، فهو ينادي على المؤمنين به بقوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].

- إنه الدين الذي إذا مُكِّنَ له في الأرض لا يعطي حكومة المسلمين الذين يزيدون على ألف مليون إنسان تفويضًا بأن تفعل في دولة من الدول ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية - مثلاً - في أي بلد تختاره من البلدان التي توقع بها الظلم والعدوان المسلح وخطف رؤساء الدول ومحاكمتهم في الولايات المتحدة الأمريكية.

- إنه الدين الذي لا يسمح لحكومته أن تكيل بمكيالين أوفاهما للذي تهوى وأخسهما للذي تبغض؛ كما رأينا في التعامل مع البوسنة والهرسك والصرب، وكرواتيا وكوسوفو

وغيرها مثل إيران والسودان، وكما تكيل لإسرائيل بكل قحة وبجاحة وإعلان يستهزئ بمشاعر أكثر من ألف مليون من المسلمين.

- إنه الدين الذى لا يسمح لدولته باستعمال حق النقض - الفيتو - لكل قرار دولى ليس على هواها وليس وفق معاييرها المختلة، فهو دين لا يحابى فى الحق، ولا يعاقب حسب الهوى.

* هذا التمكين لدين الله فى الأرض ثمرة للإيمان والأخوة فى الدين والدعوة إلى الله وإلى الحق والخير، والحركة بالإسلام فى الناس والآفاق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

* وبعد: فإن الأخوة فى الدين تكامل بين المؤمنين يقوى إيمانهم ويدعم دعوتهم إلى الله ويرشد مسيرتهم نحو إقرار العدل والخير فى البشرية جمعاء، لتحظى البشرية فى ظله بسعادة الدنيا والآخرة.

الخاتمـــــة

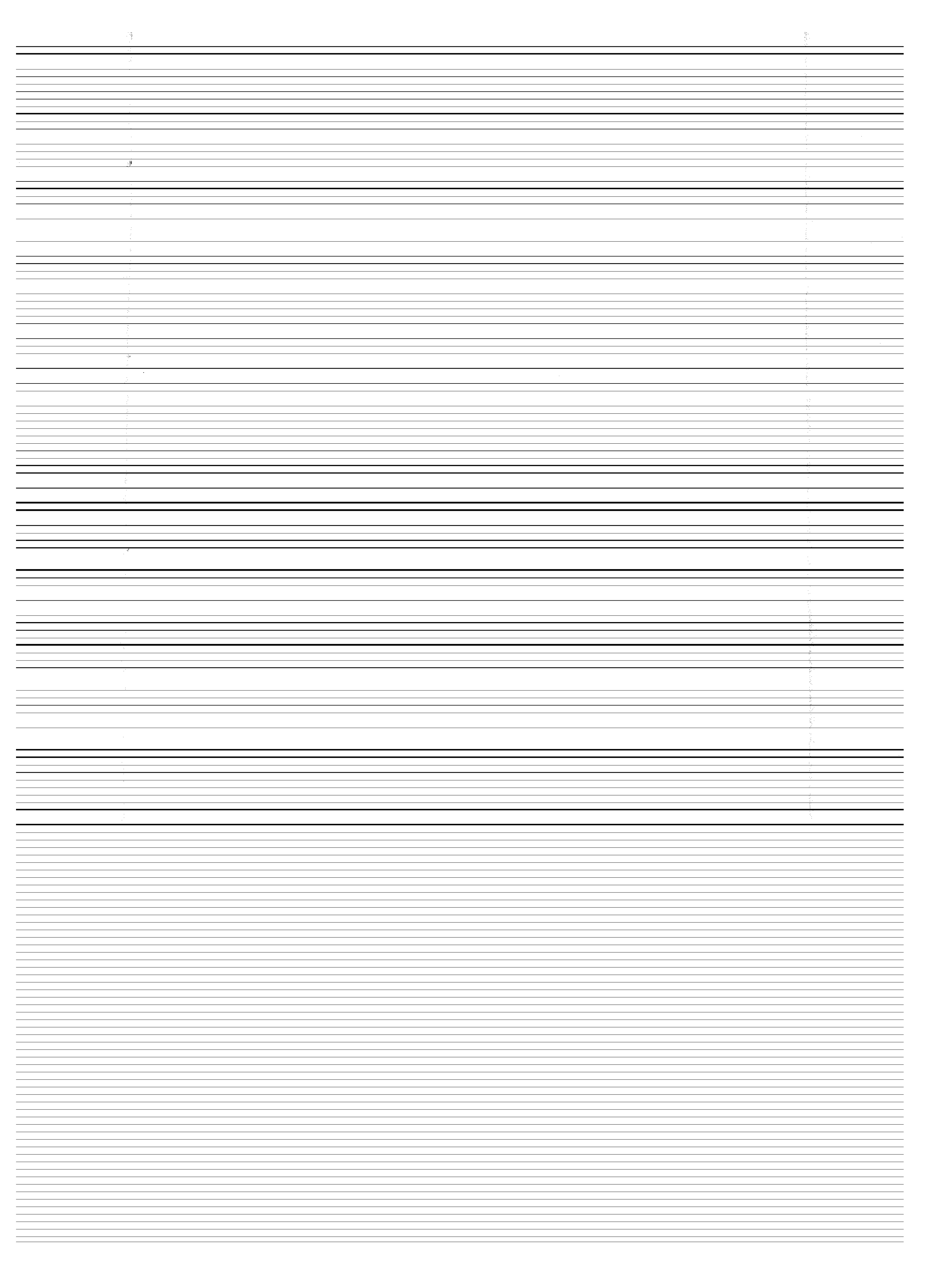
أحمد الله تبارك وتعالى على أن هيأ لى أن ألقى ضوءاً على ركن الأخوة، أرجو أن ينفع قارئه، وأن يثيبنى عليه بمقدار اجتهادى فى شرحه وتحليله.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك.

على عبد الحليم محمود

القاهرة فى السادس من شهر رمضان ١٤١٩ هـ

الموافق ٢٥/١٢/١٩٩٨م



ثبت موضوعات الكتاب

رقم الإيداع	١٩٩٩/٥٥٥٣
الترقيم الدولى	977-265-253-6